



المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى مكة المكرمة

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية



نيابة حمأة في عصر سلاطين المماليك

(٦٩٨-٩٢٢هـ/١٢٩٩-١٥١٦م)

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي

إعداد

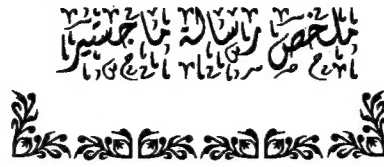
إيمان بنت عبد الحليم عبد القادر تركستاني

بإشراف

الأستاذ الدكتور/ عبد الله بن سعيد محمد الغامدي

١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م





إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد

فلقد تناولت هذه الرسالة دراسة نيابة حماة في عصر سلاطين المماليك ٦٩٨-٩٢٢هـ/١٢٩٩-١٥١٦م، دراسة علمية وصفية تحليلية، وقد اشتمل البحث على مقدمة وتمهيد وأربعة فصول، تضمنت المقدمة أهمية الموضوع وسبب اختياره، وعرض لأهم مصادر البحث، في حين تناول التمهيد دراسة طبيعة التقسيمات الإدارية لبلاد الشام، مع التركيز على مملكة حماة الأيوبية قبيل خضوعها لسلطنة المماليك.

أما الفصل الأول فخصص لدراسة قيام نيابة حماة، وتناول الفصل خمسة مباحث وضحت الدراسة فيها، كيفية خضوع مملكة حماة الأيوبية لنفوذ المماليك، ثم حكم المماليك المباشر لنيابة حماة سنة ٦٩٨هـ/١٢٩٩م، مع بيان الإطار العام لنيابة من حدود وطبيعة جغرافية وأعمال وجهاز إداري وعسكري.

أما الفصل الثاني فخصص لبيان علاقة نيابة حماة بالقوى المجاورة، واشتمل هذا الفصل على خمسة مباحث سلطت الدراسة الضوء فيها على جهود نيابة حماة في صد غزوات المغول عن بلاد الشام، وإسهامها في اضمحلال مملكة إرمينية الصغرى، ودورها في تفعيل حركة الجهاد ضد الصليبيين في جزر البحر المتوسط ٥٠ قبرص-أرود-رودس ٥٠، وكذلك الحملات التأديبية ضد الإمارات التركمانية، و موقفها من حملة تيمورلنك على بلاد الشام سنة ٨٠٣هـ/١٤٠٠م.

أما الفصل الثالث فخصص لدراسة سقوط نيابة حماة ٩٢٢هـ/١٥١٦م، وأحتوى الفصل على أربعة مباحث ناقشت الدراسة فيها العوامل التي نخرت في نيابة حماة وأضعفتها وأسهمت فيما بعد في سقوطها بيد الأتراك العثمانيين من الثورات الداخلية، وعلاقة نيابة حماة بحركات العصيان العامة في بلاد الشام ضد السلطنة في مصر، وموقف نيابة حماة من تأرجح العلاقات المملوكية العثمانية، وختم الفصل ببيان آلية سقوطها. أما الفصل الرابع فخصص لعرض أهم مظاهر التطور الحضاري في نيابة حماة، وتضمن أربعة مباحث وصفت الدراسة فيها المظاهر العمرانية من التحصينات الحربية والمرافق العامة، وكذلك الحياة الاقتصادية من الزراعة والصناعة والتجارة، وأيضاً الحالة الاجتماعية والفكرية.

وأخيراً احتوت الدراسة على خاتمة توضح أهم النتائج التي توصل إليها البحث، وكذلك مجموعة الملاحق والخرائط التوضيحية التي تفسر بعض الحوادث والأماكن الواردة في فصول الرسالة. وفي النهاية أسأل الله العليّ القدير أن يكون عملاً خالصاً لوجهه الكريم وأن يثني على كل حرف كتبه ويجعله في ميزان حسناتي.

الطالبة: إيمان عبد الحليم عبد القادر تركستاني

المشرف: أ/د عبد الله سعيد محمد الغامدي

Master thesis summary



This study is an analytical descriptive study that studies Hamat deputyship at the era of mamaleek sultans 698 – 922 / 1299 - 1516 . the study is composed of an introduction , a preface and four chapters . the introduction discusses the importance of the topic and the reason behind the choice of it , beside a preview of the main references upon which this study relies .the preface presents the nature of the administrative divisions of the region with focus on the Ayopian kingdom of Hamat before the dominance of Mamaleek .

The first chapter is devoted to study the appearance of Hamat deputyship and it is composed of five sections that through light on the supordination of Hamat deputyship under the sovereignty of Mamaleek , the direct rule of Mamaleek to the deputy 698 /1299 , and a general description of the deputy in terms of boundaries , geographical nature , military and administrative structure .

The second chapter is devoted to study the relationship between Hamat and the neighboring regions . it consists of five sections that through light on the efforts of Hamat to defend the region against Maghool attacks and its contribution in the decline of Armenia kingdom , its role in activating the resistance movement against crusader in the island of the Mediterranean sea (Cyprus , Arwad , rodos) , beside the disciplinary attacks against the Turkomani emirates and its attitude from Taymorlunk invasion for the region 803 /1400 .

The third chapter is devoted to discuss the fall of Hamat deputyship and it involves four sections studies factors that contributed in weakening Hamat deputy and led to its fall under the dominance of Osmani Turkish , the relation between Hamat and the rebellion movements in Al-sham region the Sultanate in Egypt , and the attitude of the deputy from the weakness of the relation between Mamaleek and Turkish , and the chapter is concluded with a demonstration of the mechanism of Hamat decline .

The forth chapter discusses the aspects of civilization of Hamap and its development . it involves four sections that describes the constructal aspect of the deputy such as military entrenchments and public institution , in addition to the economic aspects such as agriculture , industry , commerce , also the social and cultural aspects

The study contain a conclusion presents the main findings , attachments , maps that demonstrates some incidents and places mentioned in the study

Student : Eman Abdul-Haleem Abdul-qadir

Supervisor : Dr. Abdullah Saeed M . Al-Ghamdi



نيابة حماة في عصر السلطان (المماليك)
١٢٩٩-١٥١٦م (٦٩٨-٩٢٢هـ)



قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة.....	هـ - م
التمهيد.....	١ - ١٩
طبيعة التقسيمات الادارية لبلاد الشام.....	٢ - ١٦
مملكة حماة الأيوبية قبيل خضوعها لسلطنة المماليك.....	١٧ - ١٩
الفصل الأول (قيام نيابة حماة المملوكية).....	٢٠ - ١١٣
خضوع مملكة حماة الأيوبية لنفوذ المماليك.....	٢١ - ٤٣
حكم المماليك المباشر لنيابة حماة	
سنة ٦٩٨هـ / ١٢٩٩م.....	٤٣ - ٨٣
حدود نيابة حماة وطبيعتها الجغرافية.....	٨٣ - ٨٧
أعمال نيابة حماة.....	٨٧ - ٩٠
الجهاز العسكري والإداري في نيابة حماة.....	٩٠ - ١١٣
الفصل الثاني (علاقة نيابة حماة بالقوى المجاورة).....	١١٤ - ١٩٤
جهود نيابة حماة في صد غزوات المغول عن بلاد الشام.....	١١٥ - ١٣٣
إسهام نيابة حماة في اضمحلال مملكة أرمينية الصغرى.....	١٣٣ - ١٤٢

دور نيابة حماة في حركة الجهاد ضد الصليبيين في جزر البحر المتوسط
(قبرص - أرواد - رودس) ١٦٣-١٤٢
دور نيابة حماة في الحملات التأديبية ضد الإمارات التركمانية ١٨٧-١٦٣
حملة تيمور لنك على بلاد الشام سنة ٨٠٣هـ / ١٤٠٠م، وموقف نيابة حماة
منها ١٩٤-١٨٧

الفصل الثالث (سقوط نيابة حماة ٩٢٢هـ / ١٥١٦م) ٢٥٩-١٩٥
الثورات الداخلية ٢٠٣-١٩٦
علاقة نيابة حماة بحركات العصيان العامة في بلاد الشام
ضد السلطنة في مصر ٢٣٤-٢٠٣
تدهور العلاقات العثمانية المملوكية ٢٤٤-٢٣٥
التوسع العثماني لبلاد الشام وسقوط نيابة حماة ٢٥٩-٢٤٤

الفصل الرابع (أهم مظاهر التطور الحضاري في نيابة حماة) ٣٣٨-٢٦٠
المظاهر العمرانية ٢٨٣-٢٦١
التحصينات الحربية ٢٦٥-٢٦١
المرافق العمرانية الأخرى ٢٨٣-٢٦٥
الحياة الاقتصادية ٢٩٥-٢٨٤
الزراعة ٢٨٨-٢٨٤
الصناعة ٢٩٠-٢٨٨
التجارة ٢٩٥-٢٩٠
الحالة الاجتماعية ٣١٨-٢٩٦
عناصر السكان ٣٠٦-٢٩٦
دور المرأة في نيابة حماة ٣٠٨-٣٠٦
السلوك الاجتماعي العام ٣١٣-٣٠٨
الأعياد والاحتفالات ٣١٢-٣٠٨

الألبسة.....	٣١٢-٣١٣
الأمن الداخلي.....	٣١٤-٣١٥
الصحة والنظافة العامة.....	٣١٥-٣١٨
الحياة العلمية.....	٣١٨-٣٣٨
العلوم الشرعية.....	٣١٨-٣٢٩
اللغة العربية.....	٣٢٩-٣٣٦
العلوم الاجتماعية.....	٣٣٦-٣٣٧
العلوم التطبيقية.....	٣٣٧-٣٣٨

الخاتمة وأهم النتائج التي توصل إليها البحث.....	٣٣٩-٣٤٤
الملاحق والخرائط واللوحات.....	٣٤٥-٣٧٧

الملاحق:

الملحق رقم (١) نواب حماة (٦٩٨-٩٢٢هـ/١٢٩٨-١٥١٦م).....	٣٤٥-٣٤٩
الملحق رقم (٢) نيابة حماة وظائفها التي تكتب بها من الأبواب السلطانية، ما بحاضرتها خاصة.....	٣٥٠-٣٥٣

الخرائط:

الملحق رقم (٣) خريطة مدن الشام.....	٣٥٤-٣٥٥
الملحق رقم (٤) خريطة بلاد الجزيرة وأرمينية.....	٣٥٦-٣٥٧
الملحق رقم (٥) خريطة قبرص في العصور الوسطى.....	٣٥٨-٣٥٩

اللوحات:

اللوحة رقم (١) توزيع المعالم الأثرية في مدينة حماة.....	٣٦٠
اللوحة رقم (٢) رسم تخطيطي للجامع الكبير في مدينة حماة.....	٣٦٠
اللوحة رقم (٣) جامع نور الدين زنكي بحماة والبيمارستان النوري والمدرسة المؤيدية.....	٣٦١
اللوحة رقم (٤) محراب جامع نور الدين زنكي بحماة.....	٣٦٢

اللوحة رقم (٥) صحن جامع نور الدين زنكي والميضأة مداخل بيت الصلاة والرواق الغربي.....	٣٦٣
اللوحة رقم (٦) سقف الرواق الشرقي لجامع نور الدين زنكي.....	٣٦٣
اللوحة رقم (٧) الرواق الغربي والشمالى وميضأة ومأذنة جامع نور الدين زنكي.....	٣٦٤
اللوحة رقم (٨) مدخل الجامع العزى بحماة.....	٣٦٥
اللوحة رقم (٩) طرز العمارة المستخدمة فى الجامع العزى بحماة.....	٣٦٦
اللوحة رقم (١٠) قبة الجامع العزى بحماة من الداخل.....	٣٦٧
اللوحة رقم (١١) بيت الصلاة للجامع العزى بحماة.....	٣٦٨
اللوحة رقم (١٢) الحجرين المنقوشين فى الجامع العزى.....	٣٦٩
اللوحة رقم (١٣) العמוד الرخامى المنحوت على شكل حيات متشابكة والموجود بجامع أبى الفداء بحماة.....	٣٧٠
اللوحة رقم (١٤) الجدار الجنوبى لجامع أبى الفداء بحماة.....	٣٧١
اللوحة رقم (١٥) مدخل بيت الصلاة لجامع أبى الفداء بحماة.....	٣٧١
اللوحة رقم (١٦) الزخارف الفنية التى زينت محراب وقبة جامع أبى الفداء بحماة.....	٣٧٢
اللوحة رقم (١٧) رسم تخطيطى للبيمارستان النورى بحماة.....	٣٧٣
اللوحة رقم (١٨) اللوحة الرخامية لضريح أبى الفداء بحماة.....	٣٧٤
اللوحة رقم (١٩) الرسم التخطيطى لضريح أبى الفداء بحماة.....	٣٧٤
اللوحة رقم (٢٠) الزخارف الفنية التى زين بها ضريح أبى الفداء.....	٣٧٥
اللوحة رقم (٢١) محراب المدرسة المؤيدية بحماة.....	٣٧٦
اللوحة رقم (٢٢) النواعير.....	٣٧٧
المصادر والمراجع.....	٤٣٠-٣٧٨



السُّقْرَانِيَّةُ
زَاوَةُ السُّقْرَانِيَّةِ

أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

السُّقْرَانِيَّةُ
زَاوَةُ السُّقْرَانِيَّةِ





الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، وكل من تبعه بإحسان إلى يوم الدين....

وبعد

عندما سيطر المماليك على بلاد الشام عشية انتصارهم على المغول في معركة
عين جالوت سنة ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م، قاموا بتقسيم بلاد الشام إلى عدد من النيابات
، إدراكاً منهم بأن هذا الإجراء هو السبيل الأمثل، الذي سيحمي دولتهم من ناحية
الشرق والشمال من الأخطار المحدقة بها من تلك الجهات، وخاصة من قبل مملكة
أرمينية الصغرى في إقليم قيليقية، فضلاً عن خطر المغول المتكرر على بلاد الشام
تارة عن طريق هضبة الأناضول، وأخرى عن طريق معابر نهر الفرات، هذه
بالإضافة إلى ما تعرضت له دولة المماليك من هذه النواحي من أخطار لاحقة
كخطر حملة تيمورلنك على مدن بلاد الشام سنة ٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م، وكذلك بعض
الإمارات التركمانية التي ناصبت دولة المماليك العداء في كثير من الأحيان.

وعليه فقد تولدت لدي الرغبة في دراسة إحدى هذه النيابات، ووقع اختياري
على **نيابة حماة** لتكون موضوع أطروحتي لنيل درجة الماجستير في التاريخ
الإسلامي بعد أن اتضح لي أنه موضوع جدير بالدراسة والبحث، وأنه حسب
علمي- لم تكتب رسالة علمية حوله- وسأتناول هذه النيابة منذ خضوعها المباشر
لحكم سلاطين المماليك سنة ٦٩٨هـ/ ١٢٩٩م، حتى سقوطها بيد الأتراك
العثمانيين سنة ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م، من كافة جوانبها بهدف إبراز الدور الذي قامت

به هذه النيابة على المستويين المحلي والخارجي لبلاد الشام، وقد اعتمدت في دراستي هذه على مصادر أساسية منها:

١- زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة والتحفة لركن الدين بيبرس بن عبد الله المنصوري (ت ٧٢٥هـ/١٣٢٤م)، فقد وفر لي هذا المصدر مادة علمية جيدة عن كثير من حركات العصيان التي شاركت فيها نيابة حماة، وتعتبر مادته العلمية في غاية الأهمية لموضوع البحث، إذ إن ما ورد به من معلومات هي عبارة عن مشاهدات المؤلف ومشاركاته في كثير من الحوادث.

٢- نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري المعروف بشيخ الربوة (ت ٧٢٧هـ/١٣٢٦م). الذي يُعد من المصادر الهامة التي أشارت إلى التنظيمات الإدارية لنيابات الشام زمن المماليك، كما وفر وصفاً جغرافياً لمعظم الأعمال التابعة لهذه النيابة، إضافةً إلى بعض المعلومات الخاصة بالسلوك الاجتماعي لأهالي نيابة حماة.

٣- المختصر في أخبار البشر - وتحديدًا الجزء الثالث والرابع - للملك المؤيد عماد الدين إسماعيل الشهير بأبي الفداء (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م). الذي أفاد الدراسة ببيان طبيعة العلاقة التي ربطت المملكة النقوية بالسلطنة المملوكية ، وتاريخ نشأة النظام النيابي في حماة، والظروف التي دعت السلطان المملوكي محمد بن قلاوون على إعادة النظام الملكي إليها بعض الوقت، ولقد أكتسب هذا المصدر صفة المصدقية لمعاصرة المؤرخ للأحداث التي مرت بها حماة والتي حيكت غالبها على يديه.

٤- كنز الدرر وجامع الغرر - تحديدًا الجزأين الثامن والتاسع - لأبي بكر عبد الله بن أبيك الدوداري (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م)، فقد وفر الجزء الثامن منه مادة علمية عن جهود السياسية والعسكرية التي بذلتها المملكة النقوية لاستمرار

وجودها في حماة ، أما الجزء التاسع فقدم بياناً مفصلاً عن دور السلطان الناصر محمد بن قلاوون في تطوير النظام الإداري في نيابة حماة.

٤- الوافي بالوفيات، وأعيان النصر في أعوان النصر، لأبي الصفاء صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٣م)، فقد وفر لي هذان المصدران عدداً من التراجم لثلة من الأعلام والموظفين الحمويين، كما تضمنت هذه التراجم مادة علمية عن الإدارة والنشاط العلمي في نيابة حماة.

٥- تاريخ الدول والملوك المعروف بتاريخ ابن فرات، لناصر الدين محمد ابن عبد الرحمن بن الفرات (ت ٨٠٧هـ/١٤٠٤م)، الذي تحدث بشكل مفصل عن عدد من الحوادث السياسية والعسكرية والإدارية في نيابات الشام ومنها نيابة حماة، وبالأخص المدة التي عاصر فيها الحوادث بنفسه وسجل خلالها الكثير من مشاهداته.

٦- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، لشهاب الدين أبي العباس أحمد بن علي القلقشندي (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م)، فقد وفر هذا المصدر معلومات هامة عن نيابة حماة في عهد المماليك، وبالأخص ما يتعلق بالجهاز الإداري والعسكري، فضلاً عن الحوادث التاريخية الأخرى، بحكم وظيفته التي شغلها كرئيس لديوان الإنشاء لفترة طويلة.

٧- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، وكتاب أنباء الغمر في أبناء الغمر، لشهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٣هـ/١٤٤٩م)، واللذان أmdا هذه الدراسة بمادة علمية غزيرة، سواء ما يتعلق بتراجم أهم مشاهير بلاد الشام خلال هذه الحقبة، فضلاً عن ما يحتويه هذان المصدران، من معلومات هامة تتعلق بالحوادث السياسية والعسكرية والإدارية في نيابة حماة.

٨- السلوك لمعرفة دول الملوك، لتقي الدين أبي العباس أحمد بن علي المقرئزي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م). الذي يُعدّ مصدراً هاماً لهذه الدراسة بحكم أنه احتوى على مادة شاملة لعهد سلاطين المماليك، وبالأخص المدة التي كان معاصراً فيها لحوادث البحث وسجل خلالها كثيراً من مشاهداته، وكذلك كتابه **المقفى الكبير**، الذي بيّن في تراجمه لبعض نواب حماة النتاج السياسي والعسكري لنيابة الداخلية.

٩- زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، لغرس الدين خليل بن شاهين الظاهري (ت ٨٧٣هـ/١٤٦٨م)، الذي شغل عدة مناصب إدارية في مختلف أنحاء سلطنة المماليك، فأفادت معلوماته عن نيابة حماة الدراسة في شتى المجالات الجغرافية والإدارية والسياسية والحضارية.

١٠- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لأبي المحاسن جمال الدين يوسف بن تغري بردي الأتابكي (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م). الذي لا تقل مادته العلمية أهمية عن كتاب السلوك، ولا سيما أنه قد تسنى له على ما يبدو الاطلاع على بعض الوثائق الخاصة ببعض سلاطين المماليك، بحكم أن والده شغل مناصب عدة في هذه الدولة في كل من مصر والشام، وكذلك كتابه **حوادث الدهور في مدى الأيام والعصور**، الذي جاء في عرضه للأحداث التاريخية متمماً للنجوم الزاهرة ومشيداً بجهود نيابة حماة لدرء خطر الخارجين على السلطنة من أعراب ونوَّاب.

١١- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، لمحمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن عثمان السخاوي (ت ٩٠٢هـ/١٤٩٧م). فقد وفر هذا المصدر عدداً من التراجم لبعض أبناء حماة وموظفيها في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، وتضمّنت هذه التراجم مادة علمية تتعلّق بالجوانب السياسية وإدارية والاجتماعية والنشاط العلمي في نيابة حماة، كما أمدت كُتب المؤرخ الأخرى الدراسة بمادة غنية في التاريخ السياسي والإداري والاجتماعي والثقافي التي

عاصر المؤرخ بعضها، فكان شاهد عيان كشف عن حالة دولة المماليك في أواخر عهدها وقبيل استيلاء العثمانيين عليها، وما آلت إليه من انحدار وتفسخ، ومن تلك الكتب وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام، والتبر المسبوك في الذيل على السلوك.

١٢- بدائع الزهور في وقائع الدهور، لأبي بكر محمد بن أبياس (ت ٩٣٠ هـ/١٥٢٣م)، والذي خدم الدراسة في بيان طبيعة العلاقة التي ربطت بين دولة المماليك والسلطنة العثمانية، وكشف أسباب الصراع فيما بينهما وما قامت نيابة حماة من دور في حسم هذا الصراع لصالح العثمانيين.

وإضافة إلى هذه المصادر، فقد أفاد البحث من مصادر أخرى كثيرة، وكذلك مراجع حديثة متخصصة، وجميعها مثبتة في حواشي الرسالة ، وقائمة المصادر والمراجع.

واحتوت الدراسة على مقدمة وتمهيد وأربعة فصول، فقد تناولت المقدمة أهمية الموضوع وأسباب اختياره مع عرض لأهم مصادره ومراجعته.

أما التمهيد فقد ناقش نقطتين هامتين أولاهما طبيعة التقسيمات الإدارية لبلاد الشام، التي استخدمها المماليك عشية سيطرتهم عليها، وأوضح كيف غدت هذه النيابات دروعاً تحمي بلاد الشام من الأخطار التي أهدقت بها من الشرق والشمال.

و ثانيهما مملكة حماة الأيوبية قبيل خضوعها لسلطنة المماليك، حيث أوضح علاقة المملكة النقوية بدولة المماليك منذ نشأة الثانية في مصر سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م، حتى دخول المغول حلب وفرار أمراء البيت النقوي إلى الديار المصرية.

في حين تضمن **الفصل الأول**، الذي عنوانه قيام نيابة حماة المملوكية، دراسة تفصيلية عن تاريخ حماة السياسي تحت مظلة الحكم المملوكي ابتداءً من مباركة السلطنة لاستمرار الحكم الملكي التقوي فيها، وما بذلته تلك المملكة من جهود عسكرية وسياسية لضمان ثباتها على الساحة الإدارية، ومروراً بالأسباب التي دعت السلطنة لتحويلها إلى نيابة شامية تتبع السلطنة المملوكية في مصر، ثم الدوافع التي حفزت السلطنة فيما بعد لإحياء النظام الملكي التقوي فيها مرة أخرى بعض الوقت، مع بيان الوضع الإداري لهذه المملكة مع بقية النيابات الشامية، وكذلك موقف الأمراء المماليك منها، وانتهاءً بعودة النظام النيابي في حماة مرة أخرى، وما نجم عنه من تغيرات إدارية وعسكرية، وأثره على أعمال هذه النيابة، كما عمدت الدراسة إلى تحديد موقع هذه النيابة وحدودها وطبيعتها الجغرافية وهيكلها الإداري والعسكري.

أما **الفصل الثاني**، فقد عالج بالدراسة علاقة نيابة حماة بالقوى المجاورة كدولة إيلخانات فارس والعراق، ومملكة أرمينية الصغرى، وبعض جزر البحر المتوسط، والإمارات التركمانية، والدولة التيمورية في عهد مؤسسها تيمورلنك.

أما **الفصل الثالث**، وعنوانه سقوط نيابة حماة ٩٢٢هـ/١٥١٦م، فقد ناقش العوامل التي أضعفت الجبهة الشامية عامة ونيابة حماة خاصة والتي مهدت لسقوط النفوذ المملوكي هناك، كما أوضح طبيعة العلاقة التي ربطت بين السلطنة المملوكية والدولة العثمانية، ثم موقف نيابة حماة من التوسع العثماني نحو المشرق الإسلامي والذي أنهى الوجود المملوكي من المنطقة كلياً.

أما **الفصل الرابع**، وعنوانه أهم مظاهر التطور الحضاري في نيابة حماة، فقد تناول الحركة العمرانية في هذه النيابة، ودورها في حماية حماة وأعمالها من الهجمات التي تعرضت من القوى الخارجية وكذلك ما أصاب بعضها من تخريب، كما شملت الدراسة دراسة وصفية لبعض هذه المرافق العمرانية من مساجد، ودور

سكنية، وخانات، وأسواق، ودور علم، كما ناقشت الدراسة الحالة الاقتصادية داخل النيابة من زراعة وصناعة وتجارة، ودور السلطنة في ازدهارها، ومدى انعكاس ذلك على الحالة الاقتصادية لسكان هذه النيابة، وأخيراً تناول الفصل الحالة الاجتماعية والفكرية، فسلط الضوء على دور سكانها في حقل الدراسات العلمية والأدبية.

وأخيراً احتوت الدراسة على خاتمة توضح أهم النتائج التي توصل إليها البحث، وكذلك مجموعة الملاحق والخرائط التوضيحية التي تفسر بعض الحوادث الواردة في فصول الرسالة.

وفي ختام هذه المقدمة لا يستحق الشكر بعد الله وَعَلَىٰ إلا والديّ الكريمين حفظهما الله، فلهما الفضل عليّ بأن ذللا لي المصاعب والمشاق، فكانا خير معنيين وموجهين في حياتي العلمية. ومن الواجب في هذا المقام أن أتقدم بخالص شكري ووافر تقديرٍ واعترافي بالجميل إلى أستاذي الفاضل المشرف على الرسالة الأستاذ الدكتور/ عبد الله بن سعيد الغامدي، الذي لم يبخل علي طيلة مدة البحث بغزير علمه ووافر توجيهاته وإرشاداته العلمية السديدة، فضلاً عما أمدني به من مصادر ومراجع نادرة لهذا البحث - فجزاه الله عني وعن طلبته وطالباته خير جزاء - كما لا يفوتني أيضاً أن أتقدم بخالص شكري إلى عمادة كلية الشريعة ممثلة بعميدها الدكتور/ عابد بن محمد السفيناني، ووكيلة الدكتور/ سعود بن إبراهيم الشريم، والدكتور/ عبد الله بن مصلح الثمالي، وكذلك إلى أساتذتي في قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، وأخص بالذكر الدكتورة/ أميرة مداح وكيلة رئيس القسم، وكذلك أساتذتي وأستاذاتي في قسم التاريخ والحضارة الإسلامية، لما بذلوه وبذلونه من جهود في إنجاح مسيرة القسمين، كما أتقدم بخالص الشكر والتقدير أيضاً إلى القائمات على مكتبة جامعة أم القرى، ومكتبة الحرم المكي الشريف لما قدمته من مساعدات كان لها إبعاد الأثر في إنجاح هذا البحث.

والشكر موصول لعضوي لجنة المناقشة الدكتور/ عدنان بن محمد الحارثي
عميد شؤون المكتبات، والدكتورة/ لمياء بنت أحمد الشافعي، لما بذلاه من جهد في
قراءة هذه الرسالة وتقويمها.

كما أخص بالشكر زوجي العزيز محمد عبد العال الأنصاري، واخوتي
الأفاضل محمد ومجدي ومصطفى، لما قدموا لي من عون و مساعدة في سبيل
إتمام هذا البحث.

وأود كذلك أن أتقدم بالشكر لمدير المديرية العامة للآثار والمتاحف بدمشق
لما قدمه من تسهيلات إدارية، ولا يفوتني أن أسجل امتناني لمدير المديرية العامة
للآثار والمتاحف بحماة المهندس راضي عقده الذي أبدى حماساً واهتماماً لتزويدي
بالمعلومات والمخططات التوضيحية لبعض العماثر الأثرية التي ازدانت بها مدينة
حماة، والتي أثرت الجانب الحضاري في هذا البحث، والشكر موصول للمكتبة
الظاهرية ومكتبة الأسد بدمشق اللتين تقدمان كل المعونة والخدمات المجردة
للباحثين والمستزידين من المعرفة، ولما أتاحت لي من المراجع الضرورية لهذا
البحث. وأخص بالشكر أيضاً الدكتور أكرم العلبي، لما لمست منه من نبل وصدق
تشجيع، فجزى الله الجميع عني خير الجزاء، والله أسأل العون والسداد، إنه نعم
المولى ونعم النصير وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم
على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان
إلى يوم الدين.



النمذجة



طبيعة التقسيمات الإدارية لبلاد الشام. ❖

مملكة حماة الأيوبية قبيل خضوعها لسلطنة المماليك. ❖

طبيعة التقسيمات الإدارية لبلاد الشام

تعدّ بلاد الشام بمثابة الدرع الواقعي للأراضي المصرية على مر العصور. فقد حرصت معظم الدول التي تعاقبت على حكم مصر، على السيطرة على بلاد الشام، وضمان استمرار الوحدة بين هذين القطرين، وهذا ما فطن إليه الفاتحون المسلمون الأوائل الذين أدركوا أن فتح الأراضي المصرية لابدّ أن يسبقه تأمين هذا الجانب، وعندما استقر الفتح الإسلامي في مصر سنة ٢١هـ/٦٤٠م، حرص الخلفاء على تقسيم بلاد الشام على شكل أجناد^(١) لحماية الوجود الإسلامي في مصر والشام من خطر الهجمات البيزنطية. وعندما دبّ الضعف إلى جسم الخلافة الإسلامية منذ أوائل القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، وتمخّض عن ذلك ظهور عدد من الدويلات الإسلامية التي استقلت عن الخلافة العباسية في بغداد، حرصت الدول التي ظهرت في الأراضي المصرية على تحقيق هذه الوحدة بين مصر والشام، وقد تمثّل ذلك بوضوح فيما قام به الطولونيون و الأخشيديون من بعدهم، وكذلك فعل الفاطميون الذين أدرك خلفاؤهم منذ أن وطأت أقدامهم الأراضي المصرية أن بقاء حكمهم فيها مرهون بالسيطرة السريعة على بلاد الشام^(٢).

(١) الأجناد : مفردها جند وقد قسمت بلاد الشام إلى خمسة أجناد وهي دمشق وحمص وقنّسرين والأردن وفلسطين ، وقد ذكر شيخ الربوة أن الخليفة أبو بكر^١ أقرّ في كلّ مدينة جند لحمايتها وحفظها ، ثم عرفت تلك المدن بأجناد الشام (انظر، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ص٢٥٨؛ الجوهري، الصحاح، ج٢، ص٤٦٠).

(٢) أحمد شلبي، موسوعة التاريخ والحضارة الإسلامية، ج٥، ص٨٥-١٦٦؛ والطولونيون: نسبة إلى أحمد ابن طولون ت٢٧٠هـ، حكم مصر من بعده خمسة من أفراد أسرته، ويعود امتداد حكم الطولونيين إلى الشام إقطاع الخليفة المعتمد الشام والثغور لأحمد ابن طولون بعد وفاة مأجور الذي كان قد أقطع دمشق، وقد شهدت مصر في عهده تقدماً حضارياً وعسكرياً (للمزيد انظر المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجواهر، ج٤، ص٢١١-٢١٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٦، ١٨، ١١٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١١، ص٥٣-٥٥؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٣، ص٣١٦، ٣٥٤؛ السخاوي، حسن المحاضر في أخبار مصر والقاهرة، مج٢، ص١٦-١٨؛ حامد غنيم، عصر الدول المستقلة، ج١، ص١٩٢-٢٠٧)؛ الأخشيديون: نسبة إلى محمد بن طنج الأخشيد مؤسس الدولة الأخشيدية ت٣٣٥هـ، حكم الأخشيديين لمصر من سنة ٣٢٣هـ، حتى سقوطها بيد الفاطميين (للمزيد انظر الذهبي، دول الإسلام، ج١، ص٢٠٨-٢٠٩؛ ابن أبيك الدودار، كنز الدرر وجامع الغرر، مج٥، ص٣٧٠-٤١٤؛ أبو الفداء، البواقيت والضرب في تاريخ حلب، ص٩٧-٩٨؛ كليفوردي-أ- بوزورت، الأسر الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ص٧٧)؛ للوقوف على تفصيلات دخول الفاطميين مصر وسيطرتهم على أجزاء من بلاد الشام (انظر المقرئ، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين، ج١، ص٢؛ إدريس عماد الدين، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب من كتاب عيون الأخبار؛ السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ص٥٤٨-٥٥١؛ حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والاجتماعي، مج٣، ص١٤٨-١٤٩).

وعند تعرض المشرق الإسلامي للهجمة الصليبية الشرسة منذ أواخر القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، وظهرت على المسرح دول فتيه جاء في طليعتها الدولة الزنكية التي قامت بدور جهادي فاعل ضد الوجود الصليبي في المنطقة زمن عماد الدين زنكي وابنه نور الدين محمود. حرص الاثنان على ضرورة توحيد القاهرة ودمشق تحت لواء دولتهم، قبل قيامهم بمشروعهم الجهادي الشامل لاستئصال شأفة الوجود الصليبي في المنطقة، فبالرغم من نجاح عماد الدين زنكي في استرداد إمارة الرها من يد الصليبيين سنة ٥٤٩هـ/١١٤٤م^(١)، فإن ابنه نور الدين أوقف حركة الجهاد الشامل ضد الصليبيين في المنطقة ريثما يتم تحقيق هذه الوحدة، وكما هو معروف فقد بذل جهوداً مضنية في هذا المجال أثمرت عن إسقاط الخلافة الفاطمية الشيعية في القاهرة سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م، وإعادة الوحدة المذهبية والسياسية بين الأراضي المصرية وبلاد الشام^(٢).

(١) عن قيام الدولة الزنكية ودورها في حركة الجهاد ضد الصليبيين (انظر ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص ٣١٢-٣١٦؛ ابن الأثير، التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية، ص ٩١-١٣١؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، ج ٨، ق ١، ص ٢٤٦-٢٥٢؛ ابن العديم، زبدة الحلب في أخبار حلب، ج ٢، ص ٢٤٤-٣٣١؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص ١٨٠-١٨١؛ فايد حماد عاشور، جهاد المسلمين في الحروب الصليبية العصر الفاطمي والسلجوقي والزنكي، ص ١٧٩-٢٢٦؛ عبد الله سعيد الغامدي، مقومات حركة الجهاد ضد الصليبيين زمن عماد الدين زنكي وابنه نور الدين محمود؛ أرست باركر، الحروب الصليبية، ص ١٥٤-١٥٧)؛ وإمارة الرها: أول إمارة صليبية تأسست عام ٤٩١هـ/١٠٩٧م، وتولاها الأمير بلوين الأول، وظلت في يد الصليبيين حتى استرجعها عماد الدين زنكي، للتعرف على تاريخ هذه الإمارة بالتفصيل (انظر سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية، ج ١، ص ١٨٣-١٨٤؛ عليه الخبروزي، إمارة الرها الصليبية، ص ٥٣، وما بعدها؛ أرست باركر، الحروب الصليبية، ص ٤٦-٤٧؛ ستيفن رنسيمن، تاريخ الحروب الصليبية، ص ٢٤-٢٦؛ على عبد الحليم محمود، الغزو الصليبي والعالم الإسلامي، ص ١٢٩-١٣٠؛ سعيد أحمد البرجاوي، الحروب الصليبية في المشرق، ص ١١٦-١١٨)؛ والرها: مدينة كبيرة تقع على الجانب الشمالي الشرقي من الفرات، بالقرب من قلعة الروم (انظر أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ٢٧٧).

(٢) عن جهود نور الدين لتحقيق الوحدة بين مصر والشام (انظر ابن الأثير، التاريخ الباهر، ص ١٢١-١٣٣؛ ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية أو سيرة صلاح الدين، ص ٣٦-٣٨؛ البنداري الأصفهاني، سنا البرق الشامي، ص ١٩-٢٠؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ج ٢، ص ٣١٥-٣٢٥؛ المقرئ، اتعاظ الحنفاء، ج ٣، ص ٢٦٦-٢٨٧؛ محمد سهيل طقوش، تاريخ الزنكيين في الموصل وبلاد الشام، ص ٢٦٩-٢٩٠؛ عبد الله سعيد الغامدي، صلاح الدين والصليبيون، استرداد بيت المقدس، ص ٣١-٥٣؛ حامد غنيم أبو سعيد، الجبهة الإسلامية الموحدة؛ أرست باركر، الحروب الصليبية، ص ١٥٨-١٦٢).

وعندما توفي نور الدين محمود يوم الأربعاء ١١ شوال من سنة ٥٦٩هـ/ ١٥ مايو ١١٧٤م، قبل أن يجني ثمار جهوده التي بذلها في سبيل إكمال مشروع الجبهة الإسلامية المتحدة وذلك بتحقيق الوحدة بين مصر والشام، وانفرد عقد هذه الجبهة بسبب تنافس عدد من أمرائه على الفوز بمنصب الوصاية على ابنه القاصر الملك الصالح إسماعيل الذي لم يكن قد تجاوز الحادية عشرة من عمره^(١)، لدرجة أن بعضهم فكر في الاستعانة بالقوى الصليبية في ساحل بلاد الشام والبعض الآخر عمد فعلاً إلى الاتصال بحكام مملكة بيت المقدس وعقد هدنة مؤقتة معهم لكي يتفرغ لصراعه مع خصومه من الأمراء النوريين^(٢).

وأمام هذه التطورات الخطيرة أدرك صلاح الدين أن الدولة النورية فقدت شرعية وجودها بسبب تخلي الأمراء النوريين عن إقامة فريضة الجهاد ضد الصليبيين، فخرج من مصر ودخل دمشق في ربيع الآخر من سنة ٥٧٠هـ/ ١١٧٤م، ثم واصل سيطرته على بقية مدن الشام ومدن إقليم الجزيرة لإدراكه المسبق أن عملية الجهاد ضد الوجود الصليبي في ساحل بلاد الشام لن يكتب لها النجاح إلا بإعادة الجبهة إلى سابق عهدها زمن سيده نور الدين محمود^(٣).

(١) للوقوف على تفصيل هذه الحوادث (انظر ابن الأثير، الباهر، ص ١٧٦؛ ابن شداد، النوادر السلطانية، ص ٤٧؛ ابن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج ٢، ص ٨-١؛ عماد الدين خليل، نور الدين محمود الرجل والتجربة، ص ٤٨؛ حسين مؤنس، رائد نصر المسلمين على الصليبيين نور الدين محمود، ص ٢٩٤-٢٩٦؛ عبد الله سعيد الغامدي، صلاح الدين والصليبيون، ص ٥٨-٦٣).

(٢) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٨، ص ٣٢٤؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ج ٣، ص ١٢؛ ومملكة بيت المقدس: سقطت بيت المقدس في يد الصليبيين سنة ٤٩٢هـ/ ١٠٩٨م، وحكمها جوفري بصفة دينية تحت مسمى (حامي بيت المقدس)، وفي سنة ٤٩٥هـ/ ١١٠١م، أعلن قيام مملكة بيت المقدس على يد الأمير بلدوين أمير الرها، وظلت تحت الحكم الصليبي حتى تمكن صلاح الدين الأيوبي من استردادها سنة ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م، للمزيد من التفصيل عن تاريخ هذه المملكة الصليبية (انظر سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ١، ص ٣٢٣-٣٢٤؛ ابن العبري، تاريخ الزمان، ص ١٢٤-١٢٥؛ عبد الله سعيد الغامدي، صلاح الدين والصليبيون، ص ٢٠٨-٢١٥).

(٣) شملت هذه الجبهة الأراضي الممتدة من جبال طوروس شمالاً حتى خليج عدن جنوباً وإقليم الجزيرة شرقاً حتى برقة غرباً، وقد أثمر ذلك نجاح صلاح الدين الأيوبي في إنزال هزيمة ساحقة بالصليبيين في معركة حطين سنة ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م، ومن ثم استعادة مدن الساحل الشامي، من بيروت شمالاً حتى غزة جنوباً وتوج ذلك باسترداد بيت المقدس منهم في السنة ذاتها (انظر ابن العبري، تاريخ الزمان، ص ١٩١-١٩٢؛ أبو شامة، مختصر كتاب الروضتين، ص ١٨٥-٢٣٠؛ خاشع المعاضيدي، تاريخ الوطن العربي والغزو الصليبي، ص ١٦١-١٧٤)؛ وإقليم الجزيرة: هي الهضبة الممتدة شمالي بغداد المحصورة بين نهري دجلة والفرات، ومن مدنها الموصل وتكريت والرقعة وقرقيسيا والرحبة (انظر ابن الفقيه الهمداني، مختصر كتاب البلدان، ص ١٢٣-١٢٨؛ عبد الرحمن حميده، جغرافية الوطن العربي، ص ٣٣٢).

وعندما حلّ المماليك مكان أسيادهم الأيوبيين في حكم الأراضي المصرية سنة ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م^(١)، أدركوا منذ بداية عهدهم أن بلاد الشام هي بمثابة خط الدفاع الأول لحكمهم في مصر، الذي سيتلقى الضربة الأولى أمام أي اعتداء خارجي عليها، ولهذا وقر في أذهان سلاطينهم الأوائل ضرورة توسيع نفوذهم ليشمل بلاد الشام وخاصة الأجزاء الداخلية الذي كانت تتجاذبه أطراف أيوبية ليست على وفاق فيما بينها^(٢).

وفي خضم هذا التطلع الذي راود سلاطين المماليك فوجئ المسلمون في المشرق الإسلامي بالهجمة المغولية الشرسة والتي نجحت في الإطاحة بالدولة الخوارزمية سنة ٦٢٨هـ / ١٢٣٠م^(٣)، ثم واصلوا تقدمهم غرباً واستطاعوا إسقاط الخلافة العباسية في بغداد سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م^(٤). ثم تقدموا غرباً إلى بلاد الشام ونجحوا في اقتحام مدنه الواحدة تلو الأخرى مستغلين ظروف الفرقة والانقسام بين حكامه من أمراء البيت الأيوبي. وهنا وجد المماليك في مصر أنفسهم أمام اختبار صعب نتيجة نجاح المغول في السيطرة على معظم مدن الشام الداخلية، والذي بات يهدد الوجود المملوكي في مصر، ولهذا ازداد اهتمام المماليك ببلاد الشام، فصمموا على مواجهة المغول داخل الأراضي

(١) عن قيام دولة المماليك في مصر (انظر سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٨، ق ١، ص ٧٨١-٧٨٣؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص ٢٢٧-٢٢٨؛ تاريخ الزمان، ص ٢٩٥؛ بيرس المنصوري، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، ص ٢-٤؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج ٢٩، ص ٣٥٩-٣٦٤؛ ابن أبيك الدودار، كنز الدرر، مج ٨، ص ٣٨١-٣٨٣، مج ٩، ص ١٢-١٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٣، ص ٢١٠-٢١١).

(٢) ابن أبيك الدوداري، كنز الدرر، مج ٨، ص ٣٨-٤٤؛ ابن العميد، أخبار الأيوبيين، ٤٦-٤٧؛ علي محمد الغامدي، بلاد الشام قبيل الغزو المغولي، ص ٣٧٩.

(٣) كان للسياسة العدائية التي انتهجها سلطان الدولة الخوارزمية جلال الدين ضد الكيانات الإسلامية ومنها الدولة الأيوبية ودولة سلاجقة الروم وكذلك الخلافة العباسية وما أعقبها من انشغال عن الجبهة المغولية بتوسعاته على حساب الدول المجاورة، دوراً في إسقاط الدولة الخوارزمية على يد المغول (للمزيد انظر ابن الأثير، الكامل، مج ٩، ص ٣٨٤-٣٨٥؛ ابن العبري، تاريخ الزمان، ص ٢٧٥-٢٧٨؛ تاريخ مختصر الدول، ص ٢١٤-٢١٧؛ الذهبي، العبر في خبر من غير، ج ٣، ص ٢٠٠؛ عطا الملك الجويني، تاريخ فاتح العالم جهانكشاي في تاريخ جنكيز خان وأعقابته حتى كيوك خان وحروبهم مع الخوارزميين، ج ٢، ص ٣٥-١٠٧؛ النسوي، سيرة جلال الدين منكبرتي؛ ارمينوس فامبري، تاريخ بخارى، ص ١٧٨-١٩٧؛ محمد طقوش، تاريخ الأيوبيين في مصر والشام والجزيرة، ص ٣٣١؛ عفاف صبرة، التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية).

(٤) عن سقوط الخلافة العباسية في بغداد (انظر رشيد الدين الهمذاني، جامع التواريخ، ص ٢٢٩-٢٣١؛ ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، ص ٣١٠-٣١١؛ ابن العبري، تاريخ الزمان، ص ٣٠٧-٣٠٨؛ تاريخ مختصر الدول، ص ٢٣٦-٢٣٧؛ ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، ص ٣٥٤-٣٦٣؛ اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج ١، ص ٨٥؛ سعد الغامدي، سقوط الدولة العباسية، ص ٣٠٨-٣١٢؛ فؤاد عبد المعطي الصياد، المغول في التاريخ، ص ٢٤٩-٢٦٩؛ سليم واكيم، امبروطورية على صهوات الجياد، ص ١٣٣-١٤٩).

الشامية ذاتها، وتمت المنازلة بين الطرفين في معركة عين جالوت الشهيرة سنة ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠م، والتي ترتب على انتصار المماليك فيها نتائج بالغة الأهمية، يأتي في مقدمتها كسر شوكة المغول وطردهم كلياً من بلاد الشام وإجبار فلولهم على عبور الفرات باتجاه الشرق. فضلاً عن أن هذا الانتصار الحاسم، قضى على المعارضة الأيوبية لحكم المماليك حيث أدرك معظم الأمراء الأيوبيين عدم جدوى استمرارهم باعتبارهم حكاماً لبلاد الشام بما هم عليه من تفكك وانقسام، وأن عليهم الانضواء تحت لواء دولة المماليك الفتية التي استطاعت تحطيم خرافة الجيش المغولي الذي لا يقهر. وبهذا تمكن المماليك من فرض سيطرتهم على كامل بلاد الشام^(١).

ونظراً للأخطار التي استمرت تحقق بالوجود المملوكي في بلاد الشام والمتمثلة في محاولات المغول المتكررة غزو بلاد الشام تارة عن طريق الفرات، وأخرى عن طريق هضبة الأناضول، فضلاً عن خطر مملكة أرمينية الصغرى^(٢) على مناطق شمال الشام، ناهيك عن الوجود الصليبي الذي لا تزال بقاياه تقبع في ساحل بلاد الشام.

(١) للوقوف على تفصيلات انتصار المماليك على المغول في معركة عين جالوت وما ترتب على ذلك من نتائج (انظر ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، ص ٦٣-٦٧؛ بيبرس المنصور ي، زبدة الفكرة، ص ٥٠-٥١؛ ابن أبيك الدودار، كنز الدرر، مج ٨، ص ٤٩٠-٥٠٠؛ ابن العميد، أخبار الأيوبيين، ص ٥٣-٥٤؛ المقرئ، السلوك في معرفة دول الملوك، ج ١، ص ٥١٥-٥١٨؛ فؤاد عبد المعطي الصياد، المغول، ج ١، ص ٣١٣-٤٢١؛ سعيد عبد الفتاح عاشور، الأيوبيون والمماليك في مصر والشام، ص ٢١٦-٢١٨؛ أحمد مختار العبادي، قيام دولة المماليك، ص ١٦٧-١٧٠؛ عبد الرحمن زكي، الجيش المصري في العصر الإسلامي من عين جالوت إلى الرشيد، ج ٢، ص ٧٤-٧٧؛ عبد الله سعيد الغامدي، جهاد المماليك ضد المغول والصليبيين في النصف الثاني من القرن السابع الهجري، الفصل الثاني؛ والفرات: نهر ينبع من بلاد الروم ويمر بعدة مدن منها ملطية و سيمياط مخترق البلاد الشامية ثم العراقية ويلتقي بنهر دجلة فيكونان مجرا واحداً يسمى شط العرب يصب في الخليج الفارسي - الخليج العربي حالياً (انظر المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ١١١؛ ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص ٩٢ - ٩٣؛ شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص ١٢٧-١٢٩)

(٢) أدى نجاح السلاجقة في فتح أرمينية إلى هجرة أعداد كبيرة منهم وخاصة بعد الانتصار الذي تحقق للسلاجقة في معركة ملاذكرد سنة ٤٦٣ هـ / ١٠٧١م، إلى المنطقة الواقعة غربي الفرات، حيث لجأ الكثير منهم إلى جبال طوروس، فضلاً عن قلبية وشمال الشام، وقد اختار الأرمن هذه المناطق لوعورتها، ليتحصنوا بها من غزوات السلاجقة، وأصبحت تعرف بأرمينية ثم أسسوا بها إمارة، فنالت لموقعها أهمية إستراتيجية حيث اعتبرت بوابة آسيا الصغرى إلى بلاد الشام، فضلاً عن تضاريسها التي ساعدت في إيجاد مرافئ بحرية كان من أهمها ميناء أياس، وما لبثت أن تحولت إلى مملكة نظراً لما أسهموا به من نشاط في دعم الحركة الصليبية وخاصة في الحملة الصليبية الثالثة، للمزيد من التفصيلات (انظر سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية، ج ٢، ص ٨٤٩؛ أديب السيد، أرمينية في التاريخ العربي، ص ٢١٢-٢١٤؛ علي الغامدي، بلاد الشام قبيل الغزو المغولي، ص ٣٤٨؛ وانظر الملحق رقم ٤)؛ وهضبة الأناضول: أرض مستوية الارتفاع تغطي أكثر من ثلث مساحة تركيا - تحديداً فيما كان يعرف بآسيا الصغرى - وهي تتحدر انحداراً هائلاً في اتجاه الغرب (انظر صلاح الدين الشامي وزين الدين عبد المقصود، جغرافية العام الإسلامي، ص ٥٤٤).

فقد حرص المماليك على تقسيم بلاد الشام إلى عدد من النيابات لمواجهة هذه الأخطار وهي:

أولاً نيابة دمشق أو "النيابة العظمى" على حد تعبير العمري، وهي أعلى نيابات الشام شأنًا وأرفعها رتبة، أنشأها المماليك عشية طرد المغول من بلاد الشام وذلك في سنة ٦٥٩هـ/١٢٦١م، كان يتولى أمرها نائب ينظر في شؤونها، وكان هذا النائب يتمتع بمكانة سامية تفوق بقية النيابات الشامية الأخرى حتى استحققت هذه النيابة أن يطلق عليها "مملكة الشام" وتمتع حاكمها في الوقت نفسه بمنزلة كبيرة لا تقل كثيراً عن منزلة حاكم السلطنة الفعلي في القاهرة، فضلاً عما كان يقوم به من مراقبة ورصد لتفاعل نيابات الشام مجتمعة، ولهذا أطلق عليه البعض اسم "كافل الممالك الشامية" (١).

ونظراً لهذه المكانة الفريدة التي تمتعت بها نيابة دمشق مما جعل نائبها يتمتع بمكانة خاصة من قبل السلطنة في مصر، فقد وُجدَ بها جهاز إداري كان لا يقل أهمية عن الجهاز الإداري لإدارة السلطنة المملوكية في القاهرة، حتى غدا نائب دمشق "سلطاناً مختصراً" (٢)، فقد تمتع هذا النائب بسلطات شبه مطلقة حيث كان مسؤولاً مسؤولية مباشرة عن كافة الشؤون السياسية والعسكرية والمالية وغيرها أمام السلطان المملوكي في القاهرة، الذي كان حريصاً على القيام بزيارات متكررة إلى نيابة دمشق لتفقد أحوالها وضمان استعدادها عسكرياً لمواجهة أي خطر خارجي، وربما كان هذا الأمر هو المسوغ لسماح سلاطين القاهرة لنواب دمشق بتوسيع رقعة نياباتهم حيناً آخر، وذلك بإضافة أجزاء حديثه إليها، ويبدو أن هذا التوسع هو الذي دعا السلطان الناصر محمد بن قلاوون إلى ربط جميع نواب الشام بنيابة دمشق، وذلك في سنة ٧١٤هـ/١٣١٤م، وجعل مكاتبه النواب إليه تتم عن طريق نائب دمشق (٣).

(١) العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج٤، ص١١٦؛ علي إبراهيم حسن، تاريخ المماليك البحرية، ص ٢٨٢-٢٨٤؛ وانظر أيضاً جان سوفاجية، دمشق الشام لمحة تاريخية منذ العصور القديمة حتى عهد الأتتداب، ص٩٣.

(٢) العمري، مسالك الأبصار، ج٤، ص ١١٥.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، ج٩، ص٣٨؛ يوسف درويش غوانمة، تاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي، ص ١٤؛ والناصر محمد بن قلاوون: الصالحى الألفى، ولد سنة ٦٨٤هـ، تقلد حكم دولة المماليك ثلاث مرات الأولى سنة ٦٩٣هـ، ثم خلع في العام التالي، والثانية سنة ٦٩٨هـ، ولكنه أستعفى عنها سنة ٧٠٨هـ، أما الثالثة فكانت في سنة ٧٠٩هـ، فظل قائماً عليها حتى توفي في سنة ٧٤١هـ، يُعد عصره من العصور الذهبية التي عاشتها دولة المماليك بعد الظاهر بيبرس والمنصور قلاوون، حيث شهدت الدولة في عهده العديد من النشاطات السياسية والعسكرية، والتنظيمات الإدارية، والمنجزات الحضارية، فضلاً عن إحكام قبضته على أمراء-

وبناءً على هذا الاهتمام الذي حظيت به نيابة دمشق من قبل سلاطين الدولة في مصر، اضطلعت بدور فاعل في مواجهة تهديدات المغول المتكررة على بلاد الشام، فضلاً عن جهودها البارزة في دعم مشروع الجهاد الإسلامي ضد الوجود الصليبي في ساحل بلاد الشام، حتى تمّ اقتلعه كلياً من هذه المنطقة بسقوط آخر معاقله مدينة عكا سنة ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م^(١).

ثانياً نيابة حلب : التي أنشأها المماليك عقب انتصارهم في عين جالوت ٦٥٨ هـ/ ١٢٦٠م، وهي لا تقل أهمية عن سابقتها مكانة ومساحة، حيث امتدت حدودها لتتصل بأرمينية الصغرى وأراضي السلاجقة وديار بكر والجزيرة الفراتية، وغدت حلقة وصل بين شمال الشام وآسيا الصغرى من جهة وإقليم الجزيرة من جهة أخرى، وهي بهذا تقوم بدور المشرف على الحدود الشمالية و الشمالية الشرقية لأراضي دولة المماليك^(٢) مما جعلها خط الدفاع الأول لمواجهة الأخطار الخارجية التي تتعرض لها أطراف هذه الدولة من قبل حكام مملكة أرمينية الصغرى أو حلفائهم مغول فارس^(٣)، ناهيك عن غارات الإمارات التركمانية سواء أكانوا من تركمان الطاعة الذين استظلوا بمظلة السلطان المملوكي، أو من التركمان الذين كانوا يتمتعون بكيانات مستقلة، وكانوا

- المماليك، مما أحل الهدوء العسكري على الساحة الداخلية (انظر ابن حجر، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج٤، ص ٢٦١؛ ابن تغري بردي، الدليل الشافي على المنهل الصافي، ج٢، ص ٦٧٤-٦٧٥؛ حياة الحجي، السلطان الناصر محمد بن قلاوون ونظام الوقف في عهده).

(١) عبدالله سعيد الغامدي، جهاد المماليك ضد المغول والصليبيين، ص ٢٧٧؛ وعكا: Acre-akkon ميناء ساحلي يطل على البحر المتوسط يقع إلى جواد خليج حيفا على بقعة بارزة قليلاً في البحر، تبعد عن طبرية ٢٤ ميلاً (انظر أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ٢٤٢-٢٤٣؛ فولفغانغ مولر-فيخز، القلاع أيام الحروب الصليبية، ص ٩٥؛ لطيفة أبو العنين، الحياة الاقتصادية في عكا في عصر الحروب الصليبية ٤٩١-٦٩٠هـ/ ١٠٩٧-١٢١٩م، رسالة لنيل درجة الدكتوراة كلية الآداب للبنات بالمام، غير مطبوعة، ص ٢٦-٣١).

(٢) عادل عبد الحافظ، نيابة حلب في عصر سلاطين المماليك، ج١، ص ١٦-٤٦؛ نعيم زكي فهمي، طرق التجارة ومحطاتها من الشرق والغرب (أواخر العصور الوسطى)، ص ١٤٩؛ السيد عبد العزيز سالم، طرابلس الشام، ص ٣٠٣؛ وديار بكر: تقع بين نهري دجلة والفرات، وتعد همزة وصل بين الشام والعراق، وتشمل ديار ربيعة ومضر عامرة من أرض الجزيرة، ذات المدن والقرى وقصبتها الموصل وحران (انظر ابن الوردي، خريدة العصر وفريدة العجائب، ص ٤٤؛ زكريا القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٣٦٨)؛ والجزيرة الفراتية: تشمل الجانب الآخر من الفرات الممتد من بَر الشام إلى الجزيرة، وهي قريبة من البلاد الجزرية (انظر أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ٢٧٣).

(٣) أحمد مختار العبادي، قيام دولة المماليك الأولى، ص ٢٣٠-٢٣١؛ أحمد عبد الكريم سليمان، المغول والمماليك حتى نهاية عصر بيبرس ٦٤٨-٦٧٦هـ/ ١٢٥٠-١٢٧٧م، ص ٨٧.

يشكلون مصدر قلق لسلطنة دولة المماليك بما كانوا يقومون به من غارات خاطفة وارتكاب جرائم سلب و نهب^(١). ولا يقلّ عن ذلك الدور الهامّ الذي قامت هذه النيابة في مناوأة القوات الصليبية إبان تواجدها في ساحل بلاد الشام، فضلاً عن الدور الذي قامت به في مطاردة فلولهم في جزر البحر المتوسط عشية طردهم من بلاد الشام، هذا بالإضافة إلى ما قامت به هذه النيابة من دور بارز في مواجهة التوسع العثماني الذي حاول أن يستثمر عداء هذه الإمارات التركمانية لدولة المماليك، عندما شرع العثمانيون في العمل لإسقاط دولة المماليك، ولهذا فقد أولى سلاطين المماليك في مصر نيابة حلب جلّ اهتمامهم، حيث حرصوا على تزويدها بين الفينة والأخرى بقوات خاصة ترابط بها لمواجهة الأخطار التي تهدد حدودها، حتى غدت نيابة حلب بفضل هذا الاهتمام، تشكل حزاماً أمنياً لحدود سلطنة المماليك، إضافةً إلى دورها في القضاء على مملكة أرمينية الصغرى سنة ٧٧٦هـ / ١٣٧٥م، التي طالما شكلت خطراً على سلطنة المماليك بفضل تحالفها مع المغول ضد هذه المناطق. كما أدى ضم أراضي أرمينية الصغرى إلى نيابة حلب زيادة رقعتها، ومن ثمّ دعم دورها السياسي والعسكري لمواجهة جميع الأخطار التي كانت تهدد دولة المماليك من تلك الجهات، ونظراً لاتساع نطاق هذه النيابة فقد حرص سلاطين المماليك في القاهرة على تحري الدقة في اختيار النواب بها حيث شمل ذلك الاختيار عدداً من كبار أمراء السلطنة، الذين أقاموا بها نظاماً إدارياً محكماً يناسب مكانتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية أيضاً^(٢).

ثالثاً نيابة حماة : والتي سيتم التعرف عليها عن كثب من خلال البحث.

رابعاً نيابة صفد : أعلنت صفد نيابة شامية عشية نجاح الظاهر بيبرس في

استردادها من يد الصليبيين في ١٨ شوال ٦٦٤هـ / ١٢٦٦م ، حيث أمر بتجديد عمارتها ثم شحنها بالرجال والذخائر والأسلحة لتكون نقطة انطلاق لتعقب بقايا الوجود الصليبي

(١) لأكرم العلبي ، دمشق بين عصر المماليك والعثمانيين، ص٣٢؛ أما عن الإمارات التركمانية، فسيتم التعرف إليها عن كثب في الفصل الثاني، المبحث الرابع.

(٢) للتعرف على نيابة حلب وجهودها العسكرية في حصر القوى المعادية، واهتمام سلاطين المماليك بها (انظر عادل عبدالحافظ، نيابة حلب، ج١، الفصل الأول والثاني، ج٢، ص٧٧-٩٢).

في ساحل بلاد الشام^(١)، وقد حرص نوابها على توسيع مساحتها حتى شملت المناطق الممتدة إلى مجري نهر الزهراني ومرجعيون شمالاً ومرج ابن عامر إلى البحر الشامي جنوباً، أما من الشرق فضمت الأراضي الممتدة من مرجعيون حتى جسر الصنبرة^(٢).

وقد تمتعت هذه النيابة بحصانة طبيعية نتيجة تنوع تضاريسها التي تتألف من سهل ساحلي ومرتفعات جبلية وسهول داخلية، فضلاً عن وفرة مصادر المياه بها، حيث اشتملت على عدد من الجداول والبحيرات الصغيرة^(٣). ونتيجة للمكانة المتميزة لهذه النيابة، فقد أسهمت بدور فاعل في حركة الجهاد الشامل التي قادها سلاطين دولة المماليك لاستئصال شأفة الوجود الصليبي من ساحل بلاد الشام، حيث أسهم أهلها بحظ وافر في استرداد طرابلس من يد الصليبيين سنة ٦٨٩هـ/١٢٩٠م، وكذلك في سقوط مدينة عكا آخر معقل للوجود الصليبي في ساحل بلاد الشام. كما قامت بعد ذلك بحكم موقعها المتوسط في ساحل بلاد الشام بدور كبير في تعقب فلول الصليبيين في بعض جزر البحر المتوسط القريبة من ساحل بلاد الشام، كأرواد وقبرص وغيرها، كما قامت في ذات الوقت بجهد وافر في دعم بقية نيابات الشام في صد غارات المغول سواء عن

(١) انظر طه ثلجي الطروانه، مملكة صفد، ص ٤٨-٥٣؛ وبيبرس البندقداري الصالحي التركي: اختلف حول تاريخ مولده، بيع بدمشق وهو صغير السن، فغدا من ممالك الأمير علاء الدين أيدكين البندقداري، ثم انتقل إلى ملك الملك الصالح نجم الدين أيوب، شهد مولد دولة المماليك بمصر، والصراعات بينها وبين بقايا أمراء الدولة الأيوبية في بلاد الشام، اعتلى عرش دولة المماليك في سنة ٦٥٨هـ، وبدأ بعدها سلسلة من الحملات الجهادية ضد الوجود الصليبي في بلاد الشام وبعض جزر البحر المتوسط، كانت وفاته بالقصر الأبلق بدمشق في المحرم من سنة ٦٧٦هـ (للمزيد انظر ابن شداد، تاريخ الملك الظاهر؛ الكتبي، فوات الوفيات، ج ١، ص ١٥٩-١٧١؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، ج ٣، ص ٤٤٧؛ محمود شلبي، حياة الظاهر بيبرس الأسد الضاري قاهر التتار ومدمر الصليبيين، بيتر توراو، الظاهر بيبرس، ص ٢٧، وما بعدها).

(٢) طه ثلجي الطروانه، مملكة صفد، ص ١٠٨؛ ونهر الزهراني: يبعد مسافة ميلين ونصف ميل شمالي الصرند (ساربيتا القديمة) (انظر السيد عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة صيدا في العصر الإسلامي، ص ١٢)؛ ومرج ابن عامر: وهو من المروج الواقعة على السهل الساحلي لجنوبي لبنان واشتهر بخصوبته (انظر عبد الرحمن حميدة، جغرافية الوطن العربي، ص ٢٩٢)؛ ومرجعيون: تقع على الضفة الشرقية من نهر الليطاني شرقي جبل عام، وتتبعها مجموعة من القرى (انظر طه ثلجي، مملكة صفد، ص ١٠٨)؛ وجسر الصنبرة: لم أقف على تعريف له فيما توفر لي من مصادر اطلعت عليها.

(٣) ابن شداد، الأعلام الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، ص ١٤٦؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٤١٢؛ شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص ٢٧٧-٢٨٠؛ العمري، مسالك الأبصار، ج ٤، ص ٢٠٥-٢٠٧.

طريق نهر الفرات، أو تلك الهجمات التي قاموا بها بمهاجمة حلفائهم حكام مملكة أرمينية الصغرى عن طريق ممرات شمال الشام^(١) .

خامساً نيابة طرابلس : وهي نيابة ساحلية وليدة العمليات العسكرية التي قادها السلطان المملوكي المنصور قلاوون ضد الوجود الصليبي في ساحل الشام، والتي توجت باسترداد طرابلس منهم في شهر ربيع الآخر سنة ٦٨٨هـ / ١٢٨٩م^(٢). وقد أصبحت طرابلس بعد استردادها قاعدة عسكرية متقدمة لحماية السواحل الشامية من مغبة الغارات الصليبية المتكررة عليها حيث حرص السلطان قلاوون على إعادة إعمار هذه المدينة من جديد والتي كانت قد هدمت إبان استرداد جيوشه لها، وأصدر تعليماته لمن أشرف على بنائها بأن تكون بعيدة بعض الشيء عن شاطئ البحر لتكون في منأى عن الأساطيل الصليبية مستقبلاً^(٣) .

وقد حرص السلطان المنصور قلاوون على الإفادة من موقع طرابلس الجديد، فجعلها مقراً لقواته المرابطة في ساحل بلاد الشام لمراقبة تحركات الأساطيل الصليبية التي كانت تغد على الساحل لدعم بقايا الوجود الصليبي في عكا، وما يتبعها من مدن

(١) للوقوف على التفاصيل السياسية لنيابة صفد مع الصليبيين والصراعات الداخلية (انظر طه ثلجي الطروانه، مملكة صفد، ص ١٩٢-٢١١)؛ وأرواد: جزيرة من جزر البحر المتوسط حدد شيخ الربوة وأبو الفداء موقعها قبالة أنطربوس قريباً من الساحل الشامي، وتبلغ مساحتها ستة أميال طولاً وعرضاً، ويوجد بها حصن فتحها معاوية بن أبي سفيان (انظر شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص ١٩١؛ أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ج ٤، ص ٤٧)؛ وقبرص: جزيرة تقع في البحر المتوسط إزاء الساحل السوري، على بعد ٩٦ كيلو متر إلى الغرب، وأقرب البلدان إليها من جهة الشمال تركيا، تبلغ مساحتها ٣٥٧٢ ميلاً مربعاً، من أهم مدنها نيقوسيا، ليماسول، لارناكا، كرينيا، وفاما جوستا (انظر شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص ١٩١؛ آمنه أبو حجر، الموسوعة الجغرافية لبلدان العالم، ص ٥٣؛ محمد عتريس، معجم بلدان العالم، ص ٣٢٦).

(٢) بيبرس المنصور، زبدة الفكرة، ص ٢٦٦-٢٦٩؛ أبو الفداء، المختصر، ج ٤، ص ٢٧؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٣١، ص ٢٤٣؛ ابن الجزري، حوادث الزمان وأبنائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه المعروف بتاريخ ابن الجزري، ج ١، ص ١١٢؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث سنة ٦٩١ هـ، ص ١٣، المقريزي، السلوك، ج ٢، ص ٢٣٥؛ ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات أو تاريخ الأمم والملوك، ج ٨، ص ١٤٤-١٤٥؛ والمنصور قلاوون الصالح النجمي: تقلد السلطنة بعد خلع السلطان العادل سلامش سنة ٦٧٨ هـ، استؤنفت في عهده العمليات الجهادية ضد الإمارات الصليبية في بلاد الشام، كما شهدت الديار المصرية إسهاماته الحضارية، توفي سنة ٦٨٩ هـ (انظر ابن تغري بردي، النجوم، ج ٧، ص ٢٩٢-٣٤٣).

(٣) المقريزي، السلوك، ج ١، ق ٣، ص ٧٤٨؛ ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٨١؛ سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية، ج ٢، ص ١١٧٥؛ السيد عبد العزيز سالم، طرابلس الشام، ص ٢٩٠؛ تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص ٢٦٨-٢٧٣؛ عمر عبد السلام تدمري، تاريخ طرابلس السياسي والحضاري عبر العصور عصر الصراع العربي، البيزنطي، الحروب الصليبية، ص ٥٨٦-٥٨٧.

ساحل بلاد الشام^(١)، كما عمل السلطان قلاوون على توسيع نطاق هذه النيابة ، حيث شملت حيزاً كبيراً من القلاع والحصون والأعمال الساحلية منها العشرون وانطرطوس وعكار وعرقا وحلبا ومرقية وجومة عكار، والحدث والأكراد والخوابي والكهف والقدموس والعليقة والمنيقة والرصافة وأبو قبيس ومصيف والمرقب وصهيون وبلاطنس واللائقية والبقية والناعم وجبل النصيرية وغيرها^(٢) .

وامتازت طرابلس كغيرها من النيابات الشامية بحصانتها الطبيعية حيث اشتهرت بقلاعها الشامخة المطلة على البحر لمتوسط التي لعبت دوراً بارزاً في حماية مدن الشام من مغبة الهجمات الصليبية المتكررة عليها^(٣)، وبالإضافة إلى هذا فقد أسهمت نيابة طرابلس بعد ذلك كغيرها من نيابات الشام الأخرى بدور فاعل في دعم جهود السلطان المملوكي الأشرف خليل بن قلاوون عندما شرع في استرداد آخر معقل للصليبيين في ساحل بلاد الشام مدينة عكا . حيث أسهم سكان الأعمال التابعة لها بجهود وافرة في

(١) حياة الحجي ، الوضع الإداري لطرابلس في العصر المملوكي ، بحث منشور في المجلة العربية للعلوم الإنسانية، ع ٧٤ ، ص ١١٨.

(٢) حياة الحجي ، المرجع السابق ، ص ١٢٠؛ وأنطرسوس: تعرف أيضاً طرطوس، و بالفرنجية Tortosa ، وهي ميناء بحري ذات حصن رومي البناء؛ و عكار: Akkar ، هي حصن منيع من بناء المسلمين يمتاز بوفرة مصادر المياه، يبعد عن طرابلس ٢٥ ميلاً تقريباً إلى الشمال الشرقي منها(انظر فولفغانغ مولر-فيز، القلاع، ص ٦٠-٦١)؛ وعرقا: بها حصن له تسع أعمال ومراكز، وكذلك حلبا، أما مرقية فهي مدينة ساحلية ذات عمل متسع؛ وأما جومة عكار والكورة والحدث، تقع بأنيال لبنان المطلة على البحر المتوسط ؛ وأما الخوابي: فهي من حصون قلاع الدعوة الإسماعيلية، وكذلك الكهف، المدينة المشهورة بغارها الذي يزعم فيه الإسماعيلية بوجود أحد زعمائهم فيه، وأما القدموس إحدى قلاع الإسماعيلية بالشام، وأما العليقة والمنيقة وأبو قبيس فتقع على أنيال طراز من جهة الشام(انظر شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص ٢٧٥-٢٧٦؛ القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الأنشاء، ج ٤، ص ١٤٧)؛ ومصيف بالفرنجية Mesiat: بلدة جبلية في لحف جبل اللكام شمالي بارين وغربي حماة، تقع على ثل متدرج الانحدار في الشهاب الشرقية من جبال النصيرية وهي ذات قلعة حصينة وتجري بها أنهر صغيرة وتكثر فيها البساتين(انظر أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ٢٢٩-٢٣٠؛ فولفغانغ مولر-فيز، القلاع، ص ٨٨)؛ الرصافة: قلعة بالقرب من مصيف تقع على أنيال طراز من جهة الشام(انظر شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص ٢٧٦؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ٢٧٠-٢٧١؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ١٤٧)؛ والمرقب: Marqab قلعة حصينة تقع على الساحل الشامي بالقرب من مدينة بانياس(انظر أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ٢٥٤-٢٥٥؛ فولفغانغ مولر-فيز، القلاع، ص ٧١)؛ وصهيون: Sahyun حصن منيع من أعمال الساحل، لكنه لا يشرف على البحر المتوسط، وهي جنوب شرق اللاذقية(انظر أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ٢٥٦-٢٥٧؛ فولفغانغ مولر-فيز، القلاع، ص ٣٠١)؛ وبلاطنس: حصن منيع له أحد عشر باباً(انظر شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص ٢٧٦)؛ واللائقية: ميناء ساحلي يطل على البحر المتوسط(انظر أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ٢٥٦-٢٥٧)؛ والبقية والناعم وجبل النصيرية: تقع فيما بين صهيون واللائقية(انظر شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص ٢٧٧) (٣) نعيم زكي، طريق التجارة الدولية ، ص ١٥١.

استردادها سنة ٦٩١هـ/١٢٩١م، فضلاً عن قيام نيابة طرابلس بدور المراقب للتحركات الصليبية اللاحقة ، التي هددت سواحل بلاد الشام عشية طردهم منها، وخاصة من استقر منهم في جزيرة أرواد، كما قامت أعمال هذه النيابة بدعم جهود سلاطين المماليك بعد ذلك خلال جهادهم الطويل ضد الصليبيين في جزر البحر المتوسط، وفي مقدمتها جزيرتا قبرص ورودس فيما عرف بالحروب الصليبية المتأخرة^(١).

سادساً نيابة الكرك : التي حرص سلاطين المماليك على إنشائها في هذا الجزء الهام الذي يربط بين الأراضي المصرية وبلاد الشام من ناحية، والحجاز واليمن وبلاد الشام من ناحية أخرى. ويبدو أن المماليك حرصوا على إقامة هذا الكيان السياسي في هذه المنطقة ، حرصاً منهم على وأد أي محاولة صليبية للسيطرة على حصني الكرك والشوبك ، التي طالما اكتوى المسلمون بنار الوجود الصليبي فيها إبان سيطرتهم عليها، عندما كانا يتبعان ما كان يعرف بمملكة بيت المقدس الصليبية، ولهذا أولى سلاطين المماليك هذه النيابة جلّ اهتمامهم حيث ولوا عليها نواباً من خيرة رجالهم ودعموهم مادياً ومعنوياً ليكونوا على أهبة الاستعداد لمواجهة الأخطار التي قد تهدد كيانهم في تلك المنطقة، وإلى جانب دورها السياسي فقد لعبت دوراً آخر هام باعتبارها محطة تجارية للقوافل البرية التجارية القادمة من الحجاز ومصر والشام^(٢) والقوافل البحرية القادمة من الهند والصين، خاصة بعد أن أصيب الطريق البري القادم من المشرق بالشلل الجزئي من جراء الفوضى التي أحدثتها الاصطدامات العسكرية في المنطقة^(٣). إضافة

(١) للوقوف على المزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع (انظر سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية، ج٢، ص ١١٧٧ وما بعدها؛ خلف الوذيان، الفتح العثماني لجزيرة رودس ٩٢٩هـ/١٥٢٣م، ص ٨)؛ والأشرف خليل بن قلاوون؛ ولي السلطنة بعد وفاة والده في ذي القعدة سنة ٦٨٩هـ، فاستكمل بعدها حركة الجهاد ضد بقايا الوجود الصليبي في بلاد الشام، كان مقتله في سنة ٦٩٣هـ (للمزيد انظر ابن عبد الظاهر، الألفاظ الخفية من السيرة الشريفة السلطانية الملكية الأشرفية، ج٣؛ ابن تغري بردي، النبل، ج١، ص ٢٩٢-٢٩٣)؛ ورودس: Rhodes جزيرة من جزر البحر المتوسط شمال غربي قبرص، غدت مقراً للأستبارية لمدة قرنين من الزمن (انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٧٨؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ١٩٤-١٩٥؛ فولفغانغ مولر-فيز، القلاع، ص ١٢٧).

(٢) يوسف حسن غوانمة، أمارة الكرك الأيوبية، ص ٥٤.

(٣) كان للاصطدامات العسكرية بين المغول والمماليك ثم الصفويين و المماليك دور كبير في تعطيل الطريق البري الواصل بين الهند والصين بالبلاد الشامية (انظر نعيم زكي فهمي، طرق التجارة الدولية، ص ١٤٥، ١٦١)

إلى إشرافها على طريق الحاج وتأمين سلامة قوافل الحجيج القادمين من آسيا الصغرى والشام إلى الأراضي المقدسة بالحجاز^(١).

أما عن إطارها الحدودي فقد امتدت إلى بحيرة لوط شمالاً والعقبة جنوباً وبلاد البلقاء شرقاً وصحراء سيناء غرباً^(٢)، وكانت مدينة الكرك حاضرة النيابة، وتلتها في الأهمية الشوبك، وزود المماليك هذه النيابة بجهاز إداري محكم شأنه شأن بقية الولايات^(٣)، وقد بلغ من إدراك سلاطين المماليك لأهمية موقع هذه النيابة أن جعلوا مراسلاتهم تكتب إليهم باللون الأحمر^(٤).

سابعاً نيابة غزة: وهي من الولايات الشامية التي تمتعت بموقع هام، إذ كانت تقوم بدور الخط الدفاعي الأخير الذي يحمي المدخل البري للأراضي المصرية، التي طالما كانت هدفاً رئيساً لمطامع الغزاة وخاصة الصليبيين والمغول. ورغم أن غزة وردت عند القلقشندي على أنها إحدى ولايات نيابة دمشق^(٥)، فإنه يبدو أن هذا مدخل إلى ما أُشير

(١) العمري، مسالك الأبصار، ج٤، ص٢١٣.

(٢) أكرم العلبي، دمشق بين المماليك والعثمانيين، ص٣٥-٥٥؛ بحيرة لوط: لم أقف على تعريفها؛ والعقبة: منفذ بحري في طريق مكة المكرمة بين واقصة والقاق، يقع على طرف اللسان الشرقي للبحر الأحمر، وقد نال لموقعه ذلك أهمية استراتيجية حيث غدا بندر الأردن ودهليز الشام إلى سواحل أفريقيا الشرقية والهند والصين، بها أبار بعيدة جداً (انظر المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٢٠٧؛ ياقوت الحموي، المشترك وضعاً والمفترق صقاً، ص٣٦١؛ يوسف درويش غوانمة، شرقي الأردن في عصر دولة المماليك، القسم الحضاري، ص٢٤-٢٥)؛ وبلاد البلقاء: وهو الحد الفاصل بين جزيرة العرب وإقليم بلاد الشام، وقد شكلت في عهد دولة المماليك ولاية تابعة لنيابة دمشق، وهي تمتد من نهر الموجب جنوباً إلى وادي الزرقاء شمالاً ومن الأغوار غرباً إلى الأزرق والبادية شرقاً ومن منها عمان وكحسان (انظر ابن شداد، الأعلام الخطيرة، ص٨٣؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، ص٧٨، ٢٢٥؛ أحمد الجوارنة، تاريخ الأردن في العصر المملوكي، ص٣٦؛ يوسف درويش غوانمة، شرقي الأردن في عصر دولة المماليك، القسم الحضاري، ص٢٤-٢٥)؛ وصحراء سيناء: القسم الشمالي من شبه جزيرة سيناء، وهي منطقة سهلية محصورة بين البحر المتوسط شمالاً وهضبة التية جنوباً، تغطيها الكثبان الرملية من أهم منها العريش وتبلغ إجمالي مساحة شبه جزيرة سيناء حوالي ٦١ ألف كم مربع، مقسومة إلى ثلاثة أقسام جنوبي وأوسط وشمال (انظر أحمد رمضان، شبه جزيرة سيناء في العصور الوسطى، ص٥-١٠؛ محمد صبري محسوب، العالم العربي دراسة جغرافية، ص٢١٤؛ يسري عبد الرزاق الجوهري، شمال أفريقية، ج٢، ص٤٠٥-٤٠٩).

(٣) العمري، مسالك الأبصار، ج٤، ص٢١٢؛ ابن ناظر الجيش، تنقيف التعريف بالمصطلح الشريف، ص١٩٥، ٢٠٢؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢٤١؛ غرس الدين الظاهري، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والممالك، ص١٣١-١٣٢؛ ابن كنان، المواكب الإسلامية في الممالك الشامية، ق٢، ص١٣٩.

(٤) غرس الدين الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص١٣٢.

(٥) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١٩٨.

إليه سابقاً من أن نيابة دمشق كانت لها الهيمنة الكاملة على بقية نيابات الشام، وإلا فإن الصحيح هو ما أشار إليه كلُّ من شيخ الربوة والعمري وابن ناظر الجيش وغيرهم الذين عدوا غزة نيابة مستقلة تمتعت بكل المميزات التي حظيت بها بقية النيابات سواء على المستوى الإداري أو العسكري. وقد أشارت هذه المصادر إلى الأعمال التابعة لهذه النيابة سواء الساحلية والتي شملت المدن الممتدة من عسقلان حتى العريش، أو الداخلية وقد شملت المدن الواقعة بين تيه بني إسرائيل وبيت المقدس^(١)، كما يثبت أهمية هذه النيابة سيطرتها على مدن الساحل الفلسطيني الجنوبي، الذي أعطاه أهمية كبرى بحكم اشرافها على الطريق البري و البحري الذي كان يربط الساحل الفلسطيني بالأراضي المصرية، هذا بالإضافة إلى اتصالها بحدود نيابة الكرك التي كانت تتحكم في مداخل البحر الأحمر الشمالية، مما حدا بها للعب دور اقتصادي كبير جعلها تتحكم في تجارة الشرق القادمه عن طريق هذا الممر المائي إلى بلاد الشام ومصر، فضلاً عن العابر منها إلى الغرب الأوربي عن طريق موانئ الساحل الشامي.

والذي يجدر ذكره، أن البعض يرى أن بيت المقدس تحول إلى نيابة شامية مستقلة منذ سنة ٧٩٦هـ/١٣٩٣م، يتربع على هرمها نائب كبير يتم تعيينه بمرسوم سلطاني يصل من القاهرة، وكانت إقامته في دار النيابة التي اختير لها مكان مرموق بجانب الرواق العلوي للمسجد الأقصى المجاور لمنارة الغوانمة، ونظراً لأهمية هذه النيابة المستحدثة فقد خصص سلاطين المماليك لنائب بيت المقدس إقطاعاً خاصاً ضم عدداً من القرى والأعمال التابعة لهذه النيابة، ونظراً لكون هذه النيابة تضم بين جنبتها مدناً تحوي أماكن مقدسة لدى المسلمين فقد أُطلق على هذا النائب ناظر الحرمين ونائب

(١) شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص ٢٨١؛ العمري، مسالك الأبصار، ج ٤، ص ٢١٦؛ ابن ناظر الجيش، تنقيف بالتعريف، ص ٩٥؛ غرس الدين الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص ١٣٤؛ وعسقلان : تقع بين غزة وبيت جبريل على الشريط الساحلي وهي من أعمال فلسطين تشتهر بخصوبة أراضيها و كثرة بساطينها(انظر ياقوت الحموي ، معجم البلدان، مج ٤، ص ١٢٢؛ ابن الوردي، خريدة العجائب، ص ٣٩؛ عادل محمد عبد الهادي، عسقلان منذ منتصف القرن الرابع الهجري حتى النصف الثاني من القرن السابع الهجري دراسة تاريخية وحضارية، رسالة لنيل درجة الدكتوراة من جامعة أم القرى غير مطبوعة، ص ٣٠-٣٢)؛ و العريش: كانت من أول أعمال مصر من ناحية بلاد الشام، ثم أصبحت من أعمال بلاد الشام(انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج ٤، ص ١١٣-١١٤)؛ وتيه بني إسرائيل: أرض صحراوية تقع بين مصر وأيلة وجبال السراة من بلاد الشام وبحر القلزم، وهي بمثابة الحد الفاصل بين إقليمي مصر والشام (انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٦٩؛ ابن الوردي، خريدة العجائب، ص ٣٧؛ أبو الفداء تقويم البلدان، ص ١٠٩).

السلطنة بالقدس وبلد سيدنا الخليل^(١)، وهذا يدل على أن استحداث سلاطين الممالك لهذه النيابة وفصلها عن نيابة دمشق يعود إلى حرصهم على إفراد نيابة تكون مهمتها خدمة الأماكن المقدسة في هذه المنطقة، وكذلك حمايتها من أية أخطار خارجية . ولعل هذا الأمر هو الذي جعل هذه المنطقة تحوي ثلاث ولايات هامة تحيط ببيت المقدس من كل الجهات وهي ولايات الخليل ونابلس والرملة^(٢).

وختاماً نلاحظ من هذه التقسيمات أن سلاطين دولة المماليك حرصوا على تحويل بلاد الشام إلى عدد من الولايات التي تمتع نوابها بحكم ذاتي إلى حد كبير ، الأمر الذي جعل هؤلاء النواب يتنافسون في تطوير مؤسساتهم العسكرية والإدارية، حتى غدت هذه الولايات أشبه بصخور صماء متناثرة في بلاد الشام تحطمت عليها هجمات الأعداء على مدى قرنين ونصف من الزمان تقريباً ، وأن اضمحلال النفوذ المملوكي في بلاد الشام لم يظهر على السطح إلا بعد أن دب الضعف إلى جسم هذه الولايات.

(١) والمقصود بالحرمين هنا المسجد الأقصى ومسجد الخليل، والأقطاع: في اللغة، المنح والأباحة ، وفي الاصطلاح، هو أقطاع السلطان رجلاً أرضاً فتصير له رقيبته بحكم الاقطاع، وأغلب الظن بأن نظام الأقطاع عرف في العالم الإسلامي في عهد دولة السلاجقة وبالتحديد زمن السلطان ملك شاه ووزيره نظام الملك، حيث كان يقطع السلطان كل أمير وقائد جند في جيشه إقطاعاً بحيث يتكفل الأمير بإدارة هذا الأقطاع والإشراف عليه مالياً وإدارياً وعسكرياً، ويؤدي من دخل هذا الأقطاع ما عليه من مال السلطان (للمزيد انظر على عبد الحليم محمود، الغزو الصليبي والعالم الإسلامي، ص ٢٥٢-٢٥٤؛ عبد المنعم ماجد، نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر، ج ١، ص ١٣٩-١٤٣؛ ضيف الله يحيى الزهراني، النفقات وإدارتها في الدولة العباسية، ص ٤٦٠؛ أحمد عبدالله خياط، الأقطاع في الدولة الإسلامية حتى نهاية العصر العباسي الأول، رسالة لنيل درجة الماجستير من جامعة الملك عبد العزيز، غير مطبوعة، ص ٥١-وما بعدها).

(٢) انظر الحنبلي، الأنس الجليل بتاريخ الخليل، ج ٢، ص ٢٧٤-٢٧٥؛ يوسف حسن غوانمة، تاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي، ص ١٩-٢٢؛ والخليل: مدينة تقع إلى الجنوب من بيت المقدس في وادي بين جبال ، وسميت بذلك نسبة إلى إبراهيم عليه السلام الذي دفن فيها (انظر العمري، مسالك الممالك، ج ٤، ص ٢١١؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ١٠٢؛ يوسف غوانمة، تاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي، ص ٦٣) ؛ ونابلس: من مدن فلسطين وتقع بين جبلين ، وهي مستطيلة الشكل وعرفت بمدينة السامرة (انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٤٨؛ ابن شداد، الأعلام الخطيرة ، ص ٢٤٣)؛ والرملة: بلدة في فلسطين اختطها سليمان بن عبد الملك الأموي على سهل وبمحاذاة الجبل والبحر فنوع ذلك من محاصيلها، (انظر المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ١٤٢-١٤٣؛ العمري، مسالك الابصار، ج ٤، ص ٢٢١؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ٣٤٠-٣٤١)

مملكة حماة الأيوبية قبيل خضوعها لسلطنة المماليك:

أحدث مقتل تورانشاه الأيوبي في عام ٦٤٨هـ/ ١٢٤٩م، هزة سياسية عنيفة في الدولة الأيوبية بسبب انسلاخ الديار المصرية عن الحكم الأيوبي على يد القوة العسكرية المسمّاة بالمماليك ، ورغم أن الممالك الشامية حاولت توحيد جهودها السياسية والعسكرية لوأد دولة المماليك الوليدة بمصر في مهدها^(١)، بمأزت مملكة حماة التي بارك ملكها المنصور الثاني الحملة العسكرية المتوجهة نحو مصر لضمها إلى أملاك الناصر يوسف صاحب حلب في ربيع الآخر سنة ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠، والتي أخرجت في نهاية العام فرقة من جيش حماة بقيادة شرف الدين الأنصاري للمشاركة في الحملة العسكرية الثانية لمهاجمة مصر في سنة ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م، إلا أن جهودهم مُنيت بالفشل الذريع^(٢).

(١) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٨، ق ٢، ص ٧٧٩-٧٨٠؛ أبو شامة، تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروفين، ص ١٨٦؛ ابن العميد، أخبار الأيوبيين، ص ٣٩-٤٠؛ سعيد عبد الفتاح عاشور، الأيوبيون والمماليك، ص ٢٠٩؛ وتورانشاه ابن السلطان الصالح نجم الدين الأيوبي كان حاكماً لحصن كيفا عندما توفي والده فأحضره ممالك أبيه من كيفا وأجلسوه على كرسي الدولة الأيوبية، في انتظار رد الجميل، ولكنه كان شديد البأس مع المماليك مما دفعهم لقتله في سنة ٦٤٨هـ، وبموته انتهت دولة بني أيوب في مصر (انظر سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٨، ق ٢، ص ٧٨١-٧٨٣؛ أبو شامة، نيل الروضتين، ص ١٨٥؛ مذكرات جوانفيل، القديس لويس حياته وحملاته على مصر والشام، ص ١٣٩-١٤٠، ١٦٣-١٦٥؛ ابن العبري، تاريخ الزمان، ص ٢٩٤).

(٢) متعب الفتامي ، مملكة حماة في العصر الأيوبي، رسالة لنيل درجة الماجستير من جامعة أم القرى غير مطبوعه، ص ٢٣٥-٢٣٦؛ والناصر يوسف: هو ابن السلطان العزيز محمد بن محمد الظاهر غازي بن السلطان الناصر يوسف بن نجم الدين أيوب، صاحب حلب ثم دمشق ولد بحلب سنة ٦٢٨هـ، وكانت وفاته على يد المغول في سنة ٦٤٩هـ (الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة ٦٤٨هـ، ص ٤٠٠؛ أبو الفداء، المختصر، ج ٣، ص ٢١١-٢١٢؛ الياقعي، مرآة الجنان وعبر اليقظان، ج ٤، ص ١٥١-١٥٢)؛ المنصور الثاني محمد بن المظفر الثاني محمود بن المنصور محمد بن المظفر تقي الدين عمر بن نور الدين شاهنشاه الأيوبي، ولد بحماة سنة ٦٣٢هـ، تقلد الحكم بعد وفاة والده في سنة ٦٤٢هـ، وهو لم يتجاوز العاشرة من العمر، فأدارت أمه وكبار أمراء ممالك أبيه حكم حماة، شهد مولد دولة المماليك في مصر وصراعها مع أبناء عمومته في بلاد الشام، إلى أن دخل في حماية السلطنة المملوكية عشية دخول المغول بلاد الشام سنة ٦٥٨هـ، وظل على ذلك إلى أن توفي بحماة سنة ٦٨٣هـ (انظر الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٢٣، ص ٢١٠؛ أبو الفداء، المختصر، ج ٤، ص ١٨-١٩؛ ابن حبيب، تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، ج ١، ص ٨٨؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ١٧٣)؛ شرف الدين عبد العزيز الأنصاري، ولد بحماة سنة ٥٨٦هـ، ثم سافر مع والده إلى بغداد فتنقه ويرع في العلم والأدب والشعر، ثم عاد إلى حماة، فغدا شيخ الشيوخ بها، تولى وزارة الملك المظفر حتى توفي الملك النقي، وكانت وفاة شرف الدين في سنة ٦٦٢هـ (انظر ابن تغري بردي، المنهل، ج ٧، ص ٢٩٣).

مما حدا بالمملكة النقيوة لانتهاج سياسية التفرقة لشق وحدة صف الممالك ، وذلك بقبولها طلب الأمير المملوكي أقطاي لخطبة إحدى بنات المظفر الثاني في سنة ٦٥١هـ / ١٢٥٣م ، فأثار ذلك شكوك السلطنة حول ولاء الأمير المملوكي نحوها ، فعاجلت بتصفيته ومماليكه الذين أثروا اللجوء لأمرأ البيت الأيوبي في الشام^(١) ، وبذلك حققت المملكة النقيوة انتصاراً على السلطنة المملوكية عجزت عن تحقيقه الحملات العسكرية.

وفي خضم انشغال الملك المنصور بمساندت أبناء عمومته في المطالبة بحقهم في الأراضي المصرية^(٢) ، فوجئ الأيوبيون بخطر زحف القوات المغولية على بلاد الشام ، ووقع أهل حماة فريسة الفرع والخوف بعد أن شاع خبر سقوط حلب بيد المغول سنة ٦٥٨هـ / ١٢٥٩م . وما ارتكبوه داخلها من قتل ونهب وسلب ، حيث اضطر أهل حماة إلى إخلاء المدينة ، في حين سارع من تبقى بداخلها إلى إرسال مفاتيح المدينة إلى قادة القوات المغولية طالبين منهم الأمان على أنفسهم ، إلا أن هذا الإجراء لم يثن قادة المغول عن إرسال ثلثة من جيشهم لتسليم مفاتيح المدينة واقتحام قلعتها^(٣) .

(١) سكت أبو الفداء عن ذكر تفاصيل هذه الخطبة في كتابه المختصر في أخبار البشر رغم كون الحادثة وقعت في البيت النقيوي المنتسب إليه (انظر سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ٢ ، ص ٧٩٢ ؛ بيبرس المنصوري ، التحفة المملوكية في الدولة التركية تاريخ دولة الممالك البحرية في فترة من ٦٤٨-٧١١هـ ، ص ٣٤) ؛ والأمير أقطاي : من كبار مماليك الملك الصالح ، قتل على يد مماليك السلطان المعز عز الدين ايبك في شعبان سنة ٦٥٢هـ (انظر الذهبي ، تاريخ الإسلام ، وفيات سنة ٦٥٢هـ ، ص ١١٨ ؛ ابن العميد ، أخبار الأيوبيين ، ص ١٦٤ ؛ ابن تغري بردي ، المنهل ، ج ٢ ، ص ٥٠٢ ؛ ابن الفوطي ، الحوادث الجامعة ، ص ٢٣٦) ؛ المملكة النقيوة : نسبة إلى الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب ابن أخ صلاح الدين الأيوبي ، الذي قُتل حماة في سنة ٥٧٤هـ ، وتوفي في سنة ٥٨٧هـ بعد أن حقق سلسلة من الانتصارات العسكرية في الميادين الجهادية التي خاضها مع عمه صلاح الدين لطرد الصليبيين الغاصيين من الأراضي الشامية ، كما تمكن من زيادة حجم مملكته لتضم بالإضافة لحماة كلاً من سلمية وكفر طاب وميفارقين وحران والرها (للمزيد انظر الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج ٢١ ، ص ٢٠٢-٢٠٣ ؛ أبو الفداء ، المختصر ، ج ٣ ، ص ٦١) .

(٢) ابن شداد ، الروض الزاهر ، ص ٦٠ ؛ ابن العميد ، أخبار الأيوبيين ، ص ٤٦-٤٧ ؛ اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، ج ١ ، ص ٣٤٢ ؛ أبو الفداء ، المختصر ، ج ٣ ، ص ١٩٨ ؛ ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي ، ج ٢ ، ص ١٩٦ ؛ السيد عبد العزيز سالم ، دراسة في تاريخ الأيوبيين ، ص ٢٢٠-٢٢١ .

(٣) ابن العبري ، تاريخ الزمان ، ص ٣١٥ ؛ أبو الفداء ، المختصر ، ج ٣ ، ص ٢٠١ ؛ النويري ، نهاية الأرب ، ج ٢٧ ، ص ٣٨٨-٣٨٩ ؛ السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، ج ٨ ، ص ٢٧٥ .

أمّا الملك المنصور الذي كان قد خرج إلى حلب لمواجهة الهجوم المغولي عليها فقد توجه بعد سقوط حلب إلى مدينة دمشق، حيث شارك في الاجتماعات التي عقدت بين أبناء البيت الأيوبي لبحث طلب المساعدة من سلطنة المماليك في مصر لدفع خطر المغول، الذي بدأ بتسارع خطاه نحو دمشق، فخرج عندها الناصر صاحب حماة نحو الحدود الشامية المصرية طالباً النجدة ، وبوصوله قطيا بدأ الخلاف يدبّ بين الأمراء حول دخول مصر أو انتظار النجدة المملوكية على الحدود، وفي خضم ذلك الاختلاف حسم الملك المنصور رأيَه فحمل أهله وأمراءه ودخل مصر ليفاجأ بحفاوة الاستقبال وكرم السلطان المملوكي المظفر قُطرز، الذي بادر بقطع وعد لصاحب حماة بإعادته ملكاً على المملكة النورية إن منَّ الله عليه بالنصر على التتار^(١).

(١) بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة، ص ٤٩؛ اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج ١، ص ٣٥٠؛ أبو الفداء، المختصر، ج ٤، ص ٢٠٢؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٢٩، ص ٤٧١؛ السيد عبد العزيز سالم، دراسة في تاريخ الأيوبيين، ص ٢٢٢؛ وقطيا: قرية قرب الفرما على طريق مصر (انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج ٤، ص ٣٧٨)؛ الملك المظفر قُطرز: تسلطن بعد خلع ابن استاذة السلطان المنصور على، في ذي القعدة سنة ٦٥٧هـ، ولم يزد حكمه على السنة حيث قتل على يد الأمير بيبرس البندقداري في العام التالي، من أهم إنجازاته العسكرية انتصاره في عين جالوت على المغول (انظر ، ابن تغري بردي، مواد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة، ج ٢، ص ٣٠-٣٢).



الفصل الأول

قيام نيابة حماة المملوكية



✽ خضوع مملكة حماة الأيوبية لنفوذ المماليك .

✽ حكم المماليك المباشر لنيابة حماة سنة ٦٩٨ هـ / ١٢٩٩ م .

✽ حدود نيابة حماة وطبيعتها الجغرافية .

✽ أعمال نيابة حماة .

✽ الجهاز الإداري والعسكري في النيابة .

خضوع مملكة حماة الأيوبية لنفوذ المماليك:

كان من الطبيعي بعد سقوط الممالك الأيوبية ومنها حماة في يد المغول أن يلجأ ملك حماة المنصور محمد إلى السلطنة المملوكية في مصر بُغية إعادة عرش مملكته المسلوب، وقد لقي ذلك قبولاً من قبل السلطنة المملوكية التي سبق وأن أعطت عهداً له بأن تبقّيه على عرش حماة، حيث أعاده السلطان المملوكي بعد انتصاره على المغول في عين جالوت (رمضان سنة ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م) حاكماً على حماة على ما كان عليه الحال قبل الهجوم المغولي على بلاد الشام ، حيث خوّله مهامّ اعتقال أذنان المغول وأشياعهم من الحمويين الذين لا يؤمن جانبهم إذا ما دارت دوائر الحرب مرة أخرى بين المماليك والمغول^(١).

وعلى الرغم مما أصاب السلطنة من توالي حركات العصيان عقب مقتل السلطان قطز وتولي الأمير بيبرس البندقداري لمقاليد الحكم في نهاية العام، حيث حمل لقب السلطان الظاهر وذلك في ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م^(٢). فقد سعت مملكة حماة الأيوبية لإثبات ولاءها المطلق لسلطنة المماليك في القاهرة، وذلك بصدها للعدوان

(١) اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج ١، ص ٤٤٠؛ ورغم عدم مساس المظفر قطز لصالحيات الملك النقيي السياسية والإدارية، إلا أن هذه الفسحة السياسية ألجمت بلجام أحقية السلطنة المملوكية لانتزاع الأعمال من يد الملك النقيي، وهذا يظهر من أخذ المظفر لـ (سلمية) من المنصور محمد عشية إعادته لسدة الحكم (انظر أبو الفداء، المختصر، ج ٣، ص ٢٠٥؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج ٢، ص ٢٠١؛ العيني، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ج ١، ص ٢٤٥).

(٢) كانت أولى الرسائل التي صدرت من ديوان الإنشاء المملوكي في مصر بعد تقلد بيبرس السلطنة ووجهة للنواب المماليك والملوك من بني أيوب، لم تتطرق للحديث عن عمليات العزل ، وهذا يعني إقراراً للوضع العام في بلاد الشام (انظر اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج ١، ص ٣٧٣؛ النويري، نهاية الأرب ، ج ٣، ص ١٦؛ ابن أبيك الدوداري، كنز الدرر، مج ٨، ص ٦٣؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ٧، ص ١٠٢-١٠٣) .

الذي شنته القوات المغولية على بلاد الشام في سنة ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م^(١)، وأعقبها في العام التالي رفض الملك المنصور محمد الانخراط في حركة عصيان البرلي رغم عرض الأمير العاصي له بتتصيبه ملكاً على دولة بني أيوب^(٢).

كما برهن الملك المنصور صاحب حماة على صدق ولاءه لبيبرس بمسارعته بتنفيذ أوامر بيبرس له بخروج قوات حماة وحمص للإغارة على أنطاكية، حيث خرج المنصور على رأس قواته وهاجم الصليبيين داخل أنطاكية وألحق بهم خسائر فادحة في العتاد والأرواح^(٣).

وعندما نما إلى مسامع الملك المنصور محمد خبر استيلاء بيبرس من بعض تصرفاته داخل حماة، بادر بإرسال سفارة من قبله إلى القاهرة برئاسة الشيخ شرف الدين عبد العزيز الأنصاري، وعندما استقبل بيبرس هذه السفارة شرح له رئيسها عن استيائه من سوء سيرة الملك المنصور محمد في الحكم ، إلا أن حنكة شرف الدين الأنصاري نجحت في إقناع بيبرس بصدق ولاء المنصور له ، وأن ما سمعه بيبرس عن سوء إدارة المنصور لحماة لا يعدو كونه مجرد إشاعة^(٤).

(١) تمكنت مملكة حماة من دفع المغول في معركة حمص الأولى ، والتي نشبت على الرستن (انظر أبو شامة، نيل الروضتين، ص ٢١١؛ اليونيني، نيل مرآة الزمان، ج ١، ص ٤٣٥؛ ابن الجزري، المختار من تاريخ ابن الجزري، ص ٢٥٩-٢٦٠؛ ابن أبيك الدوداري، كنز الدرر، مج ٨، ص ٦٨؛ الذهبي، دول الإسلام، ج ٢، ص ١٥٢).

(٢) اليونيني، نيل مرآة الزمان، ج ٢، ص ١٢٠-١٢١؛ أبو الفداء، المختصر، ج ٣، ص ٢١١؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج ٢، ص ٢٠؛ العيني، عقد الجمان، ج ١، ص ٢٩٢؛ والبرلي: هو أقوش البرلي العريزي، أحد مماليك الملك العزيز محمد بن الظاهر غازي الأيوبي، دخل الديار المصرية تحت خدمة المظفر قطز إبان الغزو المغولي على بلاد الشام، فأكرمه المظفر ، ولما تملك الظاهر بيبرس البنقداري خرج عن طاعته إلى سنة ٦٦٠هـ، حيث استدرجه بيبرس إلى القاهرة ومنّ عليه بنبابة البيرة للإيقاع به وهذا ماكان حيث قبض عليه في العام التالي (وكان آخر العهد به) سنة ٦٦١هـ (انظر المقرئزي، المقفى الكبير، ج ٢، ص ٢٣٢-٢٣٤).

(٣) ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص ١٣٢؛ بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة، ص ٧٦؛ أبو الفداء، المختصر، ج ٣، ص ٢١٤؛ المقرئزي، السلوك، ج ١، ص ٥٤٣؛ وأنطاكية: مدينة حصينة تُعد قسبة العواصم من الثغور الشامية بينها وبين حلب يوم وليلة (انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج ١، ص ٢٦٦-٢٦٧؛ شيخ الربرة، نخبة الدهر، ص ٢٧٣).

(٤) ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص ١٨٤؛ أبو الفداء، المختصر، ج ٣، ص ٢١٥؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٣، ص ٩٣-٩٤؛ العيني، عقد الجمان، ج ١، ص ٣٣٣-٣٣٤؛ الحنبلي، شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، ص ٤٤٢.

وعندما نجحت قوات بيبرس في الإطاحة بحكم الملك المغيث في الكرك سنة ٦٦١هـ/١٢٦٢م، والذي أعقبه وفاة الملك الأشرف صاحب حمص^(١). استغل السلطان الظاهر بيبرس هاتين الحادثتين، وبدأ مرحلة التدخل المباشر في الشؤون الداخلية لمملكة حماة، إذ لم يكد يمضي عام واحد على نهاية مملكتي الكرك وحمص، حتى استدعي بيبرس الطواشي شجاع الدين مرشد إلى القاهرة للتباحث معه حول ما أثير من سوء سيرة الملك المنصور محمد، وانتهى هذا الاجتماع بتعيين الطواشي مرشداً قائداً لعسكر حماة، وبهذا الإجراء ضمن بيبرس خضوع الجيش الحموي للإشراف المباشر من قبل السلطنة المملوكية في القاهرة^(٢).

ولعل إقدام الظاهر بيبرس على التدخل في تقليد المناصب العسكرية داخل المملكة التقوية دون المساس بالنظام الملكي داخل حماة، يعود إلى ما حظي به حكام حماة من البيت التقوي على خلاف بقية البيوتات الأخرى بمنزلة خاصة لدى السلطان بيبرس الذي أولى الزعامة التقوية عناية خاصة بعد أن أدرك أن بقاءها في سدة الحكم يحقق مصالح هامة تخدم حكم المماليك في بلاد الشام، بشكل يفوق

(١) بيتر توراو، الظاهر بيبرس، ص ١٣١-١٣٦؛ وللتعرف عن كثر الأسباب الحقيقية للقضاء على إمارة الكرك ونهاية الملك المغيث (انظر يوسف حسن غوانمة، إمارة الكرك، ص ٣١٧-٣٣٢)؛ و الملك المغيث: هو عمر بن العادل الثاني بن الكامل، استولى على الكرك بعد مقتل تورانشاه سنة ٦٤٨هـ، دخل تحت حكم السلطنة المملوكية سنة ٦٥٨هـ، قبض عليه المغيث الظاهر بيبرس بتهمة الخيانة العظمى لمكاتبته ملوك المغول وتحريضهم على غزو بلاد الشام، ويبدو أن هذا الاتهام من تدبير الظاهر للإطاحة بحكم المغيث، ولذلك أبدى أمراء المماليك اعتراضهم على قتل المغيث وكان ذلك آخر العهد به (انظر اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج ١، ص ٥٣٢-٥٣٣؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٣٠، ص ٨٠-٨١؛ ابن أيبك الدوداري، كنز الدرر، مج ٨، ص ٩٦؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج ٤، ص ١٥٩؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٣، ص ٢٧٨؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج ٥، ص ٣٧٦)؛ الملك الأشرف: هو موسى بن الملك المنصور أبو إبراهيم بن الملك المجاهد شيركوه بن الأمير ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه بن شادي بن مروان، توفي سنة ٦٦٢هـ، ولم يخلف عقبه وريثاً للعرش، فحول الظاهر بيبرس النظام الملكي في حمص إلى إدارة نيابية تخضع بشكل مباشر لسلطة الأبواب السلطانية بالقاهرة (انظر المقرئ، السلوك، ج ٢، ص ٤؛ بيتر توراو، الظاهر بيبرس، ص ١٣٦).

(٢) متعب الفتامي، مملكة حماة في العصر الأيوبي، ص ٢٥٧؛ والطواشي شجاع الدين مرشد المظفري الحموي: من الفرسان الذين عرف عنهم الشجاعة والرأي السديد، كانت له مدرسة في حماة بالقرب منها تربة خاصة به، دفن فيها سنة ٦٦٩هـ (انظر النويري، نهاية الأرب، ج ٣٠، ص ١٨٣؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، وفیات سنة ٦٦٩هـ، ص ٢٩٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٣، ص ٣٣٠).

مثيلاتها فيما لو حولت كأخواتها إلى نيابة مملوكية تخضع مباشرة لنائب مملوكي يعين من قبل السلطان في القاهرة، فقيام البيت التقوي باعتباره نظاماً ملكياً منفرداً على موقع يمتاز بأهمية خاصة كونه نقطة وصل بين نيابتي دمشق وحلب، يعول عليه كثيراً في مواجهة أية حركة عصيان جديدة، قد تظهر ضد بيبرس في أي نيابة من نيابات الشام.

إلى جانب رغبة الظاهر بيبرس في تجنيد موقع المملكة التقوية المتاخم للمعازل الصليبية من حصن الأكراد، وإمارة أنطاكية، وإمارة طرابلس، لخدمة حركة الجهاد ضد الصليبيين، والاستفادة من المعلومات العسكرية لدى الملك التقوي، والتي هي عبارة عن مخزون ضخم للمنجزات العسكرية لمملوك البيت التقوي في دفع الصليبيين عن أرضهم، واستغلال علاقة الملك المنصور محمد مع زعماء الإسماعيلية للقضاء على الوجود السياسي لهذه الطائفة^(١).

(١) متعب القناني، مملكة حماة في العصر الأيوبي، ص ٢٥٨؛ وحصن الأكراد: قلعة حصينة مقابل حمص تقع في شعاب جبال النصيرية (أنظر أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ٢٥٨-٢٥٩؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ١٤٤؛ فولفغانغ مولر-فنييز، القلاع، ص ٧٦)؛ أما الإسماعيلية: فهي فرقة تنسب إلى مؤسسها إسماعيل بن جعفر الصادق، ولها عدة ألقاب منها الباطنية لقولهم: (أن لكل ظاهر باطناً ولكل تنزيل تأويلًا)، ومن فرقها الحشيشية والفدائية وذلك نسبة لتعاطيهم الحشيش عند تنفيذهم للعمليات الفدائية، وقد أسس قواعد هذه الفرقة الحسن بن محمد الصباح عقب تلقيه أصول الدعوة من الخليفة الفاطمي المستنصر واستيلائه على قلعة الموت سنة ٤٧٣هـ، وتكوينه لخليته الأولى فيها، ووضع كتابه المؤلف من أربعة فصول والمتضمن على أهم مبادئ دعوته، ومن أهم مميزاتها القوة البدنية والطاعة العمياء لزعماء الفرقة، وقد استطاعت خلال النصف الأول من القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي السيطرة على العديد من القلاع الحصينة في بلاد الشام، وإرهاب حكام المسلمين والصليبيين على حد سواء، واستمر نشاط اغتيالهم رداً من الزمن حتى بعد سقوط قلاعهم في يد المماليك، حيث استعان بهم بعض أمراء المماليك للتخلص من سلاطينهم كما حدث للسلطان فرج بن برقوق سنة ٨١٥هـ (انظر الشهرستاني، الملل والنحل، ص ١٩٨-٢٠٧؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ١٤٦-١٤٧؛ القرمانلي، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، ج ٢، ص ٣٠٤؛ سعيد عبد الفتاح عاشور، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، ص ٣٤٠-٣٥٠؛ على محمد الغامدي، بلاد الشام قبيل الغزو المغولي، ص ٢٢٧-٢٢٨؛ متعب القناني، مملكة حماة في العصر الأيوبي، ص ٨-٩)؛ وإمارة أنطاكية: أنشأت في سنة ٤٩١هـ/١٠٩٧م، على يد الأمير بوهمند النورماني، للمزيد حول تاريخ هذه الإمارة (انظر ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ص ١٨٥-١٨٨؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ١، ص ٣٠٦-٣٠٩؛ ستيفن رنسيمن، تاريخ الحروب الصليبية، ج ٢، ص ٢٣-٢٤؛ سيد أحمد برجواي، الحروب الصليبية في المشرق، ص ١٢٧-١٣٢)؛ وإمارة طرابلس: أنشئت سنة ٥٠٩هـ/١١٠٩م، امتدت حتى حصن المرقب شمالاً ونهر الكلب جنوباً، للمزيد من التفصيل عن تاريخ هذه الإمارة (انظر ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ص ٢٥٨-٢٥٩؛ أرنتس باركر، الحروب الصليبية، ص ٣٥-٣٦؛ على عبد الحليم محمود، الغزو الصليبي والعالم الإسلامي، ص ١٣٣-١٣٥).

وعلى أي حال فقد آتت هذه السياسية التي اتخذها بيبرس تجاه حماة أكلها يانعة، حيث خرج الملك المنصور محمد على رأس قواته سنة ٦٦٢هـ/١٢٦٤م، لمشاركة قوى دولة المماليك لمواجهة خطر التحالف العسكري فيما بين الأرمن والمغول، الذي هدد عينتاب، حيث أبلى الجيش الحموي بلاءً حسناً في تلك المعركة التي دارت بين الطرفين أمام قلعة سرفندكار. كما تمكنت القوات الحموية من إفشال حملة ثانية شنّها الجيش الأرمني بمفرده على المنطقة ذاتها، وذلك في العام ذاته^(١).

وبعد أن نجح الظاهر بيبرس في صدّ محاولات المغول وحلفائهم عن بلاد الشام، شرع في تصفية بقايا الوجود الصليبي على ساحل بلاد الشام، حيث أصدر أوامره إلى القوات المصرية والشامية بما فيها قوات المملكة القوية في حماة لمهاجمة المعاقل الصليبية في مدينة صفد سنة ٦٦٤هـ/١٢٦٥م، أبلت القوات الحموية بلاءً حسناً إلى جانب القوات المملوكية التي حاصرت المدينة قرابة شهرين، وأخيراً طلب الصليبيون الأمان مقابل تسليم المدينة للظاهر بيبرس في شوال من ذات العام^(٢).

(١) ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص ١٩٢، ١٩٦؛ بيبرس المنصور، زبدة الفكرة، ص ٨٨؛ المقرئ، السلوك، ج ٢، ص ٨؛ العيني، عقد الجمان، ج ١، ص ٣٨٤؛ محمد جمال الدين سرور، دولة الظاهر بيبرس، ص ١٠٧؛ أحمد عبد الكريم سليمان، المغول والمماليك، ص ٨٧؛ وعينتاب: قلعة تقع بين حلب وأنطاكية (انظر يا قوت الحموي، معجم البلدان، مج ٤، ص ١٧٦)؛ وسرفندكار: قلعة حصينة تقع على وادي في شرقي تل حمدون (انظر أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ٢٥٧).

(٢) ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص ٢٥٨؛ أبو الفداء، المختصر، ج ٤، ص ٣؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ٧، ص ١٣٨-١٣٩؛ سعيد برجاي، الحروب الصليبية في المشرق، ص ٦١١؛ عزمي عبد أبو عليان، مسيرة الجهاد الإسلامي، ص ٤١.

وبعد أن فرغ الظاهر من أمر صفد وجّه طاقاته العسكرية لتأديب مملكة أرمينية الصغرى بسبب تحالفها مع المغول ومشاركتهم في القتال في معركة عين جالوت، حيث طلب من الملك المنصور محمد صاحب حماة الخروج على رأس حملة عسكرية لضرب أرمينية في الخامس من ذي القعدة سنة ٦٦٤هـ/ ١٢٦٦م، وعلى الرغم من تشديد الملك الأرمني هيثوم لتحصينات الدروب المؤدية إلى مملكته بحشد قواته في تلك المسالك، إلا أن المنصور تمكّن من النفاذ إلى أراضي قليقية، واشتبك مع الأرمن، حيث دارت بين الطرفين معركة ضروس هُزم فيها الأرمن، وقتل وأسر خلالها عدد كبير من عساكرهم كان من ضمنهم ابن هيثوم نفسه، وزاد المنصور على ذلك بأن أوكل إلى عدد من السرايا الإغارة على عدد من المدن والقلاع أثناء تراجع الجيش الأرمني نحو عاصمته سيس^(١)، ومن بين القلاع التي سيطر عليها المماليك قلعة العمودين التابعة للداوية، كما وزع المنصور قواته على أطراف مملكة أرمينية الصغرى حيث أوقع بها أكبر قدر من الخراب والدمار، ثم قفل عائداً إلى حماة، وبعد ذلك النصر الحاسم جرت المفاوضات بين الأرمن والمماليك استغل فيها الطرف الأخير علاقة خصمه الأرمني مع المغول للحصول على تعهد الملك هيثوم في السعي لإطلاق سراح أمراء المماليك من سجون المغول، مما كان له أبعاده السياسية على العلاقات الأرمينية المغولية التي زُجت في دوامة الشك. وأخيراً أسفرت تلك المفاوضات عن تخلي ملك أرمينية الصغرى عن عدد من المدن والقلاع منها دربساك وبهنسا ورعبان ومرزبان والدرب وشيخ

(١) ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص ٢٦٩-٢٧١؛ بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة، ص ١٠٥؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٣٠، ص ٢٩١؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج ٥، ص ٣٧٨؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ٧، ص ١٤٠؛ سعيد عبد الفتاح عاشور، العصر المماليكي، ص ٦٣؛ وهيثوم بن قسطنطين: توفي سنة ٦٦٨هـ، بعد أن انقطع عن الحكم وترهب (انظر بيبرس المنصوري، التحفة المملوكية، ص ٧٢؛ أبو الفداء، المختصر، ج ٤، ص ٩؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٣٠، ص ١٧٣؛ العيني، عقد الجمان، ج ٢، ص ٨٨)؛ وقليقية: Cilicae وتعرف أيضاً سلوقية Seleukeia وهي قلعة وبلدة ريفية في جنوب تركيا تبعد عن مصب نهر غوك سو مسافة عشرة أميال تقريباً (انظر فولفغانغ مولر-فيز، القلاع، ص ١٠٧)؛ سيس: Sis وتعرف بسيسية وكوزان Kozan بلدة جنوبي تركيا تشرف على الطريق النازل من جبال طوروس، و تحميها قلعة حصينة (انظر أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ٢٥٤-٢٥٥؛ فولفغانغ -فينز، القلاع، ص ٧١).

الحديد، مقابل إطلاق ليو بن هيثوم من الأسر^(١)، مما زاد من امتداد السلطنة المملوكية لتشمل مساحتها إقليمياً جديداً يُعد مدخلاً لأراضي أرمينية الصغرى ، وحاجزاً يفصلها عن الأراضي الحلبية ، فضلاً عن أن هذا الإجراء جرد " قليقية من دفاعاتها وعزلها عن حلفائها من المغول والصليبيين"^(٢).

وعندما استأنف الظاهر بيبرس جهاده ضد الصليبيين بعد توقف دام قرابة عامين، خرج الملك المنصور محمد على رأس قواته لمشاركة الجيوش التي شرعت في حصار شقيف أرنون سنة ٦٦٦هـ/١٢٦٧م، حيث كان للحمويين دورٌ

(١) ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص ٣٢٨-٣٢٩؛ أبو الفداء، المختصر، ج ٤، ص ٥؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج ٥، ص ٣٧٨؛ أحمد عبد الكريم سليمان، المغول والمماليك، ص ٨٩؛ محمد جمال الدين سرور، دولة الظاهر بيبرس، ص ١٠٨؛ عزمي أبو عليان، مسيرة الجهاد الإسلامي، ص ٥٤؛ ودريساك: هي قلعة مرتفعة شمال شرق بغراس، وقد صنفها شيخ الربوة ضمن " الثغور الساحلية الجبلية" (انظر نخبة الدهر، ص ٢٧٣؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ٢٦٠-٢٦١)؛ وبهنسا: قلعة حصينة تقع شمالي عينتاب بالقرب من مرعش وسميساط (انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ص ٥١٦؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ٢٦٤-٢٦٥)؛ والرعيان: مدينة بين حلب وسميساط أعاد بناءها سيف الدولة أبو فراس الحمداني (انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ص ٣، ص ٥١)؛ ومرزيان: لم أجد لها تعريف فيما توفر لي من مصادر اطلعت عليها؛ والدرب: الطريق الذي يسلك، ويطلق على عدة مواضع منها الطريق الضيق الواصل بين طرسوس وبلاد الروم (انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ص ٢، ص ٤٤٧)؛ وشيخ الحديد: لم أجد له تعريف فيما توفر لي من المصادر اطلعت عليها؛ والداوية: هم طائفة فرسان الهيكل Templers، نشأت على أساس حربي منذ سنة ٥١٢ هـ/١١١٨م، على يد فارس فرنسي يدعى هيو باينتر Hugh Payens (١٠٧٠-١١٣٦م)، الذي كان قد قدم إلى فلسطين زمن الحملة الصليبية الأولى ، وبدعم من القديس برنارد، حيث استأنن هيو الملك بلدوين الأول Baldwin I (١١٠٠-١١١٨م) في أن يتخذ من ساحة المسجد الأقصى مقراً له ولطائفه، واضطلعت هذه الطائفة في بداية عهدها بحراسة الطريق بين يافا وبيت المقدس، وتطور أمرها حتى غدت تتبع المقر البابوي في روما مباشرة، كما نجح فرسانها في السيطرة على الكثير من القلاع والحصون في بلاد الشام وقليقية، وأسهموا بجهد وافر في دعم الحملات الصليبية على أراضي المسلمين، واتخذوا من الصليب الأحمر شعاراً لهم، مما زاد طائفة الداوية هيبة وقوة، نجاح القديس برنارد في الحصول على اعتراف بها من قبل البابوية عام ١١٢٨م، حيث أوقفت لحسابها عدداً من الضياع والممتلكات في غرب أوروبا (على محمد الغامدي، سياسية نور الدين محمود العسكرية إزاء الأرمن في قليقية، بحث منشور في مجلة بحوث تاريخية، التي تصدر عن الجمعية التاريخية السعودية، اللقاء الثاني، ص ٣١٩؛ عبد الله الربيعي، الدوافع الدينية للحركة الصليبية ، بحث منشور ضمن ندوة الإطار التاريخي للحروب الصليبية، التي عقدها اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة، في رجب ١٤١٦هـ/نوفمبر ١٩٩٥، ص ٩٩؛ عبد الله سعيد الغامدي، شقيف أرنون في عصر الحروب الصليبية، بحث منشور في مجلة الإنسانيات، كلية الآداب فرع لمنهول، جامعة الإسكندرية ، ع ٢٠٠١، ص ٣٣-٣٤).

(٢) متعب الفتامي، مملكة حماة في العصر الأيوبي ، ص ٣١٤.

فاعل في ذلك الحصار الذي انتهى بتسليم الحصن لقوات المماليك في ٢٩ رجب من السنة ذاتها / ١٥ إبريل ١٢٦٨م^(١).

وعندما عزم السلطان بيبرس على قصد أمانة أنطاكية الصليبية لاستردادها من الصليبيين، عرج على حماة وأقام بها بعض الوقت لوضع الخطة المناسبة لاقتحام أنطاكية، فاعتمد في خطته على عنصر التمويه والمباغته، ثم غادر حماة، وقد قسم قواته إلى ثلاث فرق سلكت كل واحدة منها طريقاً مستقلاً للقيام بمهام التمويه والمباغته، ونجح من خلال هذه الخطة في حرمان صليبي أنطاكية عن طلب النجدة من المعازل الصليبية الأخرى، حيث فوجئ صليبيو أنطاكية بالجيش الإسلامي يحاصر المدينة من كل الجهات. تمكن السلطان الظاهر بيبرس من استرداد أنطاكية وإنهاء الوجود الصليبي بها ، والذي دام قرابة قرنين من الزمان، وذلك في شهر رمضان سنة ٦٦٦هـ / ١٢٦٨م^(٢). والذي لاشك فيه أنه كان لجيش حماة الذي رافق بيبرس في هذه الحملة دور كبير في اقتحام أنطاكية ، وذلك بحكم قرب حماة من أنطاكية ، وإدراك أهل حماة بأن إنهاء الوجود الصليبي في أنطاكية يعد مصدر أمن لهم من تلك الجهة.

ومن المهام العسكرية التي شارك فيها جيش مملكة حماة الأيوبية خلال هذه المدة، استرداد حصن الأكراد سنة ٦٦٩هـ / ١٢٧٠م^(٣)، فضلاً عن مشاركتها

(١) ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص ٢٩٨-٢٩٩؛ وحصن شقيف أرنون: Beaufort يقع جنوبي لبنان مقابل نهر الليطاني، وبطل على بيروت وصيد (انظر أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ٢٤٤-٢٤٥؛ فولفغانغ مولر- فينز، القلاع ، ص ٨٠؛ عبد الله سعيد الغامدي، شقيف أرنون في عصر الحروب الصليبية ، ص ١٣-١٤؛ انظر أيضاً، ستيفن رنسيان، تاريخ الحروب الصليبية، ج ٣، ص ٥٣).

(٢) ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص ٣٠٧، ٣٦٤؛ بيبرس المنصوري، التحفة المملوكية، ص ٦٢-٦٣؛ ابن شاکر الكتبي، عيون التواريخ، ج ٢٠، ص ٣٦٠؛ العيني، عقد الجمان ، ج ٢، ص ٢١-٢٣؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ٧، ص ١٤٢-١٤٤؛ محمد جمال الدين سرور، دولة الظاهر بيبرس، ص ٧٧؛ سعيد برجاي، الحروب الصليبية، ص ٦١.

(٣) ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص ٣٧٥-٣٧٦؛ النويري ، نهاية الأرب ج ٣٠، ص ٣٢٦؛ اليونيني، نيل مرآة الزمان، ج ٢، ص ٤٥٢؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ٧، ص ١٥٢؛ جوثان سميث، الأسبوعية، ص ١٩٢؛ كازل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٣٦٦.

العسكرية للقوات المملوكية في صدّ غارة مغوليه مفاجئة على حارم سنة ٦٧٠هـ / ١٢٧١م^(١).

وبُعِيد تلك الانتصارات أخذ السلطان الظاهر بيبرس يعمل للاستفادة من علاقات حماة مع زعماء قلاع الإسماعيلية، فأوكل إلى الملك المنصور محمد مهمة التفاوض مع زعماء الكهف لإقناعهم تسليم قلاعهم لنواب السلطنة ، ولكنّ مساعيهِ فشلت، مما اضطر الظاهر بيبرس للضغط عليهم عسكرياً وتوجيه حملة تكسر قوتهم، فنجحت غاراته المتتالية في نهاية المطاف لتسلم مفاتيح قلاع الإسماعيلية^(٢).

ولم يكن ثمن استمرار الحكم الأيوبي في حماة مقتصرأ في خدمة سلطنة المماليك على المجال العسكري فقط، بل تعدّاه إلى المجال الاجتماعي حيث حرص الملك المنصور محمد في زيارته المتبادلة مع الظاهر بيبرس على إظهار ولائه المطلق للسلطنة، كما عمل على تقديم التهاني في المناسبات الرسمية، كمُناسبة تقليد ابنه السعيد بركة لولاية عهد السلطنة، ثم خروجه للمشاركة في حفل زفاف السعيد بركة على ابنة سيف الدين قلاوون، حاملاً معه الهدايا في سنة ٦٧٥هـ / ١٢٧٦م، فكان لهذه المبادرة الوقع الطيب لدى السعيد بركة والأمير قلاوون^(٣).

(١) اليونيني، نيل مرآة الزمان، ج٢، ص٤٦٧؛ ابن أبيك الدودار، كنز الدرر، ج٨، ص١٦٥؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج٧، ص١٥٦؛ وحارم: Harm مدينة حصينة باتجاه أنطاكية تسيطر على الطريق الواصل بينها وبين حلب، وتتمتع بطبيعتها الغناء (انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٢٠٥؛ ابن شحنة، الدرر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، ص١٧٠؛ فولغانغ - فينيز، القلاع ، ص٨٤).

(٢) متعب القثامي، مملكة حماة في العصر الأيوبي، ص٢٦٤-٢٦٥؛ وانظر أيضاً عثمان عشري ، الأسمايليون في بلاد الشام على عصر الحروب الصليبية، ص٢٠٧-٢١٣.

(٣) متعب القثامي، مملكة حماة في العصر الأيوبي، ص٢٦٣-٢٦٦؛ والسعيد بركة ابن السلطان الملك الظاهر بيبرس البندقداري الصالح، قلده والده نيابة قلعة الجبل، وولاية العهد من بعده، تولى السلطنة بعد وفاة والده سنة ٦٧٩هـ، وظل عليها حتى خلعه والد زوجته الأمير قلاوون وسجنه في قلعة الكرك (انظر ابن دقماق، النفحة المسكية في الدولة التركية، ص٦٩-٧١؛ المقرئزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئزية، مج٢، ص٢٣٨).

وقد حافظت المملكة التقوية على ولائها للسلطان المملوكي في مصر، بُعيد وفاة السلطان بيبرس وخلال تقلد ابنيه من بعده تحت وصاية الأتابك قلاوون ، وحتى بعد أن آلت السلطنة للأتابك قلاوون في سنة ٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م^(١). كما وقف الملك المنصور محمد إلى جانب السلطان قلاوون عندما تفجرت حركة عصيان نائب دمشق الأمير سنقر الأشقر، ولكن بطريقة مختلفة عن المؤلف حيث فضل فيها عدم المجاهرة بإعلان موقف المملكة الرفض لحركة الأمير الأشقر. ويبدو أنه تعلم تلك الطريقة عقب الخراب الذي لحق بحماة أثناء حركة البرلي لوقوفه في صف السلطان المملوكي، ولذا أثر الملك المنصور إظهار موافقته لسنقر الأشقر، وإيطان مولاته لسلطان المماليك في مصر حتى حانت الفرصة للقضاء على سنقر الأشقر أثناء اصطدامه مع القوات المصرية في سنة ٦٧٩هـ/ ١٢٨٠م، فانسحب عندها الملك المنصور بقواته من جيش الأمير العاصي، فكان لذلك الانسحاب سبب في هزيمة الأمير سنقر بسبب اختلال توازن قوة جيشه أمام العساكر المصرية، وبذلك عادت دمشق لنفوذ سلطان المماليك في مصر^(٢).

وبعبور سحابة الصيف تلك دخلت مملكة حماة مرحلة استقرار لم تشهد لها مثيل، حيث وصلت درجة الوفاق بين الملك الحموي والسلطان المملوكي بأن تشبه

(١) محمد جمال الدين سرور، دولة بني قلاوون في مصر، ص ٢١-٢٢؛ قاسم عبده قاسم، عصر سلاطين المماليك التاريخ السياسي والاجتماعي، ص ١١٣-١١٥؛ سعيد عبد الفتاح عاشور، الأيوبيون والمماليك، ص ٢٤٠-٢٤٤؛ أما الأتابك: فهو لقب يتكون من لفظين، أتا بمعنى أب، وبك بمعنى سيد أو أمير، ويعد الوزير السلجوقي "نظام الملك" عندما فوض إليه ملكشاة تدبير شؤون دولته، إذ كانت نظرية السلاجقة في الحكم تقوم على أن يتولى أفراد من الأسرة السلجوقية حكم الأقاليم، على أن يرتبط بكل فرد منهم قائد تركي يحمل لقب أتابك، يوكل إليه مهمة تربية ابن الأمير وتلقينه مبادئ الحكم والإدارة، وقد درج أمراء السلاجقة على تزويج الأتابك بأحد مطلقاتهم أو الزواج من والدته الأمير الابن بعد وفاة والده، وتزويج الابن بدوره من ابنة الأتابك الأمر الذي أضحي معه للأتابك قدر كبير من النفوذ، وقد تطور هذا اللفظ حتى أضحي في العصر الزنكي يعني الحاكم، أما في العصر الأيوبي والمملوكي فقد غدا مدلوله يعني الأمير الكبير أو قائد العسكر (انظر على محمد الغامدي، بلاد الشام قبيل الغزو المغولي، ص ٣٥، حاشية ١؛ انظر أيضاً حسن الباشا، الألقاب الإسلامية، ص ١٢٢-١٢٣؛ بطرس البستاني، دائرة المعارف، ج ٢، ص ٢٤٩؛ محمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ص ١١).

(٢) اليونيني، نيل مرآة الزمان، ج ٤، ص ٤٠-٤١؛ ابن أبيك الدودار، كنز الدرر، مج ٨، ص ٢٣٦؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٣١، ص ١٨؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث سنة ٦٧٩، ص ٤٥؛ ابن شاکر الكتبي، عيون التواريخ، ج ٢١، ص ١٦٩-١٧٠؛ المقريزي، السلوك، ج ٢، ص ١٣١-١٣٢؛ وسنقر الأشقر الصالح النجمي: نائب دمشق كان مقتله على يد الأشرف خليل بن قلاوون سنة ٦٩٢هـ (انظر ابن تغري بردي، المنهل، ج ٦، ص ٨٧).

الأخير بلقب الأول فأصبح يطلق عليه السلطان المنصور قلاوون، وذلك في سنة ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م، والملك المنصور محمد أثر التخلي عن لقبه إكراماً واحتراماً للسلطان المملوكي الذي ردّ عليه "باني ما تلقبت بهذا الاسم الا لمحبتتي فيك ولو كان لقبك غير ذلك كنت تلقبت به فشئ فعلته محبة لاسمك كيف أمكن من تغييره"^(١)، وأعقب ذلك تبادل المراسلات الودية فيما بين الطرفين، وثقت عرى العلاقات التقوية المملوكية^(٢)، ولم تقتصر المودة من جانب السلطان المملوكي بل شملت أهل بيته، حيث أرسل ابنه بصيد للملك المنصور محمد كرمز للتقدير والاحترام الذي يكنه له^(٣).

وفي ظل هذا الولاء السياسي من الملك الحموي لسلطنة المماليك في مصر، عمد المنصور محمد لانتهاز الفرصة ليحقق رغبته في استمرارية الحكم النقوي في حماة، حيث بعث برسالة إلى السلطان المنصور قلاوون يطلب فيها تنصيب ابنه المظفر الثالث محموداً من بعده على حكم حماة، وذلك في سنة ٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م، وفي أثناء انتظاره للرد، عاجلته المنية في شوال من العام نفسه^(٤). ولم تصل الموافقة على ذلك إلا بعد مضي ستة أيام على وفاة المنصور، عندها أرسل

(١) أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص١٧؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٢٢٣؛ الحنبلي، شفاء القلوب، ص٤٤٣.
(٢) أرسل الملك المنصور محمد في سنة ٦٨٣هـ، برسالة استفسار عن صحة السلطان المنصور قلاوون إبان مرض ألم به، وفي العام نفسه مرض الملك محمد، فأرسل المنصور قلاوون برسالة إلى الأمير لاجين يستفسر فيها عن صحة الملك النقوي، كما أرسل رسالة عزاء للمنصور محمد لوفاة شقيقه ناصر الدين (انظر ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور ٦٧٨-٦٨٩هـ، ص٧٣؛ أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص١٨-١٩؛ ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج٧، ص٧؛ الحنبلي، شفاء القلوب، ص٤٤٤).

(٢) أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص١٧؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٢٢٤.

(٤) بيبس المنصوري، زبدة الفكرة، ص٢٤٦؛ ابن حبيب، تنكرة النبيه، ج١، ص٨٨؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٥، ص١١-١٢؛ ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج٨، ص١٣-١٤؛ المقرئ، المقفى الكبير، ج٧، ص١٤٢-١٤٣؛ اسطفان الدويهي، تاريخ الأزمنة، ص٢٦٢-٢٦٣؛ والمظفر الثالث محمود، هو ابن محمد بن محمود بن محمد بن عمر ابن شاهنشاه بن أيوب، ولد سنة ٦٥٨هـ، تقلد حكم حماة بعد وفاة والده سنة ٦٨٣هـ، واستمرت دولته ١٥ سنة إلى أن توفي سنة ٦٩٨هـ (الذهبي، دول الإسلام، ج٢، ص٢٠٢؛ ابن تغري بردي، الدليل، ج٢، ص٧٢٨؛ الحنبلي، شفاء القلوب، ص٤٥٣-٤٥٨).

المظفر وعمه الأفضل رسالتني عزاء إلى السلطان المملوكي^(١) تهدف في ظاهرها إبلاغ المنصور قلاوون ب وفاة الملك التقوي محمد، بينما ترمي في باطنها إلى التأكد من أن علمية التنصيب سارية المفعول حتى بعد وفاة المنصور محمد، واختير لحمل الرسالة الأمير أبو خرص رسولاً إلى السلطان المنصور قلاوون، فخرج من حماة متوجهاً إلى القاهرة ، وفي طريقه التقى رسول السلطان الذي كان في طريقه إلى حماة محملاً بالخلع والهدايا، فلبس أبو خرص خلعتة ثم أكمل الرسولان طريقهما كلاً إلى وجهته حيث استقبل المنصور قلاوون رسول حماة وبالغ في إكرامه^(٢).

ونظراً لمكانة دمشق لكونها كبرى النيابات الشامية، فقد تلقى الأمير لاجين نائب دمشق رسالة بهذا الخصوص، حيث أبدى تأييده لهذا الإجراء حيث أرسل إلى المظفر محمود يهنئه بذلك^(٣)، وعلى أثر ذلك حضر الملك المظفر ومعه الأفضل إلى دمشق، حيث جرت مراسم تنصيبه ملكاً على حماة والمعرفة وبارين^(٤).

والواقع أن هذه الموافقة تأتي تأكيداً للوعد الذي كان قد قطعه السلطان المملوكي للمنصور محمد بالعمل على استمرار الحكم الأيوبي لحماة، إمعاناً منه

(١) أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص١٨-١٩؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٢٢٤؛ والمملك الأفضل : هو علاء الدين علي بن الملك المظفر محمود بن محمد بن تقي الدين عمر، توفي بدمشق ودفن بحماة في مستهل ذي الحجة سنة ٦٩٢هـ (انظر ابن خلكان، وفيات الأعيان، مج٣، ص٤١٩-٤٢١؛ النويري، نهاية الأرب، ج٣١، ص٢٥٧؛ ابن الجزري، تاريخ ابن الجزري، ج١، ص١٧٣؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة ٦٩٢، ص١٦٥؛ الصفدي، الوافي، ج٢٢، ص١٨٦؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص٣٨٣-٣٨٤؛ ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج٨، ص١٦٢).

(٢) ابن عبد الظاهر، تشریف الأيام والعصور، ص٧٤؛ بيبرس المنصور، زبدة الفكرة، ص٢٤٦؛ أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص٢٠؛ ابن أبيك الدودار، كنز الدرر، ج٨، ص٣٦٦؛ عقد الجمان، ج٢، ص٣١٨؛ وأبو خرص: هو علم الدين سنجر الحموي، توفي مسجوناً في عام ٦٩١هـ (انظر ابن أبيك الدودار، كنز الدرر، مج٨، ص٣٤٠).

(٣) اليونيني، نيل مرآة الزمان، ج٤، ص٢٠٢؛ والأمير لاجين: من ممالك السلطان المنصور قلاوون، تقلد نيابة دمشق، وغد من الأمراء القلة الذين نجوا من سلسلة الاعتقالات التي أطلقت زمن الأشرف خليل، تسلطن بعد العادل كتبغا سنة ٦٩٦هـ، واستمر قائماً على مهامها حتى قتل على يد مماليكه سنة ٦٩٨هـ (انظر الصفدي، أعيان العصر وأعيان النصر، ج٤، ص١٦٥؛ ابن تغري بردي، الليل، ج٢، ص٥٦٦).

(٤) أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص٢٠.

في الاستفادة من جهود هذه المملكة الأيوبية في دعم حركة الجهاد ضد الوجود الصليبي في ساحل بلاد الشام، وذلك لما لمملكة حماة من خبره ودراية كافيتين في التعامل مع القوى الصليبية في المنطقة . يدل على ذلك تلك الرسالة التي بعث بها قلاوون إلى الملك المظفر يأمره بالتأهب والخروج على رأس قوات حماة للمشاركة في الحملة المملوكية التي كانت في طريقها نحو حصن المرقب سنة ٦٨٤هـ / ١٢٨٥م، والتي جاء فيها " أنت ولدي وأعز من الملك الصالح عندي فتوجه إلى بلادك وتأهب لهذه الغزاة المباركة فأنتم من بيت مبارك ما حضرتم في مكان الا وكان النصر معكم" ^(١). وبالفعل فقد أبلت القوات الحموية بلاء حسناً في عملية الحصار التي فرضت على هذا الحصن، حتى تم اقتحامه في شهر ربيع الأول من السنة ذاتها ^(٢)، كما اضطلعت قوات المظفر صاحب حماة بمهمة ترتيب الأوضاع داخل الحصن ، وذلك بتوجيه مباشر من السلطان قلاوون نفسه . وعندما غادر قلاوون الحصن رافقه المظفر إلى حصن الأكراد ومنه إلى حمص حيث سمح له قلاوون بالعودة إلى حماة قاعدة ملكه ^(٣).

والجدير بالذكر أن محاولات المظفر محمود السير على نهج سياسة أبيه المرنة في التعامل مع السلطان المملوكي من حرص على التواجد في الحاضرة السلطانية عند قدوم المنصور قلاوون إلى البلاد الشامية، ومرافقته في حله وترحاله، كما حدث في شوال من سنة ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م، حينما أثر المظفر محمود وأصحابه الحضور إلى غزة للسلام على المنصور قلاوون، فضلاً عن ذهابه إلى الديار المصرية عندما دعاه قلاوون لحضور حفل افتتاح قبة الرحبة

(١) أبو الفداء، المصدر السابق، ج٤، ص ٢٠-٢١؛ يعود سبب فتح السلطان قلاوون لحصن المرقب إلى استئذان نائب حصن الأكراد الأمير سيف الدين بلبان الطباخي سنة ٦٧٩هـ، لفتح حصن المرقب لكثرة تعدي الصليبيين على حرمة الأراضي الشامية بعيد غزو المغول المنطقة (انظر عمر عبد السلام تدمري، تاريخ طرابلس، ج١، ص ٥٧٧).

(٢) ابن عبد الظاهر، تشریف الأيام والعصور، ص ٧٧-٨٠؛ اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج٤، ص ٢٣٩-٢٤١؛ بيبرس المنصوري، التحفة المملوكية، ص ١١٣-١١٤؛ جوناثان سميث، الأسبوعية، ص ١٩٣.

(٣) أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص ٢١؛ العيني، عقد الجمان، ج٢، ص ٣٣٩؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص ٢٢٦؛ عن خط سير عملية استرداد السلطان قلاوون لحصن المرقب (انظر عمر عبد السلام تدمري، تاريخ طرابلس ، ج١، ص ٥٧٦-٥٧٧).

الحمراء، التي شيدها في قلعة الجبل^(١)، إلا أنها لم تكن لتمنع من حتمية إنهاء المملكة النقيية باعتبار أنها نظام غير متماسٍ مع الكيانات النيابية المجاورة ، وهو ما فطن إليه المنصور قلاوون -على ما يبدو- فأراد تغييره بطريقة تدريجية تكفل له عدم الاصطدام المباشر مع آخر البيوت الأيوبية التي قدمت الولاء والدعم والمساندة العسكرية لسلطنة المماليك طيلة فترة تواجدها السابق على الساحة السياسية، فصدرت الأوامر السلطانية في ذي حجة سنة ٦٨٥هـ / ١٢٨٧م، بتعيين أبي خرص نائباً على حماة مع استمرارية تواجد الملكية النقيية في حماة^(٢). ورغم هذا التحول الواضح في السياسة المملوكية تجاه حماة ، والذي ينم عن أن سلطة الأيوبيين بها لم تعد تتعدى كونها سلطة اسمية فقط ، فإن ذلك لم يغير من سياسة المظفر تجاه سلطنة المماليك ، فعندما استأنف المنصور جهاده ضد بقايا الوجود الصليبي في ساحل الشام سنة ٦٨٨هـ / ١٢٨٩م، وذلك لمهاجمة إمارة طرابلس الصليبية^(٣)، خرجت القوات الحموية لمشاركة القوات المملوكية التي أحكمت الحصار على المدينة حتى سقطت في ربيع الآخر من ذات العام^(٤). وباستقرار أمر المماليك في طرابلس أعطي المظفر محمود الأذن بالعودة إلى مملكته^(٥).

(١) ابن عبد الظاهر، تشریف الأيام والعصور، ص ١٣٨-١٤٠؛ وقلعة الجبل: تقع على الجبل الأحمر، وهو نشز عال من تقاطيع جبل المقطم، يمتاز موقعا بالتوسط بين ظاهر القاهرة والجبل المقطم والفسطاط، بناها قرقوش للملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، وسكنها أخوه الملك العادل أبوبكر (انظر العمري، مسالك الأبصار، ج ٤، ص ١٤٠، القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٣، ص ٣٦٨).

(٢) ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٤٠؛ المقرئ، السلوك، ج ٢، ص ١٩٤.

(٣) بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة، ص ٢٦٦-٢٦٧؛ التحفة المملوكية، ص ١٢٠؛ ابن أبيك الدودار، كنز الدرر، مج ٨، ص ٢٨٣؛ أبو الفداء، المختصر، ج ٤، ص ٢٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٣، ص ٣٦١؛ عمر عبد السلام تدمري، تاريخ طرابلس، ج ١، ص ٥٨٤.

(٤) للوقوف على تفاصيل سقوط طرابلس بيد المماليك (انظر عبد الله سعيد الغامدي ، جهاد المماليك ضد المغول والصليبيين ، ص ٢٦٢-٢٦٨؛ عمر عبد السلام تدمري، تاريخ طرابلس، ج ١، ص ٥٨٤-٥٩٢؛ سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية، ج ٢، ص ١١٧٣-١١٧٦؛ محمد مؤنس عوض، الحروب الصليبية والعلاقات بين الشرق والغرب، ص ٣٤٦).

(٥) أبو الفداء ، المختصر، ج ٤، ص ٢٣؛ العيني، عقد الجمان، ج ٢، ص ٣٨٢؛ الحنبلي، شفاء القلوب، ص ٤٥٦.

وعندما توفي السلطان المنصور قلاوون في ذي القعدة سنة ٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م، وجلس على كرسي السلطنة ابنه الأشرف خليل ، توجه المظفر محمود إلى القاهرة في ذي حجة من ذات العام مهنئاً الأشرف خليل على تسلمه هرم السلطنة المملوكية في مصر^(١). وعندما شرع الأشرف في إتمام ما بدأه والده المنصور قلاوون من عمليات عسكرية لتصفية آخر المعقل الصليبية في ساحل بلاد الشام مدينة عكا^(٢)، خرج المظفر محمود على رأس عساكره إلى حصن الأكراد لجلب المنجنيق (المنصوري) إلى دمشق حيث كانت تتجمع كافة القوات الشامية^(٣). فبدأت القوات المملوكية زحفها صوب عكا ومن ضمنها قوات حماة المكلفة بحمل المنجنيق إلى أسوار عكا، فاستغرق سيرهم إلى عكا شهراً تقريباً بسبب سوء الأحوال الجوية التي أعاققت تقدم الجيش المملوكي لبعض الوقت، والتي وصلت إلى مشارف عكا في أوائل جمادى الأولى سنة ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م، وعندما أخذت القوات المملوكية مواقعها على عكا، استقرت القوات الحموية في الجانب الشمالي والشمالي الشرقي لسور عكا بجانب البحر الكائن عن يمينه

(١) بيبرس المنصوري، مختار الأخبار تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحرية حتى سنة ٧٠٢هـ، ص ٨٨؛ زبدة الفكرة، ص ٢٧٠-٢٧١؛ شافع العسقلاني، الفضل المأثور من سيرة الملك المنصور، ص ١٧٥؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ٦٨٩هـ، ص ٤٢؛ المقرئزي، المواعظ والاعتبار، ج ٢، ص ٢٣٨؛ أسطفان الدويهي، تاريخ الأزمنة، ص ٢٦٦.
(٢) بيبرس المنصوري، مختار الأخبار، ص ٩١؛ شافع العسقلاني، الفضل المأثور، ص ١٧٧؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث سنة ٦٩٠هـ، ص ٤٤؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج ٥، ص ٣٩٤.

(٣) بيبرس المنصوري، التحفة المملوكية، ص ١٢٦؛ مختار الأخبار، ص ٩١؛ ابن أبيك الدودار، كنز الدرر، ج ٨، ص ٣٠٧؛ ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١١١؛ العيني، عقد الجمان، ج ٢، ص ٥٦؛ والمنجنيق: هي أعظم آلات الحصار في العصور، وجمعها منجنيقات ، وقد وصفه القلقشندي بأنه " آلة من خشب له دفتان قائمتان بينهما سهم طويل، رأسه ثقيل، وذنبه خفيف ، تجعل كفة المنجنيق التي يجعل فيها الحجر يجذب حتى ترفع أسافله الأعلى عليه، ثم يرسل فيرتفع ذنبه الذي فيه الكفة فيخرج الحجر منه ، فما أصاب شيئاً إلا أهلكه) انظر أرنبغا الزردكاش، الأنيق في المنجانيق، ص ٢٢-٢٦؛ الطرسوسي ، تبصرة أرباب الأكباب في كيفية النجاة في الحروب من الاسواء، ونشر أعلام العلم في العدد والآلات المعنية على لقاء العدو، تحقيق كلود كاهن، مجلة معهد الدراسات الشرقية ، دمشق، ج ١٢، ١٩٤٧-١٩٤٨م، ص ١٦-١٧؛ عبد الرحمن زكي، السلاح في الإسلام، ص ٥٨-٥٩؛ عبد الله سعيد الغامدي، شيزر منذ زوال حكم بني منقذ حتى أواخر القرن التاسع الهجري الثالث عشر الميلادي، بحث منشور في مجلة كلية اللغة العربية فرع أسيوط، ج ١٩، ص ٢١٧، حاشي ٢).

الجيش^(١) الأمر الذي ضاعف عليهم المواجهة من البر حيث دفاعات الداوية^(٢)، والبحر من قبل مراكب الصليبيين المرابطة في عرض البحر والمناطق بها تأمين الشريط الساحلي للمدينة^(٣).

وقد أبلت القوات الحموية بلاء حسناً في مواجهة الصليبيين، حيث تمكنت من إفشال غارة صليبية خرجت من أسوار عكا لمباغثة القوات الإسلامية، فأوقعت بها هزيمة نكراء انهارت بعدها قوى الصليبيين، فتمكن المماليك من اختراق أسوار المدينة ودخولها عنوة^(٤). وقد أعقب استرداد عكا تساقط المراكز الصليبية المتبقية في يافا وصور وعثليث وبيروت وغيرها، والتي سارعت بالتسليم للسلطان المملوكي الأشرف خليل دون قيد أو شرط^(٥).

ولم يقف الطموح العسكري للسلطان الشاب عند اقتلاع الوجود الصليبي في ساحل بلاد الشام من جذوره، بل تعداه إلى شن حملة تأديبية ضد مملكة أرمينية

(١) أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص٢٤-٢٥؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٢٢٨.

(٢) السيد الباز العريني، المغول، ص٢١٦؛ جوناثان سميث، الأسبوعية، ص١٩٥.

(٣) بيبرس المنصوري، مختار الأخبار، ص٩١؛ أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص٢٥؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٢٢٨.

(٤) للمزيد من التفاصيل عن سقوط عكا بيد السلطان الأشرف (انظر ابن العبري، تاريخ الزمان، ص٣٦٦؛ بيبرس المنصوري، التحفة المملوكية، ص١٢٦-١٢٧؛ النويري، نهاية الأرب، ج٣١، ص١٩٥-١٩٩؛ ابن الجزري، المختار، ص٣٣٩-٣٤١؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج٤، ص٢٠٩؛ المقرئ، ج٣، ص٧٩٥-٧٩٦؛ شافع العسقلاني، الفضل المأثور، ص١٧٨؛ عبد الله سعيد الغامدي، جهاد المماليك ضد المغول والصليبيين، ص٢٧٩-٢٨٤؛ متعب القثامي، مملكة حماة في العصر الأيوبي، ص٣٣١-٣٣٣؛ وفاء محمد علي، جهود المماليك الحربية ضد الصليبية، ص٣٧-٤٣؛ رنسيان، تاريخ الحروب الصليبية، ج٣، ص١١٧٦-١١٨٣).

(٥) بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة، ص٢٨٢-٢٨٣؛ التحفة المملوكية، ص١٢٧-١٢٨؛ ابن الجزري، المختار، ص٣٣٩-٣٤٠؛ ابن أبيك الدودار، كنز الدرر، مج٨، ص٣١٠؛ ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج١، ص١٧٣؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج٥، ص٢٧٣؛ اسطفان الدويهي، تاريخ الأزمنة، ص٢٦٨-٢٦٩؛ ويافا: مدينة ساحلية تقع غربي الرملة (انظر أبو الفداء، تقويم البلدان، ص٢٣٨-٢٣٩)؛ وصور: ميناء ساحلي حصين يبتعد عن عكا أثني عشر ميل (انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٤٣٣؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، ص٢٤٢-٢٤٣)؛ وعثليث: Chastel Pelerin بلدة تقع جنوبي حيفا على شبه جزيرة صخرية (انظر فولفغانغ مولر-فنيز، القلاع، ص٩٢)؛ وبيروت: ميناء ساحلي ينتصب فوق أواخر أعضاد سلسلة جبال لبنان، ويقع جنوبي جبيل، وهي من أعمال دمشق (انظر القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١١٠-١١١؛ عبد الرحمن حميده، جغرافية الوطن العربي، ص٢٩٢).

الصغرى، في العام التالي^(١)، وكان الأشرف خليل قد توجه إلى دمشق لإعداد قواته، فوفد إليه المظفر محمود وعمه الأفضل ليضعا نفسيهما تحت الخدمة السلطانية، عندها علما برغبة السلطان المملوكي في زيارة حماة، أعدّ الملك المظفر محمود حماة لاستقبال السلطان المملوكي، وأشرف بنفسه على السباط والخيام وتنظيمات إقامة السلطان الأشرف مع قواته^(٢).

ويبدو بأن تلك التجهيزات قد نالت رضى السلطان المملوكي ففضل إطالة الإقامة في حماة ، وأمر قواته بأن تسبقه إلى حلب ، وخرج في رحلة صيد مع الملك المظفر وعمه الأفضل^(٣)، ثم توجهوا معاً نحو حلب للحاق بالقوات المملوكية، ومنها سارا إلى قلعة الروم ، فوصلها في العشر الأخيرة من جمادى الأولى سنة ٦٩١هـ/ ١٢٩١م^(٤). حيث شرع الأشرف في ترتيب قواته استعداداً للهجوم، وأمر بتركيب المنجنيقات ونشرها حول القلعة، فاستقر صاحب حماة مع قواته في الناحية الشرقية للقلعة على رأس جبل يكشف الدفاعات العسكرية للقلعة. ويبدو أن موقع المنجنيق الحموي قد لعب دوراً في تسديد الضربات الموجعة على القلعة الأرمنية، مع تضيق الخناق عليها حتى منيت بالهزيمة في نهاية المطاف، وتسلم المسلمون القلعة دون قيدٍ أو شرط ، وغدت حصناً من حصونهم هناك^(٥)، وبعدها عاد الأشرف إلى حلب ومعه المظفر ، ومنها إلى حماة حيث جرى لهما استقبال حافل ، وأمضى الأشرف بعض الوقت بحماة قبل عودته إلى دمشق ومعه

(١) ابن الجزي ، تاريخ ابن الجزي، ج١، ص١٠١؛ أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص٢٦؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٣٣٩؛ ذكر العيني بأن سبب هذه الحملة يعود لتحرش الأرمن بالمسلمين أثناء مرورهم بالأراضي الأرمنية ، عقد الجمان، ج٣، ص١١١.

(٢) العيني ، المصدر السابق، ج٣، ص١١٢؛ والسباط : هي المائدة الممدودة على الأرض والمعدة بزاخر الأطعمة للحضور، ووقت مدها في طرفي النهار والمساء، وهي على أنواع ورتب (انظر محمد قنديل البقلي، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص١٨٥؛ محمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، ص٩٢-٩٣).

(٣) أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص٢٦؛ العيني، عقد الجمان، ج٣، ص١١٢.

(٤) ابن تغري بردي، المنهل، ج٥، ص٢٧٤؛ وقلعة الروم: تقع في البر الغربي الجنوبي من الفرات ، شرقي سيمساط (انظر أبو الفداء، تقويم البلدان، ص٢٦٨-٢٦٩).

(٥) أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص٢٧؛ ابن أبيك الدودار، كنز الدرر، مج٨، ص٣٣٣؛ ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج١، ص١٤٩؛ العيني، عقد الجمان ، ج٣، ص١١٣.

أسرى الأرمن^(١). وعلى ما يبدو فإن السلطان المملوكي قد شعر في أثناء زيارته لحماة بمدى ما ينعم به الملك التقوي من حيز وجودي متميز وموقع مرموق داخل السلطنة الأمر الذي أثار حفيظة السلطان الأشرف خليل، فأثر وضع حدّ لهالة الإجلال التي أحاطت بالمظفر خوفاً من أن يصيبه ما اعتري آل مهنا التي جاهرت بعصيانها للسلطنة المملوكية، فعمد إلى استدعائه على البريد مع عمه الأفضل إلى القاهرة في جمادى الأولى سنة ٦٩٢هـ/ ١٢٩٣م^(٢).

فلم يتوان المظفر عن ذلك حيث دخل القاهرة مع عمه بعد مسيرة دامت ثمانية أيام، وقد ناله ما ناله من التعب ومشقة الطريق، فأقام في القاهرة عدة أيام ثم خرج السلطان نحو الكرك ومعه المظفر محمود وعمه ، فوافتهم الهدايا التقوية والتي كان المظفر قد أعدّها قبل انطلاقه إلى القاهرة، ولكن سرعة سيره حالت دون لحاق الهدايا به، فقبلها الأشرف خليل^(٣). ثم أكمل سيرهما نحو دمشق حيث اشترك مع السلطان الأشرف في الحملة التآديبية التي شنّها ضد قبيلة آل مهنا^(٤)، وما أن انتهى حتى قفل عائداً إلى مصر، وعند القصير أعطي صاحب حماة وعمه الأفضل الأذن بالعودة إلى حماة^(٥).

(١) ابن العبري، تاريخ الزمان، ص ٣٦٦؛ بيبرس المنصوري، مختار الأخبار، ص ٩٣؛ ابن الجزري، المختار، ص ٣٥٣؛ أبو الفداء، المختصر، ج ٤، ص ٢٧؛ ابن كثير ، البداية والنهاية، ج ١٣، ص ٣٧٧؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج ٥، ص ٣٩٥؛ الحنبلي، شفاء القلوب، ص ٤٥٧.

(٢) تُعد عملية استدعاء الملك التقوي على البريد -الذي كان مهامه في تلك الفترة يشبه إلى حد كبير ما يعرف اليوم بالبوليس السياسي- فيه من الحدة والرغبة الشئ الكثير بديل تصوير أبي الفداء لحال خروجهما فقال "فتوجها من حماة وعندهما الخوف بسبب طلبهما"(انظر، المختصر، ج ٤، ص ٢٨؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث سنة ٦٩٢، ص ٢٤؛ العيني، عقد الجمان، ج ٣، ص ١٥٧؛ وآل مهنا : فرع من أفرع عرب الشام ينتسبون إلى مهنا بن عيسى بن آل فضل الذي نال في عهد السلطان قلاوون الأمانة ، فلقب بحسام الدين ، وغدا كبير آل عيسى النازلين في براري سلمية وتتمر وأمير البادية الشامية، كانت وفاته في سنة ٧٣٥هـ - انظر أحمد وصفي زكريا، عشائر الشام، ص ٩٤-٩٦).

(٣) أبو الفداء ، المختصر، ج ٤، ص ٢٨؛ الحنبلي، شفاء القلوب، ص ٤٥٨؛

(٤) بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة، ص ٢٩٣؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٣١، ص ٢٥٠-٢٥١؛ ابن الجزري، تاريخ ابن الجزري، ج ١، ص ١٥٠؛ ابن أبيك الدودار، مج ٨، ص ٣٤١؛ ابن حبيب، تذكرة النبي، ج ١، ص ١٦٠؛ ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٥٦؛ و كان سبب القبض على زعيم قبيلة آل مهنا وإخوته يعود إلى اختلاف في الرأي بين السلطان ومهنا أمير العرب حول تغيير زي رجال القبيلة، الأمر الذي أدى لتطاول أمير العرب على السلطان الأشرف خليل، مما دفع الأخير للعمل على تأليب أمير العرب (انظر العيني، عقد الجمان، ج ٣، ص ١٥٨-١٦٤).

(٥) أبو الفداء، المختصر، ج ٤، ص ٢٨؛ العيني، عقد الجمان، ج ٣، ص ١٥٨؛ والقصير: قلعة غربي حلب (انظر القلقشندي، صبح الأعشى ج ٤، ص ١٢٤).

وعندما استتفر الأشرف خليل قواته في بلاد الشام للمرابطة في حلب تحسباً لأيّ هجوم غادر من المغول أو الأرمن، كانت قوات حماة في طليعة من استجاب لهذا الأمر، وظلت مرابطة بحلب حتى أصدر السلطان أوامره في ذي القعدة سنة ٦٩٢هـ/١٢٩٣م، بإنهاء حالة الاستتفار تلك، فعاد الحمويون إلى قواعدهم كغيرهم من القوات التي عادت إلى ثكناتها^(١).

وعندما اغتيل السلطان الأشرف سنة ٦٩٣هـ/١٢٩٤م. دخلت السلطنة المملوكية على أثر ذلك في دوامة الاضطرابات الداخلية، والتي انتهت بعزل السلطان الناصر محمد، وتغلب الأمير زين الدين كتبغا سلطاناً على دولة المماليك في المحرم من عام ٦٩٤هـ/١٢٩٤م^(٢)، وحرص السلطان المملوكي الذي تلقب بالعادل على استمرار الحكم الأيوبي لحماة رغبة منه في كسب تأييد المظفر محمود، حيث بادر بإرسال مبعوثه إلى حماة لأخذ البيعة منه وذلك في المحرم سنة ٦٩٤هـ/١٢٩٤م^(٣).

وعندما خرج السلطان كتبغا من مصر متوجهاً لدمشق كبرى النيابات الشامية، وذلك في شوال من العام التالي، وفد عليه المظفر وحظي الأخير بتكريم بالغ من السلطان العادل لدرجة أنه اصطحبه لأداء صلاة الجمعة في مقصورته السلطانية الخاصة في الجامع الأموي^(٤).

(١) أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص٢٨.

(٢) بيبس المنصوري، التحفة المملوكية، ص١٤٣؛ النويري، نهاية الأرب، ج٣١، ص٢٨٢؛ الذهبي، دول الإسلام، ج٢، ص١٩٦، المقرئزي، المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢٣٩؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٥، ص٣٩٧؛ وزين الدين كتبغا: تسلطن بعد الناصر ثم خلعه لاجين من السلطنة في العام التالي، وقلد بعدها نيابة صرخد ثم نيابة حماة، ومات وهو قائم على مهامه سنة ٧٠٢هـ (انظر الصفدي، أعيان النصر، ج٤، ص١٤٤؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٣، ص٣٤٨؛ ابن تغري بردي، الدليل، ج٢، ص٥٥٣)؛ للتعرف على الأحداث التي أعقبت مقتل الأشرف خليل (انظر ابن الجزري، تاريخ ابن الجزري، ج١، ص١٩١-١٩٢؛ أسطفان الدويهي، تاريخ الأزمنة، ص٢٧٤).

(٣) انظر ابن الجزري، المختار، ص٣٦٩؛ العيني، عقد الجمان، ج٣، ص٢٧٢.

(٤) الذهبي، دول الإسلام، ج٢، ص١٩٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص٣٩٥؛ العيني، عقد الجمان، ج٣، ص٣١٠-٣١١.

وعندما نجح الأمير حسام الدين لاجين في الإطاحة بحكم العادل كتبغا سنة ٦٩٦هـ/١٢٩٦م، وتسلطن من بعده^(١)، بادر الملك المظفر صاحب حماة إلى مبايعة السلطان لاجين في ربيع الأول سنة ٦٩٦هـ/١٢٩٦م^(٢).

وفي العام التالي اشترك المظفر الثالث مع جيشه في الحملة الموجهة ضد مملكة أرمينية الصغرى، عندما خرجت القوات المملوكية بعد تكاملها من حلب متوجهة نحو الدربند تحت قيادة الأمير بدر الدين بكتاش الفخري حيث عبر بقواته الممرات المؤدية إلى مملكة أرمينية الصغرى، وتجمعت القوات عند نهر جيحان ثم بدأت في شن غاراتها المتفرقة على سيس وما جاورها، ثم قفلت عائده إلى الأراضي الشامية، بعد أن دبّ الخلاف بين قادة الجند حول استمرار الهجوم على المدن الأرمينية للاستيلاء عليها أو الاكتفاء بالهجمات الخاطفة، الأمر الذي أغضب السلطان المملوكي في مصر، فأصدر أوامره برجوع القوات المملوكية لمهاجمة تل حمدون، وعاد الجيش الحموي للانضمام إلى القوات المملوكية بعد أن انفصل عنها بمرج أنطاكية^(٣).

(١) ابن يوسف المقدسي، نزهة الناظر فيمن ولي مصر من الخلفاء والسلاطين، حوادث سنة ٦٩٤-٦٩٦هـ؛ بيبرس المنصوري، مختار الأخبار، ص ١٠١-١٠٢؛ التحفة المملوكية، ص ١٤٧-١٤٨؛ ابن أبيك الدوداري، كنز الدرر، ج ٨، ص ٣٦٥-٣٦٦؛ الذهبي، العبر، ج ٣، ص ٣٨٦؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج ٤، ص ٢٢٨؛ ابن تغري بردي، موارد اللطافة فيمن ولي السطنة والخلافة، ج ٢، ص ٤٨-٤٩.

(٢) ابن الجزري، تاريخ ابن الجزري، ج ١، ص ٣٣٦.

(٣) أبو الفداء، المختصر، ج ٤، ص ٣٥؛ ابن الجزري، تاريخ ابن الجزري، ج ١، ص ٣٩٠-٣٩٢؛ ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج ١، ص ٢٠٣؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٣١، ص ٣٤٠؛ والدربند : لفظ فارسي من معانيه الطرقات والمضايق والمعابر الضيقة، وهو باب بشروان في أقصى بلاد أرمينية، تعاقب على حكمها عدة دول مغمورة متباعدة في القوة والضعف (انظر ياقوت الحموي، المشترك وضعاً، ص ٣٢؛ محمد قنديل البقلي، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص ١٣٤؛ محمد الراجحي، الدولة الدربندية في بلاد القوقاز، مجلة التاريخ العربي، ع ١٢، خريف ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ص ٦٥-١٠٣)؛ وتل حمدون: Toparakkale قلعة حصينة تقع شرقي سهل أضنة في جنوبي تركية (انظر أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ٢٥٠-٢٥١؛ فولغانغ مولر-فينز، القلاع، ص ٩٩)؛ ونهر جيحان: تسميه العامة نهر جهان، ويسير من الشمال إلى الجنوب بين جبال في حدود بلاد الروم وهو يمر ببلاد سيس والمصيصة ويصب في البحر المتوسط (انظر أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ٥٠)؛ وبدر الدين بكتاش الفخري: كان أمير سلاح الملك الصالح، توفي سنة ٧٠٦ هـ (انظر ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٢، ص ١٤؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج ٣، ص ٣٨٥؛ النجوم، ج ٨، ص ٢٢٤).

وبعد أن احتشدت القوات المملوكية في حلب اتجهت نحو بوابة الإسكندرونة، ومنها إلى أراضي مملكة أرمينية الصغرى، حيث ضرب المظفر الثالث والأمير فخر الدين بكتاش الحصار حول مدينة حموص، واتخذوا من خيمة المظفر مقراً للمشاورات العسكرية، خاصة بعد أن لاحظوا بأن حصار المدينة سيطول نظراً لسوء الأحوال الجوية، والذي أدى إلى تفشي الأمراض في أوساط الجيش والذي لم يسلم منه حتى المظفر صاحب حماة (١). إلا أن ذلك لم يحل دون استمرار حصار المدينة، إذ أدرك في نهاية المطاف أن لا خيار لهم سوى التسليم، فأخرجوا ألفاً ومائتين من نسائهم وأطفالهم بعد أن شاربوا على الهلاك، وتم تسليم المدينة دون قيد أو شرط (٢)، ومن حموص توجهت القوات المملوكية ومعها عسكر حماة للسيطرة على قلعة نجيمة الغربية، التي تحصن بها الجيش الأرمني (٣). وفي الوقت ذاته واصل المسلمون حصارهم المحكم لها، وانتهى الأمر بإذعان من بداخلها على شروط الجيش المملوكي، الذي نصّ على جعل نهر جيحان حداً بين الدولتين المملوكية والأرمينية، وبالتالي كان على الأرمن تسليم إحدى عشرة مدينةً وحصناً للمسلمين بعد إخلائها ومنها سرفندكار ومرعش وتل حمدون، في حين يستوجب على القوات المملوكية التراجع خلف نهر جيحان، وبذلك حققت الحملة أهدافها. وبعد التأكد من عملية التسليم في ذي القعدة سنة ٦٩٧هـ / ١٢٩٨م، عادت القوات المملوكية ومعها العساكر الحموية إلى حلب لانتظار الإذن السلطاني برجوعهم إلى قاعدتهم (٤).

(١) أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص٣٥-٣٦؛ والإسكندرونة: مدينة ساحلية تقع بالقرب من أنطاكية، وتُعد من درب بلاد سيس (انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج١، ص١٨٢؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، ص٢٥٤-٢٥٥)؛ وحموص: حصن في بلاد الأرمن شرقي تل حمدون (انظر أبو الفداء، المصدر السابق، ص٢٥٠-٢٥١).

(٢) أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص٣٦؛ النويري، نهاية الأرب، ج٣١، ص٣٤٢؛ المقريزي، السلوك، ج٢، ص٢٨٧-٢٨٩.

(٣) ابن الجوزي، تاريخ ابن الجوزي، ج١، ص٣٩٢؛ المقريزي، السلوك، ج٢، ص٢٨٨؛ العيني، عقد الجمان، ج٣، ص٣٨٧؛ ونجيمة: جاءت تسميتها عند القلقشندي بـ(نجمة)، وهي قلعة مرتفعة تقع بالقرب من نهر الفرات ولا تبعد عن جسر منبج أكثر من ٢٥ ميل (انظر القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١٣٧).

(٤) أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص٣٥؛ ابن الجوزي، تاريخ ابن الجوزي، ج١، ص٣٩٢؛ النويري، نهاية الأرب، ج٣١، ص٣٣٧-٣٣٩؛ العيني، عقد الجمان، ج٣، ص٣٨٧-٣٨٦؛ مرعش: مدينة تقع بين الشام وبلاد الروم بينها وبين أنطاكية ثمانية وسبعون ميلاً (انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٥، ص١٠٧؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، ص٣٦٣).

وبذلك ختمت المملكة التقوية آخر العمليات الموجهة ضد مملكة أرمينية الصغرى، خلال فترة حكم الملك المظفر الثالث تحت مظلة السلطان لاجين الذي لقي حتفه في ربيع الآخر سنة ٦٩٨هـ/١٢٩٩م، بُعيد انقلاب دبره المماليك ضده، وبمقتله أُعيد السلطان المخلوع الناصر محمد بن قلاوون -للحكم مرة ثانية- وعمد على إبقاء الملك المظفر الثالث على رأس مملكته بحماة^(١).

وعندما صدرت الأوامر السلطانية في رمضان سنة ٦٩٨هـ/يونية ١٢٩٩م، بالمrabطة في حلب لصد هجوم مغولي مرتقب على الأراضي الشامية، جرد المظفر جيشه إلى حلب، ولكن سرعان ما عادت القوات الحموية من المعركة إلى قاعدتها بعد وصول أنباء سكون التحركات المغولية، ولم يكد يستقر الجيش الحموي في حماة حتى ورد أمر السلطان بتحريك الجيش مرة أخرى للمrabطة في حلب لمجابهة الخطر المغولي، فخرج الجند الحموي إلى حلب دون الملك المظفر الذي ظلّ في حماة. حيث بعث إلى نائب دمشق يطلب منه إرسال ابن عمه أبي الفداء إلى حماة، فخرج مع عمه المظفر في رحلة صيد لإحدى الطيور الجارحة، فأصيب أبو الفداء ومملوكه بمرض بعد رجوعهما إلى حماة، فعاده المظفر، وكان قد أصيب هو الآخر بمرض لم يمّله طويلاً حيث قضى نحبه في يوم الخميس ٢٢ من ذي القعدة سنة ٦٩٨هـ/١٢٩٩م^(٢).

وبوفاة المظفر نشب نزاع بين أبناء البيت التقوي حول الظفر بعرض مملكة حماة^(٣)، وهنا أدرك السلطان المملوكي الناصر محمد أن ذلك النزاع ربما أدخل

(١) بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة، ص ٣٢٣-٣٢٤؛ ابن أبيك الدودار، كنز الدرر، مج ٨، ص ٣٧٦-٣٧٧؛ ابن الجزري، تاريخ ابن الجزري، ج ١، ص ٤٢٨-٤٣٠؛ ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٥٤٠؛ أسطفان الدويهي، تاريخ الأزمنة، ص ٢٧٧-٢٧٨.

(٢) أبو الفداء، المختصر، ج ٤، ص ٤٠؛ أبو الفداء إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب بن شاذي، ولد يوم السبت سابع أو ثامن جمادى الأولى سنة ٦٧٢هـ بدار الزنجلي بدمشق، التي قطنها أهله بعد فرارهم من حماة بسبب الغزو المغولي على بلاد الشام، جمع بين الملك والعلم (للمزيد انظر ابن أبيك، كنز الدرر، مج ٩، ص ٣٦٤-٣٦٥؛ الحنبلي، شفاء القلوب، ص ٤٥٨-٤٥٩؛ الزبيدي، ترويح القلوب في ذكر الملوك بني أيوب، ص ٤٧).

(٣) أبو الفداء، المختصر، ج ٤، ص ٤١.

حماة في نفق مظلم، فاغتنم الفرصة بأن عيّن الأمير قراسنقر نائباً على حماة^(١)، وبذلك أسدل الستار عن المملكة التقوية بعد أن قدمت خدمات عسكرية جليلة لسلطنة المماليك في أكثر من ميدان. والذي يجدر ذكره هنا أن المؤرخ المعاصر أبا الفداء أشار إلى أن السلطان الناصر محمداً ممن تعرض بعد عودته إلى عرش السلطنة المملوكية للمرة الثانية لضغوط من قبل الأمير قراسنقر، للحصول على منصب مرموق في دولته، ولهذا فقد رأى الناصر محمد أنه من المناسب تعيينه نائباً بحماة عشية وفاة الملك المظفر، لحسم تنافس عدد من الأمراء الأيوبيين على عرش حماة^(٢)، والواقع أن الدراسة لا يمكن أن تسلم بهذا الرأي، خاصة وقد اتضح من خلال سير الحوادث أن عوامل عدة تمثلت في وفاة المظفر، ومن قبله الأفضل الذي كان العقل المدبر له، فضلاً عن إدراك الناصر عدم أهلية من تبقى من الأمراء الأيوبيين في حماة في إدارة دفة الحكم بها ومدى ولائهم له.

حكم المماليك المباشر لنياية حماة ٦٩٨هـ / ١٢٩٩م

توجّه الأمير قراسنقر إلى حماة بعد أن أعطاه السلطان تقليداً بها سنة ٦٩٨هـ / ١٢٩٩م، حيث دخل المدينة، وتسلم من بهادر الدين آص زمام الحكم المباشر لنياية حماة^(٣)، وبدأ بممارسة صلاحياته النيابية، ثم شنّ حملة مصادرات عامة لأمالك الأسرة التقوية، مما أثار حفيظتها وانزعاج أمرائها، ويبدو أن هذا العمل

(١) ابن حبيب، درة الأسلاك في دولة الأتراك، ج ١، ورقة ١٢٠ ب؛ الذهبي، دول الإسلام، ج ٢، ص ٢٠٢، ٢٠٠؛ تاريخ الإسلام، حوادث سنة ٦٩٨هـ، ص ٦٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٤١٠؛ والأمير قراسنقر: من الأمراء المقدمين تقلد عدة نيابات شامية منها حماة وحلب ودمشق، فرّ في زمن الناصر محمد إلى التتار سنة ٧١١هـ، وكانت وفاته سنة ٧٢٨هـ (انظر الذهبي، نيل تاريخ الإسلام، ص ٣١٥؛ الصفدي، أعيان النصر، ج ٤، ص ٨٧؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٣، ص ٣٣٠؛ ابن تغر بردي، الدليل، ج ٢، ص ٥٣٩).

(٢) أنظر أبو الفداء، المختصر، ج ٤، ص ٤٢.

(٣) ابن أبيك الدودار، كنز الدرر، مج ٩، ص ١٤؛ وبهادر الدين آص: من ممالك المنصور قلاوون تقلد نيابة صفد، ثم عزل وعاد لدمشق، ثم سجن عامين على أثر وشاية الأمير تكتز نائب دمشق، وأطلق بعدها. كانت وفاته سنة ٧٣٠هـ (انظر الصفدي، الوافي، ج ١٠، ص ٢٩٥؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٢، ص ٣٠؛ ابن تغر بردي، المنهل، ج ٣، ص ٤٢٨؛ الدليل، ج ١، ص ٢٠٠).

تصرفاً فردياً من قبل الأمير قراسنقر، يدل على ذلك ردة فعل السلطان الناصر الذي أصدر أوامره بإيقاف عملية المصادرات العينية واستمرار الأسيرة التقوية والجهاز العسكري على إقطاعاتهم دون التعرض لها^(١)، الأمر الذي جعل السلطان يحظى بولاء الأسرية التقوية في حماة حتى بعد إنهاء حكمهم فيها، فقد عبروا عن ولائهم التام لسلطنة المماليك بإرسالهم هدية قيمة إلى السلطان الناصر محمد تتألف من أقمشة وخيول كانت للملك الراحل المنصور محمد ، حملها إليه الأمير صارم الدين أزبك الحموي والمؤرخ أبو الفداء إسماعيل^(٢).

ولم يدم مقام الأمير سيف الدين قراسنقر في نيابة حماة طويلاً ؛ حيث نُقِلَ إلى نيابة حلب سنة ٦٩٩هـ / ١٢٩٩م^(٣)، وآلت نيابة حماة إلى العادل كتبغا، وذلك في الرابع والعشرين من شعبان من السنة نفسها ، فسبقه الأمير صارم الدين أزبك الحموي بالمسير إلى حماة لضبط أمورها إلى حين وصوله إليها^(٤)، ثم دخل العادل كتبغا حماة ، وظل نائباً عليها حتى وفاته سنة ٧٠٢هـ / ١٣٠٤م^(٥)، وتقلد نيابة حماة من بعده الأمير سيف الدين قبجق، الذي استمر

(١) أبو الفداء ، المختصر ، ج٤، ص٤٢.

(٢) أبو الفداء، المصدر السابق، ج٤، ص٤٢؛ وصارم الدين أزبك الحموي: من ممالك الملك المنصور صاحب حماة، عرف بالشجاعة والجدود وعمل الخير، تدرج في المناصب حتى أصبح من أمراء حماة، وقد أثبت جدارته العسكرية حتى توفي في أحد الحملات العسكرية المتوجهة نحو سيس سنة ٧٣٧هـ، ثم حمل ودفن في حماة، وأختلف في تاريخ وفاته بين ٢٥ ذو القعدة أو ٤ من ذي الحجة والأقرب للصواب الأخير مقارنة مع تاريخ التجريد(انظر ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٤٠٢؛ ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج٢، ص٢٨٤؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١، ص٣٧٧؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج٢، ص٤٣١).

(٣) تقلد الأمير قراسنقر نيابة حلب بعد عزل نائبها الأمير سيف الدين بلبان الطباخي(انظر أبو الفداء ، المختصر ، ج٤، ص٤٤؛ ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج٣، ص٣٣١؛ ابن تغري بردي ، النجوم ، ج٩، ص٢٧٣؛ الليل، ج٢، ص٥٣٩).

(٤) بيبيرس المنصوري ، زبدة الفكرة ، ص٣٤٦؛ أبو الفداء ، المختصر ، ج٤، ص٤٤؛ ابن أبيك الدودار ، كنز الدرر، مج٩، ص١٤؛ ابن حبيب ، تذكرة النبيه، ج١، ص٢١١.

(٥) أبو الفداء، المختصر ، ج٤، ص٤٩؛ ابن أبيك الدودار ، كنز الدرر، مج٩، ص١٠٩؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، وفيات سنة ٦٩٨هـ، ص٣٦٨؛ الياضي ، مرآة الجنان ، ج٤، ص٢٣٨؛ ابن حبيب ، تذكرة النبيه ، ج١، ص٢٥٤؛ ابن تغري بردي ، النجوم ، ج٨، ص٢٠٦؛ الليل، ج٢، ص٥٤٤؛ ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج٦، ص١٣٨.

متربّعاً على نيابة حماة تحت مظلة السلطان الناصر محمد^(١) حتى سنة ٧٠٨هـ / ١٣٠٦م، حيث أعتزل السلطان المملوكي الحكم، وتولى من بعده السلطان المظفر بيبرس الجاشنكير (٧٠٨-٧٠٩هـ / ١٣٠٨-١٣٠٩م)، الذي أوفد إلى حماة أحد رجاله لأخذ البيعة له من نائبها سيف الدين قبجق^(٢)، ولم تطل سلطنة الجاشنكير، حيث عُزل في العام التالي على يد السلطان السابق الناصر محمد بن قلاوون^(٣)، والذي ما أن تسلم مقاليد السلطنة حتى أصدر أوامره بنقل الأمير سيف الدين قبجق إلى نيابة حلب وذلك سنة ٧٠٩هـ / ١٣١٠م^(٤)، وأسند نيابة حماة من بعده إلى الأمير الحاج بهادر الظاهري، وبعد مدة وجيزة بدا للناصر نقله نائباً على طرابلس^(٥)، وليفتح بذلك المجال لبعض أفراد البيت التقوي لمنافسة أمراء المماليك على حكم حماة، حيث تطلع - على ما يبدو - بعض أمرائهم لإحياء ملك بني أيوب في حماة من جديد، ولعل الذي شجعهم على هذا هو الوعد الذي قطعه الملك الناصر لأبي الفداء إسماعيل بإعادة الحكم الملكي في حماة وتنصيبه شخصياً ملكاً

(١) بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة، ص ٣٧٦؛ أبو الفداء، المختصر، ج ٤، ص ٥٠؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ٦٠؛ العيني، عقد الجمان، ج ٤، ص ٢٥٩؛ والأمير سيف الدين قبجق: هرب إلى المغول زمن اعتقالات الأشرف خليل سنة ٦٩٩هـ، ثم عاد بعد مقتل السلطان لاجين، وتقلد عدة وظائف نيابية إلى أن توفي سنة ٧١٠هـ (انظر الصفدي، أعيان العصر، ج ٤، ص ٦١؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٣، ص ٣٢٥؛ ابن تغري بردي، الدليل، ج ٢، ص ٥٣٣).

(٢) بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة، ص ٤٠٦؛ والسلطان الملك بيبرس الجاشنكير: دام حكمه عشرة أشهر وأربعة عشر يوماً قتله السلطان محمد في شوال سنة ٧٠٩هـ (انظر ابن أبيك الدودار، كنز الدرر، مج ٩، ص ١٥٦؛ ابن حبيب، تذكرة النبیه، ج ٢، ص ١٧؛ ابن دقماق، الجواهر الثمين في سيرة الأمم والملوك، ص ٣٣٦؛ المقرئ، المواعظ والاعتبار، ج ٢، ص ٢٣٩؛ السلوك، ج ٢، ص ٤٤٩).

(٣) بيبرس المنصوري، التحفة الملوكية في الدولة التركية، ص ٢٠١-٤٠٤؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ١٤٦-١٤٨؛ الذهبي، العبر، ج ٤، ص ٢٠-٢٢؛ ابن حبيب، تذكرة النبیه، ج ٢، ص ١٩؛ المقرئ، السلوك، ج ٢، ص ٤٤٢-٤٤٨؛ محمد جمال الدين سرور، دولة بني قلاوون، ص ٤٨-٤٩؛ على إبراهيم حسن، تاريخ المماليك البحرية، ص ١٠٣-١٠٤؛ وليم موير، تاريخ دولة المماليك في مصر، ص ٨٧.

(٤) ابن حبيب، درة الأسلاك، ج ١، ورقة ١٥٣ب؛ أبو الفداء، المختصر، ج ٤، ص ٥٨؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ١٥٧؛ ابن حبيب، تذكرة النبیه، ج ٢، ص ٢٠؛ الذهبي، دول الإسلام، ج ٢، ص ٢١٥؛ المقرئ، السلوك، ج ٢، ص ٤٤٠؛ محمد جمال الدين سرور، دولة بني قلاوون، ص ٥٠.

(٥) أبو الفداء، المختصر، ج ٤، ص ٥٨؛ والحاج بهادر الظاهري السلاح دار، أسر في وقعة عين جالوت، ثم صار من مماليك الظاهر بيبرس، فقتل في الخدم إلى أن غدا من جملة الأمراء قبض عليه في سنة ٦٩٦هـ، ثم أطلق سنة ٧٠٥هـ، تدرج في المناصب العسكرية حتى نال أمة مائة بدمشق، انضم لنصرة السلطان الناصر محمد بن قلاوون عندما أراد استرداد حكم السلطنة من المظفر بيبرس، كافأه الناصر محمد بتقليده نيابة طرابلس سنة ٧٠٩هـ، فظل عليها إلى أن توفي في العام التالي (انظر المقرئ، المقفى، ج ٢، ص ٥٠٤-٥٠٦).

عليها وذلك في سنة ٧٠٢هـ/١٣٠٢م، بعد أن لمس منه مدى إخلاصه له في حالات السلم ومشاركته قوى دولة المماليك في الحملة التأديبية التي شنتها ضد مدينة سويس عاصمة مملكة أرمينية الصغرى سنة ٧٠١هـ/١٣٠٢م، فضلاً عن مشاركته في صدّ هجوم المغول على بلاد الشام سنة ٧٠٢هـ/١٣٠٢م^(١)، إلا أن السلطان المملوكي ما لبث أن أخذ يماطل في تنفيذ هذا الوعد، ولعل ذلك كان بسبب الأوضاع السياسية التي حذت بالناصر محمد لمراعات توازن القوى في البلاد الشامية والمصرية، وما أسفرت عنه تلك الأوضاع من تنحيه عن الحكم في سنة ٧٠٨هـ/١٣٠٩م، والتي مكنته فيما بعد من تمحيص ولاءات أمرائه وأتباعه بما فيهم أبي الفداء إسماعيل، وعندما تأكّد للسلطان ما أراد وعاد إلى سدة الحكم نفذّ وعده لأبي الفداء وذلك في سنة ٧٠٩هـ/١٣١٠م^(٢). ولم يقابل هذا الإجراء بالرضا من قبل الأمير سيف الدين أسنمدر الكرجي صاحب حلب الذي بادر بتقديم طلب للسلطان المملوكي بتقليده نيابة حماة . ويبدو أن اعتراض الكرجي كان على شخص عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ، يؤكد هذا قوله في كتابه المختصر " وكان قد حصلت بيني وبين أسنمدر عداوة مستحكمة بسبب ميله إلى أخيه فقصد أن يعدل بحماة عني إليه فلم يوافق السلطان إلى ذلك فلما رأى أن السلطان يتصدق بحماة عليّ طلبها أسنمدر لنفسه"^(٣)، وظل أسنمدر نائباً على حماة حتى صدر أمر نقله إلى نيابة حلب في جماد الأولى سنة ٧١٠هـ/١٣١٠م، وعين الأمير أبو الفداء إسماعيل نائباً على حماة^(٤).

خرج النائب الحموي عماد الدين أبو الفداء إسماعيل من بلاد الشام يوم الاثنين ٢٨ ربيع الأول ٧١٢هـ/١٣١٢م، قاصداً القاهرة فدخلها يوم الاثنين العاشر

(١) أبو الفداء ، المختصر ، ج٤، ص٤٦-٥٠؛ الصفدي، تحفة ذوي الألباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب ، ج١، ص٥٠٤؛ ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج١، ص٣٩٦.

(٢) أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص٥١، ٥٨.

(٣) أبو الفداء ، المصدر السابق ، ج٤، ص٥٨؛ و سيف الدين أسنمدر الكرجي: من أمراء الديار المصرية تنقل في النيابات الشامية فكانت أولها نيابة طرابلس ثم حماة وأخيراً حلب ، قبض عليه وسجن بالكرك حتى توفي ٧١١هـ (انظر الذهبي، ذيل العبر، ج٤، ص٤٠؛ الصفدي، الوافي، ج٩، ص٢٤٨؛ المقرئ، ج٢، ص١٨٦؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١، ص٤١٤؛ ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج٢، ص٣٨؛ ابن تغري بردي ، المنهل ، ج١، ص٤٤٣).

(٤) أبو الفداء ، المختصر، ج٤، ص٦٠-٦٢.

من ربيع الآخر، وخلعت عليه التشاريف، ثم أنزل بالكبش وفق الأوامر السلطانية، ووصلت من بعده المقدمة التي عرضها على السلطان الناصر محمد في يوم الجمعة ١٥ ربيع الأول^(١). وفي يوم الأحد ٢٣ ربيع الآخر أصدر السلطان أمراً بتتصيبه ملكاً على المملكة الحموية، وكتب له تقليداً بحماة والمعرفة وبارين "تملكاً"^(٢)، وأعطى صلاحيات مطلقة من "أمر ونهي وإقطاع" مقابل أن يلزم عسكرياً بإخراج جيشه للمشاركة في الحملات العسكرية. وبذلك أعيد إحياء الملكية التقوية مرة أخرى بعد انقطاع دام أربعة عشر عاماً. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو لماذا أقدم الناصر على إحياء الحكم الأيوبي في حماة، في وقت كانت النيابات الشامية قد تناسقت فيما بينها، وأن لا ضير من استمرارية عماد الدين إسماعيل نائباً في ظل الحكم الناصري؟!

والواقع أنه يمكن إرجاع ذلك إلى الوعد الذي قطعه السلطان الناصر محمد لأبي الفداء إسماعيل بتقليده ملكاً على حماة، إضافة إلى العامل الخفي الذي لعب دوراً فاعلاً في دفع السلطان الناصر لإحياء الملكية في حماة، ألا وهو إقرار الأمير تنكز نائباً على دمشق، وما ترتب على ذلك من حصول نائب دمشق من صلاحيات أكبر داخل الدولة المملوكية، والتي كانت كفيلة على ما يبدو بإثارة الريبة في نفس السلطان الناصر الذي سبق وأن عانى الأمرين من حكام دمشق خلال مدة حكمه السابقة^(٣)، مما دفعه للبحث عن يمثل الولاء والتبعية المطلقة

(١) أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص٦٦؛ المقرئ، ج٢، ص١٠١؛ والكبش: مناظر الكبش عبارة عن قصور أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب على جبل يشكر بجوار الجامع الطولوني تشرف على بركة قارون وبركة الفيل والنيل وجزيرة الروضة وقلعتها والبساتين المحيطة بها، واستمرت منازل الملكية إلى أن هدمت سنة ٧٦٨هـ، على يد السلطان الأشرف شعبان بن حسين (انظر المقرئ، المواعظ والاعتبار، ج٢، ص١٣٣).

(٢) ابن تغري بردي، المنهل، ج٢، ص٤٠٠.

(٣) بيبيرس المنصوري، زبدة الفكرة، ص٤٠٣؛ أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص٥٥؛ ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج١، ص٢٨٦؛ المقرئ، السلوك، ج٢، ص٤٣٢؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج٣، ص٤٦٩-٤٧١؛ والأمير سيف الدين تنكز: الحسامي أنعم عليه بإمرة عشرة ثم نيابة دمشق سنة ٧١٢هـ، وقد نال من المكانة والنفوذ ما شهد له مؤرخو عصره، إلا أن نهايته كانت الاعتقال والقتل سنة ٧٤٠هـ (انظر الصفدي، أعيان العصر، ج٢، ص١١٦؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٣١٨؛ الكتبي، فوات الوفيات، ج١، ص٢٥١؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص٦٠٩؛ الذهبي، نيل العبر، ج٤، ص١٢١؛ المقرئ، ج٢، ص٦٠٧؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج٤، ص١٥٦).

لدولة المماليك عامة وللأسرة القلاوونية خاصة ، فكانت الأسرة التقوية بتاريخها الحافل الشاهد على ولائها هي الخيار الأمثل لذلك ، ولحلّ مشكلة الملك عماد الدين إسماعيل مع المماليك الذين استقر بهم المقام في حماة بُعيد وفاة الملك المظفر ، أصدر الناصر مرسوماً ينصّ على نقلهم مع أسرهم وأتباعهم إلى حلب سنة ٧١٢ هـ / ١٣١٢م ، لمنع تدخلهم المباشر في مملكة حماة بحجة إقطاعاتهم التي كانوا يملكونها في حماة وبارين والمعرة ، ثم أضيفت الأخيرة لأعمال حلب سنة ٧١٣ هـ / ١٣١٣م ، وفي المقابل أعطى الناصر للملك التقوي صلاحيات كاملة بعزل وتعيين وإقطاع من يشاء داخل مملكة حماة و ما يتبعها من أعمال ، مع تحديد لعدد القوات العسكرية الحموية بخمسمائة فارس للجهتين من بارين وحماة^(١) ، وزاد على ذلك فأصدر مرسوماً سلطانياً آخر يلزم النواب في بلاد الشام بما فيهم الأمير تنكز ، بأن يكتبوا لعماد الدين أبي الفداء إسماعيل عبارة " يقبل الأرض " ^(٢) ، ويبدو بأن الناصر أراد بهذه الإجراءات أن يجعل من ملك حماة الأيوبي منافساً قوياً للأمرء المماليك في بلاد الشام وعلى رأسهم نائب دمشق الأمير تنكز .

وقد أثبت الملك عماد الدين أبو الفداء ولاءه المطلق في شتى المحافل ، فعندما أراد أداء فريضة الحج سنة ٧١٣ هـ / ١٣١٤م ، تقدّم بطلب الإذن من السلطان الناصر محمد ، كما عمل على إرسال التقادم السنوية له وكان أولها سنة ٧١٣ هـ / ١٣١٤م ، عندما سمع بقدومه من الحجاز إلى دمشق حيث خرج أبو الفداء من حماة قاصداً دمشق لتهنئة السلطان بسلامة الوصول ، فقدّم له الخيول و المصاغ والقماش ، وكان ذلك في يوم الخميس ١٣ من المحرم سنة ٧١٤ هـ / ١٣١٤م ، وفي سنة ٧١٥ هـ / ١٣١٥م ، أرسل الملك عماد الدين إسماعيل أحد مماليكه بالتقادم إلى السلطان الناصر ، وقد ردّ السلطان بخلعة سلطانية وخيل برقي بسرجه ولجامه^(٣) ، وفي العام التالي بعث الملك التقوي بتقدمة أخرى إلى القاهرة ، ثم أرسل في طلب

(١) أبو الفداء ، المختصر ، ج ٤ ، ص ٦٩-٧٢ .

(٢) المقرئزي ، المقفى ، ج ٢ ، ص ٥٠٤-٥٠٥ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم ، ج ٩ ، ص ٢٩٣ .

(٣) المقرئزي ، المقفى ، ج ٢ ، ص ١٠١ ؛ ابن دقماق ، الجوهر الثمين ، ص ٣٥١ ؛ ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٣٩٦-٣٩٧ .

الإذن من السلطان المملوكي للحضور إلى الأبواب السلطانية فأذن له، حيث دخل القاهرة يوم الأحد ١٨ جمادي الأولى، وأسكن بالكبش، و أنعم السلطان عليه بالخلع والصدقات السلطانية، وكان من ضمنها إرجاع المعرة إليه^(١).

وعندما خرج السلطان الناصر محمد من مصر قاصداً دمشق سنة ٧١٧هـ/ ١٣١٧م، حرص على أن تسبقه مجموعة من الصدقات السلطانية إلى الملك الأيوبي أبي الفداء حملها إليه أحد أمراء الأخورية، وهنا بادر الملك التقوي بطلب الإذن من السلطان الناصر بالخروج إلى دمشق ومعه التقادم لاستقباله هناك، فوافق السلطان على إرسال التقدمة وألزم الملك التقوي بعدم الحضور إلى دمشق^(٢).

وفي سنة ٧١٨هـ/ ١٣١٨م، خرج الملك عماد الدين على رأس وفد يحمل تقادماً إلى القاهرة، فدخلها يوم الخميس ١٢ جمادى الآخر من السنة ذاتها، ونزل كعادته بالكبش، وأغدقت عليه الصدقات السلطانية، ثم طلب من السلطان زيارة الإسكندرية، فوافق على طلبه، وكان خروجه من القاهرة في يوم الاثنين ٢٣ جمادى الآخر حيث أبحر في النيل على حراقتين، فدخل الإسكندرية يوم الأربعاء، وأقام بها يومين، ثم قفل عائداً على ظهر الخيل إلى القاهرة، ووجد أمامه مكافأة أخرى إذ أمر السلطان بأن يزداد له عدد من قرى المعرة، ثم عاد إلى حماة يوم السبت ١٢ شعبان من السنة نفسها^(٣).

وعندما خرج السلطان الناصر محمد لأداء فريضة الحج سنة ٧١٩هـ/ ١٣١٩م، وصلت إليه مقدمة الملك عماد الدين إسماعيل أرسل الناصر يستدعيه

(١) أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص٧٨-٧٩؛ ابن دقماق، الجوهر الثمين، ص٣٥١؛ النفحة المسكية، ص١٢٤.

(٢) أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص٨٣؛ وأمراء الأخورية: مفردا أمير أخور وهو المشرف على خيول السلطان وتكون إقامته بحكم وظيفته في الإسطبل السلطاني (انظر القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١٨-١٩؛ المقرئ، المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢٢٤-٢٢٥؛ محمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، ص٢٠).

(٣) أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص٨٣؛ والحراقتين : وجمعها حراقات أو حرايق وهي نوع من السفن الحربية التي ترمى منها النيران، ومنها نوع كان يستخدم لحمل الأسلحة النارية وكان بها مرام تلقى منها النيران على العدو للوقوف على المزيد من التفصيلات (انظر درويش النخيلي، السفن الإسلامية على حروف المعجم، ص٣٢-٣٧؛ إبراهيم حسن سعيد، البحرية في عصر سلاطين المماليك، ص١٠٧).

على البريد، فدخل القاهرة يوم السبت ٢٤ من شوال، ونزل بدار القاضي كريم الدين، ثم خرج صحبة السلطان إلى الدهليز الذي نصب خارج القاهرة وذلك يوم السبت ثاني ذي القعدة، وفي اليوم التالي سار السلطان والملك التقوي على طريق الحاج المصري، قاصداً الأراضي المقدسة فدخل مكة المكرمة على ما يبدو في أواخر ذي القعدة، وبعد أدائهما لفريضة الحج أغدق السلطان المملوكي الصدقات على أهل مكة، ثم قفل عائداً إلى مصر؛ حيث رافقه الملك عماد الدين حتى دخل القلعة بالقاهرة، ثم ودّعه وغادر القاهرة متوجّهاً إلى حماة وذلك يوم الخميس ١٧ محرم ٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م^(١). وهذا يؤكد مدى إخلاص الملك التقوي عماد الدين للسلطان الناصر، وفي الوقت ذاته يدل على مدى تخوفه من بقية نواب الممالك الشامية بحكم أنه الشخص الذي يحمل لقب ملك، وينحدر من أسرة مرموقة هي الأسرة الأيوبية.

ولم يطل غياب الملك عماد الدين عن الأبواب السلطانية حيث عاد إلى القاهرة في المحرم من ذات العام لتشهد حاضرة دولة المماليك مراسيم تلقيب الملك عماد الدين إسماعيل ملك المملكة التقوية بـ(الملك المؤيد)، فركب بشعار السلطنة من المدرسة المنصورية، وسار محاطاً بأمرأء المماليك على مختلف رتبهم العسكرية حاملين من ورائه السلاح والدواة، والغاشية، والعصائب إلى أن وصلوا إلى قلعة الجبل، ووزعت الخلع والتشريف على الحضور، وبعدها عاد الملك المؤيد إلى حماة، فأستقبله الأمراء والأعيان على مشارفها يوم السبت ٢٦ من

(١) ابن حبيب، درة الأسلاك، ج ١، ورقة ١٨٤؛ أحمد الرشيد، حسن الصفاء والابتهاج بذكر من ولي إمارة الحاج، ورقة ٣٦؛ الذهبي، ذيل العبر، ج ٤، ص ٥٥؛ أبو الفداء، المختصر، ج ٤، ص ٨٦؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ٣٠٢-٣٠٤؛ ابن حبيب، تذكرة النبیه، ج ٢، ص ٩٩-١٠٠؛ المقرئ، السلوك، ج ٣، ص ١٧-١٩؛ الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، ص ١٣١؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ١، ص ٣٩٧؛ والقاضي كريم الدين عبد الكريم ابن هبة الله بن السيد، وكيل الناصر محمد وناظر خواصه ومدير الدولة الناصرية، توفي سنة ٧٢٤هـ (انظر الكتبي، فوات الوفيات، ج ٢، ص ٣٧٧؛ الصفي، أعيان النصر، ج ٣، ص ١٤٢؛ ابن حبيب، تذكرة النبیه، ج ٢، ص ١٣٣؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٣، ص ١٥)؛ و الدهليز: هي الخيمة السلطانية تنصب للسلطان عند إعلان الاستتار للحرب أو قيامه برحلات التنزه أو الصيد (انظر محمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، ص ٧٧).

المحرم السنة نفسها^(١). ولم تتوقف الهبات السلطانية على الملك التقوي بل تعدته إلى أسرته حيث أرسل السلطان الناصر سنة ٧٢٠هـ/١٣٢٠م، تشریفاً إلى الأمير محمد ابن الملك المؤيد إسماعيل، فلبس المذكور هذا التشریف يوم الاثنين الخامس من رجب، وركب سائراً به في حماة^(٢).

ولم تتقطع زيارات الملك المؤيد عن القاهرة، فقد خرج بصحبة أفراد أسرته في ذي الحجة إلى القاهرة سنة ٧٢٤هـ/١٣٢٤م، فأنعّم عليه السلطان بالخلع والتشريفات، وظل المؤيد مقيماً في القاهرة حتى شهد عيد الأضحى^(٣)، ثم خرج منها إلى حماة في ١٢ من صفر سنة ٧٢٥هـ/١٣٢٤م^(٤). ولعل هذه الزيارة التي قام بها الملك الأيوبي للقاهرة كانت ردة فعل لما أقدم عليه الناصر من اعتقال لناظر دولته كريم الدين ، والتي يبدو أنها أثارت مخاوف عماد الدين فخرج إلى القاهرة هذه السنة إرضاء للناصر ، كما لا يستبعد أن يكون الهدف من اصطحابه لأهله وولده تأكيد ولائه وأسرته للسلطنة المملوكية. وبعد عودة الملك المؤيد عماد الدين إلى حماة، فوجئ بهدية أرسلها إليه السلطان الناصر وذلك في سنة ٧٢٧هـ/١٣٢٧م، كانت عبارة عن فرسين من خيل برقة أحدهما بسرج من ذهب والآخر

(١) أبو الفداء ، المختصر، ج٤، ص٨٨؛ ابن أبيك الدودار، كنز الدرر، مج٩، ص٢٩٧-٢٩٨؛ النويري، نهاية الأرب، ج٣٢، ص٣١٧؛ الذهبي، دول الإسلام، ج٢، ص٢٢٧؛ الصفدي، أعيان النصر، ج١، ص٥٠٤؛ ابن حبيب، تنكرة النبيه، ج٢، ص١٠٦؛ المقرئ، المققى، ج٢، ص١٠١؛ ابن حجر ، الدرر الكامنة، ج٢، ص٣٩٧؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج٩، ص٦١-٦٢؛ والمدرسة المنصورية: أنشأها السلطان المنصور قلاوون فيما بين القصرين من داخل باب المارستان الكبير المنصوري (انظر المقرئ، المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٣٧٩-٣٨٠؛ أنظر أيضاً زبيدة محمد عطا، مکتبات المدارس في العصرين الأيوبي والمملوكي ، منشور ضمن ندوة تاريخ المدارس في العصر الإسلامي، ص٢١٢-٢١٣)؛ والدواة: لم تتوفر عنها معلومات توضح ما هي والأرجح بأنها كانت ثمينة (انظر عبد المنعم ماجد، نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر، ج٢، ص٩٠)؛ والغاشية: قبة تحمل بين يدي السلطان عند الركوب في الموكب، وهي مصنوعة من أديم مخروز بالذهب يخالطها يظن الناظر أن جميعها مصنوعة من الذهب (انظر القلقشندي، صبح الأعشى ، ج٤، ص٧؛ محمد قنديل البقلي، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص٢٥٤)؛ والعصائب: وهي راية عظيمة من حرير صفر مطرز بالذهب عليها ألقاب السلطان وأسمه (انظر القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٨).

(٢) أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص٨٩.

(٣) أبو الفداء ، المصدر السابق، ج٤، ص٩٣.

(٤) ابن الجزري، تاريخ ابن الجزري، ج٢، ص٥٩.

بسرج من فضة، فركبهما في يوم الخميس ١٣ من رجب^(١). ويبدو أن هذه الهدية كانت رمزاً لمدى رضى السلطان عنه.

ثم كان صدور أول مرسوم سلطاني يُطلب فيه حضور الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل لخدمة السلطان الناصر محمد في رحلة صيد سنة ٧٢٧هـ/١٣٢٧ م ، فخرج الملك المؤيد في يوم الاثنين رابع ذو القعدة مع ابنه محمد الذي مرض بعد دخوله الديار المصرية^(٢)، فنقلته الخيول السلطانية إلى مقر إقامة السلطان في سرياقوس، ثم أرسل رئيس أطبائه جمال الدين إبراهيم بن أبي ربيع المغربي لعلاج ابن الملك المؤيد ، و رحل السلطان ومن معه إلى القلعة وأرسل حراقة إلى الملك المؤيد وابنه المريض لنقلهما إلى دار طقزدمر، وعلى الرغم من انشغال المؤيد بتمريض ابنه إلا أنه لم يهمل التواجد في الحضرة السلطانية ، وخدمة السلطان الناصر، وبعد ٣٥ يوماً خرج الملك المؤيد والسلطان المملوكي مرة أخرى إلى سرياقوس في يوم الخميس من صفر، وفي اليوم التالي خلع التشريف على الملك المؤيد وابنه، وأذن لهما بالعودة إلى حماة، فودعهما السلطان يوم السبت ثاني ربيع الأول، ودخلا دمشق في ١٨ من ذات الشهر، ولم يقيما فيها بل توجها إلى حماة، حيث وصلا إليها يوم الجمعة ٢٢ ربيع الأول سنة ٧٢٨هـ/١٣٢٨م^(٣).

(١) أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص٩٣.

(٢) ذكر ابن الجزري بأن خروج المؤيد كان في الثامن من ذي القعدة وأن الذي مرض هي زوج المؤيد لا ابنه ، في حين أن أبا الفداء حدد تاريخ خروجه في الرابع من ذي القعدة وأن من مرض هو ابنه، والأصح ما ذكره صاحب الشأن الملك المؤيد عماد الدين في كتابه المختصر (انظر، المختصر، ج٤، ص٩٧؛ وانظر أيضاً ابن الجزري، تاريخ ابن الجزري ، ج٢، ص١٩٥).

(٣) ابن الجزري ، تاريخ ابن الجزري ، ج٢، ص٢٥٧؛ أبو الفداء ، المختصر ، ج٤، ص٩٦-٩٩؛ و جمال الدين إبراهيم بن أبي الربيع أحمد المغربي: رئيس الأطباء بالديار المصرية ، رافق الملك الناصر محمد إلى الكرك زمن اعتزاله ، ونال المكانة والمنزلة الرفيعة ، توفي في أواخر ذي القعدة بدمشق سنة ٧٥٦هـ (انظر الصفدي، أعيان النصر، ج١، ص٥٤؛ الوافي، ج٥، ص٣١٤؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١، ص١٦؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج١، ص٢٥)؛ و دار طقزدمر مطلة على بركة الفيل بالقاهرة سكنها الأمير طقزدمر الحموي الناصري الذي قدم إلى السلطان الناصر محمد من قبل الملك المؤيد عماد الدين صاحب حماة، فترقى في الرتب العسكرية حتى صار أمير مائة ومقدم ألف بالديار المصرية، ثم نقل إلى البلاد الشامية ليقاد وظائف إدارية منها نيابة حماة -كما سيأتي- أصيب بالمرض قبل وفاته سنة ٧٤٦هـ (انظر أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص٦٩-٩٧؛ الصفدي، الوافي، ج١٦، ص٤٦٥؛ ابن حبيب، تذكرة النبیه، ج٣، ص٨٠؛ المقرئ، ج٤، ص٢٩؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢، ص٣٢٦؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج٦، ص٤٢٠)؛ وسرياقوس: بلدة في نواحي القاهرة (انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٢١٨).

ولم يكن الملك المؤيد سابقاً للمشاركة في المحافل السلمية فقط ، بل كان يحاول أيضاً إثبات جدارته الحربية في المضممار العسكري بتنفيذ الأوامر السلطانية الموجهة لصد الغارات المغولية أو للقيام بحركات تأديبية ضد القوى الصليبية في الساحل، والتي سيتم إلقاء الضوء عليها في الفصل الثاني إن شاء الله.

استمر الملك الأيوبي المؤيد عماد الدين إسماعيل حاكماً على حماة حتى وفاته سنة ٧٣٢هـ / ١٣٣١م، فنصب من بعده ابنه المنصور محمداً بتوصية الأمير تنكز الذي راسل السلطان الناصر محمداً يطلب منه إقامة المنصور محمد مكان أبيه ، فأجيب إلى سؤله وطلب منه تجهيز المنصور إلى الأبواب السلطانية في القاهرة. حيث دخلها في ربيع الأول وقيل في يوم الأربعاء العاشر من ربيع الآخر من السنة ذاتها^(١)، حيث نُعتَ بالملك "الأفضل"^(٢)، وقلده السلطان الناصر محمد حماة في يوم الخميس ٢٥ ربيع الآخر^(٣)، وركب الأفضل بشعار السلطنة على فرسه، وسار بين يديه الغاشية و الحجاب وبعض الأمراء والخلة على رأسه ونشرت العصائب السلطانية حتى صعد إلى القلعة، وبانقضاء مراسم التنصيب عاد الأفضل إلى مقر مملكته حماة، ولم يكن هذا الأمر آخر العهد بالملك الأفضل في القاهرة، حيث وفد إلى الأبواب السلطانية في ١٥ رمضان من العام نفسه، وكان سبب قدومه هو رغبته في الخروج مع السلطان المملوكي الناصر محمد لأداء فريضة الحج^(٤).

(١) انظر ابن الجزري، تاريخ ابن الجزري، ج ٢، ص ٥١٨؛ ابن دقماق، الجواهر الثمين ، ص ١٦٤؛ المقريزي، السلوك ، ج ٢، ص ١٥٣؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ٩، ص ١٠٠.

(٢) ابن الجزري ، تاريخ ابن الجزري ، ج ٢، ص ٥١٩؛ الصفي ، أعيان النصر ، ج ٤، ص ٣٢٣؛ ابن حبيب ، تذكرة النبيه ، ج ٢، ص ٢٢٥؛ ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ٤، ص ٨.

(٣) ابن تغري بردي ، النجوم ، ج ٩، ص ١٠٠.

(٤) ابن الجزري، الأئس الجليل، ص ٢٥٣، ٣٤٨؛ أبو الفداء ، المختصر ، ج ٤، ص ١٠٥؛ ابن أبيك الدودار، كنز الدرر، مج ٩، ص ٣٦٤-٣٦٥؛ ابن الجزري، تاريخ ابن الجزري، ج ٢، ص ٥١٩، ٥٢٨-٥٢٩؛ ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي ، ج ٢، ص ٢٨٨؛ الذهبي، نيل العبر ، ج ٤، ص ٩١؛ ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ٤، ص ٨؛ ابن دقماق، الجواهر الثمين ، ص ٣٥٩؛ المقريزي، السلوك ، ج ٢، ص ١٥٣-١٥٤؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ٩، ص ١٠٠-١٠٢.

والذي يجدر ذكره أنه على الرغم من أن بعض المؤرخين أرجع سعي الأمير تنكز إلى تنصيب الملك الأفضل مكان أبيه على رشوة قدمتها زوجة المؤيد له ^(١) فإن الذي يبدو أن هذا ليس مبرراً كافياً لهذا العمل ، بل يمكن إرجاع ذلك إلى إدراك الأمير تنكز بأن بقاء حماة بيد البيت النقوي كفيل باستقرار الوضع داخل حماة، ناهيك عن أن الملك النقوي لم يكن ليقطع أمراً إلا بالعودة إلى تنكز .

وسرعان ما ساءت أوضاع الملك الأفضل وعلاقته بالسلطنة المملوكية التي وصفها الصفدي بقوله: "وما زال في حماة مروعاً مدة حياته تارة من جهة السلطان، وتارة من جهة تنكز، وتارة من جهة العربان، يأخذون إقطاعاته" ^(٢)، مما يعطي الانطباع عن وهن الملك الجديد ، ويحدد مكانة المملكة النقوية في السلطنة المملوكية ، وأنها هانت حتى تجرّ العربان بالاعتداء على إقطاعات الملك النقوي، وعلى الرغم من إيراد الصفدي لاسم الأمير تنكز ضمن مروعات صاحب حماة ، إلا أن المؤرخ نفسه أشاد في حديثه بجهود النائب الدمشقي تنكز لتثبيت حكم الأفضل عندما بلغه رغبة الناصر محمد لإسقاط الحكم الأيوبي في حماة ، حيث توسّط الأمير تنكز لدى السلطان الناصر محمد ورجاه الموافقة على استمرار الأفضل حاكماً على حماة .

إلا أن آمال الملك الأفضل ما لبثت أن تبددت ، إذ كان القبض على الأمير تنكز المفاجئ في عام ٧٤٠هـ / ١٣٣٩م ^(٣)، ومن ثم وفاة السلطان الناصر محمد في العام التالي، بمثابة المسمار الأخير الذي دقّ في نعش الحكم النقوي في حماة، حيث عمّد السلطان المملوكي الجديد أبو بكر بن الناصر محمد (٧٤١-٧٤٢هـ / ١٣٤٠-١٣٤١م) بتدبير أتابكه الأمير قوصون إلى عزل الملك الأفضل عن حكم

(١) المقرئزي ، السلوك ، ج٣، ص١٥٣؛ ابن تغري بردي، النجوم ، ج٩، ص١٠٠ .

(٢) الصفدي، أعيان النصر، ج٤، ص٣٢٤ .

(٣) ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي ، ج٢، ص٣١٨؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٤، ص٦٠٩؛ ابن حبيب ، تذكرة النبيه ، ج٢، ص٣٢١؛ ابن دقماق، النفحة المسكية، ص١٣٦؛ ابن تغري بردي ، المنهل ، ج٢، ص١٥٩ .

حماة وذلك سنة ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م^(١)، ولقطع أيّ أمل للبيت الأيوبي في استمراره في حكم حماة نُقلَ الأفضل إلى دمشق ، وعوض عن إقطاعاته في حماة براتب يدفع له من ريعها^(٢).

كان إنهاء الحكم النقوي في حماة سنة ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م، إيذاناً بعودتها إلى حظيرة التنظيم النيابي في السلطنة المملوكية ، وكأيّ بداية لنظام من هذا القبيل ، فقد عانت النيابة الحموية من الاضطرابات والأزمات المتلاحقة حتى تمكنت من الاستقرار الكامل ضمن منظومة الحكم النيابي لبلاد الشام، خاصة وأن الدولة المملوكية قد عانت هي الأخرى من انعدام الاستقرار الداخلي على دست السلطنة بالقاهرة بُعيد وفاة السلطان الناصر محمد بن قلاوون، مما كان له الأثر السيئ على النيابة الحموية التي تعاقب عليها خلال سنتين خمسة نواب أولهم الأمير سيف الدين طقزدمر، الذي تولى مقاليد النيابة بعد عزل الملك الأيوبي الأفضل محمد، والملاحظ هنا أن أول نائب عين على حماة بعد إنهاء الحكم النقوي كان مملوكاً لصاحب حماة الملك المؤيد ، ولعل الهدف من ذلك هو تفادي الأخطاء التي حدثت عشية حادثة الإنهاء السابقة- من قبل الأمير قراسنقر - والتي صاحبها تعدٍ ومصادرة لممتلكات أفراد البيت النقوي، إضافة إلى أن النائب الجديد لم يكن أقل شأنًا من الملك النقوي في المرتبة الوظيفية، ويعدّ هذا تصرفاً حكيماً من إدارة السلطنة المملوكية، تمكنوا خلالها من التخلص من نائب السلطنة بمصر وإنهاء الحكم الأيوبي لحماة ، وتسليم نيابة حماة إلى رجل يتمتع بخبرة كبيرة في ميادين

(١) ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج ٢، ص ٣٢٢؛ الصفي، أعيان النصر، ج ٤، ص ٣٣٤؛ ابن حبيب ، تذكرة النبيه، ج ٣، ص ٢٨؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٤، ص ٨؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٠، ص ٧٥-٧٦؛ والأمير قوصون بن عبد الله الساقى: من ممالك الناصر محمد بن قلاوون وأحد خواصه، عظم شأنه في الدولة الناصرية بعد زواجه من بنت أستاذه الناصر محمد، قتل في محبسه بالإسكندرية سنة ٧٤٢هـ- (انظر ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٣، ص ٣٤٢؛ ابن تغري بردي، الدليل، ج ٢، ص ٥٥١)؛ السلطان أبو بكر بن محمد بن قلاوون تسلطن في يوم الخميس ٢٠ ذو الحجة سنة ٧٤١هـ، بعد أبيه الناصر محمد وهو أصغر من أخيه أحمد، اغتيل في قوص بعد عزله بتكبير من قوصون الساقى سنة ٧٤٢هـ- (انظر ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج ٣، ص ٢٤-٢٥؛ الذهبي، نيول العبر، ج ٤، ص ١٢٥؛ المقرئ، السلوك، ج ٣، ص ٣٧١؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ١، ص ٤٩٤؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٠، ص ٢١-٢٢).

(٢) نقل الأفضل برتبة أمير مائة رأس ميسرة ومقدار ما حدد من راتب بلغ ألف ألف درهم، ومأتي ألف في كل سنة، ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج ٢، ص ٣٢٢؛ الذهبي، دول الإسلام، ج ٢، ص ٢٤٧؛ الصفي، أعيان النصر، ج ٤، ص ٣٢٣-٣٢٤.

الإدارة والسياسة والحرب، وهذا ما أثبتته حسن تدبير طقزدمر عشية تقلده نيابة حماة، حيث عمل على امتصاص غضب أهل حماة بتعليله أن سبب قبوله لهذه الوظيفة يعود لرجائه " أن يردها الى الأفضل مكافأة لاحسان أبيه" ^(١)، إلا أنه سرعان ما أقدم السلطان أبو بكر ابن الناصر محمد على نقل طقزدمر إلى حلب وإسناد نيابة حماة للأمير سيف الدين الحاج آل ملك مكانه ^(٢)، وعلى ما يبدو فإن عملية النقل هذه قد أوقفت بعض الوقت ^(٣) لانشغال السلطنة بحادثة عزل السلطان الناصر أحمد في أواخر سنة ٧٤٢هـ/ ١٣٤٢م، وتولي أخيه السلطان الصالح إسماعيل (٧٤٣-٧٤٦هـ/ ١٣٤٢-١٣٤٥م)، فاستمر الأمير سيف الدين طقزدمر نائباً على حماة حتى هدأت الأمور، حيث نقل بعدها إلى نيابة حلب سنة ٧٤٣هـ/ ١٣٤٣م ^(٤) وأقيم الأمير علم الدين سنجر الجاولي مقامه في نيابة حماة . ويبدو أنه أبدى مهارة فائقة في إدارته لشؤون هذه النيابة، الأمر الذي أثار إعجاب السلطان، فاستدعاه للعمل بجواره في الأراضي المصرية ^(٥) ، وآلت نيابة حماة من بعده إلى الأمير سيف الدين المارداني، في ٢٣ ربيع الأول من سنة ٧٤٣هـ/ ١٣٤٣م، ولم يطل مقامه هو الآخر في حماة حيث نقل في ٤ جمادى الآخرة من العام ذاته، إلى

(١) ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٣٢٢؛ سيتم التعرف على ما صاب دولة المماليك من فتن وقلقل عشية موت الناصر محمد في الفصل الثالث ، المبحث الثاني.

(٢) الصفدي ، تحفة نو الألباب ، ج٢، ص٢٥٥؛ المقرئزي، السلوك ، ج٣، ص٣٦٤؛ ابن تغري بردي، الدليل، ج١، ص١٥٣؛ والحاج آل ملك :نائب السلطنة بالديار المصرية له عدة مآثر من مساجد وأربطه في مكة والقاهرة، قتل بالإسكندرية سنة ٧٤٧هـ (انظر الصفدي، الوافي ، ج٩، ص٣٧٢؛ المقرئزي، المقفى، ج١، ص٢٩٤؛ ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج١، ص٤٣٩).

(٣) ابن حجر ، المصدر السابق ، ج١، ص٤٣٩؛ ابن تغري بردي ، النجوم ، ج١٠، ص٨٠.

(٤) ابن حبيب ، تنكرة النبيه ، ج٣، ص٤٠؛ المقرئزي ، السلوك ، ج٣، ص٣٧٧؛ ابن تغري بردي، المنهل ، ج٦، ص٢٤٠؛ والسلطان الناصر أحمد بن الناصر محمد بن قلاوون تجلس على تخت الحكم سنة ٧٤٢هـ، ثم خرج من القاهرة إلى الكرك اعتزالاً عن الحكم، قتل ٧٤٥هـ (انظر الذهبي، دول الإسلام ، ج٢، ص٢٤٨؛ ابن دقماق، الجواهر الثمين، ص٣٧٢؛ السنفحة المسكية، ص١٧٨؛ الملطي، نزهة الأساطين فيمن ولي مصر من السلاطين، ص٩٧)؛ والسلطان الصالح إسماعيل بن محمد بن قلاوون: تسلطن في المحرم سنة ٧٤٣هـ، وكان مشكور السيرة . توفي في ربيع الأول من سنة ٧٤٦هـ (انظر الصفدي، الوافي، ج٩، ص٢١٩؛ ابن دقماق، الجواهر الثمين، ص٣٧٥-٣٧٦؛ السيوطي، حسن المحاضر، ج٢، ص١١٧؛ الملطي، نزهة الأساطين، ص٩٨).

(٥) المقرئزي، السلوك، ج٣، ص٣٧٧؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٠، ص٨٠؛ وعلم الدين سنجر الجاولي: الأستاذدار تقلد نيابتي غزة و حماة، توفي يوم الجمعة بالقاهرة ١٩ رمضان سنة ٧٤٥هـ (انظر ابن حبيب، تنكرة النبيه، ج٣، ص٧٥؛ المقرئزي، السلوك، ج٣، ص٤٢٢؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢، ص٢٢٦).

نيابة حلب عوضاً عن نائبها طقزدمر الذي نقل بدوره إلى نيابة دمشق^(١)، وفي رجب تسلم نيابة حماة الأمير سيف الدين يلغا اليحياوي حتى ربيع الأول من سنة ٧٤٤هـ/١٣٤٤م، والذي أبدى هو الآخر نجاحاً باهراً في نيابة حماة فكافأه السلطان بنقله إلى نيابة حلب^(٢)، ثم تولى حماة من بعده الأمير طقتمر الأحمدى، ودام حكمه فيها حتى خلع السلطان الصالح سنة ٧٤٦هـ/١٣٤٥م^(٣)، وتقلد السلطنة السلطان الكامل شعبان، والذي يبدو أنه استهل حكمه بتغيير شامل لحكام النيابات وشمل ذلك نيابة حماة حيث أسندت مهامها للأمير أرسلان بصل في المحرم من سنة ٧٤٧هـ/١٣٤٦م، ويبدو بأنه عُزل وعُين مكانه الأمير أسندمر العمري في منتصف السنة^(٤).

(١) الصفي، تحفة ذوي الألباب، ج٢، ص ٢٦١؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٠، ص ٨١-٨٢؛ المنهل، ج٣، ص ٧٠؛ و الطنبغا المارداني الساقى الناصري : نال مراتب الشرف والرفعة زمن أستاذه الناصر محمد ،تقلد نيابة حلب بعد طقزدمر سنة ٧٤٤هـ، وتوفي بها سنة ٧٤٤هـ(انظر الصفي، الوافي، ج٩، ص ٣٦٤؛ ابن حجر ، الدرر الكامنة، ج١، ص ٤٣٧؛ ابن تغري بردي ، المنهل ، ج٣، ص ٦٧).

(٢) ابن حبيب، درة الأسلاك، ج٢، ورقة ١٢٨٢؛ ابن الوردى، تاريخ ابن الوردى، ج٢، ص ٣٢٥-٣٢٦؛ ذكر ابن تغري بردي أن نقل يلغا لحلب تم في ١٢ محرم سنة ٧٤٤هـ(النجوم، ج١٠، ص ٨٢-٨٧)؛ و يلغا اليحياوي(أو التجباوي) الناصري من ممالك السلطان الناصر محمد بن قلاوون، تقلد نيابة حماة ثم حلب ثم دمشق، قتل سنة ٧٤٨هـ(انظر ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٥، ص ٢١٢؛ ابن تغري بردي، الليل، ج٢، ص ٧٩٣).

(٣) ابن الوردى، تاريخ ابن الوردى، ج٢، ص ٢٣٦، ٣٣٢؛ الصفي، تحفة ذوي الألباب، ج٢، ص ٢٦١-٢٦٢؛ ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج٢، ص ١٠٤؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٠، ص ٨٧؛ و طقتمر (أو طقزدمر) الأحمدى: من ممالك السلطان الناصر محمد تولى الاستادارية في عهد الناصر أبي بكر ثم تقلد نيابة صفد ثم حماة ثم حلب وأخيراً تقلد إمرة مائة وتقدمة ألف بالديار المصرية، توفي سنة ٧٤٧هـ(انظر الصفي، الوافي، ج١٦، ص ٤٦٤؛ المقرئ، ج٤، ص ٢٧؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢، ص ٣٢٥؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج٦، ص ٤١٧).

(٤) ابن تغري بردي، النجوم، ج١٠، ص ١٢٦، ١٣٤؛ السلطان الكامل شعبان بن محمد بن قلاوون تولى مقاليد الحكم بعد أخيه الملك الصالح سنة ٧٤٦هـ، وظل في الحكم سنة ونيف، ثم خلع وقتل سنة ٧٤٧هـ(انظر ابن الوردى، تاريخ ابن الوردى، ج٢، ص ٧٩؛ الليل، ج١، ص ٣٤٤-٣٤٥؛ الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، ج١، ص ٤٣)؛ وأرسلان بصل تولى وظيفة حاجب ثاني أيام دولة الكامل شعبان، ثم نائب حماة . لم أقف على ترجمة له فيما توفر لي من المصادر اطلعت عليها تبين تاريخ وفاته ذكر عند المقرئ باسم " رسلان بصل " (انظر المقرئ، السلوك، ج٤، ص ١٢؛ ابن تغري بردي، النجوم، ص ١٠، ص ١٢٦)؛ و اسندمر العمري: تنقل بين نيابة حماة و طرابلس إلى أن سجن بالإسكندرية، وتوفي بها سنة ٧٦١هـ(انظر الصفي، الوافي، ج٩، ص ٢٤٩؛ المقرئ، ج٢، ص ١٩١؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١، ص ٤١٣؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج٢، ص ٤٤٥).

والذي يمكن استنتاجه من هذه الحوادث المتسارعة ، أن سلاطين دولة المماليك في القاهرة جعلوا من نيابات الشام ميداناً للتنافس بين من يعينونهم من أمراء عليها، بحيث يتم تنصيب الأمير في البداية نائباً على حماة ، وعندما يبدي هذا الأمير ولاءه التام لأسياده في القاهرة ، فضلاً عما يحققه من نجاح في إدارة دفعة الحكم في هذه النيابة، يكافأ في البداية بالنقل إلى نيابة حلب التي كانت -على ما يبدو- تحتل الدرجة الثانية بين النيابات الشامية . وعندما يستمر في ولاءه للسلطنة في القاهرة ونجاح إدارته في حلب يتسلم كبرى النيابات الشامية دمشق.

وعندما وصل السلطان المظفر حاجي ابن الناصر محمد (٧٤٧-٧٤٨هـ/ ١٣٤٦-١٣٤٧م)، إلى سدة الحكم في الدولة المملوكية قلّد الأمير سيف الدين أسندمر العمري نيابة حماة ، ولكنه سرعان ما نقل إلى نيابة طرابلس^(١)، فأعقبه الأمير سيف الدين طيغما المحمدي الذي استقر استاداراً في القاهرة^(٢)، فألت النيابة الحموية إلى سيف الدين قطيلجا في شوال من سنة ٧٤٧هـ/ ١٣٤٧م، حتى نقل إلى حلب نائباً بها أواخر سنة ٧٤٨هـ/ ١٣٤٨م^(٣)، وأعيد الأمير أسندمر العمري إلى نيابة حماة^(٤)، وظل قائماً على تدبير أمورها حتى خلع السلطان

(١) ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٣٣٢؛ الصفي، تحفة نو الألباب، ج٤، ص٢٦٧؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٠، ص١٥١؛ والسلطان حاجي بن محمد بن قلاوون: ولد في سنة ٧٣٢هـ، أثناء خروج الناصر محمد للحج فسمي حاجي، بوع بالسلطنة سنة ٧٤٧هـ، ثم خلع وقتل سنة ٧٤٨هـ (انظر ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٤٩٦؛ ابن تغري بردي، موارد اللطافة، ج٢، ص٨٢؛ الملطي، نزهة الأساطين، ص١٠٠).

(٢) المقرئزي، السلوك، ج٤، ص٤٠؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٠، ص١٥٥؛ وطبيغا المحمدي: من أمراء الألواف بالديار المصرية توفي ٧٧١هـ (انظر ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢، ص٣٣٣؛ ابن تغري بردي، الدليل، ج١، ص٣٧٦)؛ والإستادار: وهو يطلق على من يتولى مهمة قبض الأموال السلطانية وصرفها وفق الأوامر السلطانية (انظر العمري، مسالك الأبصار، ج٤، ص١١٨؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢٠؛ المقرئزي، المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢٢٢).

(٣) ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج٣، ص٩٣؛ المقرئزي، السلوك، ج٤، ص٤٠؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٠، ص١٥٥؛ ٢١٦؛ وقطيلجا الحموي: أصله من مماليك صاحب حماة الملك المؤيد قدمه للناصر محمد، ترقى بعد وفاة أستاذة في عدة وظائف عسكرية حتى تقلّد نيابة حماة ثم نيابة حلب، وكان سبب السيرة ذكر المقرئزي بأن وفاته كانت سنة ٧٤٥هـ، في حين أن الأقرب للصواب بأنه توفي سنة ٧٥٠هـ (انظر ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج٣، ص١٣٤؛ المقرئزي، السلوك، ج٣، ص٤٣١؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٣، ص٣٤٠؛ السخاوي، وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام، ج١، ص٥٠).

(٤) ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج٣، ص١٣٤؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج٢، ص٤٤٦؛ النجوم، ج١٠، ص٢٢٥.

المظفر حاجي وتولى من بعده السلطان حسن بن الناصر محمد (٧٤٨-٧٥٢هـ/ ١٣٤٧-١٣٥١م) فصدر مرسوم سلطاني بتعيين الأمير طنبرق في نيابة حماة عوضاً عن الأمير أسندمر العمري ، واستمر عليها حتى نقل إلى حلب على وظيفة طبخانة في ٢٧ ذي القعدة من سنة ٧٥١هـ/ ١٣٥٠م^(١) ، وفي عهد السلطان الصالح صالح (٧٥٢-٧٥٥هـ/ ١٣٥١-١٣٥٤م) تولى نيابة حماة الأمير أصلان الناصري وذلك في سنة ٧٥٢هـ/ ١٣٥١م ، بعد نقل نائبها السابق إلى حلب^(٢) ، فباشـر مهامها بعض الوقت حتى استقر الأمير أحمد الساقـي في نيابة حماة بدلاً عنه، إلا إنه لم يطل به المقام نائباً بها لعصيانـه على السلطنة وذلك في شهر رجب من سنة ٧٥٣هـ/ ١٣٥٢م^(٣)، بل أعيدت إلى الأمير طنبرق من ذات العام^(٤).

وعندما ولى السلطنة المملوكية ، السلطان المنصور محمد بن المظفر حاجي ٧٥٥-٧٦٢هـ/ ١٣٥٤-١٣٦١م ، أنعم على الأمير عز الدين أيـدمر

(١) الذهبي، ذيل العبر، ج٤، ص ١٩١؛ المقرئزي، السلوك، ج٤، ص ١٤٥؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٠، ص ٢٢٥؛ والسلطان حسن بن محمد بن قلاوون: مات مقتولاً في يوم الأربعاء سنة ٧٦٢هـ (انظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤، ص ١٠٢؛ ابن دقماق، الجواهر الثمين، ج ٢، ص ٢١٧؛ المقرئزي، المواعظ والاعتبار، ج ٢، ص ٢٤٠)؛ والأمير طنبرق : لم أقف على ترجمة له فيما توفر لي من المصادر اطلعت عليها؛ طبخانة: كلمة فارسية معناها فرقة الموسيقى السلطانية أو بيت الطبل، ويشتمل على الطبول والأبواق وكانت العادة أن تدق نوبة في كل ليلة بالقلعة، وأصل هذا النظام يعود إلى السلطان علاء الدين خوارزم شاه (محمد قنديل البقلي، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص ٢٢٨).

(٢) ابن حبيب ، تذكرة النبيه، ج ٣، ص ١٤٤؛ والسلطان الصالح صالح بن محمد بن قلاوون: ولد في ربيع الأول بقلعة الجبل سنة ٧٣٨هـ، أمه قطلو ملك ابنة الأمير تنكز نائب دمشق، تسلطن بعد أخيه حسن ، ودبر دولته الأمير طاز، ثم خلع الصالح بأخيه حسن ، وكانت وفاته بالقاهرة سنة ٧٦١هـ (انظر ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ٢، ص ٣٠٢؛ ابن تغري بردي ، موارد اللطافة ، ج ٢، ص ٨٦؛ الدليل، ج ١، ص ٣٥١)؛ وأصلان الناصري: تقلد نيابة حماة بعد تنقله في الخدم، ثم غزا سنجار سنة ٧٥١هـ، لم يذكر تاريخ وفاته (انظر ابن حبيب ، تذكرة النبيه، ج ٣، ص ١٤٤؛ ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ١، ص ٤١٧).

(٣) الصفدي، تحفة نو الألباب، ج ٢، ص ٢٨٧؛ ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج ٣، ص ١٥٩؛ المقرئزي، السلوك، ج ٤، ص ١٤٥-١٤٦؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٠، ص ٢٧٠؛ السخاوي، الذيل التام على دول الإسلام للذهبي، ج ١، ص ١٤٢-١٤٥؛ وأحمد بن بليك الساقـي التركماني: تولى أمر شاد الشراب خاناه بمصر و عين نائباً لصفـد مرتين وفي الثانية عصى فيها فقبض عليه وسجن بالإسكندرية مدة ثم أطلق وعين نائباً لحماة وشق عصى الطاعة على السلطنة وهو عليها، فقبض عليه وقتل بدمشق في المحرم سنة ٧٥٤هـ (انظر ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ١، ص ١٢٢).

(٤) المقرئزي، السلوك، ج ٤، ص ١٦٥؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٠، ص ٢٧٧.

الشيخي بنياية حماة ، واستمر بها حتى خلع السلطان من منصبه سنة ٧٦٢هـ / ١٣٦١م^(١).

ثم تربّع على عرش السلطنة في القاهرة السلطان الأشرف شعبان سنة ٧٦٤هـ / ١٣٦٣م، فولي حاجب الحجاب بدمشق الأمير عمر شاه نياية حماة ، فتقلد مهامها حتى سنة ٧٦٨هـ / ١٣٦٧م^(٢)، ثم أوكلت من بعده للأمير سيف الدين طيغنا الطويل الناصري، فباشّر حكمها، لكنه سرعان ما عُزِلَ عنها في ذات العام وطلبَ إلى القاهرة^(٣)، وأعيد الأمير سيف الدين عمر شاه الركني نائباً لحماة، فباشّر حكمها وتدير شؤونها وعلى الرغم من حسن سيرته^(٤) إلا أنها لم تشفع، في عزله عنها في العام التالي سنة ٧٦٩هـ / ١٣٦٧م^(٥)، ليعاد الأمير سيف الدين

(١) ابن تغري بردي، النجوم ، ج ١١، ص ٦، ٢٥؛ و السلطان المنصور محمد بن حاجي: من أحفاد السلطان الناصر محمد استقر في السلطنة قرابة عامين ثم خلع ، توفي سنة ٨٠١هـ، ابن تغري بردي، الدليل، ج ٢، ص ٦١١؛ موارد اللطافة، ج ٢، ص ٩٥؛ السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج ٧، ص ٢١٦؛ و أيدمر الشيخي: التركي من ممالك الناصر محمد ، تدرج في الوظائف حتى تولى إمرة تقدمة ثم ولي نياية حماة مرتين ، توفي بحلب سنة ٧٧٣هـ (انظر المقرئزي، المقفى، ج ٢، ص ٣٦٩؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ١، ص ٤٥٧؛ ابن تغري بردي، الدليل، ج ١، ص ١٦٨).

(٢) ابن تغري بردي، النجوم، ج ١١، ص ٢٥، ٤٦؛ الدليل ، ج ١، ص ٥٠٧-٥٠٨؛ و الأشرف شعبان بن حسين :تملك مصر وهو في العاشرة من عمره ، بعد عمه المنصور محمد ، وتولى تدبير دولته الأمير يلغا العمري إلى أن قتل سنة ٧٦٨هـ، فتفرّد الأشرف بأمور السلطنة من بعده حتى قتل هو الآخر سنة ٧٧٨هـ (انظر ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٤، ص ٧٣٥؛ ابن دقماق، الجوهر الثمين ، ص ٤٠٩؛ ابن حجر ، إنباء الغمر في أبناء العمر، ج ١، ص ١٤٠؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج ١، ص ٤٣؛ العصامي، سبط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ج ٤، ص ٢٧)؛ و عمر شاه الركني: قبض عليه زمن الناصر محمد ثم أطلق وأمرّ تقدمة وعمل حاجب الحجاب في دمشق ، توفي في صفر سنة ٧٧١هـ (انظر ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ٣، ص ٢٧٦؛ ابن تغري بردي، الدليل ، ج ٢، ص ١٦٨)؛ وحاجب الحجاب: رتبه عسكرية تسمى الحجوبية الكبرى، كان صاحبها يقوم مقام النائب في الولايات، كما يقوم بالنظر في مفاوضات الاجناد واختلافاتهم في أمور الاقطاعات (انظر سعيد عبد الفتاح عاشور، العصر المماليكي، ص ٤٢٩؛ محمد دهمان، معجم الالفاظ التاريخية، ص ٥٩).

(٣) ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج ٣، ص ٣٠٠؛ المقرئزي، السلوك ، ج ٤، ص ٣٠٧؛ ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج ١، ق ٢، ص ٤٣، ٦٠؛ و طيغنا الطويل الناصري حسن، توفي سنة ٧٦٩هـ (انظر ابن حجر ، الدرر الكامنة، ج ٢، ص ٣٣٢؛ ابن تغري بردي ، المنهل، ج ٧، ص ٣٦؛ الدليل، ج ١، ص ٣٧٥؛ السخاوي، وجيز الكلام، ج ١، ص ١٦٨).

(٤) ابن حجر ، الدرر الكامنة، ج ٣، ص ٢٧٦.

(٥) المقرئزي ، السلوك ، ج ٤، ص ٣٠٧، ٣١٨؛ ابن تغري بردي ، النجوم ، ج ١١، ص ٤٦، ٥١؛ الدليل ، ج ١، ص ٥٠٧؛ ابن إياس ، بدائع الزهور، ج ١، ق ٢، ص ٥٩.

يُدمر الشيخي لمنصب نيابة حماة فظل قائماً عليها حتى نقل إلى حلب عام ٧٧٣ هـ/١٣٧٠م^(١)، وولي من بعده الأمير كنجكلي^(٢).

ثم أثار السلطان الأشرف تقليد نيابة حماة للأمير سيف الدين أَلجاي اليوسيفي في المحرم من سنة ٧٧٥ هـ/١٣٧٣م، ولكنه أبى إلا بشرط أن يأخذ معه جميع ما تحت يده من ممالك وأمالك فرفض السلطان الأشرف شرطه^(٣).

وعندما خُلِعَ السلطان الأشرف شعبان، تقلد السلطنة من بعده السلطان المنصور علي في سنة (٧٧٨-٧٨٣ هـ/١٣٧٧-١٣٨١م). تعاقب على حماة عدد من النواب، كان أولهم الأمير سيف الدين تَمراز الطازي الذي تسلم مقاليد النيابة الحموية، في المحرم من عام ٧٧٩ هـ/١٣٧٧م^(٤)، ولكنه سرعان ما نقل لنيابة طرابلس في ربيع الآخر من السنة نفسها، وخلفه في نيابة حماة الأمير سيف الدين منكلي بغا الأحمدي، فباشَر أعمالها^(٥)، ويبدو بأن الأمير الحموي قد أثبت جدارته في إدارة شؤون النيابة مما دعا السلطان المنصور إلى إجراء مناقله بينه وبين

(١) المقرئزي، السلوك، ج٤، ص٣١٨؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١١، ص٥١، ٥٦؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٧٦، ص٩٥.

(٢) المقرئزي، السلوك، ج٤، ص٣٣٤؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٩٥؛ وكنجكلي: لم أف على ترجمة له فيما توفر لي من المصادر اطلعت عليها.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم، ج١١، ص١٢٩؛ أَلجاي اليوسيفي: من ممالك الملك الناصر حسن تدرج في الرتب العسكرية من أمير مائة إلى أمير جاندار ثم سجن بالإسكندرية وأطلق بعدها وولى إمرة مائة ثم الاتابكية، توفي غرقاً في مياه النيل سنة ٧٧٥ هـ (انظر ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١، ص٤٣٣؛ ابن تغري بردي، الدليل، ج١، ص١٤٨).

(٤) المقرئزي، السلوك، ج٥، ص٢٨؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١١، ص١٥٣؛ و السلطان المنصور على بن شعبان: تقلد السلطنة وعمره سبع سنوات واستمر في الحكم مدة خمس سنين وأشهر إلى أن مات سنة ٧٨٣ هـ (انظر ابن دقماق، الجواهر الثمين، ص٤٠٩؛ المقرئزي، المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢٣٩؛ ابن تغري بردي، موارد اللطافة، ج٢، ص١٠٤؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج٢، ص٢٩٥؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٥، ص٤٦٠؛ العصامي، سمط النجوم العوالي، ج٤، ص٢٨)؛ و تَمراز الطازي: تقلد إمرة طلبخاناه ثم قبض عليه سنة ٧٦٤ هـ، وبعدما أطلق سراحه، ولي حماة ومن بعدها طرابلس (انظر المقرئزي، السلوك، ج٤، ص٣٠٦، ج٥، ص٣٥).

(٥) المقرئزي، السلوك، ج٥، ص٣٥؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٢١١؛ و منكلي بغا الأحمدي البلدي: من أعيان الأمراء تولى نيابة حلب مرتين وتوفي سنة ٧٨٢ هـ (انظر ابن حجر، إنباء الغمر، ج٢، ص٤١؛ الدرر الكامنة، ج٥، ص١٣٧؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١١، ص٢٠٥؛ الدليل، ج٢، ص٧٤٤؛ السخاوي، وجيز الكلام، ج١، ص٢٥٣).

نائب طرابلس الأمير أرغون الأسعدي، وذلك في شهر شعبان من ذات العام^(١)، وقد اختلفت بعض المصادر في استمرار الأسعدي على شغل منصب النائب في حماة أو عزله عنها، وتعاقبت حركة النقل على النيابة الحموية من بعده. فيذكر البعض أنه عُزل عنها بالأمير كمشبع الحموي الذي كان يشغل وظيفة الحاجب بدمشق في عام ٧٨٠هـ / ١٣٧٨م، ويبدو أن ما أظهره الأمير كمشبعاً من حسن إدارته لنيابة حماة والتي تزامنت مع اعتقال نائب دمشق كانت سبباً في اختيار السلطان المنصور للأمير كمشبعاً لشغل منصب نيابة دمشق في ١٣ شهر جمادى الآخرة من السنة نفسها، وأما نيابة حماة فإنها أُسندت للأمير سيف الدين تمرباي الدمرداشي، ولكنه لم يكد يستقر في النيابة حتى أمر السلطان بنقله لمباشرة نيابة حلب في ذات العام ٧٨٠هـ / ١٣٧٨م، فتولّى مقاليد نيابة حماة الأمير جنتمر، ولأسباب خفية لم تفصح عنها المصادر عزل عنها - ولعل السبب يعود لكون الأمير جنتمر كان بطالاً في دمشق قبل توليته حماة، وأن السلطان أراد تجريبه في نيابة حماة لإعادة تأهيله في الوظائف العسكرية، وعندما وجد عدم نفعه بحماة عزل - واستبدل بالأمير حطط اليلغاوي في ٢٣ جمادى الأولى من سنة ٧٨١هـ / ١٣٧٩م، ولكن القدر لم يمهل في هذه النيابة فتوفي وهو قائم عليها في ذات العام، أما البعض الآخر فذكر بأن الأمير الأسعدي ظل قائماً على حكم حماة حتى عزل عنها بالأمير حطط اليلغاوي، وذلك في شعبان سنة ٧٨١هـ / ١٣٧٩م^(٢)،

(١) ابن تغري بردي، النجوم، ج ١١، ص ١٦٢؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ٢، ص ٢٢١؛ وأرغون الأسعدي: تقلد في عهد السلطان المنصور محمد منصب الدواير، ثم سجن بالإسكندرية سنة ٧٦٧هـ، ولم يدم سجنه طويلاً حيث أطلق بعدها مباشرة ورحل إلى بلاد الشام، وتقلد نيابة حماة ثم طرابلس (انظر المقرئ، السلوك، ج ٤، ص ٢٥٥، ٢٩٠، ٢٩٣، ج ٥، ص ٢٨، ٨٦).

(٢) المقرئ، السلوك، ج ٥، ص ٥١-٥٢، ٦٧؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ١١، ص ١٦٩، ٢٠١؛ الدليل، ج ٢، ص ٢٨٧؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ٢، ص ٢٣١، ٢٤٤؛ ونائب دمشق هو الأمير بيدمر الذي سجن بالإسكندرية؛ وكمشبع الحموي اليلغاوي: من ممالك صاحب حماة الأفضل قدمه للسلطان حسن بن محمد، سجن عدة مرات، وترقى في الوظائف النيابية الكبرى في الأراضي الشامية من حماة إلى طرابلس وصفد ودمشق، توفي بالقاهرة سنة ٨٠١هـ (انظر المقرئ، المقفى، ج ٥، ص ١٠؛ ابن حجر، نيل الدرر الكامنة، ص ٧٥-٧٦؛ السخاوي، وجيز الكلام، ج ١، ص ٣٤١)؛ والأمير تمرباي الدمرداشي: من أمراء الديار المصرية، ولي حماة، وكانت له موجبات عسكرية مع مملكة أرمينية الصغرى، توفي سنة ٧٨٥هـ (انظر ابن تغري بردي، المنهل، ج ٤، ص ٨٨؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج ١، ص ٨٩)؛ والأمير جنتمر: ويعرف بجنتمر أخي طاز شارك في الحركة العيسانية التي تزعمها منطاش سنة ٧٩٢هـ، في-

فتولى من بعده الأمير سيف الدين طشتمر خازندار يلبغا حتى توفي سنة ٧٨٣هـ / ١٣٨١م^(١).

وعندما تقلّد منصب السلطنة المملوكية في القاهرة السلطان الصالح أمير حاج في صفر من سنة ٧٨٣هـ / ١٣٨١م، أصدر تقليداً سلطانياً في ٣ ربيع الآخر من السنة نفسها يقضي بتعيين الأمير مأمور القلمطاوي نائباً على حماة، واستمر بها سنة كاملة حيث رقي إلى نيابة طرابلس في صفر من سنة ٧٨٤هـ / ١٣٨٢م^(٢)، فتولى مقاليد نيابة حماة بعده الأمير سيف الدين طشتمر العلاني^(٣)، و عندما تربّع السلطان الظاهر برقوق على دست السلطنة في سنة (٧٨٤-٧٩١هـ / ١٣٨٢-١٣٨٨م)^(٤)، أسندت مهام نيابة حماة للأمير صنجق الحسيني اليلبغاوي

سلطنة الظاهر برقوق الثانية (انظر ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٢، ص ٨)؛ هو حطط اليلبغاوي: من أمراء الديار المصرية، تولى نيابة إيلستين ثم حماة، توفي سنة ٧٨١هـ (انظر ابن تغري بردي، المنهل، ج ٧، ص ١٧٧؛ النجوم، ج ١١، ص ٢٠١)؛ وبطالاً: كلمة تطلق على الأمراء والجنود الذين يتم استبعادهم عن وظائف الدولة وأعمالها نتيجة لكبر السن، أو غضب السلطان فيكونون بموجبها عاطلين عن العمل (انظر زين العابدين شمس الدين نجم الدين، الوظائف العسكرية والتشكلات القتالية في العهد المملوكي والعثماني، مجلة كلية الملك خالد العسكرية، ع ٣٩، سنة ١٤١٣هـ، ص ٢٨).

(١) ابن تغري بردي، النجوم، ج ١١، ص ٢٠١، ٢٠٩؛ وطشتمر الشعباني اليلبغاوي: من ممالك يلبغا الذي عمل على تعيينه خازندار له، توفي بعيد خروجه مع العسكر الحموي المتوجه إلى عين تاب في شهر رجب سنة ٧٨٣هـ، (انظر المقريزي، السلوك، ج ٥، ص ١٣٣).

(٢) ابن تغري بردي، النجوم، ج ١١، ص ٢٠٩، ٢١٢؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ص ٢، ٢٩٠-٢٩١؛ هو السلطان الصالح أمير حاج: آخر سلاطين أسرة قلاوون، تولى الحكم بعد وفاة أخيه السلطان المنصور علي، وكان مدير دولته الأتابك برقوق العثماني، تقلد السلطنة مرتين وفي كل مرة يخلع على يد برقوق، فكان خلعه الأول سنة ٧٨٤هـ، ثم أعيد إلى الحكم مرة أخرى سنة ٧٩١هـ لكنه لم يلبث أن خلع سنة ٧٩٢هـ، توفي ٨١٤هـ (انظر ابن دقماق، الجواهر الثمين، ص ٤٥٥؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج ١، ص ٢٣٢؛ ابن تغري بردي، موارد اللطافة، ج ٢، ص ١٠٧؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج ١، ص ٢١٤)؛ و مأمور القلمطاوي: تقلد حجوبية الحجاب بمصر، ثم ناب بالكرك، ثم حماة، قتل في وقعة منطاش بحماة سنة ٧٩٢هـ (انظر ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٢، ص ١٢٢؛ الدليل، ج ٢، ص ٥٧٠).

(٣) ابن تغري بردي، النجوم، ج ١١، ص ٢١٢؛ وطشتمر العلاني الأتابكي: اختلف في تاريخ وفاته ف قيل أنه مات سنة ٧٨٤هـ، وقيل بالقدس بطالاً سنة ٧٨٦هـ (انظر ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٢، ص ٣٢١؛ إنباء الغمر، ج ٢، ص ١٧٠؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ١١، ص ٣٠٤؛ السخاوي، وجيز الكلام، ج ١، ص ٢٧١).

(٤) للتعرف على أحداث انتقال السلطنة من أسرة بني قلاوون إلى برقوق انظر محمد جمال الدين سرور، دولة بني قلاوون، ص ٦٤-٦٦؛ إبراهيم طرخان، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، ص ١-٢٥؛ و برقوق ابن الأمير انص العثماني: اليلبغاوي الجاركسي مؤسس القسم الثاني من دولة المماليك والمطلق عليها باسم دولة المماليك الجركسية، كانت سلطنته ١٦ سنة ونيف تخللها خلع دام ثمانية أشهر ونيف، توفي سنة ٨٠١هـ (انظر ابن دقماق، الجواهر الثمين، ص ٤٥٧؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج ٢، ص ٢٤٠؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج ٣، ص ٢٨٥؛ السيوطي، حسن المحاضر، ج ٢، ص ١٢٠؛ العصامي، سمط النجوم العوالي، ج ٤، ص ٣٠، ٣٢).

وذلك في جمادى الآخر من سنة ٧٨٥هـ / ١٣٨٣م، عوضاً عن الأمير يلو الذي اعتذر للسلطان عن قبول ولايتها، واستمر سنجق نائباً بحماة حتى نقل منها في المحرم سنة ٧٨٧هـ / ١٣٨٥م، إلى نيابة طرابلس^(١)، وولي نيابة حماة من بعده الأمير سودون المظفري، ولكنه لم يستقر بها طويلاً حيث رقي في شهر رجب من ذات العام إلى نيابة حلب^(٢)، وأقيم بدلاً منه في نيابة حماة الأمير سيف الدين سودون العلاني، فباشـر حكمها حتى قتل سنة ٧٨٨هـ / ١٣٨٦م، وآلت نيابة حماة للأمير سيف الدين سودون العثماني، ويبدو أنه باشر مهامها في مطلع العام التالي ٧٨٩هـ / ١٣٨٧م، ثم أصدر أمر سلطاني يقضي بتبادل الأمير سودون العثماني والأمير علاء الدين على ابن مبارك المهندار المواقع، حيث أقيم سودن العثماني على أقطاع ابن المهندار في حين عين ابن المهندار نائباً على حماة في السادس من جمادى الآخر من ذات العام^(٣)، ولم يطل مقام ابن المهندار في حماة حيث عزل عنها بالأمير كشلي القلمطاوي، وذلك في سنة ٧٩٠هـ / ١٣٨٨م، ولم يكن النائب القلمطاوي بأوفر حظاً من صاحبه، فنقل هو الآخر في شهر ذي الحجة من السنة ذاتها إلى ملطية، أما نيابة حماة فتقلدها نائبها السابق الأمير سودون العثماني

(١) المقرئزي، السلوك، ج٥، ص ١٥١؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ١١، ص ٢٣٣-٢٤١؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج ١، ص ٦٦؛ صنجق (أو سنجق) الحسيني اليلغاوي: تقلد نيابة طرابلس، ثم حماة، قتل في وقعة الناصري ومنطاش مع السلطان برقوق سنة ٧٩٣هـ (انظر ابن تغري بردي، المنهل، ج ٦، ص ٣٥١)؛ والأمير يلو: ذكر ابن إلياس بأنه تولى نيابة حماة بعد مأمور القلمطاوي، وبسبب وفاته عين صنجق نائب لحماة، وعند البحث عن صحة هذه المقولة أو عن ترجمة تؤيد وفاة المذكور في تلك السنة لم أجد (انظر ابن إلياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ٢، ص ٣٠٨، ٣٣١).

(٢) المقرئزي، السلوك، ج ٥، ص ١٧٢؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ١١، ص ٢٤١؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج ١، ص ١٠٧؛ ابن إلياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ٢، ص ٣٥٦؛ سودون المظفري: أصله من مماليك نائب حلب قتلوا بغا المظفري، تقلد نيابة حماة ثم حلب ثم الأتابكية بحلب، قتل سنة ٧٩١هـ (انظر ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج ٩، ق ١، ص ١٧٤؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج ١، ص ٣٦٨-٣٦٩؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ١١، ص ٣٨٥-٣٨٦؛ السخاوي، وجيز الكلام، ج ١، ص ٢٩٣).

(٣) المقرئزي، السلوك، ج ٥، ص ٢٨٧؛ وسودون العلاني: لا توجد له ترجمة سوى أنه تم قتله في معركة ابلسين التي دار رحاها مع التركمان سنة ٧٨٨هـ (انظر ابن حجر، أنباء الغمر، ج ٢، ص ٢٣٦؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج ٦، ص ١٦١؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج ١، ص ١٤٧؛ وسودون العثماني: تولى إمرة مائه وتقدمة ألف زمن الظاهر برقوق، توفي زمن فتنة منطاش سنة ٧٩٢هـ (انظر ابن تغري بردي، المنهل، ج ٦، ص ١٦١؛ الدليل، ج ١، ص ٣٣٣)؛ وعلي بن مبارك بن محمد بن مبارك شاه المهندار (انظر ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج ٩، ص ٨-٩، حاشية ١).

الذي باشر مهامها أواخر سنة ٧٩٠هـ/١٣٨٨م^(١)، وظل قائماً عليها إلا أن عزل السلطان برقوق عن السلطنة ونصب الملك المنصور حاجي سلطاناً على دولة المماليك سنة ٧٩١هـ/١٣٨٨م^(٢)، فخلع الأمير سيف الدين سودون العثماني من نيابة حماة^(٣)، وقلد الأمير شهاب الدين أحمد المهندار منصب نائب حماة في جمادى الآخر من سنة ٧٩١هـ/١٣٨٩م^(٤)، ثم عزل في نفس السنة واستقر نائباً على حماة من بعده الأمير سيف الدين طغتمر القبلادي، إلا أنه خلع في شوال من ذات العام^(٥)، وحل محله الأمير سيف الدين تنكز الأعور نائباً على حماة سنة ٧٩١هـ/١٣٨٨م^(٦)، فباشر مهامها حتى صدر أمر بعزله عنها واستبدل بالأمير مأمور القلمطاوي، وذلك في شهر ربيع الآخر سنة ٧٩٢هـ/١٣٩٠م^(٧)، الذي باشر مهام نيابة حماة إلى أن قتل إيان عودة السلطان المخلوع برقوق إلى حكم السلطنة سنة ٧٩٢هـ/١٣٩٢م^(٨)، ليشمل حركة التغيير التي أعقبت عودة السلطان إلى سدة الحكم نيابة حماة، فأمر السلطان بنقل الأمير دمرداش المحمدي من أتابكية

(١) ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات، ج٩، ص٣٧؛ ابن ياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٣٩١؛ وكشلي بن عبد الله القلمطاوي: قتله السلطان الظاهر برقوق في حلب سنة ٧٩٣هـ (انظر ابن تغري بردي، الليل، ج٢، ص٥٥٩)؛ وملطية: تعد من قواعد بلاد الثغور الشامية، ومدخل آسيا الصغرى، وملقى شبكة كبيرة من الطرق الهامة، وهي تقع في الجنوب عن سيواس، وفي غربي كختا (انظر القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١٣١)؛ صابر محمد دياب، المسلمون وجهادهم ضد الروم في أرمينية والثغور الجزرية والشامية خلال القرن الرابع الهجري، ص٢٨-٢٩؛ عليه عبد السميع الخبزوري، الثغور البرية الإسلامية على حدود الدولة البيزنطية، ص١٠٣ وما بعدها.

(٢) المقرئزي، المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢٣٩-٢٤٠؛ ابن تغري بردي، موارد اللطافة، ج٢، ص١١٤-١١٧؛ السيوطي، حسن المحاضر، ج٢، ص١٢٠؛ إبراهيم طرخان، مصر في عصر ممالك الجراكسة، ص١٧-٢٠.

(٣) ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات، ج٩، ص٥٥؛ الصيرفي، نزهة النفوس ، ج١، ص ١٨٧؛

(٤) ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، ج٩، ص١٠٦؛ ابن تغري بردي، النجوم ، ج١٤، ص١٣٨-١٣٩؛ وأحمد المهندار: تولى عدة وظائف قيل: أنه قتل في ذي القعدة وقيل في ذي الحجة من ٧٩٣هـ (انظر ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات ، ج٩، ص٢٤٧، ٢٧٧؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج٢، ص١٣٠؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٣٣٧).

(٥) الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٢٥٥؛ وطغتمر القبلادي: تنقل في الخدمة إلى أن أصبح من الأمراء ومقدمي الأكلوف، تولى نيابة سيس وأساء السيرة بها، فقبض عليه سنة ٧٩٤هـ (انظر ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات ، ج٩، ص٣٢٠).

(٦) ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، ج٩، ص١٤٦؛ الصيرفي ، نزهة النفوس، ج١، ص٢٥٥؛ تنكز الأعور الأشرفي: كان آخر العهد به سنة ٧٩١هـ، عندما أوقع به الملك الظاهر برقوق ويبدو بأنه قتل فيها (انظر ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، ج٩، ص ١٤٦، ١٥٨؛ ابن الصيرفي ، نزهة النفوس ، ج١، ص ٢٦٤-٢٦٥).

(٧) ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات ، ج٩، ص٢٠٥؛ ابن تغري بردي ، النجوم ، ج١٢، ص٨.

(٨) المقرئزي، السلوك، ج٥، ص٣٠٠؛ ابن تغري بردي ، النجوم، ج١٢، ص ١٦٠.

دمشق، إلى حماة ليشغل منصب النائب فيها وذلك في ذي الحجة سنة ٧٩٣هـ/ ١٣٩٠م^(١)، فاستقر بها حتى نقل إلى طرابلس، وتولّى من بعده الأمير أقبغا السلطاني في المحرم سنة ٧٩٥هـ/ ١٣٩٢م^(٢).

وعندما جلس السلطان الناصر فرج على كرسي السلطنة المملوكية في القاهرة سنة ٨٠١هـ/ ١٣٩٩م، أصدر أمراً سلطانياً في شوال قضى بإعادة الأمير دمرداش المحمدي إلى نيابة حماة، وكان يشغل منصب أتابك العساكر بحلب^(٣)، ولكنه ما لبث أن رقي لمباشرة نيابة حلب في شعبان من سنة ٨٠٢هـ/ ١٤٠٠م^(٤)، وتولّى نيابة حماة من بعده نائب ملطية الأمير سيف الدين دقماق المحمدي الذي وقع في أسر صاحب بغداد، وذلك في شهر ذي القعدة من سنة ٨٠٢هـ/ ١٤٠٠م^(٥)، مما دعا السلطان لاستبداله بالأمير عمر الهذباني الذي استقر به المقام نائباً على حماة في سنة ٨٠٣هـ/ ١٤٠١م، إلى أن خلع في شوال من ذات السنة^(٦) وعيّن بدلاً عنه الأمير يونس الحافظي، ثم عزل عنها في سنة ٨٠٤هـ/

(١) ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج ٩، ص ٢٧١؛ المقرئ، السلوك، ج ٦، ص ٣١٤؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج ١، ص ٣٣٧؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٢، ص ٣٤، ج ١٤، ص ١٣٨؛ ودمرداش المحمدي: تنقل في النيابات الشامية من حماة وحلب ودمشق، اتهم بالتواطؤ مع تيمورلنك لتسليمه قلعة حلب، سجن بالإسكندرية، ثم قتل سنة ٨١٨هـ، (انظر ابن تغري بردي، الليل، ج ٢، ص ٥٥٩؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج ٣، ص ٢١٩).

(٢) ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج ٩، ص ٣٣١؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٢، ص ٣٩؛ وأقبغا السلطاني الصغير: كان متولياً بطلخانة سنة ٧٨٩هـ، وممن أسهم في عودة الملك الظاهر برقوق إلى الحكم سنة ٧٩١هـ، وبعد عودة السلطان المذكور قلدة نيابة غزة سنة ٧٩٢هـ (انظر ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج ٩، ص ١١، ١٠٥، ١٨٨).

(٣) ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٢، ص ١٧١؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج ٢، ص ٩٩؛ وفرج ابن برقوق: تقلد السلطنة صبيحة وفاة أبيه، وتولى الأتابك إيتش تدبير دولته، دخلت البلاد في عهده موجة من الصراع الدامي بين كبار أمراء المماليك تمخّص عنها إضعاف الجبهة الداخلية وتمكين القوات التيمورية من دخول بلاد الشام، قتل في ١٦ صفر سنة ٨٠٩هـ (انظر المقرئ، المواعظ والاعتبار، ج ٢، ص ٢٤٠؛ ابن تغري بردي، موارد اللطافة، ج ٢، ص ١٢١، ١٢٧).

(٤) المقرئ، السلوك، ج ٦، ص ١٩؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٢، ص ٩٦، ج ١٤، ص ١٣٨؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج ٢، ص ٥٤-٥٥؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ٣، ص ٥٥٥.

(٥) المقرئ، السلوك، ج ٦، ص ٢٦؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٢، ص ٢١٠-٢١١؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج ٢، ص ٥٤-٥٥؛ ودقماق المحمدي: الظاهري برقوق تقلد عدة نيابات شامية أولاً حلب ثم نيابة ملطية ثم حماة ثم وقع في الأسر زمن غزو تيمور لنك لبلاد الشام، ولما أطلق تولى نيابة صفد ثم حلب فحماة، قتل بظاهر حماة سنة ٨٠٨هـ (انظر ابن حجر، ذيل الدرر الكامنة، ص ١٧٠؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج ٥، ص ٣١٠؛ الدليل، ج ١، ص ٢٩٧؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج ٣، ص ٢١٨).

(٦) ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٢، ص ٢٧٧؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ٣، ص ٦٢٩؛ وعمر الهذباني: زين الدين تقلد حجویبة حلب سنة ٨١٦هـ (انظر ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٤، ص ١٤).

١٤٠٢م، واستعيض عنه بالأمير سيف الدين قانباي الحسيني^(١). ويبدو أن الأمير يونس الحافظي أُعيد إلى نيابة حماة وظل عليها حتى عزل هو الآخر عنها في ذي الحجة من ذات العام^(٢) وحلّ محلّه الأمير سيف الدين علان جلق المؤيدي الذي تسلم مقاليد الأمور في نيابة حماة في المحرم سنة ٨٠٥هـ / ١٤٠٢م^(٣)، ولقد حظي هذا النائب بدعم ملحوظ من نائب حلب الأمير جكم بعد أن تغلب عليها سنة ٨٠٧هـ / ١٤٠٦م، والذي وافق على استمرار الأمير علان جلق على نيابة حماة^(٤).

مما أغضب إدارة السلطان فرج في مصر فدفعها -على ما يبدو- لخلع النائب المذكور وإعادة الأمير دقماق المحمدي لنيابة حماة، إلا أنه لم يستقر بها طويلاً حيث قُتل في العام التالي على يد الأمير جكم^(٥)، فنقلد الأمير دمرداش المحمدي نيابة حماة، ولكنه لم يتمكن من مباشرة أعمالها لما كان من أمر التركمان في حماة وذلك في رمضان سنة ٨٠٨هـ / ١٤٠٦م^(٦).

وفي خضم هذه الحوادث الحرجة التي مرت بها البلاد الشامية من حركات عصيان وغيرها، عمد السلطان فرج إلى الاختفاء فأجمع كبار أمراء المماليك على

(١) ابن حجر، إنباء الغمر، ج ٥، ص ١٠، ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٢، ص ٢٧٧-٢٨٤؛ وقانباي الحسيني المؤيدي شيخ: نقلد إمرة عشرة في القاهرة، ثم أتاك حماة، ثم نائب طرابلس، توفي في تجريدة سوار في ربيع الأول سنة ٨٧٢هـ، ابن تغري بردي، الدليل، ج ٢، ص ٥٣١؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج ٦، ص ١٩٦.

(٢) ابن حجر، إنباء الغمر، ج ٥، ص ٢٣؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٢، ص ٢٩٠؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج ٢، ص ١٣٣.
(٣) ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٢، ص ٢٩٠؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج ٢، ص ١٥٣؛ وعلان جلق المؤيدي شيخ: نقلد عدة وظائف في دولة الظاهر جقمق توفي بالطاعون سنة ٨٦٤هـ أما السخاوي ذكر أن وفاته كانت سنة ٨٩٤هـ، ويبدو أن هذا تصحيف من الناسخ (ابن تغري بردي، الدليل، ج ٢، ص ٤٤٤؛ السخاوي، الضوء اللامع ج ٥، ص ١٥٠).

(٤) ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٢، ص ٣١٠-٣٢٢.

(٥) المقرئزي، السلوك، ج ٦، ص ١٣٤؛ ابن تغري بردي، الدليل، ج ٢، ص ٢٩٧؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج ٢، ص ١٨٥؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ٣، ص ٧٢٤.

(٦) ويبدو أن سبب هذه الترقية يعود لنكاية الأمير العاصي جكم نائب حلب مما أثار حفيظة الأخير فبادر بتدبير مؤامرة أدت لاغتيال نائب حلب الجديد في العام التالي (انظر المقرئزي، السلوك، ج ٦، ص ١٥٧؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج ٥، ص ٢٩٨)؛ أما أمر التركمان فقد استغل ابن صاحب الباز اضطراب الأوضاع الداخلية على الأراضي الشامية بسبب ثورة نائب حلب الأمير جكم وتسلمته بها، فأغاروا على حماة وألحقوا بها أضراراً بالغة (انظر المقرئزي، السلوك، ج ٦، ص ١١٨، ١٥٧؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج ٥، ص ٢٩٧-٢٩٨؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ٣، ص ٧٠٣، ٧٤٨-٧٤٩).

سلطنة أخيه المنصور عبد العزيز مكانه سنة ٨٠٨هـ/١٤٠٦م، ثم تمكن السلطان الناصر فرج من العودة إلى الساحة السياسية سريعاً حيث خلع أخاه المنصور عبد العزيز في العام التالي، ليتقلد هو أمور السلطنة المملوكية سنة ٨٠٩هـ/١٤٠٠م^(١)، وبعودته إلى سدة الحكم أراد على ما يبدو أن يجري تغييرات في مناصب نواب الولايات الشامية، حيث قلد الأمير سيف الدين يونس الحافظي نيابة حماة، إلا أن الأمور لم تكن قد استقرت بشكل ملحوظ، ولهذا ذهب هذا النائب ضحية ذلك الفراغ الإداري؛ فعين السلطان نائباً جديداً بحماة هو الأمير زين الدين عمر الهدباني، وذلك في شهر صفر من سنة ٨١٠هـ/١٤٠٧م، إلا أن هذا النائب لم يستطع أن يضبط الأمور داخل حماة، فعزله السلطان عنها في ربيع الآخر من ذات العام، وعين الأمير سيف الدين يشبك أزدمر بدلاً عنه^(٢)، حيث أدار الأمور مدة من الزمن ثم عزل عنها، واستبدل بالأمير سيف الدين جانم حسن وذلك في مطلع سنة ٨١٢هـ/١٤٠٩م^(٣)، إلا أن مقامه لم يطل في نيابة حماة حيث عزل عنها في شهر صفر من السنة ذاتها، وعين في نيابة حماة بدلاً عنه الأمير بردك الجكمي^(٤).

(١) المقرئزي، السلوك، ج ٦، ص ١٤٨-١٤٩؛ المواعظ والاعتبار، ج ٢، ص ٢٤١؛ ابن تغري بردي، موارد اللطافة، ج ٢، ص ١٢٦-١٢٧؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج ٢، ص ٢١٣-٢١٤؛ والسلطان المنصور عبد العزيز بن برقوق: أجمع كبار أمراء الدولة المملوكية على سلطنته بعد إختفاء أخيه في شهر ربيع الأول سنة ٨٠٨هـ، ثم خلع ورحل إلى الإسكندرية ومات بها سنة ٨٠٩هـ، واتهم السلطان فرج بقتله (انظر المقرئزي، المواعظ والاعتبار، ج ٢، ص ٢٤١؛ ابن تغري بردي، موارد اللطافة، ج ٢، ص ١٢٤).

(٢) المقرئزي، السلوك، ج ٦، ص ١٧٣، ١٨٥، ١٩٣، ١٩٥؛ ابن حجر، أنباء الغمر، ج ٦، ص ٦٢؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٣، ص ٥٤، ٦٤، ٧٠؛ الدليل، ج ١، ص ٥٠٧؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج ٢، ص ٢٢٤؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ٣، ص ٧٧٣، ٧٨٧؛ ويشبك أزدمر: تولى تقدة ألف ثم رأس نوبة النوب، ثم نقل إلى الشام، فتولى نيابتي حماة ثم حلب، قتل على يد السلطان المؤيد شيخ سنة ٨١٧هـ (انظر ابن حجر، أنباء الغمر، ج ٧، ص ١٦٤؛ ابن تغري بردي، الدليل، ج ٢، ص ٧٨٦؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج ٢، ص ٣٢٢؛ السخاوي، وجيز الكلام، ج ٢، ص ٤٣٦).

(٣) المقرئزي، السلوك، ج ٦، ص ٢٢٥؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٣، ص ٨٠؛ و جانم من حسن الظاهري: تقلد نيابتي حماة وطرابلس فظلم أهلها، قتله الأمير طوغان الحسني الدودار سنة ٨١٤هـ (الصيرفي، نزهة النفوس، ج ٢، ص ٢٩٧).

(٤) المقرئزي، السلوك، ج ٦، ص ٢٣٠؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٣، ص ٧٩-٨٠؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج ٢، ص ٢٥٦؛ و بردك الجكمي العجمي: المعروف بالأعور أصله من ممالك جكم من عوض، تقلد عدة وظائف من حماة وتقدمة في دمشق، توفي سنة ٨٥٥هـ (انظر ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٥، ص ٤٣٥؛ المنهل، ج ٣، ص ٢٥٣؛ حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، ج ٢، ص ٣٤٩؛ السخاوي، التبر المسبوك في ذيل السلوك، ص ٣٥٧؛ وجيز الكلام، ج ٢، ص ٦٦٤؛ الضوء اللامع، ج ٣، ص ٧؛ ابن الحمصي، حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران، ج ١، ص ١٠٥).

وعندما دخلت الدولة المملوكية موجة أخرى من الفتن الداخلية من سنة ٨١٣-٨١٥هـ/١٤١٠-١٤١٢م، والتي انتهت بترجع السلطان المؤيد شيخ(٨١٥-٨٢٤هـ/١٤١٢-١٤٢١م) على سدة الحكم وذلك في شهر شعبان ٨١٥هـ/١٣١٢م، أبقى الأمير سيف الدين قمش نائباً على حماة، إلا أنه ما لبث أن أمر بنقله إلى نيابة طرابلس وذلك في صفر من سنة ٨١٦هـ/١٤١٣م^(١)، فقلد السلطان المؤيد شيخ نيابة حماة في جمادى الأولى للأمير تنبك البجاسي الذي استقر فيها سنة ٨١٦هـ/١٤١٣م، واستمر مقامه عليها قرابة العامين قبل أن يأمر السلطان بنقله إلى حلب ومنها إلى دمشق^(٢).

فتولّى نيابة حماة من بعده في شهر رجب من سنة ٨١٨هـ/١٤١٥م الأمير جارقطلو، واستمر يدبرها لمدة عامين ثم رقي لمباشرة نيابة حلب في رجب من سنة ٨٢٠هـ/١٤١٧م^(٣)، فتولّى نيابة حماة من بعده الأمير سيف الدين نكباي حتى جمادى الأولى سنة ٨٢١هـ/١٤١٨م^(٤)، حيث عزل عنها، واستبدل بالأمير سيف الدين شاهين الزردكاش الذي كان يشغل من قبل منصب حجوبية دمشق،

(١) ابن تغري بردي، النجوم، ج١٤، ص١٢؛ وعن الفتن التي مرت بها دولة المماليك انظر الفصل الثالث، المبحث الأول؛ والمؤيد شيخ بن عبد الله المحمودي الظاهري يعرف بالخاصكي أصله من ممالك الظاهر برقوق، تولى نيابة طرابلس ثم نيابة دمشق، أسره تيمورلنك على حلب، ولكنه نجا، تقلد السلطنة قرابة ٩ سنوات ومات سلطاناً على دولة المماليك سنة ٨٢٤هـ (انظر المقرئزي، المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢٤٢؛ العيني، السيف المهند في سيرة الملك المؤيد شيخ المحمودي؛ الحنبلي، شذارات الذهب، ج٧، ص١٦٤-١٦٥)؛ وقمّش الظاهري: قتل في ربيع الآخر سنة ٨١٧هـ (انظر ابن تغري بردي، النجوم، ج١٤، ص١، حاشية ٣).

(٢) المقرئزي، السلوك، ج٦، ص٣٦٣؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٣، ص٢٢، ٣٦؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج٧، ص١٥٥؛ العيني، عقد الجمان، حوادث ٨١٧هـ، ص٢٠٣؛ و تنبك البجاسي: تدرج في تقلد نيابات شامية من حماة وحلب ودمشق ثم عصى على السلطان الأشرف برسباي فقتله سنة ٨٢٧هـ (انظر ابن تغري بردي، النجوم، ج١٥، ص١٢٠؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص٢٦).

(٣) المقرئزي، السلوك، ج٦، ص٤٣٨-٤٤٦؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج٧، ص٢٥٥؛ العيني، عقد الجمان، حوادث ٨١٨هـ، ص٢٣٩؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٣، ص٣٨، ٥٦؛ المنهل، ج١، ص٢١٢-٢١٣؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج٢، ص٣٩٠؛ و جارقطلو الأتابكي الظاهري برقوق: تنقل في عدة وظائف إدارية، قتل في دمشق ١٩ شهر رجب من سنة ٨٣٧هـ (انظر ابن تغري بردي، المنهل، ج٤، ص٢١٢؛ السخاوي، وجيز الكلام، ج٢، ص٥٣٤).

(٤) المقرئزي، السلوك، ج٦، ص٤٤٦؛ العيني، عقد الجمان، حوادث ٨٢٠هـ، ص٢٩٤، ٣١٧؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٤، ص٥٦-٦٦؛ و نكباي الأردمر: تقلد عدة وظائف عسكرية في كل من طرسوس وحماة وحجوبية بدمشق، توفي سنة ٨٢٣هـ (انظر العيني، عقد الجمان، حوادث سنة ٨٢٣هـ؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج٢، ص٤٨٤؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج١٠، ص٢٠٤).

فأدار شؤون نيابة حماة مدة من الزمن إلى أن صدر مرسوم سلطاني قضى بنقله إلى نيابة طرابلس^(١)، وحلّ محله في نيابة حماة الأمير سيف الدين اينال الأرغزي الذي كان يشغل منصب نائب غزة ، وذلك في شهر المحرم من سنة ٨٢٣هـ/ ١٤٢٠م^(٢)، إذ استمر نائباً على حماة حتى سنة ٨٢٤هـ/ ١٤٢١م، حيث خلفه على سدة الحكم في هذه النيابة الأمير أقبلاط التمرداشي^(٣).

و عندما آلت السلطنة المملوكية إلى السلطان الظاهر ططر سنة ٨٢٤هـ/ ١٤٢١م، أصدر تقليداً سلطانياً يقضي بإعادة الأمير جارقطلو لنيابة حماة، فظل فيها حتى شهر شعبان من عام ٨٢٦هـ/ ١٤٣٣م، حيث رقاها السلطان الأشرف برسباي (٨٢٥-٨٤٢هـ/ ١٤٢٢-١٤٣٨م) إلى نيابة حلب^(٤)، وتقلد نيابة حماة من

(١) المقرئزي، السلوك، ج٦، ص٤٨٩، ج٧، ص٣-٥؛ العيني، عقد الجمان، حوادث ٨٢٢هـ، ص٣٤٢، ٣٧١؛ ابن تغري بردي، الدليل، ج١، ص٣٤٢؛ النجوم، ج١٤، ص٦٦، ٩٢؛ شاهين الظاهري، نيل الأمل في نيل الدول، ج١، ق٤، ص٥٥؛ و شاهين الزردكاش: من مقدمي الألوفا بالقاهرة، تقلد عدة وظائف عسكرية، توفي سنة ٨٤٠هـ (انظر السخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص٢٩٥).

(٢) المقرئزي، السلوك، ج٧، ص٥؛ العيني، عقد الجمان، حوادث ٨٢٣هـ، ص٣٧١، ٣٨٥؛ ابن تغري بردي، الدليل، ج١، ص١٧٣؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٥١؛ و اينال الارغزي النورزي: من ممالك نوروز الحافظي، عمل بعد أستاذة عند السلطان المؤيد شيخ، فتولى عدة نيابات شامية، ثم أمسك في دولة الأشرف برسباي، وأطلق بعدها ليتولى نيابة طرابلس ثم إمرة مائة وتقدمة ألف بالقاهرة، توفي بالقاهرة سنة ٨٢٩هـ (انظر ابن تغري بردي، المنهل، ج٢، ص٢٠٠؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٢، ص٣٢٩).

(٣) المقرئزي، السلوك، ج٧، ص٢٥؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج٢، ص٤٨٥-٤٨٦؛ و آقبلاط التمرداشي: ممر داش المحمدي، ترقى بعد أستاذة فولى حماة ثم أتابكية ثم نيابة ملطية (انظر السخاوي، الضوء اللامع، ج٢، ص٣١٨).

(٤) المقرئزي، السلوك، ج٧، ص٥١، ٨١؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٤، ص٢٠٢، ٢٥٤؛ الدليل، ج١، ص٢٣٤؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج٢، ص٥٠٩؛ ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل، ج١، ق٤، ص١٣٦؛ والظاهر ططر: من عتقاء الظاهر برقوق، كان من الموالين لحركات العصيان التي نشبت في البلاد الشامية بعد موت الظاهر برقوق، تخرج في المناصب العسكرية في دولة المؤيد حتى توفي، فأصبح مدير دولة المظفر إلى أن خلعه وتسلطن مكانه بقلعة دمشق، وما أن دخل القاهرة حتى تمكن المرض منه فلم يمهل القدر ليكمل العام على السلطنة فتوفي في ذي الحجة من سنة ٨٢٤هـ (انظر ابن حجر، إنباء الغمر، ج٣، ص٢٥٧؛ العيني، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ططر؛ ابن تغري بردي، موارد اللطافة، ج٢، ص١٤٤)؛ و الأشرف برسباي: الدقماقي الظاهري تنقل في الخدمة بعد وفاة أستاذة الظاهر برقوق حتى جلس السلطان ططر على دست السلطنة فقلده مقدمة ألف في القاهرة ولما مات ططر خلفه على دست السلطنة ابنه الصالح فأصبح برسباي هذا مدبر مملكته إلى أن خلعه وتسلطن مكانه، فتحت في عهده جزيرة قبرص وتوفي سنة ٨٤٢هـ (انظر المقرئزي، المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢٤٣؛ ابن تغري بردي، موارد اللطافة، ج٢، ص١٥١؛ السيوطي، حسن المحاضر، ج٢، ص١٢١).

بعده الأمير جلبان المؤيدي حتى شهر شعبان من سنة ٨٣٨هـ / ٤٣٥م^(١)، ثم خلفه فيها الأمير قانباي الحمزاوي الذي استمر في إدارة شؤونها إلى أن صدر قرار يقضي بنقله إلى نيابة طرابلس سنة ٨٤٢هـ / ٤٣٩م^(٢)، ويمكننا اعتبار هذه المدة التي شغل فيها الأمير جلبان المؤيدي ومن بعده الأمير قانباي الحمزاوي نيابة حماة قد جاءت مخالفة للمألوف، حيث نعمت خلالها بنوع من الاستقرار، وامتداد زمني دام حوالي ستة عشر عاماً.

ثم أسند السلطان الظاهر جقمق (٨٤٢-٨٥٧هـ / ٤٣٩-٤٥٣م)، مهام نيابة حماة إلى الأمير سيف الدين بردبك الجكمي في ذي القعدة سنة ٨٤٢هـ / ٤٣٩م، فظل بها حتى أعلن العصيان، فتركها إلى الضواحي سنة ٨٤٧هـ / ٤٤٤م^(٣)، فعُين الأمير قاقبردي بدلاً عنه في سنة ٨٤٨هـ / ٤٤٤م^(٤)، ولكنه لم يمكن من دخولها من قبل نائب حماة السابق الأمير بردبك الجكمي^(٥)، وفي رجب

(١) المقرئزي، السلوك، ج٧، ص١٨١؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٤، ص٢٥٤، ج١٥، ص٥٩؛ حوادث الدهور، ج٢، ص٥٥٢؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج٤، ص٦٧؛ ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل، ج١، ق٤، ص١٣٦؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٨٧؛ و جلبان المؤيدي : من أمراء السلطان المؤيد شيخ، وممن ترقى في عهده إلى درجات عليا من الوظائف العسكرية، و كان موت السلطان شيخ نذير شؤم عليه حيث قبض عليه بعدها وسجن، ثم أطلق في عهد السلطان ططر ، وفي عهد السلطان برسبای تقلد عدة نيابات شامية، توفي سنة ٨٥٩هـ (انظر ابن تغري بردي، المنهل، ج٤، ص٢١٣؛ السخاوي ، الضوء اللامع، ج٢، ص٧٧؛ ابن الحمصي، حوادث الزمان، ج١، ص١٣٢؛ ابن طولون، أعلام الوری بمن ولی نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، ص٧٣).

(٢) المقرئزي، السلوك، ج٧، ص٣٩٧؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٥، ص٥٩؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج٤، ص٦٦-٦٧؛ ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل، ج١، ق٤، ص٣٧٦؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص١٦١؛ ٣٥١؛ و قانباي الحمزاوي: تنقل في النيابات الشامية من حلب وحماة ودمشق، توفي سنة ٨٦٢هـ (انظر ابن تغري بردي، الدليل، ج٢، ص٥٢٩؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٦، ص١٩٥؛ ابن الحمصي، حوادث الزمان، ج١، ص١٤٤؛ ابن طولون، إعلام الوری، ص٥٣-٥٤).

(٣) المقرئزي، السلوك، ج٧، ص٣٩٧؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٥، ص٣٢٢، ٣٦٣؛ المنهل، ج٣، ص٢٤٤-٢٤٥؛ السخاوي، التبر المسبوك، ص٧-٦؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج٤، ص٦٦؛ والسلطان الظاهر جقمق: جلس على دست السلطنة بعد خلعه لسلطان العزيز يوسف ابن برسبای سنة ٨٤٢هـ، لم تخلو فترة حكمه من حركات الاضطراب والعصيان إلا أنه تمكن من قمعها، توفي سنة ٨٥٧هـ (انظر المقرئزي، المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢٤٣؛ ابن تغري بردي، موارد الطافة، ج٢، ص١٥٨؛ السيوطي، حسن المحاضر، ج٢، ص١٢١؛ العصامي، سمط النجوم العوالي، ج٤، ص٣٩).

(٤) السخاوي ، التبر المسبوك، ص٦١؛ و قاقبردي: لم أجد له ترجمة فيما توفر لي من مصادر اطلعت عليها.

(٥) ابن تغري بردي، النجوم، ج١٥، ص٣٦٣؛ حوادث الدهور، ج١، ص١٠٧؛ الدليل، ج١، ص١٨٥؛ الصيرفي ، نزهة النفوس، ج٤، ص٣٠٤؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٢٤٣؛ ابن الحمصي، حوادث الزمان، ج١، ص١٠٥.

من ذات العام قلد الأمير قانباي الأبوبكر البهلوان النيابة الحموية، إلا أنه سرعان ما رقي إلى نيابة حلب^(١). ثم أسندت نيابة حماة في سنة ٨٤٩هـ/١٤٤٥م للأمير شادبك الجكمي، ولم يقد مدة طويلة بها حيث عزل عنها في جمادى الآخرة سنة ٨٥٠هـ/١٤٤٦م^(٢)، وآلت نيابة حماة من بعده للأمير يشبك الصوفي أحد الأمراء المقدمين في حلب، ولم يلبث أن عزل هو الآخر في شهر رجب من العام التالي ٨٥١هـ/١٤٤٧م^(٣)، فتقلد نيابة حماة الأمير تتم من عبد الرزاق في ذات العام^(٤)، ثم أعقبه عليها الأمير بيغوت الأعرج - نائب صفد السابق - واستمر بها من سنة ٨٥١هـ/١٤٤٧م، حتى ربيع الأول من سنة ٨٥٥هـ/١٤٥١م^(٥)، فتولى إدارة شؤون نيابة حماة من بعده الأمير سودون الأبوبكر المؤيدي أتابك حلب حتى

- (١) ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٥، ص ٣٦٣-٣٦٤؛ وقانباي الأبوبكر البهلوان: الناصري فرج، تولى نيابة حلب بعد أن تقلد في عدة وظائف، وكانت وفاته سنة ٨٥٠هـ (انظر ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج ١، ص ١٥٩-١٦٠؛ النجوم، ج ١٥، ص ٤٦٣، ٥٢٠-٥٢١؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج ٦، ص ١٩٤؛ التبر المسبوك، ١٩٥-١٩٦؛ وجيز الكلام، ج ٢، ص ٦٢٠؛ ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل، ج ١، ق ٥، ص ٢٣١؛ ابن الحمصي، حوادث الزمان، ج ١، ص ٨١).
- (٢) ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج ٢، ص ١٠٨؛ النجوم، ج ١٥، ص ٤٦٣؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج ٤، ص ٣٠٤؛ السخاوي، التبر المسبوك، ص ١١٨؛ ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل، ج ٢، ق ٥، ص ٢٠٦، ٢٢٢؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٢، ص ٢٥٠؛ وشادبك الجكمي: أصله من ممالك جكم نائب حماة خدم بعد السلطان ططر، ثم السلطان برسباي، ثم الظاهر جقمق، تقلد عدة وظائف منها أمير طبلخانة وثاني رأس نوبة ثم نائب الرها وأمر إمرة مائة وتقدمة ألف ثم نائب حماة توفي سنة ٨٥٤هـ (انظر ابن تغري بردي، الليل، ج ٢، ص ٣٣٩؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج ٣، ص ٢٨٩).
- (٣) ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٥، ص ٤٦٣، ٣٧٨؛ حوادث الدهور، ج ١، ص ١٣٤، ١٥٣؛ السخاوي، التبر المسبوك، ص ١٤٥، ١٧٦؛ ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل، ج ٢، ق ٥، ص ٢٣٢؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٢، ص ٢٥٨؛ ويشبك جاتبك المؤيدي شيخ: يعرف بالصوفي، قضى معظم حياته في المنفى، ثم تقلد الوظائف العسكرية من أمير عشرة ثم رأس النواب ثم تقدم في حلب، ثم شغل المنصب النيابي في حماة وأخيراً طرابلس، ونفي بعدها إلى دمايط، ثم أعيد ليلي أتابكية دمشق، توفي سنة ٨٦٣هـ (انظر السخاوي، الضوء اللامع، ج ١٠، ص ٢٧٠).
- (٤) ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٥، ص ٤٦٣، ٣٧٨؛ الليل، ج ١، ص ٢٢٩؛ حوادث الدهور، ج ١، ص ١٥٣؛ السخاوي، التبر المسبوك، ص ١٧٦، ١٨٢؛ وتتم من عبد الرزاق المؤيدي شيخ: تقلد عدة وظائف إدارية ونيابات شامية، توفي سنة ٨٦٨هـ (انظر ابن تغري بردي، المنهل، ج ٣، ص ١٧٥؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج ٣، ص ٤٤٤؛ وجيز الكلام، ج ٢، ص ٧٦٤).
- (٥) ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٥، ص ٣٧٨، ٤٣٤، ٤٦٣؛ الليل، ج ١، ص ٢١٠، ٢٨٩؛ البقاعي، إظهار العصر لأسرار أهل العصر، ق ١، ص ١٤٩؛ السخاوي، التبر المسبوك، ص ١٨٢؛ وبيغوت بن عبد الله من صفر خجا المؤيدي: يعرف بالأعرج، من ممالك المؤيد شيخ عمل زمن برسباي في صعيد مصر ثم نفي إلى دمشق. ولي عدة نيابات شامية زمن جقمق، ثم عصى وعزم على ترك البلاد إلا أن الأمراء تدخلوا وأصلحوا فيما بينه وبين السلطان، ووقم إلى القاهرة وظل بها إلى أن توفي سنة ٨٥٧هـ (انظر ابن تغري بردي، المنهل، ج ٣، ص ٥٠٦؛ حوادث الدهور، ج ٢، ص ٤٧٣، ٤٧٥؛ النجوم، ج ١٦، ص ١٦٨؛ السخاوي، وجيز الكلام، ج ٢، ص ٦٨٢؛ ابن الحمصي، حوادث الزمان، ج ١، ص ١٢٣).

شهر رجب من سنة ٨٥٦هـ/٤٥٢م^(١)، حيث أسندت نيابة حماة إلى الأمير حاج اينال اليشبيكي، الذي استمر نائباً بها حتى بعد نهاية دولة السلطان الظاهر جقمق^(٢).

وقد عمد السلطان الأشرف اينال (٨٥٧-٨٦٥هـ/١٤٥٣-١٤٦١م) إلى إبقاء الأمير حاج اينال اليشبيكي على نيابة حماة حتى شهر شعبان من سنة ٨٥٩هـ/٤٥٥م^(٣)، حيث عزله وعين مكانه الأمير إياس المحمدي الطويل الذي استمر نائباً عليها حتى نقل إلى نيابة طرابلس في شهر ربيع الآخر من سنة ٨٦٣هـ/٤٥٩م^(٤)، واستقر بدلاً عنه في نيابة حماة الأمير جانبك التاجي وذلك حتى شهر رمضان من سنة ٨٦٦هـ/٤٦٢م، حيث نقل بأمر من السلطان خشقدم (٨٦٥-٨٧٢هـ/١٤٦١-١٤٦٧م) إلى نيابة حلب^(٥)، وبأشر نيابة حماة بدلاً

(١) ابن تغري بردي، الدليل، ج١، ص٣٣٥؛ المنهل، ج٣، ص٥٠٨؛ البقاعي، إظهار العصر، ق١، ص٢٢، حاشية ٣؛ السخاوي، الثبر المسبوك، ص٣٤٤؛ و سودون الأبوي بكر المويدي شيخ: ترقى بعد موت أستاذة شيخ فتقلد إمرة بحلب في دولة الظاهر جقمق ثم ناب في حماة، توفي سنة ٨٧٠هـ (انظر السخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص٢٧٦).

(٢) ابن تغري بردي، النجوم، ج١٥، ص٤٦٣، ٤٥١؛ و اينال اليشبيكي يشبك الجكمي ويعرف بحاج اينال، تقلد الوظائف العسكرية العليا بعد القبض على أستاذة فولي إمرة في دمشق ثم ناب في الكرك ومارة وطرابلس وأخيراً حلب توفي سنة ٨٦٦هـ (السخاوي، الضوء اللامع، ج٢، ص٣٣٠؛ وجيز الكلام، ج٢، ص٧٥٠).

(٣) ابن تغري بردي، النجوم، ج١٥، ص٤٥١، ٤٦٣؛ ج١٦، ص٩٢؛ حوادث الدهور، ج١، ص١٦٠؛ السخاوي، الثبر المسبوك، ص٤٢٣؛ و السلطان الأشرف اينال: من ممالك الناصر فرج تأمر زمن المظفر أحمد بن شيخ ثم أخذني الترقي في الوظائف العسكرية حتى تسلم مقاليد نيابة غزة، ثم الرها، ثم إمرة مائة وتقدمة ألف، ثم نيابة صفد إلى أن باشر الأتابكية في عهد السلطان جقمق، ثم تسلطن بعد خلعه السلطان المنصور عثمان بن جقمق في شهر ربيع الأول، ثم على دست السلطنة إلى أن خلع نفسه سنة ٨٦٥هـ (انظر المقرئزي، المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢٤٣؛ ابن تغري بردي، موارد اللطافة، ج٢، ص١٦٨؛ السيوطي، حسن المحاضر، ج٢، ص١٢١).

(٤) ابن تغري بردي، النجوم، ج١٦، ص٩٢، ١٢٨؛ البقاعي، إظهار العصر، ق٣، ص٢٤؛ ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل، ج٢، ق٦، ص٥٤؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٣٣٠، ٣٥٢؛ و إياس المحمدي الطويل: تقلد أتابكية طرابلس ثم تنقل في النيابات الشامية صفد ثم حماة ثم طرابلس قبض عليه في محرم سنة ٨٦٦هـ، لتركة قبرص دون أذن السلطان (انظر ابن تغري بردي، النجوم، ج١٦، ص٦٩، ٩٢، ١٢٨، ٢٦٤).

(٥) ابن تغري بردي، النجوم، ج١٦، ص١٢٨، ٢٦٩؛ البقاعي، إظهار العصر، ق٣، ص٢٤، ٣٠٠؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٣٥٢، ٣٩٣؛ و جانبك الجكمي التاجي المؤيدي: تقلد نيابة صفد ثم حماة وأخيراً حلب إلى أن عزل سنة ٨٦٦هـ، ثم مات بعدها (انظر السخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص٥٦؛ وجيز الكلام، ج٢، ص٧٦٤)؛ و السلطان خشقدم تدرج في تقلد الوظائف العسكرية إلى أن أصبح في رتبة مقدمة ألف في عهد الظاهر جقمق، ثم نقله الأشرف اينال إلى إمرة سلاح وفي عهد إينه المؤيد أحمد تولى أتابكية العسكر، وأخيراً تسلطن في رمضان ٨٦٥هـ، وأقام على السلطنة حتى مرض ثم توفي سنة ٨٧٢هـ (المقرئزي، المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢٤٣؛ السيوطي، حسن المحاضر، ج٢، ص١٢٢).

عنه الأمير سيف الدين جانبك الناصري الذي ناب بها إلى أن نقل لنيابة طرابلس في شهر جمادى الآخرة من سنة ٨٦٨هـ/١٤٦٤م^(١)، فتولى نيابة حماة من بعده الأمير بلاط، والذي كان يشغل نيابة صفد^(٢)، ثم تقلد نيابة حماة في ذات العام الأمير سودون الأفرم، فظل قائماً عليها حتى نقل إلى نيابة طرابلس في شهر شعبان من سنة ٨٦٩هـ/١٤٦٥م^(٣)، فعين من بعده الأمير يشبك البجاسي إلى أن انتقل إلى نيابة طرابلس في شهر صفر من سنة ٨٧١هـ/١٤٦٦م^(٤)، فتقلد نيابة حماة الأمير تتم الحسيني الذي كان يشغل منصب رأس نوبة ثاني^(٥).

وعندما استقر الظاهر أبو نصر يلباي سلطاناً على دولة المماليك (٨٧٢-٨٧٣هـ/١٤٦٧-١٤٦٨م)، عزل الأمير تتم الحسيني وعين بدلاً عنه الأمير محمد المبارك الذي كان يشغل منصب نيابة طرابلس، وذلك في نفس السنة التي ولي فيها عرش السلطنة المملوكية^(٦)، قبل أن يخرج ابن المبارك من القاهرة

(١) ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٦، ص ٢٨٥؛ البقاعي، إظهار العصر، ق ٣، ص ٣٠٠؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج ٣، ص ٦١؛ ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل، ج ٢، ق ٦، ص ١٨٦؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٢، ص ٣٩٣، ٤١٨؛ وجانبك الناصري فرج: تنقل في الخدمة بعد إستاذة، ثم قلده السلطان جقمق إمرة طبليخانة بدمشق وحاجباً ثاني ثم ناب بصند وحماة وطرابلس بالرشوة، توفي سنة ٨٦٩هـ (انظر السخاوي، الضوء اللامع، ج ٣، ص ٦١).

(٢) ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٦، ص ٢٨٥؛ ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل، ج ٢، ق ٦، ص ١٨٦؛ وآق بلاط: لم أفد على ترجمة له فيما توفر لي من المصادر اطلعت عليها.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٦، ص ٢٨٨؛ وسودون الظاهري جقمق يعرف بالأفرم تولى إمرة عشرة في عهد ابن أستاذة المنصور عثمان بن جقمق، وظل على هذه المرتبة حتى بعدما أطلق من سجنه، ثم ترقى في عهد السلطان الظاهر خشقدم إلى مرتبة خازندار ثم طبليخانة، لم ينكر تاريخ لوفاته (انظر السخاوي، الضوء اللامع، ج ٣، ص ٢٨٣).

(٤) ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٦، ص ٢٨٩، ٢٩٦؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٢، ص ٤١٨، ٤٢٩؛ ويشبك البجاسي: قلده الأشرف إينال إمرة ركب الحاج الحلبي، ثم تقبلة في عهد المؤيد وإمرة السلطان خشقدم إمرة بحلب ثم ناب في ملطية وتولى أتابكية حلب ثم نيابة حماة، توفي سنة ٧٨١هـ (انظر السخاوي، الضوء اللامع، ج ١٠، ص ٢٧٥).

(٥) ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٦، ص ٢٩٦؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٢، ص ٤٢٩، ٤٤٣؛ وتتم الحسيني الأشرفي برسباي: امتحن بالحبس بعد وفاة أستاذة، ثم أطلق وتقلد عدة وظائف من إمرة عشرة ثم رؤوس النوب ثم رأس نوبة ثاني ثم ناب في حماة، توفي سنة ٨٧٣هـ (انظر السخاوي، الضوء اللامع، ج ٣، ص ٤٥؛ وجيز الكلام، ج ١، ص ٣٤٩)؛ ورأس نوبه: تعني وظيفة رئيس الحرس (انظر أ.جي. بريل، دائرة المعارف الإسلامية، ج ٢٦، ص ٨٠٦٤).

(٦) الصيرفي، إنباء الهصر بأبناء العصر، ص ٦، ٤١؛ ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل، ج ٢، ق ٦، ص ٢٨٨؛ والسلطان يلباي: تقلد الخاصكية بعد موت أستاذة المؤيد شيخ، ثم أصبح ساقياً وأخذ في التدرج بعدها في رتب الإمارة من أمير عشرة إلى أمير طبليخانة، ثم مقدم ألف وحاجب الحجاب وأمير أخور وأخيراً أمير كبير، ثم تسلطن بعد موت السلطان خشقدم سنة ٨٧٢هـ، وخلع في العام التالي وكانت وفاته في سجنه بالإسكندرية سنة ٨٧٣هـ (انظر المقرئزي، المواعظ والاعتبار، ج ٢، ص ٢٤٣؛ ابن تغري بردي، موارد اللطافة، ج ٢، ص ١٧٧؛ العصامي، سبط النجوم العوالي، -

لمباشرة حكمه لحماة، وكان قرار عزله عنها قد صدر في شهر ربيع الأول من نفس العام عين بدلاً عنه الأمير اينال الأشقر الظاهري نائب غزة ، إلا أنه سرعان ما رقي إلى نيابة طرابلس في شهر ربيع الآخر^(١).

أما الأمير محمد بن المبارك فرشح لتقلد نيابة غزة ولكنه رفض ولايتها، ولعل رفضه كان سبباً لإعادة تقليده نيابة حماة بعد الأمير اينال الأشقر^(٢)، غير أنه لم يطل حكمه لها حيث عزل في الشهر ذاته ليعاد الأمير يشبك البجاسي لنيابة حماة^(٣)، وفي ربيع الآخر من سنة ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م، نقل السلطان سيف الدين قايتباي (٨٧٣-٩٠١هـ/ ١٤٦٨-١٤٩٥م)، النائب الحموي المذكور إلى نيابة طرابلس^(٤)، وقلد نيابة حماة للأمير بلاط الشبكي، الذي طلب إعفائه من مباشرة مهامها في جمادى الأولى من العام التالي ٨٧٥هـ/ ١٤٧٠م^(٥)، ونصب مكانه

(ج٤، ص٤٢)؛ ومحمد بن مبارك شاه الناصري الدمشقي التركماني : ويعرف بابن مبارك، تولى نيابة البيرة وحماة وطرابلس، ثم توفي سنة ٨٧٩هـ (السخاوي، الضوء اللامع، ج٨، ص٢٩٦؛ ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل، ج٢، ق٧، ص١١٢؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص١٠١).

(١) ابن تغري بردي ، النجوم ، ج١٦، ص٣٦٢-٣٦٤؛ ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل، ج٢، ق٦، ص٢٨٨؛ وأينال الأشقر الظاهري جقق: توفي في رمضان سنة ٨٧٩هـ (انظر السخاوي ، الضوء اللامع ، ج٢، ص٣٣٠، وجزء الكلام، ج٢، ص٨٦١)

(٢) ابن تغري بردي ، النجوم ، ج١٦، ص٣٦٢-٣٦٤؛ ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل، ج٢، ق٦، ص٢٩٢؛ ابن إياس، بدائع الزهور ، ج٣، ص٢٤-٢٥

(٣) الصيرفي، إنباء الهصر ، ص٤١؛ ابن إياس، بدائع الزهور ، ج٣، ص٢٥.

(٤) الصيرفي، إنباء الهصر، ص١٤٦؛ ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل، ج٢، ق٦، ص٤٠٢؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٤٠؛ والسلطان قايتباي المحمودي الظاهري: من ممالك السلطان الأشرف برسباي تدرج في الوظائف العسكرية حتى تولى أتابكية دولة الظاهر تمرغا ، الذي خلعه وتسلطن من بعده، واستقر على دست السلطنة إلى أن توفي سنة ٩٠١هـ (انظر ابن تغري بردي، موارد اللطافة، ج٢، ص١٨٥؛ السخاوي ، الضوء اللامع، ج٣، ص٣٢٤؛ السيوطي، حسن المحاضر، ج٢، ص١٢٢؛ الملطي، نزهة الأساطين، ص١٤٣-١٤٦؛ ابن طولون ، مفاهكة الخلان في حوادث الزمان تاريخ مصر والشام، ق١، ص٣؛ ابن الغزي، الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة ، ج١، ص٢٩٨).

(٥) ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل، ج٢، ق٦، ص٤٠٢، ٤٣١؛ ابن إياس ، بدائع الزهور ، ج٣، ص٤٠، ٤٥؛ وبلاط الشبكي: تمكّن من تقلد نيابة صفد مقابل مبلغاً من المال في سنة ٨٦٧هـ (انظر ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٤٠٣؛ طه تلجي الطرواته، مملكة صفد، ص٢٩٨) .

على نيابة حماة الأمير خير بك القروي، ولكنه توفي قبل أن يباشر مهامها^(١)، فكان لوفاة النائب البديل وتفاقم خطر التركمان على الحدود الحلبية ما حفز السلطان قايتباي على رفض طلب الأمير بلاط فأعيد نائباً على حماة واستمر متولياً حكمها حتى شهر رجب سنة ٨٧٨هـ/١٤٧٣م، حيث عزل بالأمير قراجا الطويل الأنثالي^(٢)، الذي طال حكمه على نيابة حماة حتى عزل عنها في سنة ٨٨٤هـ/١٤٧٩م، وأقر الأمير أزدمر بن أذربك قريب السلطان في نيابة حماة وذلك في شهر رجب من نفس العام^(٣)، وباشر أعمالها حتى قتل في صفر سنة ٨٨٥هـ/١٤٨٠م^(٤)، ثم خلفه الأمير سيف الدين حمزة بن سفلسيس نائباً على حماة فباشرها^(٥)، حتى ربيع الآخر حيث عزل عنها وعين بدلاً عنه الأمير جانم الأعرج السيفي الجداوي، واستمر قائماً على حماة حتى ذي الحجة من سنة ٨٨٦هـ/١٤٨٢م، حيث نقل إلى أتابكية دمشق^(٦)، وعين مكانه الأمير يشبك العلاني الذي كان يشغل منصب حاجب حجاب دمشق^(٧)، فظل يباشر الأمور بها حتى

(١) الصيرفي ، أنباء الهصر، ص ٢٢٥-٢٢٦، ٢٣٤؛ ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل، ج ٢، ق ٦، ص ٤٣١؛ وخير بك القروي أو القصري : تولى ولاية القاهرة ثم نيابة القلعة ثم نيابة صند ثم إمرة بطرابلس (انظر السخاوي، الضوء اللامع، مج ٢، ص ٢٠٩؛ الصيرفي ، إنباء الهصر، ص ٢٣٤، ٣٠٥؛ ابن إياس ، بدائع الزهور، ج ٣، ص ٥٤).

(٢) ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل، ج ٢، ق ٦، ص ٤٣١؛ ق ٧، ص ٨٢؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ٩٣، ١٣٢؛ وقراجا الطويل الأنثالي: سجن ثم نفاه الدودار الكبير إلى القدس نتيجة ظلمه لأهل حماة، فظل بها إلى أن توفي سنة ٨٨٥هـ (السخاوي، الضوء اللامع، ج ٦، ص ٢١٤؛ وجيز الكلام، ج ٣، ص ٩١٥؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ١٦٤، ١٥٨).

(٣) ابن إياس ، بدائع الزهور ، ج ٣، ص ١٥٨؛ و أزدمر من أذربك : تولى نيابة طرسوس، ثم سيس ، ثم حماة، ظلم وعسف أهلها فقتلته الأعراب بظاهر حماة مع أتاك حمة (انظر السخاوي، الضوء اللامع، ج ٢، ص ٢٧٤).

(٤) محمد دهمان ، العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك مع رحلة الأمير يشبك من مهدي الدودار لمحمد بن محمود الحلبي الملقب بابن أجا ، ص ١٧١؛ ابن طولون، مفاكهة الخلان، ق ١، ص ١٥٨.

(٥) السخاوي، الضوء اللامع، ج ٢، ص ٢٧٤؛ وحمزة سفلسيس: لم أجد له ذكر سوى توليه لحماة؛ (السخاوي، الضوء اللامع، ج ٢، ص ١٦٤).

(٦) السخاوي ، المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٧٤؛ ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل، ج ٢، ق ٧، ص ٢٥٨؛ ابن إياس، بدائع الزهور ، ج ٣، ص ١٦٧؛ و جانم السيفي : أستاذة جانبك الجداوي -نسبة لتوليه نيابة جدة- عرف بكتابة الخط المنسوب والفروسية، تقلد نيابة حماة بتوصية من الأمير يشبك البجاسي، توفي على منصب أمير كبير في دمشق سنة ٨٨٨هـ (انظر السخاوي، وجيز الكلام، ج ٣، ص ٩٤٧؛ ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل، ج ٢، ق ٧، ص ٢٥٨؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ٢٠٠).

(٧) ابن إياس ، بدائع الزهور ، ج ٣، ص ١٩١؛ ابن طولون، مفاكهة الخلان، ق ١، ص ٥٢؛ و يشبك العلاني (العلاني): تقلد الحجوبية الكبرى في عهد السلطان قايتباي سنة ٨٨٥هـ، واستمر على ذلك المنصب حتى نقل نائب على نيابة حماة فأقام بها إلى أن توفي (انظر ابن طولون ، مفاكهة الخلان ، ق ١، ص ٥٢).

توفي في المحرم سنة ٨٩٠هـ/١٤٨٥م^(١)، فخلفه في نيابتها منه الأمير سيباي الطيوري حاجب دمشق، وباشرها هو الآخر حتى توفي في رمضان سنة ٨٩٣هـ/١٤٨٨م^(٢)، وأعقبه عليها الأمير إينال الخسيف الأشرفي الذي استمر نائباً على حماة^(٣)، إلى أن عُزل عنها واستبدل بالأمير يشبك من حيدر وذلك في سنة ٨٩٦هـ/١٤٩١م^(٤)، فظل الأمير يشبك قائماً عليها حتى توفي في شهر ذي القعدة سنة ٨٩٩هـ/١٤٩٤م^(٥)، وتولى من بعده الأمير آقباي الطويل مباشرة نيابة حماة بعض الوقت^(٦)، حيث استبدل بالأمير سيف الدين قانصوه الشامي، الذي تسلم مقاليد النيابة الحموية في ذي الحجة من سنة ٩٠٠هـ/١٤٩٥م^(٧)، وظل يباشر الأمور بها حتى أمر السلطان محمد ابن قايتباي (٩٠١-٩٠٤هـ/١٤٩٥-١٤٩٨م) بعزله عن نيابة حماة، وأقام عليها الأمير سيف الدين أركماس سنة ٩٠٢هـ/١٤٩٥م، فباشر أعمالها حتى طلب للمثول أمام الدودار في المحرم

-
- (١) ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل، ج ٢، ق ٧، ص ٤٠٨؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ٢١٤.
- (٢) ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل، ج ٢، ق ٧، ص ٤٠٩؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ٢١٥؛ ابن طولون، مفاهكة الخلان، ق ١، ص ٦٦؛ و سيباي الظاهري جقمق الطيوري: تولى نيابة غزة ثم حجوبية دمشق، ثم نيابة حماة، توفي في شوال سنة ٨٩٣هـ (انظر السخاوي، وجيز الكلام، ج ٣، ص ١٠٦٥).
- (٣) السخاوي، وجيز الكلام، ج ٣، ص ١٠٦٥؛ الضوء اللامع، ج ٢، ص ٣٢٧؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ٢٨٤؛ وإينال الخسيف الأشرفي قايتباي: اعتقل في قلعة دمشق زمن أستاذة، ثم أطلق وتولى إمرة ميسرة بحلب، ثم أتابكية حلب، ثم نيابة صفد، ثم نيابة حماة، توفي في سنة ٨٩٨هـ (انظر السخاوي، الضوء اللامع، ج ٢، ص ٣٢٧؛ ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل، ج ٢، ق ٧، ص ٣٩٥).
- (٤) السخاوي، الذيل التام، ج ٣، ص ١٩٦؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ٣٠٤؛ ابن طولون، مفاهكة الخلان، ق ١، ص ١٤١؛ ويشبك من حيدر الأشرفي إينال: تقلد عدة وظائف عسكرية من ولاية القاهرة إلى أمرة آخور ثاني، ثم مقدم ألف، وأخيراً أصبح نائباً على حماة، توفي سنة ٨٩٩هـ (انظر السخاوي، الذيل التام، ج ٣، ص ١٩٦؛ ابن إياس بدائع الزهور، ج ٣، ص ٣٠٤؛ ابن طولون، مفاهكة الخلان، ق ١، ص ١٥٩).
- (٥) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ٣٠٤.
- (٦) السخاوي، الذيل التام، ج ٣، ص ١٧٧؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ٣٠٤-٣٠٥؛ وآقباي الظاهري خشقدم يعرف بسنق وبالطويل أيضاً، تقلد أمرة عشرة في عهد الأشرف قايتباي، ثم خرج في التجريدة العسكرية سنة ٨٩٥هـ، توفي سنة ٨٩٧هـ (انظر السخاوي الضوء اللامع، ج ٢، ص ٣١٤؛ وجيز الكلام، ج ٣، ص ١٢٩٠).
- (٧) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ٣١٣؛ وقانصوه الشامي: فرّ هارباً بعد اشتعال فتنة الأمير آقيردي سنة ٩٠٠هـ، فأطلق السلطان المملوكي خلفه من يقبض عليه (انظر ابن الحمصي، حوادث الزمان، ج ٢، ص ٣٠٤، ٣٩١).

من سنة ٩٠٣هـ/١٤٩٧م^(١)، عندها استبدل بالأمير دولتباي الذي تسلم نيابة حماة سنة ٩٠٤هـ/١٤٩٨م، واستمر عليها حتى رقي إلى نيابة حلب في المحرم من سنة ٩٠٥هـ/١٤٩٩م^(٢)، وحل مكانه الأمير يخشباي، الذي استمر نائباً على حماة حتى عصى على السلطنة فأمر السلطان بخروج الجيش المملوكي وفي معية نائب حماة الجديد الأمير قانصوه المشهور بابن سلطان جركس وذلك للقبض على الأمير الخارج على طاعته يخشباي، فوصل الأمير قانصوه دمشق في الثالث من جمادى الأولى سنة ٩٠٦هـ/١٥٠٠م^(٣)، ولكن نيابة قانصوه المشهور بابن جركس لم تدم طويلاً على حماة، حيث سرعان ما استبدل بالأمير قانصوه اليحياوي في السابع من ذات الشهر، وذلك على أثر الاضطراب الذي أصاب السلطنة بعد خلع جان بلاط تنصيب السلطان طومان باي^(٤).

(١) البصري، تاريخ ابن البصري، ص ١٩٣-١٩٤؛ النعيمي، الدارس، ج ١، ص ٦٤٥؛ ابن طولون، مفاكهة الخلان، ق ١، ص ١٨٤؛ أعلام الوري، ص ١٣٨؛ السلطان محمد ابن قايتباي: تقلد السلطنة قبل وفاة أبيه بيوم واحد ٢٧ ذي القعدة ٩٠١هـ، فظل على السلطنة حتى عزل وقتل سنة ٩٠٤هـ، وقد شهد عليه بكثرة سفكه لدماء (انظر البصري، تاريخ ابن البصري، ص ٢٣٤؛ ابن طولون، مفاكهة الخلان، ق ١، ص ٢٠٥؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ٤٠١؛ الحمصي، حوادث الزمان، ج ٢، ص ٥٨؛ الدويهي، تاريخ الأزمنة، ص ٣٧٤)؛ وأركماس: نائب في حماة، ثم حلب، ثم دمشق، وأخيراً تقلد إمرة سلاح في الديار المصرية، قتل في معركة مرج دابق سنة ٩٢٢هـ (انظر الملطي، نزهة الأساطين، ص ١٤٧-١٤٩؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٥، ص ٧١؛ ابن طولون، أعلام الوري، ص ٢٩٧).

(٢) ابن طولون، مفاكهة الخلان، ق ١، ص ٢٠٤، ٢٢٣؛ دولتباي: أخو السلطان العادل طومان باي، تقلد نيابة البيرة، ثم تشرف بإمرة الحاج الشامي، ثم تقلد نيابة حماة، ثم طرابلس، ثم حلب، ثم أعيد لنيابة طرابلس، توفي سنة ٩١٧هـ (انظر ابن طولون، مفاكهة الخلان، ق ١، ص ١٨٣، ١٩٦، ٢٠٤، ٢١٨، ٢٢٣، ٢٣٢، ٢٥٠، ٣٥٥).

(٣) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ٤٦٩؛ ابن الحمصي، حوادث الزمان، ج ٢، ص ١١٤؛ ابن طولون، مفاكهة الخلان، ق ١، ص ٢٢٩، ٢٣١؛ ابن طولون، أعلام الوري، ص ١٣٩؛ وخشباي: لم يستمر طويلاً في تقلد نيابة حماة، حيث أصدر ترسيم بنفية، ثم قلدها الحجوبية الكبرى في دمشق (انظر ابن الحمصي، حوادث الزمان، ج ٢، ص ١١٤؛ ابن طولون، أعلام الوري، ص ٢١١)؛ وقانصوه المشهور بابن سلطان جركس ويعرف باللوقة تقلد الحجوبية في دمشق سنة ٩٠٤هـ، ثم نيابة حماة كان آخر العهد به عند استقباله للسلطان الغوري في بلاد الشام الخارج لملاقات ابن عثمان على مرج دابق سنة ٩٢٢هـ (انظر ابن طولون، أعلام الوري، ص ١١١، ٢٨٥).

(٤) ابن طولون، المصدر السابق، ص ١٤١-١٤٢؛ وقانصوه اليحياوي: تقلد الحجوبية في دمشق، ثم نيابة صفد، ثم حماة، وهناك من هو على هذا المسمى وهو الأمير قانصوه اليحياوي الظاهري، وتوفي سنة ٩٠٢هـ، وعليه يسترعى الانتباه، ابن طولون، مفاكهة الخلان، ق ١، ص ١٨١، ٢٠١، ٢٠٣، ٢٦٦؛ السلطان طومان باي: تسلطن بعد ابن أخيه محمد ابن قايتباي سنة ٩٠٥هـ، ولكنه لم يدم طويلاً حيث عزل بالأمير قانصوه خمسمائة، ثم أعيد تنصيبه للسلطنة بعد مقتل السلطان الغوري سنة ٩٢٢هـ، إلا أنه قتل في العام التالي في معركة الريدانية على يد الأتراك العثمانيين-

ثم بدا للسلطان الجديد طومان باي بُعِد القبض على الأمير يخشباي تعيين الأمير سيباي الذي كان نائباً لسياس مكان الأمير قانصوه الياقوي في نيابة حماة، وعزل الأمير قانصوه الياقوي بطالاً، وكان ذلك في رجب من ذات العام^(١). وعلى ما يبدو أن هذا الأمر لم ينفذ لدخول السلطنة المملوكية في خضم ثورة جديدة تمخض عنها إسقاط سلطنة طومان باي وجلس السلطان قانصوه الغوري (٩٠٦-٩٢٢هـ/١٥٠٠-١٥١٦م)، على كرسي السلطنة، وعندما هدأت الأوضاع الداخلية لدولة المماليك نفذ السلطان قانصوه الأمر السابق، فاستقر الأمير سيف الدين سيباي في نيابة حماة وذلك ١٨ من صفر من العام التالي^(٢)، ولكنه نقل إلى نيابة حلب في شهر محرم من سنة ٩٠٨هـ/ ١٥٠٢م، وأعيد الأمير الياقوي نائباً لحماة، ولكنه لم يلبث أن نقل هو الآخر إلى أتابكية غزة وعين نائباً على حماة من بعده الأمير جانم وذلك في سنة ٩٠٨هـ/ ١٥٠٢م^(٣).

= (الملطي، نزهة الاساطين، ص ١٥٤؛ ابن طولون، متعة الأذهان من التمتع بالأقران بين تراجم الشيوخ والأقران، مج ١، ص ٣٧٩، ٣٨٨؛ عبد المنعم ماجد، طومان باي آخر سلاطين المماليك في مصر).

(١) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ٤٦٩-٤٧٠؛ ابن الحمصي، حوادث الزمان، مج ٢، ص ١١٤؛ ابن طولون، أعلام الوري، ص ١٤٨؛ و سيباي باش ممالك: تقلد نيابة حماة، ثم حلب، ثم دمشق، ثم نقل إلى مصر أميراً لسلح، وبعدها عين ملكاً للأمرء في دمشق، حرص السلطان قايتباي على مصاهرته سنة ٩٢٠هـ، قتل في معركة مرج دابق (انظر ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٤، ص ٤٠٦، ج ٥، ص ٧١؛ ابن زنبيل، آخرة المماليك أو وقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني، ص ١٠١؛ ابن طولون، أعلام الوري، ص ١٩٢، ٢٢٢؛ مفاهمة الخلان، ق ٢، ص ٢٥؛ متعة الأذهان، ج ١، ص ٣٥٤؛ الدويهي، تاريخ الأزمنة، ص ٣٩١).

(٢) ابن الحمصي، حوادث الزمان، مج ٢، ص ١٣٦؛ لتعرف على ملابسات إطاحة السلطان قانصوه الغوري بالسلطان الدولة السابق طومان باي (انظر ابن الحمصي، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٢٦؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ٤٧٥-٤٧٧)؛ و قانصوه الغوري: ولد سنة ٨٥٠هـ، تدرج في المناصب العسكرية حتى تسلط سنة ٩٠٦هـ، وظل على دست الحكم حتى قتل على يد الأتراك العثمانيين في معركة مرج دابق سنة ٩٢٢هـ (ابن الغزي، الكواكب السائرة، ج ١، ص ٢٩٥؛ ابن زنبيل، آخرة المماليك، ص ١٠٣).

(٣) عن تاريخ نقل الأمير قانصوه الياقوي لإتابكية غزة لم أتمكن من تحديدها (انظر ابن الحمصي، حوادث الزمان، مج ٢، ص ١٣٦؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٤، ص ٣٤، ٥٠)؛ وجانم بن قجماس: شارك في حركة عصيان الأمير آقبردي سنة ٩٠٣هـ، فقرر نفيه إلى القدس بطالا، ثم تقلد نيابة طرابلس وبعدها حماة (انظر ابن الحمصي، حوادث الزمان، ج ٢، ص ٨٩، ١١٦).

ثم أعيد قانصوه إليها في شوال من ذات العام /١٥٠٣م^(١)، فأقام بها حتى عين مكانه الأمير جانم نائباً على حماة وذلك في شهر ربيع الآخر من سنة ٩٠٩ هـ/١٥٠٣م^(٢)، فظل مباشراً لنياية حماة ، إلى أن عصى الأمير دولتباي نائب طرابلس فتمكن من دخول حماة بالقوة العسكرية بعد أن فر نائبها الأمير جانم إلى دمشق وذلك في سادس جمادى الآخرة من سنة ٩١٠ هـ/١٥٠٤م^(٣)، ولم يطل مقام الأمير دولتباي في حماة حيث خرج منها ليتركها دون نائب، فما كان من السلطنة المملوكية إلا أن أصدرت مرسوماً يقضي بتعيين الأمير سودون الدوداري نائباً على حماة في ذات العام^(٤)، وعلى ما يبدو بأن النياية الحموية قد استمرت في يد الأمير سودون حتى سنة ٩١٦ هـ/١٥١٠م، حيث قُلت للأمير يوسف الناصري، ولكنه سرعان ما عزل عنها في ٢١ من ذي القعدة من نفس العام، وأعيد الأمير جانم لنياية حماة ، حيث قضى بها عامين ثم عزل في ذي القعدة من سنة ٩١٨ هـ/١٥١٣م^(٥)، وتولى من بعده الأمير جان بردي الغزالي في المحرم من سنة ٩١٩ هـ/١٥١٣م، فظل قائماً على مهامها حتى سقطت الدولة المملوكية في البلاد الشامية سنة ٩٢٢ هـ/١٥١٦م^(٦).

(١) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٤، ص٥٠؛ ابن الحمصي، حوادث الزمان، ج٣، ص١٧٢؛ ابن طولون، مفاكهة الخلان، ق١، ص٢٨٢، ٢٨٦.

(٢) ابن إياس ، بدائع الزهور ، ج٤، ص٥٠، ٥٩؛ ابن طولون، أعلام الوري، ص١٨٣.

(٣) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٤، ص٥٠، ابن طولون، مفاكهة الخلان، ق١، ص٢٨٣؛ أعلام الوري، ص١٨٣، ٢٠١ (٤) ابن طولون ، مفاكهة الخلان ، ق١، ص٢٨٦؛ أعلام الوري ، ص١٨٦، ٢٠١؛ وسودون الدوداري: تقلد نياية صفد ثم حماة ثم تنقل في المناصب العسكرية العليا، قتل في معركة مرج دابق سنة ٩٢٢ هـ (أنظر ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٢٣٠، ابن طولون، أعلام الوري، ص١٥٦، ٢٩٧).

(٥) ابن الحمصي، حوادث الزمان، ج٢، ص١٩١، ٢٠٦، ٢٠٩، ٢٣٠؛ و يوسف الناصري: لم أقف على ترجمة له فيما توفر لي من المصادر اطلعت عليها.

(٦) يرد أحياناً بأسم أقبردي الغزالي، ابن إياس، بدائع الزهور، ج٥، ص٤؛ ابن الحمصي، حوادث الزمان، ج٣، ص٢٤٢؛ ابن طولون، مفاكهة الخلان، ق٢، ص٢٠، ٦٩؛ ابن زنبيل، آخرة المماليك، ص٧٩؛ وجان بردي الغزالي: تقلد منصب الحجوبية الكبرى بدمشق، ثم تدرج في تولي النيايات الشامية من صفد، ثم حماة، ثم القدس والكرك والشوبك، ثم دمشق إلى أن سقطت دولة المماليك على يد العثمانيين، فانتقل في الخدمة تحت كنف السلطان العثماني سليم الأول، حيث أعطاه نياية الشام مكافأة له على تمكنه من كسر المماليك في كل من مرج دابق والريدانية، وبعد وفاة السلطان سليم الأول وتقلد ابنه سليمان السلطنة ثار عليه وأعلن استقلاله بالشام، قتل في سنة ٩٢٧ هـ (انظر ابن الحنبلي، تاريخ أعيان حلب، ورقة ٧٧ب/٧٨؛ ابن طولون، مفاكهة الخلان، ق٢، ص١٧٧؛ ابن الحنبلي، شذرات الذهب، مج٨، ص١٩١؛ خلف الوديناني، ولاية جان بردي الغزالي على الشام (٩٢٣-٩٢٧ هـ/١٥١٧-١٥٢٠م، مجلة المؤرخ العربي، ج٦، ص١، مارس ١٩٩٨، ص٤٨٣-٤٩١).

نلاحظ مما سبق أن النيابة الحموية افتقدت للاستقرار الوظيفي المنشود لنائبيها الذي عُدَّ امتداد فترة تكليفه بمهام النيابة إلى الأكثر من العامين من الحالات الاستثنائية التي مرت بها حماة، مثل نيابة الأمير أيدير الشخي الأولى والتي أمتدت قرابة ٩ سنوات (٧٥٥-٧٦٢هـ / ١٣٥٤-١٣٦١م)، ونيابته الثانية والتي امتدت قرابة ٥ سنوات (٧٦٩-٧٧٣هـ / ١٣٦٧-١٣٧٠م)، وكذلك نيابة الأمير جليان المؤيدي التي حكم فيها حماة قرابة ١٢ سنة (٨٢٦-٨٣٨هـ / ١٤٣٣-١٤٣٥م)، ونيابة الأمير قانباي الحمزاوي والتي امتدت قرابة ٤ سنوات (٨٣٨-٨٤٢هـ / ١٤٣٥-١٤٣٩م)، وأيضاً نيابة الأمير قرجا الطويل الأنيلي الممتدة قرابة ٦ سنوات (٨٧٨-٨٨٤هـ / ١٤٧٣-١٤٧٩م)، ولعل السبب في ذلك يعود إلى الخوف العام الذي اعتري سلاطين الممالك إزاء حركات العصيان التي شهدتها الولايات الشامية المستقرة وظيفياً، وخشيتهم من احتمالية تحول النائب الحموي إلى حجرٍ يصعب تحريكه إذا ما طالت مدة تكليفه عليها، وقد أفضت تلك السياسية إلى تراجع موقع نيابة حماة بين الولايات الشامية، وهذا ما أكده ابن تغري بردي الذي سجل أول حالة نقل لنائب حموي إلى نيابة طرابلس سنة ٧٤٧هـ / ١٣٤٨م، وهو مخالف لما جرت عليه العادة من ترقية النائب الحموي إلى نيابة حلب أقرب الولايات الداخلية لحماة وأكثرها تأثر وتأثير عليها في جميع جوانبها السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية، ولم يشأ المؤرخ المملوكي حجب تفسيره لهذا التغيير الذي أرجعه إلى ما شهدته نيابة طرابلس من اتساع رقعتها، فقال: " وكانت قديماً حماة أكبر من طرابلس، فلما اتسع أعمالها صارت أكبر من حماة " (١)، وقد أيد القلقشندي ابن تغري بردي تراجع موقع ممثل النيابة الحموية في السلطنة الملوكية بقوله: " ونائبيها من أكابر الأمراء المقدمين، ولكنه في الرتبة دون نائب

(١) ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٠، ص ١٥١.

طرابلس وإن كان مساوياً له في المكاتبات من الأبواب السلطانية؛ ويظهر ذلك في كتابة المطلقات الكبار حيث يذكر نائب طرابلس قبله" (١).

وعند مراجعة ترتيب النيابات الشامية عند بعض مؤرخي القرنين التاسع والعاشر الهجريين نجد دليلاً آخر يوضح ما آلت إليه النيابة الحموية من تراجع في حين كانت تتقدم على نيابة طرابلس في بعض مصنفات القرن الثامن الهجري (٢)، غير أن هذا التراجع لم يحجب الضوء عن دور نيابة حماة الريادي في انتاج النواب الجديرين لتسير دفة النيابة الحلبية والنيابة الطرابلسية فيما بعد.

وكما وجدت الاستثناءات في الفترات الزمنية التي شغلها النائب الحموي لحكم حماة، كذلك وجدت الاستثناءات في حركة النقل حيث لم تقتصر عملية الترقية الوظيفية لنائب الحموي لشغل نيابتي حلب أو طرابلس بل تعدتها إلى شغل مناصب عليا في السلطنة إما في الديار المصرية مثل الأمير سنجر الجاولي ٧٤٣ هـ/١٣٤٣م، أو في نيابة دمشق مثل الأمير كمشبع الحموي الذي نقل لتقلد نيابته سنة ٧٨٠ هـ/١٣٧٨م، ويبدو أن هذه الترقيات لا يكتسبها النائب الحموي إلا إذا أثبت جدارته في إدارة حماة، أما إذا أخفق النائب الحموي في تنفيذ المهام الملقاة على عاتقه فإنه ينقل إلى مرتبة وظيفية أقل شأنًا، مثلما حدث للأمير اسندمر العمري الذي نقل لشغل طبخانة في نيابة حلب سنة ٧٤٨ هـ/١٣٤٧م، وكذلك

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٢٣٨؛ انظر أيضاً ابن ناظر الجيش، تنقيف التعريف، ص ١١٣-١١٤؛ وقد زاد غرس الدين الظاهري فقال: "والخامسة المملكة الحماوية وكان كافلها قديماً في النظام قريباً من كافل طرابلس وأما الآن فدون ذلك بشيء لا يقاس" (انظر، زبدة كشف الممالك، ص ١٣٣)؛ والمطلقات الكبرى: وهي ما يكتب إلى النواب السبعة ما عدا سيس وتكون مرتبة حسب رفعة النيابة (انظر ابن ناظر الجيش، تنقيف التعريف، ص ١١٣)؛ والمقدمين: يراد بهم مقدمي الألف، وهي أعلا الرتب العسكرية في السلم الوظيفي لدولة المماليك، وكانت تسند إلى أصحابها مهام النيابات وأهم الوظائف في الدولة، وهم مقدمون على ألف فارس ممن دونهم من الأمراء (القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ١٤).

(٢) ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ج ٤، ص ١٩٥؛ ابن ناظر الجيش، التنقيف بالتعريف، ص ٩٣-٩٤؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٢٣٧؛ ابن شحنة، الدر المنتخب، ص ٢٥٨؛ وقد أرجع ابن كنان سبب تقدم نيابة حماة على نيابة طرابلس، بأنه من باب أولويتها في دخولها الإسلام وليس من باب موقعها بين نيابات الدولة المملوكية (انظر، المواكب الإسلامية، ق ٢، ص ١٠٧).

الأمير كشلي القلمطاوي الذي نقل لشغل منصب نائب نيابة ملطية في سنة ٧٩٠ هـ/١٣٨٨ م ، والأمير قانصوة اليحياوي الذي نقل لشغل منصب أتابكية غزة في سنة ٩٠٩ هـ/١٥٠٣ م.

أما عن الوظائف التي كان يخول لصاحبها الترفع لشغل نيابة حماة فهي أتابك دمشق مثل الأمير دمرداش المحمدي الذي نقل لنيابة حماة سنة ٧٩٣ هـ/١٣٩٠ م، وحاجب دمشق مثل الأمير شاهين الزدكاش ٨٢١ هـ/١٤١٨ م، وأتابك حلب مثل الأمير دمرداش المحمدي ٨٠١ هـ/١٣٩٩ م، والأمير سودون الأبو بكر المؤيدي ٨٥٥ هـ/١٤٥١ م، ونائب نيابة غزة مثل الأمير انيال الارغزي ٨٢٣ هـ/١٤٢٠ م، والأمير انيال الأشقر ٨٧٢ هـ/١٤٦٧ م.

حدود نيابة حماة وطبيعتها الجغرافية:

ذكر شيخ الربوة أن نيابة حماة تعد النيابة الرابعة ضمن منظومة الولايات الشامية الثمان، ولم يذكر من أعمالها بعرين وسلمية^(١)، وهو بهذا قد جعلها في المرتبة الرابعة بعد دمشق وحلب وطرابلس، أما العمري فقد ذكرها في التعريف على أنها النيابة الثالثة إذ جعلها بعد دمشق وحلب^(٢)، أما في كتابه مسالك الأبصار فقد عدها بعد دمشق مباشرة^(٣)، وقد قسم القلقشندي حديثه عن نيابة حماة إلى قسمين، ضمّن القسم الأول وصفاً شاملاً لمدينة حماة حاضرة النيابة حيث

(١) شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص ٢٧٤؛ وانظر أيضاً ابن الشحنة، الدر المنتخب، ص ٢٥٨؛ وسلمية: هي بلدة في ناحية البرية قيل بأن سبب تسميتها يعود إلى سكنى مائة ممن نجوا من أهل المؤتلفة من عذاب الله ﷻ فيها، فسميت سلم مائة، ثم حرف الناس اسمها فقالوا سلمية (انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٤٠؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ٢٦٤-٢٦٥).

(٢) العمري، التعريف بالمصطلح الشريف، ص ٢٣٥.

(٣) العمري، مسالك الأبصار، ج ٤، ص ١٩٥.

وصفها بأنها "مدينة أزلية قديمة"^(١)، تقع في الإقليم الرابع بين حمص وقنسرين، طولها إحدى وستون درجة وخمس وأربعون دقيقة، وعرضها أربع وثلاثون درجة وأربعون دقيقة، أما القسم الثاني فقد تناول فيه حدود نيابة حماة وأعمالها^(٢)، وقد ذكر العمري "حدّها من القبلة مدينة الرستن وما سامتها آخذاً ما بين سلمية وقبة ملاعب إلى حيث مجرى النهر"^(٣) والآثار القديمة؛ وحدّها من الشرق البر آخذاً على سلمية إلى ما استقلّ عن قبة الملاعب؛ وحدّها من الشمال آخر حد المعرة من انقرا^(٤)؛ وحدّها من الغرب مضافات مصياف وقلاع الدعوة، وقد ذكر من أعمالها عمل برها- ولعل المقصود به ظاهرها وما حولها من البراري- وعمل بارين وعمل المعرة^(٥).

وشملت هذه المدينة قرى تابعة لها منها سويين^(٦)، ومعر كبة ، ومعر زبود في لحف قرن حماة الشمالي^(٧). وعليه فإنه يمكن تحديد موقع نيابة حماة وفق خطوط العرض والطول على الوجه التقريبي فيما بين خطي عرض ٣٤, ١٠

(١) القلقشندي ، صبح الأعشى، ج ٤، ص ١٣٩؛ تعتبر حماة من المدن الضاربة بجنورها في أعماق التاريخ، وقيل بأن الذي بناها هو حمث بن كنعان بن حام بن نوح الذي سكنت نريته بلاد الشام بعد أن نزحوا من العراق لتهديد ملوك بابل لهم، فانقسموا بدخولهم إليها لأربع فرق عرفت أكبرها باسم "الحثيين"، الذين نزلوا على وادي نهر العاصي، وقد امتازوا بقوتهم وكثرة رجالهم، لذلك ورد ذكرها في التوراة بـ"حمث الكبرى"، كما عرفت في اللغة الأرامية بـ"حمات"، والسريانية "حمث وحما"، وقيل بأن حمث تعني الحصن، وفي العبرية "حم"، كما عرفت عند السلوقيين بـ"أبيفانيا" نسبة إلى الملك السلوقي أنطيوخوس أبيفانيوس (انظر أحمد الصابوني، تاريخ حماة، ص ٥؛ أحمد غسان سبانو، مملكة حماة الأيوبية، ص ٢٣-٢٤؛ متعب القناني، مملكة حماة في العصر الأيوبي، ص ٢؛ محمد أبو المحاسن عصفور، معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص ٣١٤؛ يحيى شامي، موسوعة المدن العربية الإسلامية، ص ٥٥؛ مصطفى أطلاس، المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري، ج ٣، ص ١٢٧؛ أ.هـ.م جونز، بحوث في تاريخ بلاد الشام مدن بلاد الشام حين كانت ولاية رومانية، ص ١٢؛ السير ١٠ هامرن ، تاريخ العام، مج ٢، ص ٢٤؛ مورييس كروزيه، تاريخ الحضارات العام، ج ١، ص ٢٠٣-٢٠٤؛ ممدوح الزوابي، نواخير حماة أوابد تشهد على ازدهار هذه المدينة، مجلة القافلة صفر ١٤١٥هـ، يولية/ أغسطس ١٩٩٤م، ص ٢٤؛ رفاه محمد كامل، حماة مدينة الآثار، مجلة الفيصل، ع ٢١٨، شعبان ١٤١٥هـ-يناير ١٩٩٥، ص ٨).

(٢) القلقشندي ، صبح الأعشى، ج ٤، ص ١٣٩-١٤١.

(٣) نهر العاصي، العمري، التعريف، ص ٢٣٥، حاشية ١؛ والرستن: بليدة قديمة على نهر العاصي(انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٤٣).

(٤) ذكرت عند القلقشندي بـ"العرايا" (انظر صبح الأعشى، ج ٤، ص ١٤١).

(٥) العمري، التعريف، ص ٢٣٥؛ انظر أيضاً القلقشندي، صبح الأعشى ، ج ٤، ص ١٤١.

(٦) البقاعي، إظهار العصر، ق ١، ص ١٤٨؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج ٦، ص ٢٠٩.

(٧) ياقوت الحموي، المشترك وضعاً، ص ٤٠١.

٥٠، ٣٥ شمالاً، و بين خطي طول ٣٦,١٠ - ٣٨, ٢٠ شرقاً^(١)، وقد صنف بعض الجغرافيين الإسلاميين موقع حماة ضمن الإقليم الرابع الذي يتوسط أقاليم الأرض السبعة، ويتميز بنقاء هوائه، وعذوبة مائه^(٢)، والواقع أن هذا التميز، يعود إلى الموقع الجغرافي الهام الذي تمتعت به نيابة حماة، والذي تمثل في تباين الطبيعة الجغرافية التي حوتها هذه النيابة ما بين مرتفعات جبلية، وهضاب وتلال وسهول زراعية، حيث وصف الجغرافي المعاصر شيخ الربوة حماة بأنها " مدينة حسنة خصبة كثيرة الخير والأرزاق، يحوطها النهر العاصي ويأتيها جارياً من بين جانبيها، ويجمع بين الجانبين قنطرة، وعلى العاصي النواعير الكبار التي لم يرَ في الآفاق مثلهن، يحملن من العاصي أنهاراً من الماء يسقون به البساتين والأماكن"^(٣).

ومن أبرز الجبال التي عرفت بها نيابة حماة في المصادر التاريخية، ما كان يعرف بقرون حماة، وهو عبارة عن جبلين متقابلين يشرفان على حماة ونهر العاصي، وقد سميت بذلك لاستدلال من رآهما من الجهة الشمالية أو الجنوبية بأنه قد دنا من حماة^(٤)، ويطلق القرن الشمالي من قرون حماة على جبل زين العابدين^(٥)، الذي يصل ارتفاعه إلى ٦٧٢م، وهذا الجبل يدخل ضمن سلسلة جبلية تعرف باسم جبال العلا التي تبعد عن حماة باتجاه الشمال بحوالي ٧كم، ويلي الجبل السابق إلى الشرق جبل كفر راع، وارتفاعه ٦٤٨م، وفي شرقها جبل كاسون، وارتفاعه ٥٨٧م، وهو إلى الشمال من عين قصارين بحوالي ٥كم^(٦)، وأما القرن الجنوبي فيطلق على جبل الأربعين، ويبعد عن حماة من جهة الجنوب ٣ أميال^(٧)، ويبلغ ارتفاعه ٦٩٥م، وتحيط بنيابة حماة بعض الهضاب والتلال

(١) على موسى و آخرون، محافظة حماة دراسة طبيعة تاريخية بشرية اقتصادية، ص ٥.

(٢) متعب القناني، مملكة حماة في العصر الأيوبي، ص ٢.

(٣) شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص ٢٧٤.

(٤) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٠٠.

(٥) أحمد الصابوني، تاريخ حماة، ص ٢٣، حاشية ١، ص ٥٩.

(٦) على موسى وآخرون، محافظة حماة، ص ٢١-٢٢.

(٧) أحمد الصابوني، تاريخ حماة، ص ٢٣، حاشية ١، ص ٥٩.

المتفرقة التي قد يخترق أراضيها بعضاً منها، ومنها هضبة العاليا، التي يصل متوسط ارتفاعها بين ٣٧٥-٤٢٥م، وإضافةً إلى تلك التلال توجد مجموعات من التلال على يسار وادي نهر العاصي قبيل دخوله حماة، وأخيراً السهل الداخلي الذي يمتد على طول نهر العاصي، ويعرف بسهل وادي العاصي، ويأخذ شكل شريط ضيق في بعض الأماكن، ويتسع في بعضها الآخر، ويبلغ متوسط اتساع سهول وادي العاصي في بعض القطاعات ما بين ١٠٠٠-١٥٠٠م، ثم يتقلص في بعضها الآخر حتى لا يكاد يكون عرضه سوى بضعة أمتار^(١).

وأما مصادر المياه في نيابة حماة، فأهمها نهر العاصي، وقد ذكر ابن الشحنة بأن " له أسماء بحسب الأماكن التي يمر عليها، فيقال له في الأول من جهة بعلبك الميماس. فإذا وصل إلى حماة قيل له العاصي، فإذا صار إلى انطاكية قيل له الأرند"^(٢)، وعلل بعضهم سبب تسميته بالعاصي عند مروره بحماة لاستعصاء أخذ مائه بغير النوايعر^(٣)، وقيل أيضاً لجريانه باتجاه الشمال على خلاف أنهار بلاد الشام الجارية نحو الجنوب^(٤)، وقد اكتسب بهذه الصفة تسمية أخرى فعرف بالنهر المقلوب^(٥)، وينبع نهر العاصي من قرية تسمى اللبوة، وهي من ضمن قرى بعلبك، ويأخذ في الجريان نحو الشمال مخترقاً بعض أعمال نيابة دمشق إلى أن يصب في بحيرة قدس، ثم يخرج منها مواصلاً سيره فيجتاز حمص والرسن، إلى أن يخترق أراضي نيابة حماة، فيمر بقاعدة النيابة ويقسمها شطرين، ثم يكمل سيره إلى أن يصل شيزر ومنها يصب في بحيرة أفامية، ويجري بعدها

(١) على موسى وآخرون، محافظة حماة، ص ٢٢، ٢٧-٢٨، ٣٠-٣١.

(٢) ابن شحنة، الدر المنتخب، ص ١٧٥-١٧٦؛ انظر أيضاً ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٦٧-٦٨؛ والأرند: تعريباً للاسم الذي كان يطلق على النهر في العهد الروماني " أورانش" (انظر ممدوح الزوابي، نوايعر حماة أوبد تشهد على ازدهار هذه المدينة، ص ٢٥).

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٨٠؛ أحمد الصابوني، تاريخ حماة، ص ٦١؛ حماد السالمي، أوراق الأوراق عجائب وغرائب من تراثنا حلب وحمص وحماة، مجلة المنهل، ع ٥٠١، ص ٥٤، رجب ١٤١٣ - يناير ١٩٩٣م، ص ٢٦.

(٤) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٦٧-٦٨؛ ابن الوردي، خريدة العصر، ص ١٣٩.

(٥) أحمد الصابوني، تاريخ حماة، ص ٦١؛ متعب القمامي، مملكة حماة في العصر الأيوبي، ص ٢؛ انظر أيضاً ممدوح الزوابي، نوايعر حماة أوبد تشهد على ازدهار هذه المدينة، ص ٢٥.

إلى الشمال حتى يصل جسر الحديد، فيستدير مجراه إلى جهة الجنوب الغربي، فيمر بانطاكية، ثم يكمل سيره إلى أن يصب في بحر الشام^(١). ولم تكن نيابة حماة بمعزل عن ما مرت به البلاد الشامية من كوارث طبيعية، تصدرت قائمتها الأمطار التي كانت تهطل مصحوبة بزخات البرد المتنوعة الحجم، وما أعقبها من سيول و فيضانات^(٢)، كان لها أثارها المتفاوتة على هذه النيابة^(٣).

أعمال نيابة حماة:

١- عمل معرة النعمان:

سبقت الإشارة إلى أن العمري عد في كتابه التعريف معرة النعمان عملاً من أعمال حماة، في حين أهمل ذكرها شيخ الربوة، ويبدو أن عدم ذكرها من هذا الأخير يعود إلى أنها خرجت عن نطاق نيابة حماة في سنة ٧١٣هـ/ ١٣١٣م^(٤)، ثم أعيدت إليها في سنة ٧١٦هـ/ ١٣١٦م^(٥)، والمعرة مدينة جليلة عامرة^(٦)، يقع

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٨٠؛ انظر أيضاً أحمد الصابوني، تاريخ حماة، ص ٦٠-٦١؛ وشيزر: Sheizar مدينة حصينة شمالي حماة بينهما تسعة أميال، وتسمى قلعتها بعرف الديك، ويمر شمالها نهر العاصي (انظر شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص ٢٧٢؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ٢٦٢-٢٦٣؛ انظر أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ٢٢٩؛ فولفغانغ مولر - فيز، القلاع، ص ٦٩)؛ وبحيرة قدس: تقع غربي حمص وهي بحيرة على أرض مستوية (انظر القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٨٤)؛ وأفامية: مدينة حصينة على سواحل الشام، على بعد ٥٦ كم، شمالي حماة، بنيت في العهد السلوقي، وبحيرتها حلوة المذاق يصب فيها نهر العاصي "المقلوب" من جهة الجنوب، وتشتهر بكثرة أسماكها مما جعلها مصدر من مصادر الثروة السمكية في البلاد الشامية (انظر البغدادي، مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ج ١، ص ٩٩؛ شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص ٢٧٣؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ٢٦٣؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٨٤؛ رفاه محمد كامل، حماة مدينة الآثار، ص ٨-٩)؛ وجسر الحديد: يقع بالقرب من بحيرة أنطاكية (انظر أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ٤٣).

(٢) النووي، نهاية الأرب، ج ٣، ص ١٣، ٢٣١؛ ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج ١، ص ٢٣٩؛ للوقوف على المزيد من التفصيلات عن أثر هذه الزلازل على بلاد الشام (انظر محمد مؤنس عوض، الزلازل في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، ص ١٣١، وما بعدها).

(٣) ابن الوردي، تاريخ بن الوردي، ج ٢، ص ٢٤٤؛ المقريزي، السلوك، ج ٢، ص ٤٠٥.

(٤) أبو الفداء، المختصر، ج ٤، ص ٦٩-٧١.

(٥) أبو الفداء، المصدر السابق، ج ٤، ص ٧٨-٧٩؛ ابن دقماق، الجوهر الثمين، ص ٣٥١؛ النفحة المسكية، ص ١٢٤.

(٦) ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج ٥، ص ١٥٦؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ٢٦٤-٢٦٥؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ١٤٢؛ ابن كنان، المواكب الإسلامية، ق ٢، ص ١١٠.

خلفها جبل لبنان^(١)، وهي تبعد عن حلب ٨٣ كم جنوباً، وعن دمشق ٢٧٢ كم شمالاً^(٢)، وكان لها عدة مسميات أهمها ما اشتهرت به وهو معرة النعمان ، وأورد بعض المؤرخين بأن سبب هذه التسمية يعود لوجود قبر الصحابي الجليل النعمان بن بشير الأنصاري رضي الله عنه على أراضيها^(٣)، في حين زاد ياقوت الحموي "أنها مسمّاة بالنعمان وهو الملقب بالساطع ابن عدي"^(٤)، كما عرفت بأسماء أخرى منها ما ذكره شيخ الربوة بأنها تعرف أيضاً "بذات القصرين"^(٥)، أما غرس الدين الظاهري فقال عنها "كان اسمها ذات القصور وهي الآن لطيفة ولها معاملة وقرى عديدة وهي من معاملة حماة وبها قبر محمد بن عبد الله الصحابي وبدير مّران قبر عمر بن عبد العزيز الأموي رضي الله عنه"^(٦).

ومن أعمالها قرية قانا^(٧)، ودير سمعان، ويقع في ظاهر المعرة^(٨)، ويعرف أيضاً بدير النقيرة لأنها بجانب قرية النقيرة، وكذلك من أعمالها الحديثة

(١) الحميري، الروض المعطار، ص ٥٥٥.

(٢) ابن كنان، المواكب الإسلامية، ق ٢، ص ٧٥، حاشية ٢.

(٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج ٥، ص ١٥٦؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ٢٦٤-٢٦٥؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٥٥٥؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ١٤٢؛ زكريا القزويني، أثار البلاد، ص ٢٧٢؛ ابن كنان، المواكب الإسلامية، ق ٢، ص ١١٠؛ والنعمان بن بشير الأنصاري: الخزرجي ، ولد قبل وفاة الرسول ﷺ ، تولى حمص ومن بعدها الكوفة في عهد الخليفة الأموية، ثم انخرط في حركة عبد الله بن الزبير بن العوام، وأخذ يدعو أهل الشام لمناصرة ابن الزبير، فخاله أهل حمص وقتلوه سنة ٦٥هـ (انظر ابن الأثير ، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص ٣٢٦-٣٢٨؛ ابن حجر، الأصابة في تميز الصحابة، ج ٣، ص ٥٥٩).

(٤) ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج ٥، ص ١٥٦؛ النعمان بن عدي بن غطفان بن عمرو بن بريح بن خزيمه بن تيم الله وهو تقوخ بن أسد بن وبر بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة (انظر ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج ٥، ص ١٥٦).

(٥) شيخ الربوة الأنصاري، نخبة الدهر، ص ٢٧٢.

(٦) غرس الدين الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص ٤٩؛ انظر أيضاً البغدادي، مراصد الاطلاع، ج ٢، ص ٥٦٤-٥٦٥؛ وعمر بن عبد العزيز: خامس الخلفاء الراشدين وثامن خلفاء بني أمية، توفي سنة ١٠١هـ (انظر البكري الجنفي، مختصر تاريخ الخلفاء، ص ٩٩؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ١٨٣).

(٧) ابن شحنة، الدر المنتخب، ص ٢٣٥.

(٨) الحميري، الروض المعطار، ص ٥٥٥؛ ودير سمعان: ينسب إلى القديس سمعان الذي ولد سنة ٣٩٠م، وأنشأ له عموداً ليكون مقراً له مدى الحياة، ولما توفي دفن في ذلك العمود ثم نقل رفاته إلى أنطاكية، وكانت وفاته سنة ٤٥٩م (انظر هورست كلينكل، أثار سورية القديمة أثار من قبل الإسلام في الجمهورية العربية السورية، ص ١٣١).

وسرجة^(١). ومن ضياع المعرة، معراثا البريدية، ومعر شمارين، ومعر شمسي^(٢).

٢- عمل بارين:

بلدة صغيرة تقع في الجنوب الغربي من حماة^(٣)، وهي أقرب إلى مصياف منها إلى حماة حيث تبعد عن الأولى ١٧ كم^(٤)، في حين تبعد عن حماة مسيرة نصف يوم^(٥)، وتقدر المسافة بينهما ٤٢ كم^(٦)، وعرفت هذه البلدة عند العامة باسم بعرين^(٧)، وتشتهر بكثرة الآثار التاريخية فيها وعلى وجه الخصوص ما كان موجود في الرفنية^(٨).

٣- عمل برها:

وهي عبارة عن بر فسيح ومروج ممتدة حول حماة وصفها العمري بقوله: "وليس بعد دمشق في الشام شبيهة، ولا يُدانيها في لُطْف ذاتها من مجاوراتها قريب، ولا بعيد"^(٩)، وعلى تلك المنزلة لم يكن لها قاعدة تشرف عليها^(١٠). ولعل ذلك كان سبباً في عدم اعتبار بعض المؤرخين لها ولاية أو عمل قائماً بحد ذاته، وبالتالي عدم إدراجهم لها ضمن أعمال نيابة حماة^(١١).

(١) ياقوت الحموي، المشترك وضعاً، ص ١٢٣، ١٨٩، ٣٤٤؛ ابن شحنة، الدر المنتخب، ص ٩٩.

(٢) ياقوت الحموي، المشترك وضعاً، ص ٤٠٠-٤٠١.

(٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج ١، ص ٣٢٠-٣٢١؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ٢٥٨-٢٥٩؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ١٤١.

(٤) ابن كنان، المواكب الإسلامية، ق ٢، ص ١١٠، حاشية ٣.

(٥) أحمد الصابوني، تاريخ حماة، ص ٢٥، حاشية ١.

(٦) ابن كنان، المواكب الإسلامية، ق ٢، ص ١١٠، حاشية ٣.

(٧) ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج ١، ص ٣٢٠-٣٢١؛ انظر أيضاً شيخ الربوة الأنصاري، نخبة الدهر، ص ٢٧٤؛ أحمد الصابوني، تاريخ حماة، ص ٢٥، حاشية ١.

(٨) أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ٢٥٨-٢٥٩؛ الرفنية: وهي آثار عمارة قديمة في بارين (انظر أبو الفداء، المصدر السابق، ص ٢٥٩).

(٩) العمري، مسالك الأبصار، ج ٤، ص ١٩٧؛ وممن عد بر حماة من ضمن الأعمال التابعة لنيابة (انظر القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٢٣٩؛ ابن كنان، المواكب الإسلامية، ق ٢، ص ١١٠).

(١٠) العمري، التعريف بالمصطلح الشريف، ص ٢٣٥.

(١١) شيخ الربوة الأنصاري، نخبة الدهر، ص ٢٧٤؛ العمري، مسالك الأبصار، ج ٤، ص ١٩٧؛ غرس الدين الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص ٤٩؛ أكرم العلبي، دمشق، ص ٣٣.

وقد زاد شيخ الربوة وغرس الدين الظاهري على تلك الأعمال الثلاثة مدينة سلمية^(١)، في حين انفرد غرس الدين بذكر مصياف ضمن الأعمال التابعة لنيابة حماة^(٢)، ويبدو أن هذا مخالف للواقع، فالمعروف أن سلمية كانت تابعة فعلاً لحماة طوال الحكم الأيوبي لها ثم انسلخت عنها قبل أن ينشأ النظام النيابي فيها^(٣)، وأما مصياف وجمع قلاع الدعوة فقد أجمعت المصادر المملوكية على أنها سُلّمت لنيابة طرابلس عشية تسليمها للسلطان قلاوون، وذلك سنة ٦٨٨هـ/١٢٨٩م^(٤).

الجهاز العسكري والإداري في النيابة^(٥).

رغم أن الطابع العسكري كان السمة البارزة في التنظيم الوظيفي في دولة المماليك، بحكم أنه قد أنيط بها مهمة الجهاد ضد قوى متعددة ناصبت الأمة الإسلامية العداء في أكثر من جبهة.

إلا أن هذه الدولة شهدت إلى جانب ذلك تنظيمًا إداريًا دقيقاً شمل جميع مناحي الحياة، والواقع أن التنظيمات العسكرية والإدارية داخل السلطنة كانت موحدة إلى حد كبير سواء على مستوى الأراضي المصرية المقر الإداري للسلطنة، أو كافة نياباتها. والتي منها بطبيعة الحال نيابة حماة -موضع دراستنا- والتي يتربع على قمة الهرم السياسي والإداري نائب السلطنة بها^(٦): وهؤلاء يتم تعيينهم مباشرة من قبل السلطان بموجب تقليد يصدر بهذا الشأن، مصحوباً بسيف

(١) شيخ الربوة الأنصاري، نخبة الدهر، ص ٢٧٤؛ غرس الدين الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص ٤٩.

(٢) غرس الدين الظاهري، المصدر السابق، ص ٤٩.

(٣) أبو الفداء، المختصر، ج ٣، ص ٢٠٥؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج ٢، ص ٢٠١؛ العيني، عقد الجمان، ج ١، ص ٢٤٥.

(٤) حياة الحجّي، الوضع الإداري لطرابلس في العصر المملوكي، ص ١١٨-١٢٠.

(٥) عن بعض الوظائف العسكرية والإدارية (انظر الملحق رقم ٢).

(٦) للتعرف على من تم تقليده هذه الوظيفة (انظر الملحق رقم ١).

محلّى بالذهب وتشريف مكون من أربع قطع منقوش عليها ألقاب السلطان إضافة إلى فرس مسروج^(١).

وقد تُسند إلى أحد أمراء المماليك مهمة تسفير النائب الجديد إلى مقر نيابته في حماة بأمرٍ من السلطان المملوكي كما حدث في سنة ٨٦٨هـ/١٤٦٢م، حينما نفذ الأمير طوخ الأبوكري المؤيدي الزردكاش أمر تسفير النائب الصفدي إلى مقر وظيفته الجديدة نيابة حماة^(٢)، وإذا ما وافق السلطان المملوكي الجديد على استمرارية النائب الحموي في مقر نيابته، فإنه يرسل عندها الخلعة إلى نائب حماة مع أمير من أمراء المماليك. فقد حمل الأمير آقبردي الأشرفي الساقى الخلعة لنائب حماة الأمير جانبك التاجي في جمادى الأولى سنة ٨٦٥هـ/١٤٦١م^(٣).

ويكون للنائب الحموي عناصر من الجند يقدر عددهم ٦٠٠ جندي^(٤)، توزع عليهم الوظائف المتبقية حسبما يرى النائب مثل الأستاذار الذي تلقى على عاتقه مسؤولية الإشراف على بيوت النائب والمطابخ والحاشية والغلمان، ويكون له مطلق الحرية في التصرف في النفقات والكساوي^(٥)، وتنظيم إقطاع النائب مع الدواوين و الفلاحين^(٦)، وقد ثبت وجود هذه الوظيفة في سنة ٨٧٦هـ/١٤٧١م، حيث تقدم من أهل حماة من اشتكى أستاذار النائب الحموي، لكثرة المظالم التي لحقت بهم^(٧).

(١) العمري، مسالك الأبصار، ج٤، ص١١٤؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص ٢٣٧-٢٣٨؛ ابن ناظر الجيش، تنقيف التعريف، ص١٣٣؛ للتعرف على صيغة تقليد نائب حماة (انظر الملحق رقم ٢).

(٢) ابن تغري بردي، النجوم، ج١٦، ص ٢٨٥؛ والأمير طوخ الأبوكري : لم أقف على ترجمة له فيما توفر لي من مصادر اطلعت عليها.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم، ج١٦، ص ٢٢٣؛ و آقبردي الأشرفي الساقى : تأمر إمرة عشرة ثم نقل إلى إمرة أخوريه سنة ٨٧٢هـ- انظر ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج١٦، ص ٣٧٧).

(٤) غرس الدين الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص١٣٣-١٣٤.

(٥) ذكر القلقشندي وجود وظائف يكون لنائب صلاحية تعيين أصحابها ولكنه سكت عن تسميتها، انظر، صبح الأعشى، ج٤، ص ٢٠، ١٨٨، ٢٣٨.

(٦) السبكي، معيد النعم ومبيد النقم، ص ٢٨.

(٧) محمد دهمان، العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك، ص ١٣٦.

ومن الوظائف التي يختار النائب من يتولاها " أمير سلاح " وهو الحامل لسلاح النائب أثناء خروجه للمواكب ^(١)، وأيضاً " أمير آخورية " ومهمته مراقبة الاصطبلات ورواتب الموظفين والمستخدمين ومتابعة الخيول والجمال والبغال والدواب وكيفية تربيتها وتدريبها ونوعية الأعلاف وكميتها وما يختص بها من مشتريات ومبيعات واستعمالات ^(٢).

أما عن مهام كافل النيابة فهو تدبير جميع أمورها السياسية والعسكرية ، ويكون له مطلق الصلاحيات الإدارية في إسناد الوظائف في داخل نيابته لمن يرى أنه جدير بها عدا من يتم تعيينه عن طريق السلطنة، ويخضع لتصرفه جميع موظفي النيابة الإداريين والعسكريين ^(٣)، كما يقع على عاتقه مسؤولية الحكم بشرعية الله ^(٤) والنظر في مصالح الرعية وقضاها ^(٥).

وكان النائب يجلس في يومي الاثنين والخميس للنظر في مصالح الرعية وذلك بمشاركة القضاة الأربعة ، وعادة ما يسبق هذا المجلس قيام النائب بجولة تفقدية لإعمال نيابته ليستقر المقام إلى ضيعة قريبة منها تسمى بقرين، وفي معيته عدد من الأمراء وأجناد الحلقة، وبعد أن يقضي بها بعد الوقت يستقبل على ما يبدو خلاله الناس للنظر في مصالحهم يعود إلى "الموقف " بسوق الخيل في حماة ليتفقد الخيل و العقارات، حيث يدخل العسكر أولاً من باب المعرة، ويترجل بعدها الحضور ويبقى النائب راكباً حتى يصل إلى مقعده، فيجلس فيه ومن حوله الأمراء وكبار الموظفين الإداريين، بينما يظل الموظفون والعسكريون خارج الشباك دار النيابة للعمل على تنظيم دخول أصحاب المظالم على النائب، و بعد الانتهاء من

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص ١٨، ١٨٨

(٢) العمري، مسالك الأبصار، ج٤، ص ١٢٢؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص ٣٢؛ وانظر أيضاً ، نبيل عبد العزيز ، الخيل ورياضتها في عصر سلاطين المماليك، ص ١٢٧-١٣٢.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى ، ص ٢٣٨؛ ابن كنان ، المواكب الإسلامية ، ق ٢، ص ١٠٧.

(٤) ابن تيمية ، السياسية الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، ص ١٧-١٨؛ العمري، مسالك الأبصار، ج٤، ص ١١٦؛ السبكي، معيد النعم ، ص ٢٤-٢٦.

النظر في أمور الرعية ينصرف القضاة، ثم يعقد النائب مجلساً آخر تحت قبة مخصصة ينظر خلالها في أمور " الجهاز العسكري " يحضره الأمراء والموظفون الإداريون فقط^(١).

ورغم هذه الصلاحيات الواسعة التي منحها السلطان المملوكي للنائب الحموي في تعيين الموظفين المدنيين والعسكريين، والنظر في مصالح الناس، إلا أن ذلك لم يشمل إحلال أمير مكان آخر في حالة وفاته؛ إذ كان عليه أن يخبر السلطان بذلك، وينتظر أوامره التي تصدر بذلك^(٢)، وأما في حالات الاستتفار التي يصدرها السلطان المملوكي في القاهرة عندما يتعرض أي جزء من السلطنة لاعتداء خارجي فإن النائب الحموي يخرج على رأس جيش النيابة مع مراعاة خضوعه المباشر للأوامر التي يصدرها النائب الدمشقي، الذي (هو الآخر) يتلقى التعليمات من السلطان المملوكي^(٣)، وفيما يتعلق بعلاقة النائب الحموي مع النيابات الشامية الأخرى، فإنه ملزم بأن يكون على اطلاع مستمر لمستجدات الأحداث داخل النيابات الشامية الأخرى على الصعيدين الداخلي والخارجي مع مراعاة التنسيق وتبادل المشورة مع بقية النواب، فضلاً عن أنه ليس له حرية التصرف في توزيع الإقطاعات ونقل ملكيتها من أمير لآخر، إما لموت الأمير أو لنقله، بل عليه إخبار السلطان المملوكي بالقاهرة في أمر الإقطاع ليرى حكمه^(٤).

أما الوظيفة الثانية في الجهاز العسكري فهي " الأتابكية " ويكون في العادة على رتبة طبلخانة لأنه لا توجد رتبة أعلا منها إلا لنائب^(٥)، ويلقب متوليها بالأمير الكبير أو قائد العسكر، ويبدو أن هذه الوظيفة لم تظهر في نيابة حماة إلا

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢٣٩؛ ابن كنان، المواكب الإسلامية، ق٢، ص١٠٩؛ وباب المعرة تذكر اسمه عند ابن كنان، وعند السخاوي "باب العنزة" وعند القلقشندي "باب العسرة"، وفي اعتقادي أن باب المعرة أقرب لوقوعه على طريق المعرة (انظر القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢٣٨-٢٣٩؛ ابن كنان، المواكب الإسلامية، ق٢، ص١٠٨-١٠٩، حاشية ٣).

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٥٠-٥١.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم، ج٩، ص٣٨.

(٤) العمري، مسالك الأبصار، ج٤، ص١٠٩-١١٠.

(٥) غرس الدين الظاهري، زبدة كشف الممالك، ١٣٣؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢٣٨.

في وقت متأخر، إذ إن المصادر - التي تيسر لي الاطلاع عليها - لم تشر إلى من باشر هذه الوظيفة من الأمراء إلا منذ مطلع القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، حيث نجد ممن تولى هذه الوظيفة في نيابة حماة الأمير جارقطلو الذي استبدل بالأمير قانباي الحسيني سنة ٨٠٤هـ/ ١٤٠١م^(١)، وممن تولى هذه الوظيفة أيضاً الأمير شاد بك فرفور الأشرفي الذي قتل سنة ٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م^(٢)، وكذلك دولات باي سكسان المتوفى سنة ٨٨٣هـ/ ١٤٧٨م^(٣)، كما تقلد ابن طرغل أتابكية حماة، ثم نقل إلى نيابة طرابلس، وعين مكانه الأمير عبد الرزاق أخو دويلات، وذلك في ربيع الآخر سنة ٨٩٤هـ/ ١٤٨٩م^(٤).

الوظيفة الثالثة " نائب للقلعة " وهي من أجل الرتب العسكرية ويتقلدها عادة مقدمي الألوف أو الطبلخانة، ويتمتع نائب القلعة باستقلالية تامة عن نائب حماة، وخاصة في حالة الحرب؛ إذ إن تسليم مفاتيح القلعة لا يتم إلا للسلطان ذاته إذ هو المسؤول عن تعيينه وعزله، كما تقع على عاتق نائب القلعة صيانتها وحفظ ذخيرتها من التبيد والعبث^(٥)، وقد حجبت هذه الوظيفة عن نيابة حماة بعد أن دمرت قلعتها على يد تيمور لنك^(٦).

(١) السخاوي، الضوء اللامع، ج٦، ص ١٩٦؛ التبر المسبوك، ص ٣١٨؛ قانباي الحسيني: تولى أتابكية حماة ثم طبلخاناه بمصر، توفي سنة ٨٧٢هـ (انظر ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل، ج ٢، ق ٦، ص ٢٨٢).

(٢) السخاوي، الضوء اللامع، ج ٣، ص ٢٨٩؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٢، ص ٤٦٠؛ أو شاذ بك الأشرفي برسباي: ويعرف بفرفور خرج مع عساكر حماة في الحملة التأديبية ضد الأمير التركماني شاة سوار، قتل فيها سنة ٨٧٢هـ (انظر السخاوي، الضوء اللامع، ج ٣، ص ٢٨٩).

(٣) ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل، ج ٢، ق ٧، ص ٢١٧؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ١٤٨؛ ودولت باي سكسان: من الأمراء الذين تقلدوا عدة وظائف منها مرة عشرة، و ورأس نوبة ثم أتابكية حماة إلى أن بلغه الأجل (ابن شاهين، نيل الأمل، ج ٢، ق ٧، ص ٢١٧).

(٤) محمد دهمان، العراق بين المماليك والعثمانيين الأتراك، ص ١٩٢؛ ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل، ج ٢، ق ٨، ص ١٥١؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ٢٦٥؛ وابن طرغل و عبد الرزاق أخي دويلات لم أقف على ترجمة لهما أو نكر سوى عملية مباشرتهم لأتابكية حماة.

(٥) لا تختلف مهام نائب القلعة الدمشقي عن باقي نواب القلاع ومن ذلك اقتبس المتن، القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ١٨٥-١٨٥؛ غرس الدين الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص ١٣١؛ ابن كنان، المواكب الإسلامية، ق ٢، ص ١٠؛ محمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، ص ١٤٩.

(٦) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٢٣٨؛ غرس الدين الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص ٤٨؛ ابن كنان، المواكب الإسلامية، ق ٢، ص ١٠٦.

الوظيفة الرابعة " الحجوبية " وكانت تسمى القيادة ويسمى متوليها قائد الجيش لتوقف عمله على عرض الجيش^(١)، وتعدتها في عهد دولة المماليك إلى عدة مهام تتلخص في جلوس الحاجب في دار النيابة لينصف الأمراء والجند إما بنفسه أو بأمر من النائب، وتولى نيابة الغيبة عند خروج النائب الحموي ، كما توكل إليه مهمة قتل النائب الحموي بأمر من السلطان^(٢)، ويتم تقلده بموجب توقيع كريم من قبل النائب الحموي^(٣)، وهي تقابل وظيفة الأمن في عصرنا الحاضر^(٤)، و كان يعرف متقلدها باسم أمير الحجاب^(٥) أو حاجب الحجاب^(٦) أو كبير الحجاب، ويكون على مرتبة طبلخانة، يلي النائب في الرتبة ثم يأتي من بعده حاجب آخر على مرتبة أمير عشرة، وهما يحضران مجلس النائب^(٧)، وممن تولى حجوبية حماة الأمير بيرم سنة ٧٩١هـ/١٣٨٩م^(٨)، وبعد عودة السلطان برقوق للسلطنة أعطي الأمير محمد بن أحمد التتوخي منصب الحجوبية في حماة

(١) السبكي ، معيد النعم ، ص ٣٨.

(٢) قياساً على مهام حاجب الحجاب في دمشق ، العمري ، مسالك الأبصار ، ج ٤، ص ١١٧؛ ابن ناظر الجيش، التقيف التعريف، ص ١٠٧؛ القلقشندي، صبح الأعشى ، ج ٤، ص ١٨٥-١٨٦؛ ابن كنان ، المواكب الإسلامية ، ق ٢، ص ١٣-١٤، محمد دهمان ، معجم الألفاظ التاريخية، ص ٥٩؛ حسن الباشا ، الألقاب الإسلامية ، ص ٢٥١، حاشية ٢.

(٣) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٤، ص ٢٣٨؛ ابن كنان ، المواكب الإسلامية ، ق ٢، ص ١٠٧؛ والتوقيع: وهي على أنواع أجلها يسمى المبكرة وتكتب لموظفي الجهاز العسكري والإداري ، وتليها قطع النصف بقلم الثلث ويكتب لناظر الجيش والموظفين الإداريين (انظر ابن ناظر الجيش، تقيف التعريف، ص ١٤٥).

(٤) إبراهيم زكي خورشيدو أحمد الشنتاوي وعبد الحميد يونس، دائرة المعارف الإسلامية، مج ١٣، ص ١٧٣.

(٥) ابن ناظر الجيش، تقيف التعريف، ص ١٠٧.

(٦) غرس الدين الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص ١٣٣.

(٧) القلقشندي ، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٢٣٩؛ وأمير عشرة : وهو يقود من الأجناد عشرة فرسان ، ويعتبر من الرتب العسكرية المدرجة ضمن الجيش المملوكي (انظر القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٤، ص ٢٣٧-٢٣٨؛ ابن كنان ، المواكب الإسلامية ، ق ٢، ص ١٠٧؛ محمد دهمان ، معجم الألفاظ التاريخية، ص ٢٢)

(٨) الصيرفي ، نزهة النفوس، ج ١، ص ١٨٧.

تكريماً لأبيه^(١)، وكذلك تولى الأمير تغري برمش الجندي حجوبية حماة في عهد المؤيد شيخ^(٢)، وممن تولى هذه الوظيفة الأمير ناصر الدين ابن العطاء محمد بن أحمد بن عمر المتوفى سنة ٨٢٨هـ / ٤٢٤م^(٣)، وممن تولى حجوبية حماة الأمير سيف الدين سودون المؤيدي الذي عزل عنها في سنة ٨٤٣هـ / ٤٢٩م^(٤).

الوظيفة الخامسة " نقابة الجيش أو العسكر " يقوم متوليها مقام الحجاب الصغار، ولهم مراتب أعلاها نقيب النقباء، ويكون مسؤولاً عن النقباء ولا يسيرون إلا معه، وأما واجباته الوظيفية كما ذكرها القلقشندي فهي " لتحلية الجند في عرضهم"^(٥). وهو بالتالي يكون المسؤول عن تحضير موكب النائب يومي الخميس والاثنين، كما يعمل على خدمة النائب أو الحاجب، ورتبته العسكرية جندي، ويعاونه جندي آخر أقل منه رتبة، ويعينان بموجب توقيع كريم من قبل النائب^(٦).

(١) السخاوي، الضوء اللامع، ج٧، ص ٣١؛ محمد بن أحمد بن عمر بن يوسف بن عبد الله بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد بن أبي بكر التتوخي الحموي الحنفي ولد بحماة سنة ٧٧٤هـ، تنقل بين الوظائف العسكرية في النيابات الشامية والمصرية، توفي سنة ٨٢٨هـ (انظر السخاوي، الضوء اللامع، ج٧، ص ٣١-٣٢؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص ١٠١).

(٢) السخاوي، الضوء اللامع، ج٧، ص ٢٠٧؛ وتغري برمش ناصر الدين الجندي : لم أقف على ترجمة له فيما توفر لي من مصادر اطلعت عليها.

(٣) المقرئ، السلوك، ج٧، ص ١٢٥؛ ابن تغري بردي، الدليل، ج١، ص ٥٩٨؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٧، ص ٣١-٣٢؛ ومحمد بن أحمد بن عمر بن يوسف بن عبد الله بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد بن أبي بكر، ولد بحماة في عام ٧٧٤هـ (انظر المقرئ، السلوك، ج٧، ص ١٢٥؛ ابن تغري بردي، الدليل، ج١، ص ٥٩٨؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٧، ص ٣١-٣٢؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص ١٠١).

(٤) الصيرفي، نزهة النفوس، ج٤، ص ١٦١-١٦٢.

(٥) ولعله يقصد من تحلية الجيش ترتيبه والباسه زياً موحداً (انظر القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص ٢١-٢٢)؛ ونقيب النقباء: النقيب في اللغة العريف الذي هو ضمن القوم، والنقباء جمع نقيب، وكل عمل صاحب تلك الوظيفة عند السلطان أو الأمير، القيام بتأدية الخدمات الصغيرة لسيده (انظر محمد قنديل البقلي، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص ٣٥٢).

(٦) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص ٤، ص ٢٣٨؛ غرس الدين الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص ١٣٤؛ ابن كنان، المواكب الإسلامية، ص ١٠٧.

الوظيفة السادسة " الولاية " وصاحبها يكون مسؤولاً عن الشرطة التي تقع على عاتقهم مهمة ضبط الأمن الداخلي لسكان النيابة: بمنع الجرائم و القبض على اللصوص، والخمارين، والخارجين عن حدود الله، والتحري عن الحقائق وإقامة الحدود^(١) بشرط عدم التجسس والأخذ بالظن فعليه انقاء الله ﷻ بما يسمع"من قال والقليل"^(٢)، ويتولاها جندي بموجب توقيع شريف من نائب حماة^(٣)، ويطلق عليه " والي الشرطة " ، ومن مهامه كتابة مطالعة تحوي ما جمعه نوابه من أخبار عن ولاياته يقدمها للنائب الحموي في صبيحة كل يوم^(٤).

الوظيفة السابعة " المهمندارية " وهي كلمة فارسية الأصل تتكون من شقين الأول " مهمن " وتعني المسافرين أو الضيف ،و الشق الثاني " دارنده " بمعنى صاحب ولكنها خففت إلى " دار " ^(٥) .ومتولي هذه الوظيفة يكون مسؤولاً عن استقبال الرسل الواردين وأمراء العربان والشخصيات السياسية البارزة^(٦)، وتقديم واجب الضيافة لهم، كما يوكل إليه مهمة رسم الهيئة السياسية والعسكرية لنيابة المملوكية^(٧)، ويتولاها جنديان متفاوتان في الرتبة^(٨)، بموجب توقيع كريم

(١) السبكي ، معيد النعم، ص٤٠؛ حسن الباشا، دراسات في الحضارة الإسلامية ، ص٧٠؛ والشرطة: كلمة عربية المعنى والمبنى مشتقة من "شرطة"، وهي من الوظائف التي ابتكرها المسلمون لضبط الأوضاع الداخلية في المدن، والتي ترجع نواتها الأولى إلى عهد الرسول ﷺ فكان يعرف بنظام العسس، ثم تطور عبر العصور الإسلامية واتسعت دائرة مهامه حتى عرف بنظام الشرطة (انظر محمد الشريف الرحموني، نظام الشرطة في الإسلام إلى أواخر القرن الرابع الهجري، ص٥٣؛ فتحية النبراوي، تاريخ النظم الإسلامية والحضارة الإسلامية، ص١٣٣-١٣٤؛ أنور الرفاعي، النظم الإسلامية، ص٩٨-٩٩).

(٢) السبكي، معيد النعم، ص ٤٠.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١٨٧، ٢٣٨؛ غرس الدين الظاهري ، زبدة كشف الممالك ، ص١٣٤؛ ابن كنان ، المواكب الإسلامية، ق٢، ص١٠٧.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٦٠.

(٥) محمد دهمان ، معجم الألفاظ التاريخية ، ص١٤٧.

(٦) القلقشندي، صبح الأعشى ، ج٤، ص ١٨٧؛ ابن كنان ، المواكب الإسلامية، ق٢، ص١٦، حاشية ١.

(٧) السبكي ، معيد النعم ، ص٣٢.

(٨) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٤، ص٢٣٨؛ غرس الدين الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص١٣٤؛ ابن كنان ، المواكب الإسلامية، ق٢، ص١٠٧.

من قبل النائب الحموي، ويكون وقوفهما أثناء مجلس عرض القصص على نائب حماة خارج شباك دار النيابة^(١).

أما الجيش في نيابة حماة فكانت أعلى رتبة فيه كما ذكرنا سابقاً بعد رتبة النائب هي الطبلخانة، وكان ممن خرج إلى حماة بهذه الرتبة الأمير طشتمر الساقي في سنة ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م^(٢)، وكذلك الأمير بلبان الإبراهيمي^(٣)، ويقدر عدد عناصره بين ٣٠٠٠ - ٤٠٠٠، يكون تحت خدمة النائب ٦٠٠ جندي^(٤). وإضافة إلى الجيش النظامي كان هنالك ما يعرف بأجناد الحلقة وهم عبارة عن فرق عسكرية تصرف مرتباتهم من ديوان الجيش، ويتكون أفرادها من محترفي الجندية من ممالك السلاطين السابقين وأولادهم، والمتعممين من أهل حماة، والذين كان تنظيمهم يتم على هيئة وحدات يشرف على كل ألف منهم "أمير المئين"، وعلى كل مائة منهم "نقيب"، ولكل أربعين "مقدم"^(٥)، ومن المهام المناط بهم الخروج في الموكب الذي يسير كل اثنين وخميس، كي يتسنى للنائب الحموي الوقوف على إجمالي وضعهم^(٦).

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢٣٨؛ ابن كنان، المواكب الإسلامية، ق٢، ص١٠٧؛ والقصص: مفردتها قصة اسم الورق الكاغد الذي يقدم إلى الحكام، وجاءت تسميتها على سبيل المجاز، وهي الطلب أو الالتماس الذي يرفعها صاحب الحاجة أو الشكوى إلى الحضرة السلطانية - أو نائبه (انظر محمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، ص ١٢٤، محمد قنديل البقلي، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص ٢٧٤)؛ والشباك: النافذة المشبكة بالخشب والحديد (انظر محمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، ص ٩٦).

(٢) السخاوي، وجيز الكلام، ج١، ص٤٣.

(٣) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢، ص٢٥؛ وبلبان الإبراهيمي: توفي بحماة على ترقية طبلخانة سنة ٧٥٦هـ (انظر ابن حجر، المصدر السابق، ج٢، ص٢٥).

(٤) غرس الدين، زبدة كشف الممالك، ص ١٣٣.

(٥) على إبراهيم حسن، تاريخ الممالك البحرية، ص ٣٤٦؛ عبد الله سعيد الغامدي، جهاد المماليك ضد المغول والصليبيين، ص ٣١٣-٣١٤؛ وذكر سعيد عبد الفتاح عاشور أن عدد الأجناد الاجمالي في حماة من جند حلقه ومماليك الكافل بلغ (١٠٠٠) والصحيح عند مراجعة المصدر الذي أخذ منه المؤرخ بأن عدد الأجناد كان لنيابة غزة (انظر العمري، مسالك الأبصار، ج٤، ص ٩٣؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص ١٦؛ سعيد عبد الفتاح عاشور، العصر المماليكي، ص ٢١١)؛ والمتعممون: ويقصد بهم العلماء والقضاة، ويعرفون أيضاً بذوي العمائم، وذلك نسبة إلى العمائم الخاصة بهم، والتي تمتاز بكبر حجم شاشاتها، ولا يلبسها سواهم (انظر العمري، مسالك الأبصار، ج٤، ص ١١٢؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص ٤١-٤٢).

(٦) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص ٢٣٨؛ ابن كنان، المواكب الإسلامية، ق٢، ص ١٠٨-١٠٩.

أما بالنسبة للجهاز الإداري في نيابة حماة، فتتدرج تحته الوظائف الديوانيين، و يطلق على أصحابها (أرباب الأقلام) ويضم ديوانين الأول ديوان الإنشاء ويحوي عدة وظائف أعلاها " كاتب السر "، وهي تسمية أحدثها السلطان قلاوون ، وذلك لكونه يكتُم سرّ السلطان^(١)، ولعل هذه الصفة كانت سبباً لتسميته بـ"كاتم السر" ^(٢)، ويطلق على كاتب سرّ حماة بـ"صاحب ديوان المكاتبات"^(٣) وهو ينفرد بهذه التسمية عن غيره من كتاب السر في النيابات الشامية^(٤) - ويمكن تشبيهه بمن يشغل منصب الأمين العام في الوقت الحالي - ويكلف من قبل السلطان المملوكي بموجب توقيع شريف^(٥)، و ينعت في المكاتبات السلطانية بالسامي^(٦)، ويتولاها شخص من خاصة الناس تتوفر فيه شروط الكفاءة من إسلام وحرية وحسن خلق، وإمام بأحكام الولايات، والعلم بموارد الأحكام الشرعية في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، والمعرفة بعلوم اللغة العربية بجميع فروعها النحوية والبلاغية والأدبية مع جودة في الخط ، وإطلاع على التاريخ والثقافات العامة^(٧). ومن صلاحياته حضور مجلسي النيابة أثناء انعقادهما يومي الاثنين والخميس لعرض القصص وشرحها لذوي الأمر بشكل سهل وواضح، ثم أخذ التوقيع عليها^(٨)، وإطلاعه على المكاتبات الواردة إلى النيابة والصادرة عنها والتدقيق في صيغتها ، وتوسطه فيما بين الأمراء والنائب للتقريب في وجهات

(١) علي إبراهيم حسن ، تاريخ الممالك البحرية ، ص ٣٠٩؛ كاتب السر: يعد المسؤول الأول في ديوان الإنشاء ومن مهامه توقيع القصص وقراءة الرسائل على السلطان -أو نائبه- ويتلقى أخبار الممالك ويعرضها على السلطان ويتولى الإجابة عنها، وتعريف النواب في الوصايا، وعليه النظر في تجهيز البريد والنجابة وما يبعث فيه من المصالح (انظر محمد قنديل البقلي، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص ٢٨٢).

(٢) ابن كنان ، المواعظ الإسلامية، ج ٢، ص ١٠٨؛ محمد قنديل البقلي، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص ٢٨٢.

(٣) غرس الدين الظاهري ، زبدة كشف الممالك ، ص ١٣١.

(٤) علي إبراهيم حسن ، تاريخ الممالك البحرية ، ص ٣١٢.

(٥) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٤، ص ٢٣٨؛ ابن كنان ، المواعظ الإسلامية ، ج ٢، ص ١٠٨.

(٦) ابن ناظر الجبش، تعريف التتقيف، ص ١٤٥-١٤٦، ٢٠١.

(٧) النابلسي، لمع القوانين المضيفة ، ص ٢٤-٢٥؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج ١، ص ١٠٤-١٠٥؛ ابن حسن الكاتب،

البرد الموشى في صناعة الإنشاء، ص ٢٧-٣٧؛ علي إبراهيم حسن ، تاريخ الممالك البحرية ، ص ٣١٢.

(٨) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٢٣٨-٢٣٩؛ ابن كنان، المواعظ الإسلامية، ج ٢، ص ١٠٨-١٠٩.

النظر عند حدوث خلاف ، وصدق المشورة للنائب إذا ما استشير^(١)، وبحكم قربه من النائب والأمراء و الموظفين والرعية فإنه قد يُعدّ عيناً للسلطان في النيابة يطلعه على كل ما يستجد فيها من أمور ظاهرة وخفية^(٢)، إلى جانب إشرافه على موظفي ديوان المكاتبات في نيابة حماة^(٣) منهم كاتب الدست، والذين تتلخص مهمتهم في إعادة قراءة المكاتبات والقصص بعد كاتب السر، ثم يوقعون على القصص بعد توقيع كاتب السر، ولذلك أُطلق عليهم اسم الموقعين^(٤).

وكانت أعمال ديوان المكاتبات موزعة عليهم فمنهم من يوكل إليه تحرير العقود والمبيعات وآخرون اختصوا في كتابة الكتب المرسلة إلى الأبواب السلطانية والنواب الشاميين ، وكان عليهم الإلمام بجميع الألقاب والصفات والنوعت الخاصة بهم^(٥)، كما كان عليهم التخفيف من حدة مكاتبات الاستدعاء^(٦)، وقد يخضع الموقعون للتدريب المسبق على هذه المهنة ، وبعد إتقانهم لها تتم ترقيتهم بموجب توقيع شريف من الأبواب السلطانية ليتولوا كتابة السرّ في النيابة. وممن رقي ليالي هذه الوظيفة بحماة ابن سابق صلاح الدين خليل بن محمد الشافعي^(٧) ،

(١) السبكي ، معيد النعم ، ص ٣٠-٣١؛ ابن حسن الكاتب ، البرد الموشى، ص ١٨-١٩؛ علي إبراهيم حسن ، تاريخ الممالك البحرية ، ص ٣١٠-٣١١.

(٢) القلقشندي ، صبح الأعشى، ج ٤، ص ١٨٩.

(٣) ابن حسن الكاتب ، البرد الموشى، ص ١٩؛ القلقشندي ، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٢٣٨؛ ابن كنان ، المواكب الإسلامية ، ق ٢، ص ١٠٨.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ١، ص ١٣٧؛ ج ٤، ص ٢٣٨؛ ابن كنان ، المواكب الإسلامية ، ق ٢، ص ١٠٨؛ والدست: كرسي يتسع لأربعة أشخاص للجلوس يكون فيه لكل واحد منهم كرسيه ويقال لها كرسي الدست، ودست السلطان ، ويكون كتاب الدست في جلوسهم بين يدي السلطان (انظر القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ١، ص ١٣٧؛ محمد دهمان ، معجم الألفاظ التاريخية، ص ٧٥)؛ أما وظيفة الدست: فهي من أجل الوظائف وأنفسها وأعلاها مكانه ، والقائم بها يكون بمثابة سفير الرعية إلى الحاكم في حاجتهم (انظر محمد قنديل البلقى، التعريف بمصطلحات الأعشى، ص ١٣٦).

(٥) علي إبراهيم حسن ، تاريخ الممالك البحرية ، ص ٣١٤-٣١٥.

(٦) السبكي ، معيد النعم ، ص ٣١.

(٧) صلاح الدين خليل بن ناصر الدين محمد بن شمس الدين محمد بن نور الدين محمود الشافعي ولد بعد سنة ٧٨٠ هـ، ونشأ بالمعرة ، تدرب على توقيع الإنشاء والحساب فبرع فيهما، كانت وفاته سنة ٨٥٩ هـ (انظر ابن تغري بردي، النجوم ، ج ١٦، ص ١٧٨؛ حوادث الدهور، ج ٢، ص ٥٥٩؛ السخاوي ، الذيل التام ، ج ٢، ص ١٠٦؛ وجيز الكلام ، ج ٢، ص ٦٩٣).

وكذلك الزين فرج ابن السابق الحموي، الذي أستمّر كاتباً للسر لمدة ثلاثة عشر عاماً^(١). ويشرف كذلك كاتب السر على كتاب الدست و كتاب الدرج الذين يعملون على كتابة المكاتبات والولايات^(٢) ويعين الجميع بموجب توقيع كريم من نائب حماة^(٣).

ويستعمل كتاب الديوان أنواعاً من الورق وهو على درجات الأول ما يعرف بـ "القطع الشامي الكامل" وهو الذي يكتب عليه النائب ويحمل توقيعه لأعلى الطبقات، والثاني يستخدم لكتابة النائب التواقيع والمراسيم لمن هم أقل درجة من سابقهم، ويعرف بـ "قطع النصف الحموي"، والثالث تكتب عليه المراسلات الموجهة للأبواب السلطانية، كما يكتب فيه التواقيع والمراسيم للطبقة الثالثة ويعرف بـ "قطع العادة الشامي"^(٤). ولعلّ العلة في مساواة الكتابة فيه بين الطبقة الثالثة والأبواب السلطانية يعود إلى خفته.

وقد كان لعظم هالة المهابة والإجلال التي أحيط بها كتاب السرّ من جهة الأبواب السلطانية، إضافة إلى المهام الملقاة على عاتقه، فإن اصطدامه مع النائب الحموي من الأمور المحتمل حدوثها، كما حدث في سنة ٨١١هـ/١٤٠٨م، حينما

(١) السخاوي، الضوء اللامع، ج٦، ص١٦٩؛ الزين فرج بن الأمير ناصر الدين محمد بن محمد بن محمد الحموي ولد بحماة في شوال سنة ٨١٣هـ، وتعلم بها العلوم الدينية واللغوية، له مصنفات عدة منها بلوغ الطالب مناه، ومنها أخبار حماة، و كما عمل نديلاً لتاريخ المؤيد صاحب حماة، توفي سنة ٨٩٦هـ (انظر السخاوي، التبر المسبوك، ص ٣٠٨، الضوء اللامع، ج٦، ص١٦٩؛ الذيل التام، مج٢، ص٦٢٠).

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٣٠، ٢٣٨؛ كتاب الدست: وهم الطبقة الأولى من موظفي الديوان ويكون مجلسهم مع كاتب السرّ بمجلس السلطان - أو نائبه - وترتب منازلهم على قدمه، ويعملون على قراءة القصص على السلطان بعد قراءة كاتب السر على ترتيب جلوسهم، ويوقعون على القصص كما يوقع عليها كاتب السر، وقد سُموا بكتاب الدست إضافة إلى دست السلطان، وهو مرتبة جلوسه لجلوسهم للكتابة بين يديه (انظر محمد قنديل البقلي، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص٢٨١)؛ كتاب الدرج: هم الطبقة الثانية من موظفي ديوان الإنشاء، ومهمتهم كتابة ما يوقع به كاتب السر أو كتاب الدست من مكاتبات وتقاليده ومراسيم ومناشير الأيمان والأمانات وغيرها، وسموا بكتاب الدرج لكتابتهم هذه المكتوبات ونحوها في درج الورق (انظر محمد قنديل البقلي، المرجع السابق، ص٢٨٠-٢٨١).

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢٣٨؛ ابن كنان، المواكب الإسلامية، ق٢، ص١٠٨.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٦، ص١٩٢؛ وقطع الشامي الكامل: عرضه عرض الطومار الشامي في طوله؛ و قطع نصف حموي: طوله بطول الطومار، وعرضه عرض نصف الطومار الحموي؛ و قطع العادة من الشامي: وطوله طومار وقد يقل عن ذلك، وعرضه سدس ذراع بذراع القماش المصري (انظر المصدر السابق، ج٦، ص١٨٩، ١٩٢).

فرّ كاتب السرّ وصاحب ديوان المكاتبات ناصر الدين محمد ابن البارزي من نائب حماة (١).

وذكر السخاوي أن بعض كتاب السر بحماة أخذوا بظاهرة الجمع بين وظيفتي كاتب السر ووظيفة أخرى كالقضاء مثلاً، من ذلك ما فعله صدر الدين محمد بن هبة الله بن عمر البارزي (٢)، فضلاً عن تطبيق مبدأ توارث هذه الوظيفة، كما حدث عندما خلف سراج الدين عمر أبيه صدر الدين محمد البارزي في كتابة السرّ بحماة فباشرها -على ما يبدو- بعد خروج والده للحج إلى مكة سنة ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م (٣).

وممن تقلد وظائف ديوان المكاتبات بحماة كاتب السر علي بن يوسف بن إبراهيم المالكي ولاء الخليفة المستعين بالله سنة ٨١٥هـ / ١٤١٢م، ثم نقل إلى طرابلس ليلي كتابة سرّها وعرف بالناسخ (٤)، وبعد سنة ٨٢٨هـ / ١٤١٩م، عين

(١) ابن حجر، إنباء الغمر، ج٦، ص٩٤؛ المقرئ، السلوك، ج٧، ص٢٢؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٤، ص١٦١؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص١٤١؛ وناصر الدين محمد بن محمد بن عثمان بن البارزي الشافعي ولد بحماة في شوال سنة ٧٦٩هـ، حفظ الحاوي وأجاد الشعر والأدب، تولى القضاء بحماة سنة ٧٩٦هـ، ثم كتابة السر فيها، نال في كنف الأمير شيخ نائب دمشق الكرم والجود بعدما ولاء الخطابة في دمشق، واستمر شيخ في إكرامه حتى تقلد السلطنة فولاه كتابة السر في ديوان الإنشاء بالقاهرة سنة ٨١٥هـ، توفي سنة ٨٢٣هـ (انظر ابن حجر، ذيل الدرر الكامنة، ص٢٧٨-٢٧٩؛ ابن حسن الكاتب، البرد الموشى، ص٢١٥-٢١٦).

(٢) السخاوي، الضوء اللامع، ج١٠، ص٢٤؛ وجيز الكلام، ج٢، ص٨٢٦؛ محمد بن محمد بن هبة الله بن عمر بن إبراهيم بن الشرف هبة الله الجهني الحموي الشافعي يعرف بابن البارزي ولد بحماة سنة ٨٠٧هـ، وحرص أبوه على تلقينه العلوم الشرعية ببلده وبالقاهرة وحمص ودمشق، ولى قضاء بلده سنة ٨٤٢هـ، ثم كتابة السر وانفصل عن القضاء وظل على كتابة السر إلى أن نقل إلى حلب ليتقلد كتابة السر بها، توفي سنة ٨٧٥هـ (انظر ابن حسن الكاتب، البرد الموشى، ص٢٧٧-٢٧٨؛ البقاعي، إظهار العصر، ق١، ص٢٢١-٢٢٢؛ ابن الحمصي، حوادث الزمان، مج١، ص١٩٥).

(٣) السخاوي، المصدر السابق، ج٦، ص١٣١، ج١٠، ص٢٤؛ وسراج الدين عمر بن صدر الدين محمد ويعرف بابن البارزي، ولد بحماة سنة ٨٤٤هـ، ونشأ بها ودرس العلوم الشرعية واللغة العربية، ثم جاور في آخر أيامه بمكة المكرمة (انظر السخاوي، الضوء اللامع، ج٦، ص١٣١).

(٤) السخاوي، الضوء اللامع، ج٦، ص٥١؛ علي بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الله عبد القادر بن أحمد الحلبي المالكي ولد بالقاهرة سنة ٧٨١هـ، وأخذ العلوم الشرعية في حلب بعد انتقال أبيه إليها، وقد تقلد في وظائف عدة منها كتابة السر والقضاء ونظر الجيش، توفي ببلاد الروم في حدود سنة ٨٤٥هـ (انظر ابن حسن الكاتب، البرد الموشى، ص٢٧٦؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٦، ص٥١).

في كتابة الإنشاء بنبابة حماة محمد بن صلاح الحموي الشافعي تحت رئاسة كاتب السر البدر حسين^(١)، وأخيراً بأشر كتابة السر بحماة ابن السابق صلاح الدين خليل بن محمد الشافعي لمدة خمسة وعشرين عاماً، ثم نقل منها إلى حلب^(٢).

ومن ضمن الوظائف التابعة لديوان المكاتبات في نيابة حماة جهاز البريد الذي كان يُعدّ همزة وصل بين نيابة حماة وبين مقر السلطنة المملوكية في مصر، وقد أوكلت مهامها إلى أفراد من الجهاز العسكري، وذلك لضمان وصول الرسائل التي تحمل أوامر السلطنة إلى النيابات وسلامتها أيضاً من العبث بمحتوياتها، إضافة إلى كونهم العين التي ترصد تحركات العسكر عند تواجدهم مع مدبري حركات العصيان أو الحملات العسكرية المعادية للدولة سواء أكانوا مغولاً أو إمارات تركمانية^(٣)، ويتكوّن الجهاز الإداري للبريد من قسمين "إمرة أخورية البريد"، وتسند مهامه في الغالب لجندي يكون مسؤولاً عن خيول البريد في جميع أنحاء النيابة، وثانيها "شد مراكز البريد" ومهمته تفقد محطات البريد، والتي كانت لا تزيد في مسافتها عن ١٨ ميلاً^(٤)، كما يعمل على النظر في مطالب أصحاب البريد وتوفير ما يحتاجونه من الزاد والماء^(٥).

ويجري مجرى البريد ما يمكن تسميته بالبريد الجوي المناط به تربية الحمام الزاجل وتدريبه وصيانة الأبراج الخاصة به، والتي كانت تخضع مباشرة لإشراف النائب نفسه، وذلك لأهميته في سرعة تبادل الرسائل الهامة بين النيابة

(١) السخاوي، الضوء اللامع، ج٧، ص ٢٧٣؛ ومحمد بن صلاح بن يوسف الحموي ولد بحماة في سنة ٨٠٨ هـ، حفظ القرآن والحاوي، وتعلّم الفقه والنحو في بلده ثم رحل إلى دمشق ٨٢٨ هـ، لإكمال أخذ علوم اللغة العربية، توفي سنة ٨٥٣ هـ - انظر ابن حسن الكاتب، البرد الموشى، ص ٣٠٦؛ السخاوي، التبر المسبوك، ص ٢٨٧.

(٢) ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج٢، ص ٥٥٩؛ وصلاح الدين خليل بن محمد الشافعي: توفي سنة ٨٥٩ هـ - (للمزيد انظر السخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص ٢٠٤-٢٠٥).

(٣) علي إبراهيم حسن، تاريخ الممالك البحرية، ص ٣٢٢، ٣٢٦.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ١٤، ص ٣٧٢؛ علي إبراهيم حسن، تاريخ الممالك البحرية، ص ٣٢٤.

(٥) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٢٣٨؛ غرس الدين الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص ١٣٤، و البريدية : وهم المكلفون بإيصال الرسائل و الكتب من النيابة إلى جميع المناطق التابعة للسلطنة (انظر السبكي، معيد النعم، ص ٣٢؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ١٨٧).

ومقر السلطنة في القاهرة، وتمتاز رسائل هذا النوع ببعدها عن الإطناب والشرح بدون البسمة والديباجة المطولة ، ويستخدم في هذا ورق رقيق ليسهل حمله ، وتشد الرسالة تحت جناح الحمام أو إلى ذيلها (١).

ومن الوظائف الديوانية في نيابة حماة " ناظر المملكة " ويتم تنصيبه بموجب توقيع من السلطان المملوكي نفسه، و يقوم بدور الوزير ومهامه (٢)، إلا أنه لا ينعى بهذا في المكاتبات التي تصله من ديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية (٣)، ويبدو أن هذا الإجراء تم بعد تحويل حماة إلى نيابة مملوكية سنة ٦٩٨هـ/١٢٩٩م، إذ إن منصب وزير يوازي إلى حد كبير منصب نائب، ورغم أن هذا المسمى قد ظهر لبعض الوقت في حماة، وذلك في عهد المؤيد إسماعيل الذي كان من أبرز وزرائه شهاب الدين البارزي (٤). إلا أن هذا المنصب أصابه نوع من التهميش الوظيفي، حاله في ذلك حال الوزارة في القاهرة ودمشق (٥)، ويترأس ناظر المملكة عدداً من الموظفين كتاباً وشهوداً يتم تعيينهم من قبل نائب حماة (٦).

وأيضاً من الوظائف الديوانية وظيفة " نظر الجيش " وهي من أرفع دواوين الأموال ومهمتها الإشراف على نظام الإقطاعات من جرد وضبط (٧)، وموظفوها على مراتب أعلاها وظيفة "مستوفي الصلبة " ويتكفل بجميع أحوال النيابة وعليه

(١) للمزيد من التفصيل عن هذا النظام (انظر حسان سعداوي ، نظام البريد في الدولة الإسلامية ، ص ١٤١-١٤٢؛ على إبراهيم حسن، تاريخ الممالك البحرية ، ص ٣٢٧).

(٢) أوضح غرس الدين الظاهري أن أرباب الوظائف في حماة قريب مما ذكر في طرابلس ، وبناءً عليه فإن من ضمن موظفي طرابلس الوزير (انظر زبدة كشف الممالك ، ص ١٣٣-١٣٤؛ القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٤، ص ٢٣٨؛ ابن كنان ، المواكب الإسلامية ، ق ٢، ص ١٠٨)؛ و ناظر المملكة: يقوم مقام الوزير بالديار المصرية وبعض النيابات الشامية (انظر محمد دهمان، معجم الالفاظ التاريخية، ص ١٥٠).

(٣) القلقشندي ، صبح الأعشى، ج ٤، ص ١٨٨.

(٤) أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن المسلم بن هبة الله بن حيلن بن محمد بن منصور بن أحمد بن الجهني الحموي الشافعي ، ولد بحماة في شهر شوال سنة ٦٧٤هـ، و توفي في سنة ٧٥٥هـ (انظر ابن تغري بردي ، المنهل الصافي ، ج ١، ص ٣٥٧-٣٥٨، السخاوي ، وجيز الكلام، ج ١، ص ٧٩).

(٥) العمري، مسالك الأبصار، ج ٤، ص ١١٩-١٢٠؛ السبكي، معيد النعم، ص ٢٨؛ القلقشندي، ج ٤، ص ٢٨، ١٨٨.

(٦) القلقشندي ، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٢٣٨؛ ابن كنان ، المواكب الإسلامية ، ق ٢، ص ١٠٦.

(٧) العمري، مسالك الأبصار، ج ٤، ص ١٢٠؛ السبكي، معيد النعم، ص ٣٣؛ لقلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ١٩٠.

إطلاع السلطان بمستجدات الأمور داخلها، ويليه "مستوفين الأقطار" ومن مهامهم حصر الإقطاعات بعد وفاة أصحابها، والتي يتم حصرها من قبل النائب الحموي لترسل إلى الأبواب السلطانية وتدون في ديوان الجيش بمصر، إضافة إلى الإشراف المباشر لناظر الجيش على ديوانه بما فيه من كتاب وشهود والفصل في المحاكمات الديوانية (١)، ويخاطب من الأبواب السلطانية بناظر الجيش المنصور السامي، يكتب له في قطع الثلث بقلم التوقيعات (٢)، إلى جانب حضوره لمجلسي النائب الحموي عند انعقادهما في يومي الاثنين والخميس (٣)، وممن تسلم هذا المنصب بحماة بهاء الدين الحسن بن سليمان بن الريان (٤).

وكذلك من الوظائف الديوانية وظيفة "نظر بيت المال" ومهمتها تتلخص في جمع مقدرات النيابة المادية والعينية وحفظها في بيت المال، إمّا عن طريق تدوين العينات ضمن سجلات الديوانين، أو تحويلها إلى مخصصات مالية عن طريق بيعها أو تأجيرها وحفظ أثمانها في بيت المال (٥).

وإلى جانب ما ذكرنا فهناك من الوظائف ماعرف بأصحاب العمام، و يشمل الهيئات التشريعية القضائية المدنية على المذاهب الأربعة التي تعمل على الفصل في المنازعات، وتوزيع التركات بين الناس، ويتصدّر القاضي الشافعي قائمة القضاء المدني في حماة وهو المتحدث على الموزع الحكيمة والأوقاف وأكثر

(١) العمري، مسالك الأبصار، ج٤، ص١٢٠-١٢١؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١٩٠؛ وللوقوف على المزيد عن وظيفة المستوفي (انظر ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص٣٠١).

(٢) ابن ناظر الجيش، تعريف التنقيف، ص١٤٦، ٢٠١.

(٣) لم يذكر القلقشندي إن كان تعيينه يتم عن طريق الأبواب السلطانية أو النائب (انظر، صبح الأعشى، ج٤، ص٢٣٩؛ وأنظر أيضاً ابن كنان، المواكب الإسلامية، ق٢، ص١٠٩).

(٤) بهاء الدين أبو محمد الحسن بن سليمان بن أبي الحسن بن سليمان بن ريان ولد سنة ٧٠١هـ، تقلّد نظر الجيش بحلب وحماة وكتابة الإثشاء بحلب وتوفي بها سنة ٧٦٩هـ (انظر ابن تغري بردي، المنهل، ج٥، ص٧٧-٧٨).

(٥) العمري، مسالك الأبصار، ج٤، ص١٢٢؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٣١، ٢٣٨.

الوظائف" ^(١)، ولعل ذلك يعود إلى سيادة المذهب الشافعي، وقدم قاضيه في البلاد الشامية.

ويعين القضاة من قبل السلطان بتوقيع شريف ^(٢) يكتب في قطع الثلث بقلم التوقيعات، ويخاطبون في المكاتبات السلطانية بالمجلس العالي السامي ^(٣)، ويخصص للقضاة مرتبات من خزينة الدولة المملوكية، ولا يلزمون باستلامها مثل ما فعل قاضي الشافعية شرف الدين أبو القاسم هبة الله ابن البارزي الذي عمل في القضاء مدة ٤٠ سنة دون أن يتقاضى أجراً على وظيفته ^(٤).

ويعمل في خدمة القضاة عدد من الكتاب ممن لديهم إمام بالألفاظ العرفية واللغوية، وذلك ليتسنى لهم التنبيه إلى الأخطاء التي يقع فيها العوام، والتي توقعهم في مأخذ شرعية، إضافة إلى الحجاب ومهمتهم تنظيم الدخول على القضاة بعد أخذ إذنهم، ثم النقيب ومهمته تنظيم إدخال الشهود، فالأمناء المسؤولين عن أموال

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ١٩٢، ٢٣٨؛ والقضاء: في الغتله عدة معان منها الحكم والأمر والأداء والفراع والصنيع والتقدير والإبلاغ والإنهاء والبيان والحسم واللزوم والعمل والقتل، وأما في الاصطلاح فقد اختلفت عبارات فقهاء الإسلام في تعريفه، ولكن إجماله يدور حول فكرة واحدة وهي كون القضاء فصلاً للخصومات، وتبين الحكم الشرعي والإلزام به، وهو يكشف عن حكم الله ولا ينشئه، للمزيد من التفصيل حول تعريف القضاء (انظر عبد الكريم زيدان، نظام القضاء في الشريعة الإسلامية، ص ١١-١٢؛ محمود محمد هاشم، القضاء ونظام الإثبات في الفقه الإسلامي والأنظمة الوضعية، ص ٩-١٠؛ فاروق عبد العليم مرسى، القضاء في الشريعة الإسلامية، دراسة مقارنة حكمه وشروطه وآدابه، ص ١٧-١٨).

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٢٣٨؛ ابن كنان، المواكب الإسلامية، ق ٢، ص ١٠٨.

(٣) ابن ناظر الجيش، تنقيف التعريف، ص ١٩٥، ١٤٦.

(٤) ابن حبيب، درة الأسلاك، ج ٢، ورقة ٢٥٦/ب-٢٥٧؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج ٥، ص ١٧٥؛ شرف الدين أبو القاسم هبة الله بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن المسلم بن هبة الله بن حسان بن منصور بن أحمد البارزي، ولد بحماة في رمضان سنة ٦٤٥هـ، من أسرة علمية عريقة بحماة، أخذ العلوم الشرعية عن أبيه وجده وحج عدة مرات، عين قاضياً لبلده، ثم عمي في آخر عمره، وتوفي سنة ٧٣٨هـ (انظر ابن حبيب، درة الأسلاك، ج ٢، ورقة ٢٥٦/ب-٢٥٧؛ أبو الفداء، المختصر، ج ٤، ص ١٢٤؛ الذهبي، دول الإسلام، ج ٢، ص ٢٤٤؛ ذيل تاريخ الإسلام، ص ٤٣٢-٤٣٣؛ ابن الصفدي، نكت الهميان في نكت العميان، ص ٣٠٢؛ أعيان النصر، ج ٥، ص ٥٣٢؛ ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج ٢، ص ٢٩٣-٢٩٤؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٥، ص ١٧٤؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ٩، ص ٣١٥؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج ٦، ص ٢٩١).

و قد توارثت عدد من الأسر الحموية منصب القضاء من ذلك أسرة البارزي الحموية، فقد ناب القاضي نجم الدين عبد الرحمن بن إبراهيم البارزي عن جده شرف الدين في القضاء وهو على قيد الحياة ، ثم تولى القضاء بها بعد وفاته، واستمر في ذلك حتى وفاته سنة ٧٦٥هـ/١٣٦٤م^(٣)، وممن ناب عن أبيه وخلفه في قضاء حماة ناصر الدين هبة الله بن عمر بن إبراهيم بن هبة الله البارزي^(٤)، وكذلك ممن عين في قضاء الشافعية صدر الدين محمد بن محمد البارزي، وتولى قضاءها سنة ٨٤٢هـ/١٤٣٨م، ودام قاضياً ١٥ سنة ثم انفصل عنها^(٥)، وبمناسبة الحديث عن القضاة الشافعية في نيابة حماة نذكر من أبرزهم شمس الدين محمد بن عباس الصلتي^(٦)، وكذلك تولى قضاء حماة مرتين القاضي

(٢) النويري، نهاية الأرب، ج٣٢، ص١٢٣؛ وأبو بكر بن نصر الهاشمي، نلم أفق على ترجمة له فيما توفي له من مصادر
(٣) انظر ابن حبيب ، تذكرة النبيه، ج٣، ص٢٧٨؛ ابن العراقي ، ذيل العبر في أخبار من عبر، ج١، ص١١٧-١١٨؛
المقريزي، السلوك، ج٤، ص٢٧٥؛ ابن حجر ، الدرر الكامنة، ج٢، ص٤٦٢؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج٧، ص٢٤١؛
النجوم، ج١١، ص٨٤؛ اللليل، ج١، ص٤٠٩؛ ابن لباس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص١٣-١٤؛ و عبد الرحيم بن
إبراهيم بن هبة الله بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن هبة الله بي المسلم البارزي ولد سنة ٧٠٨هـ، نشأ يتيماً ، أخذ
العلوم على يد جده، تباينت آراء بعض المؤرخين حول مدة قضائه بين ٢٠-٢٦-٣٠ سنة(انظر ابن حبيب ، تذكرة
النبيه، ج٣، ص٢٧٨؛ ابن العراقي ، ذيل العبر في أخبار من عبر، ج١، ص١١٧-١١٨؛ المقريزي، السلوك، ج٤، ص
٢٧٥؛ ابن حجر ، الدرر الكامنة، ج٢، ص٤٦٢؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١١، ص٨٤؛ اللليل، ج١، ص٤٠٩؛ ابن
لباس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص١٣-١٤).

(٥) السخاوي ، الضوء اللامع، ج ١، ص ٢٤؛ وجيز الكلام، ج ٢، ص ٨٢٦.

(٦) انظر المقرري، السلوك، ج٦، ص١٣٥؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج٥، ص٢٦٥-٢٦٦؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٧، ص٢٧٧؛ ابن طولون، قضاة دمشق أو الثغر البسام في ذكر من ولي قضاء الشام، ص١٢٨-١٤٤، وشمس الدين محمد بن عباس بن محمد بن حسين بن محمد بن عباس الصلتي ثم الغزي، ولد سنة ٧٤٥هـ، تولى نيابة حماة مرات عدة، توفي معزولا عنها سنة ٨٠٧هـ (انظر المقرري، السلوك، ج٦، ص١٣٥؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج٥، ص٢٦٥-٢٦٦؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٣، ص٣٩؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٧، ص٢٧٧؛ ابن طولون، قضاة دمشق أو الثغر البسام في ذكر من ولي قضاء الشام، ص١٢٨-١٤٤).

نجم الدين عمر بن حجي بن موسى الحسباني^(١)، و ابن الخري عمر بن أحمد المبارك الزين الحموي^(٢)، محمود بن محمد الفيومي الهمداني الذي تولى القضاء بحماة في بداية عهد السلطان المؤيد شيخ^(٣).

وإذا أردنا ترتيب زمن تواجد القضاة الأربعة على الساحة الوظيفية في النيابة الحموية ، فإننا نجد بأن القاضيين الشافعي والحنفي أقدم استقراراً في هيكل الجهاز الديني ، وعلى الرغم من تأكيد ابن العراقي بأن استقرار القاضي الحنفي في نيابة حماة تمت في عام ٧٦٣هـ / ١٣٦١م^(٤)، إلا أن هذا القول تدحضه النصوص التاريخية التي أثبتت وجود قضاة على المذهب الحنفي مثل القاضي ابن العديم عز الدين عبد العزيز بن أبي جرادة العقيلي الذي تولى القضاء بحماة لمدة ٤٠ سنة ، وتوفي سنة ٧١١هـ / ١٣١١م^(٥).

(١) ابن حجر ، إنباء الغمر، ج٨، ص١٣٠؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٦، ص٧٨؛ و نجم الدين عمر بن أبو الفتوح حجي بن أحمد بن سعد السعدي الحسباني الأصل الدمشقي، ولد سنة ٧٦٧هـ، نشأ يتيماً أخذ العلوم الشرعية من بعض علماء الشام ومصر، توفي سنة ٨٣٠هـ (انظر ابن حجر، إنباء الغمر، ج٨، ص١٣٠؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٥، ص١٤٤؛ الدليل، ج١، ص٤٩٦؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٦، ص٧٨؛ ابن طولون، قضاة دمشق، ص١٤٣-١٤٤).

(٢) السخاوي، الذيل التام، ج٢، ص١٢٧-١٢٨؛ الضوء اللامع، ج٦، ص٧١؛ وعمر بن أحمد المبارك الزين الحموي ويعرف بابن الخري ، ولد بحماة ، وتلقى فيها العلوم الشرعية ثم عين في قضائها ونقل بعدها لقضاء حلب ، زار القاهرة ٨٣١هـ، وكانت وفاته بحماة سنة ٨٦٢هـ (انظر السخاوي ، الضوء اللامع، ج٦، ص٧١).

(٣) ابن حجر ، إنباء الغمر ، ج٨ ، ص٢٤٩؛ و السخاوي، الضوء اللامع ، ج١٠ ، ص١٢٩-١٣٠؛ و محمود بن محمد ابن القاضي نور الدين أبو الثناء الفيومي ولد بحماة سنة ٧٥٠هـ، ونشأ بها ، واستقى من علمائها العلوم الشرعية ، وكانت له مصنفات عدة منها المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، توفي سنة ٨٣٤هـ (انظر ابن حجر ، إنباء الغمر ، ج٨ ، ص٢٤٩؛ تغري بردي ، الدليل، ج٢، ص٧٢١؛ السخاوي، الضوء اللامع ، ج١٠ ، ص١٢٩-١٣١؛ الذيل التام ، ج١، ص٥٧٠).

(٤) ابن العراقي ، ذيل العبر ، ج١، ص٨٢.

(٥) الذهبي، نيل تاريخ الإسلام، ص١٢٨-١٢٩؛ ابن حبيب، تذكرة النبيه ج٢، ص٤١؛ ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج٢، ص٤٩٢؛ و عز الدين أبو بركات عبد العزيز بن محمد بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي الحلبي ويعرف بابن العديم ، ولد في سنة ٦٣٣هـ، عرف بكثرة مشاركته في العلوم حتى أثنى عليه ابن الزمكاني ، توفي في ربيع الآخر سنة ٧١١هـ (انظر ابن حبيب ، درة الأسلاك ، ج١، ورقة ١٨٠؛ الذهبي ، نيل تاريخ الإسلام ، ص١٢٨-١٢٩؛ ابن حبيب ، تذكرة النبيه، ج٢، ص٤١؛ ابن حجر، الدرر الكامنة ، ج٢، ص٤٩٢).

ولم ينقطع تواجد القاضي الحنفي إبان عودة النظام الملكي لحماية، حيث
تولى القاضي ناصر الدين محمد بن أبي جرادة العقيلي - حفيد القاضي السابق -
قضاء حماة، ثم نقل إلى قضاء حلب سنة ٧٢١هـ / ١٣٢١م^(١)، وتولى من بعده نجم
الدين عمر بن محمد بن أبي جرادة العقيلي حتى وفاته سنة ٧٣٤هـ / ١٣٣٤م^(٢)،
كما تولى القضاء بحماة مرتين القاضي تقي الدين محمود بن بدر الدين محمود
الحموي الشهير بابن الحكيم، وظل يقضي بين الناس حتى وفاته سنة ٧٦٠هـ /
١٣٥٩م^(٣).

وعلى ما يبدو فإن النظام النيابي استقر في حماة وابن الحكيم قائم على
القضاء الحنفي بها، وولي من بعده القاضي أمين الدين عبد الوهاب بن وهبان
الدمشقي، في سنة ٧٦٠هـ / ١٣٥٩م، ثم عزل في سنة ٧٦٢هـ / ١٣٦١م،
وأعيد للقضاء في العام التالي، وظل قائماً عليه حتى توفي في ذي الحجة سنة
٧٦٨هـ / ١٣٦٧م^(٤)، واستقر عقبه القاضي جمال الدين عبد الله بن عمر ابن

(١) ابن حبيب، درة الأسلاك، ج ٢، ورقة ١٩٠؛ تنكرة النبيه، ج ٢، ص ١١٥، ج ٣، ص ١٥١-١٥٢؛ ناصر الدين
أبي عبد الله محمد بن عمر بن عمر بن أبي جرادة العقيلي ولد سنة ٦٨٩هـ، سمع من جده وعم أبيه والأبرقوهي
والحجار، طالت مدة توليه لقضاء حلب حتى بلغت بضعاً وثلاثين سنة، توفي في شوال سنة ٧٥٢هـ (انظر ابن حبيب،
درة الأسلاك، ج ٢، ورقة ١٩٠؛ ابن حبيب، تنكرة النبيه، ج ٢، ص ٥٠، ج ٣، ص ١٥١-١٥٢؛ ابن حجر، الدرر
الكامنة، ج ٤، ص ٢٢٤؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٠، ص ٢٥١؛ الدليل، ج ٢، ص ٦٦٧).

(٢) الصفدي، أعوان النصر، ج ٣، ص ٦٥٣-٦٥٤؛ ابن حجر الدرر الكامنة، ج ٣، ص ٢٦٥؛ نجم الدين عمر بن
جمال الدين محمد بن كمال الدين عمر بن نجم الدين أحمد ابن أبي جرادة العقيلي ولد سنة ٦٨٩هـ، تولى التدريس،
وقد أثنى عليه المؤيد إسماعيل (انظر ابن حبيب، درة الأسلاك، ج ٢، ورقة ١٩٠؛ الصفدي، أعوان النصر، ج ٣،
ص ٦٥٣-٦٥٤؛ ابن حجر الدرر الكامنة، ج ٣، ص ٢٦٥؛ ابن حبيب، تنكرة النبيه، ج ٢، ص ١١٥، ج ٣، ص ٢٥٤-٢٥٥؛ ابن
تغري بردي، النجوم، ج ١٠، ص ٣٠٢).

(٣) ابن حبيب، تنكرة النبيه، ج ٣، ص ٢٢٨؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٠، ص ٣٣٢؛ وتقي الدين محمود ابن بدر
الدين محمد بن عبد السلام بن عثمان القيسي، باشر الأوقاف بحلب ثم قضاء حماة، وكان حسن السيرة (انظر ابن
حبيب، درة الأسلاك، ج ٢، ورقة ٢٤٨؛ تنكرة النبيه، ج ٣، ص ٢٢٨-٢٢٩؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٥، ص ١٠٥؛
النجوم، ج ١٠، ص ٣٣٢).

(٤) ابن حبيب، تنكرة النبيه، ج ٣، ص ٢٢٩؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج ٧، ص ٣٧٨؛ وأمين الدين عبد الوهاب بن أحمد بن
وهبان الدمشقي ولد سنة ٧٣٠هـ، له عدة مصنفات منها "نظم درر البحر"، توفي سنة ٧٦٨هـ (انظر ابن حبيب، تنكرة
النبيه، ج ٣، ص ٣٠٣؛ ابن العراقي، نيل العبر، ج ١، ص ٢٣٢؛ المقرئ، السلوك، ج ٤، ص ٣٠٨؛ ابن حجر، الدرر
الكامنة، ج ٣، ص ٣٧؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ١١، ص ٩٢؛ الدليل، ج ١، ص ٤٣١؛ السخاوي، الذيل التام، ج ١، ص
٢٢٢؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ٢، ص ٦٣؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج ٦، ص ٤٠٩).

العدم (١). كما عين في قضاء الحنفية بحماة القاضي علاء الدين علي بن إبراهيم ابن القضاعي (٢)، وفيما بين سنتي ٨١٤-٨١٥هـ/١٤١١-١٤١٢م، وتولى القضاء بها عماد الدين بن القصاص (٣)، وكذلك القاضي الزين فرج بن الأمير ناصر الدين محمد الحموي (٤)، إضافةً إلى أبي بكر بن محمود الحموي، الذي استمر في منصب القضاء حتى وفاته، فعين من بعده ابنه إبراهيم (٥).

وهناك من قضاة الحنفية من تولى قضاء المالكية بحماة قبل الفتنه التيمورية، ثم ناب عن قاضي المالكية، وشغل بعدها قضاء المالكية إلى وفاته وهو القاضي محب الدين أبو الفضل محمد ابن الشحنة (٦).

ويعد القاضي سري الدين أبو الوليد إسماعيل بن محمد اللخمي أول قضاة المالكية بحماة، وقد استمر في منصبه حتى سنة ٧٦٧هـ/١٣٦٥م، حيث نقل إلى قضاء دمشق في السنة ذاتها (٧). ثم أعيد لقضاء حماة مرة أخرى، وذلك في عام

(١) ابن حبيب، تذكرة النبیه، ج ٣، ص ٣٠٢-٣٠٣؛ المقرئ، السلوك، ج ٤، ص ٢٩٧؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج ٧، ص ١١٠؛ جمال الدين عبد الله بن نجم الدين عمر بن جمال محمد بن الكمال عمر بن أحمد بن هبة الله بن محمد ابن هبة الله بن أحمد بن هبة الله بن يحيى بن العديم، توفي بمكة المكرمة سنة ٧٨٣ هـ (انظر ابن حبيب، تذكرة النبیه، ج ٣، ص ٣٠٢-٣٠٣؛ المقرئ، السلوك، ج ٤، ص ٢٩٧؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج ٧، ص ١١٠؛ الدليل، ج ١، ص ٣٨٨).

(٢) ابن حجر، إنباء الغمر، ج ٥، ص ٢٥٠-٢٥١؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج ٥، ص ١٥٥؛ وعلاء الدين علي بن إبراهيم بن القضاعي الحموي الحنفي اختلف المؤرخون حول تاريخ وفاته، فمنهم من ذكر أنها سنة ٨٠٧هـ، وآخرون سنة ٨٠٩هـ (انظر ابن حجر، إنباء الغمر، ج ٥، ص ٢٥٠-٢٥١؛ ابن تغري بردي، الدليل، ج ١، ص ٤٤٥؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج ٧، ص ١٩٥-٢١٠).

(٣) ابن حجر، إنباء الغمر، ج ٧، ص ٤٧؛ ابن طولون، قضاة دمشق، ص ٢٠٦.

(٤) السخاوي، الضوء اللامع، ج ٦، ص ١٦٩؛ والزين فرج ابن الأمير محمد بن محمد بن محمد الحموي ولد سنة ٨١٣ هـ، وأخذ من علمائها العلوم الشرعية جمع بين القضاء وكتابة السر، كانت وفاته سنة ٨٩٦هـ (انظر السخاوي، النيل التام، مج ٢، ص ٦٢٠؛ التبر المسبوك، ص ٣٠٨).

(٥) تقي الدين عبد القادر الداري، الطبقات السنية، ج ١، ص ١٧٨؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج ١، ص ٣٦.

(٦) السخاوي، ذيل رفع الأصغر أو بغية العلماء والرواة، ص ٣٥٧؛ محب الدين أبو الفضل محمد بن محمد بن الشهاب غازي بن الختلو، يعرف بابن الشحنة، توفي سنة ٨٩٠هـ (انظر السخاوي، المصدر السابق، ص ٣٥٧).

(٧) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٧٥١؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ١، ص ٤٠٦؛ ابن حبيب، تذكرة النبیه، ج ٣، ص ٣٣٠؛ وسري الدين أبو الوليد إسماعيل بن محمد بن هاتئ الخمي الغرناطي الأندلسي ولد سنة ٧٠٨هـ، عين قاضياً في عدد من النيابات منها حماة وحلب وطرابلس، توفي بالقاهرة سنة ٧٧١هـ (انظر المقرئ، السلوك، ج ٤، ص ٣٣٧؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ٢، ص ٩٨؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج ٦، ص ٤١٩).

٧٦٩هـ / ١٣٦٧م^(١)، وناب عنه في القضاء ابنه ناصر الدين محمد، ثم تولى القضاء بعد وفاة أبيه سنة ٧٧١هـ / ١٣٦٩م، وظلّ في منصبه حتى صدر أمر بنقله إلى قضاء حلب سنة ٧٧٦هـ / ١٣٦٤م، ثم أعيد إلى قضاء حماة^(٢).

ومن الملاحظ بأن معظم من تولى قضاء المالكية بحماة من غير أهل حماة، بل إن بعضهم ينحدر من أصول أندلسية، وممن تولى القضاء بحماة على المذهب المالكي أحمد بن يعقوب الغماري^(٣)، وعلم الدين محمد بن محمد الدمشقي، الذي تسلّم هذا المنصب عدة مرات^(٤)، و ممن تولى قضاء حماة من الأندلسيين القاضي سري الدين، وكذلك شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد الحكمي^(٥).

ويبدو أن القاضي الحنبلي قد غيَّب مكانه بعد استقرار النظام النيابي في حماة ٧٤٢هـ / ١٣٤١م، وهذا ما يظهر من عدم ورود أي اسم لقاضي حنبلي عُيِّن في نيابة حماة حتى بداية القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، حيث عين القاضي ابن المغلي على بن محمود السلمي قاضياً على حماة، ثم انتقل إلى قضاء حلب سنة ٨٠٤هـ / ١٤٠١م، ودام عليها حتى العام التالي، فعاد بعدها إلى

(١) ذكر ابن العراقي أن عودته كانت سنة ٧٦٩هـ (انظر ذيل العبر، ج ١، ص ٢٣٥؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ١، ص ٤٠٦)
(٢) ابن العراقي، ذيل العبر، ج ٢، ص ٢٩١-٢٩٢؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج ٨، ص ٩١؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج ٧، ص ١٤٢؛ الذيل التام، ج ٢، ص ٤٨٥-٤٨٦؛ ابن طولون، قضاة دمشق، ص ٥٣؛ ناصر الدين محمد بن إسماعيل اللخمي، ولد بغرناطة سنة ٧٠٨هـ، تولى قضاء حماة فأساء السيرة بها، فنقله المؤيد شيخ إلى قضاء طرابلس فظل بها إلى أن وتوفي سنة ٨٢٨هـ (انظر النعمي، الدارس في تاريخ المدارس، ج ٢، ص ١٦؛ ابن طولون، قضاة دمشق، ص ٥٣).

(٣) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ١، ص ٣٥٩؛ إنباء الغمر، ج ٣، ص ٢٢٤؛ وأحمد بن يعقوب الغماري توفي وقد ناهز الستين من عمره، وذلك في ذي القعدة سنة ٧٩٦هـ (انظر ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ١، ص ٣٥٩؛ إنباء الغمر، ج ٣، ص ٢٢٤؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج ٧، ص ٩٧).

(٤) ابن طولون، قضاة دمشق، ص ٢٤٩-٢٥٠؛ وعلم الدين محمد بن محمد ناصر الدين محمد بن محمد الدمشقي توفي سنة ٨٠٥هـ (انظر ابن حجر، إنباء الغمر، ج ٥، ص ١٢٢-١٢٣؛ ابن طولون، قضاة دمشق، ص ٢٤٩-٢٥٠).

(٥) ابن حجر، إنباء الغمر، ج ٨، ص ٤٤٧؛ ومحمد بن محمد بن يحيى بن محمد بن عيسى بن محمد بن أحمد بن عيسى الحكمي نسبة إلى إحدى القبائل التي دخلت الأندلس فاتحه فاستوطنتها، تولى قضاء حماة ثم خرج إلى بلاد الروم فتوفي بها سنة ٨٤٠هـ (انظر ابن حجر، إنباء الغمر، ج ٨، ص ٤٤٧؛ السخاوي، وجيز الكلام، ج ٢، ص ٥٤٩؛ الذيل التام، ج ١، ص ٦٠٣).

قضاء حماة سنة ٨٠٥هـ/١٤٠٢م، ونال من المكانة والرفعة مما خوله الجمع بين قضاء حماة وقضاء الديار المصرية في سنة ٨١٧هـ/١٤١٤م^(١)، ويبدو بأن القاضي علاء لدين علي بن محمود ابن جماعة، كان ينوب عنه في القضاء أثناء غيابه^(٢)، وممن تولى القضاء الحنبلي القاضي عبد الرحمن بن الكازروني، الذي استمر مدة طويلة في قضاء حماة انتهت بوفاته سنة ٨٩٥هـ/١٤٩٠م، تخللها مرحلة عزل وإعادة^(٣).

ومن الوظائف العامة قضاء العسكر: وهي محكمة عسكرية تعمل على الفصل في قضايا الجند من قتل وسرقة وتعدي الرتب وعصيان الأوامر وتدابير للثورات الداخلية، أو تأييدها وغيرها، وكذلك ما يتبعه من أحكام تصل إلى المصادرات المالية أو عقوبة الإعدام، ويكون متوليها على المذهب الحنفي و يتم تعيينه بموجب توقيع شريف من قبل الأبواب السلطانية^(٤).

وأيضاً من الوظائف العامة الحسبة: وهي ذات تاريخ عريق، وضع أسسها الرسول محمد ﷺ واتبعه الخلفاء الراشدون^(٥) قال تعالى ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ

(١) المقرئزي، السلوك، ج٧، ص١٢٤؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج٨، ص٨٦؛ ابن تغري بردي، الدليل، ج١، ص٤٨١-٤٨٢؛ السخاوي، ذيل الأصر، ص١٩٠-١٩١؛ وعلاء الدين أبو الحسن علي بن محمود بن أبي بكر بن مغلي ولد سنة ٧٧١هـ، واختلف في مسقط رأسه بين حماة أو سلمية، نشأ بحماة، فأخذ العلم من علمائها، واشتهر بين أقرانه بسرعة حفظه، ثم لحق بالجهاز الديني، توفي سنة ٨٢٨هـ (انظر المقرئزي، السلوك، ج٧، ص١٢٤؛ درر العقود الفريدة في تراجم لأعيان المفيدة، ق١، ص٣٧٦؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج٨، ص٨٦؛ ذيل الدرر الكامنة، ص٣٠٢؛ ابن تغري بردي، الدليل، ج١، ص٤٨١-٤٨٢؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٦، ص٣٤-٣٦؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٧، ص٣١٦).

(٢) ابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ج٧، ص١٤١؛ وعلاء الدين علي بن محمود بن أبي بكر بن إسحاق بن أبي بكر ابن سعد الدين بن جماعة الكناشي الحموي توفي سنة ٨٠٢هـ، ابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ج٧، ص١٤١.

(٣) ابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ج٨، ص١٩.

(٤) ابن ناظر الجيش، تنقيف التعريف، ص١٩٥؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢٣٨؛ ابن كنان، المواكب الإسلامية، ق٢، ص١٠٨.

(٥) فتحية النبراوي، تاريخ النظم والحضارة الإسلامية، ص١٣٢-١٣٣؛ والحسبة: بكسر الحاء يكون اسماً من الاحتساب بمعنى ادخار الأجر، ويكون بمعنى الاعتداد بالشيء، وأيضاً يأتي بمعنى حسن التدبير والنظر فيه، للمزيد من التفصيل (انظر ابن الأخوة، معالم القرية في أحكام الحسبة، ص٢٣؛ عمر السنامي، نصاب الاحتساب، ص٨٣).

إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ»^(١)، وبلغت أوج قوتها زمن الفاطميين فأصبح صاحبها يملّي أوامره على رجال الشرطة^(٢)، ولم يتغير نظام الحسبة عما كان عليه زمن الفاطميين والأيوبيين من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحفظ الآداب العامة، والإشراف على الأسواق، وتنبيه أولي الأمر على المساجد التي تستدعي الترميم^(٣)، ومراقبة النقود المضروبة والتثبت من سكتها من ذهب وفضة، إلى جانب مراقبة المياه المباعة والتأكد من جودتها وصفائها، وكذلك مراقبة جودة الطعام والشراب ومشروعيتها^(٤)، وأنيطت مسؤولية توليتها في نيابة حماة للنائب نفسه^(٥)، فهو المسؤول عن تعيين المحتسبين، وتوزيعهم بين أعمال حماة^(٦).

(١) آل عمران ، آية ١٠٤.

(٢) المقرئزي، المواعظ والاعتبار، ج ١، ص ٤٦٣-٤٦٤.

(٣) المقرئزي، المصدر السابق، ج ١، ص ٤٦٤؛ وانظر الشيزري ، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، ص ١١٠-١١١؛ علي إبراهيم حسن ، تاريخ الممالك البحرية، ص ٣٩٧.

(٤) السبكي ، معيد النعم ، ص ٥٦؛ للمزيد من التفصيل عن مهام المحتسب (انظر ابن تيمية، الحسبة في الإسلام، ص ١٦ وما بعدها؛ عمر السنامي، نصاب الاحتساب، ص ٨٤-٩٢).

(٥) العمري، مسالك الأبصار، ص ١٢٢؛ ابن ناظر الجيش، تنقيف التعريف، ص ١٩٤؛ الفلقشندي ، صبح الأعشى، ج ٤، ص ١٩٣.

(٦) الفلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٢٣٨؛ ابن كنان ، المواعظ الإسلامية ، ق ٢، ص ١٠٨.



الفصل الثاني

علاقة نيابة حماة بالقوة المجاورة



✽ جهود نيابة حماة في صد غزوات المغول عن بلاد الشام.

✽ إسهام نيابة حماة في اضمحلال مملكة إرمينية الصغرى .

✽ دور نيابة حماة في حركة الجهاد ضد الصليبيين في جزر

البحر المتوسط ١٢٠٠ - ١٢٠١ - ١٢٠٢ هـ - ١٢٠٣ هـ

✽ دور نيابة حماة في الحملات التأديبية ضد الإمارات التركمانية

✽ حملة تيمورلنك على بلاد الشام سنة ٨٠٣ هـ - / ١٤٠٠ م،

وموقف نيابة حماة منها .

جهود نيابة حماة في صد غزوات المغول عن بلاد الشام:

على الرغم من اعتناق المغول للإسلام ، إلا أن ذلك الحدث الهام لم يمنع الخان المغولي غازان من معاودة تهديد ممتلكات المماليك غرب نهر الفرات ، ففي سنة ٦٩٨هـ / ١٢٩٩م، نما إلى أسماع الناس في حلب وحماة نبأ عبور المغول نهر الفرات لغزو بلاد الشام، ففر أهل حلب وحماة إلى دمشق " وبلغ كرى الخيل من حماة إلى دمشق نحو مائتي درهم"^(١). فبادر السلطان الناصر بالخروج من مصر على رأس قواته ، وذلك في المحرم من سنة ٦٩٩هـ / ١٢٩٩م، وعندما وصل غزة أثار المغول الأويراتية الشغب في أوساط الجيش أملاً في إعادة السلطان العادل كتبغا -الذي كان قد استضافهم- إلى منصبه، فانشغل السلطان الناصر بعض الوقت بإخماد هذه الفتنة حيث بقيت قواته في معسكرها بغزة قرابة شهرين. تحركت بعدها إلى دمشق فدخلها في يوم الجمعة ٨ ربيع الأول من السنة نفسها، فوجد المدينة قد تزينت لدخوله رغم حالة الذعر التي سادت أوساط الناس في ظل التهديد المغولي المتجدد^(٢)، ويبدو أن هذا كان من باب رفع الروح المعنوية للجيش المملوكية سواء المصرية أو الشامية، وذلك للوقوف في وجه المغول.

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية، ج١٤، ص٤١٣؛ وانظر أيضاً ، بيبرس المنصوري، التحفة المملوكية، ص١٥٦؛ ابن أيبك، كنز الدرر، ج٩، ص٢١٢؛ العيني، عقد الجمان، ج٤، ص٨؛ مريم بن لادن، دور ابن تيمية في الجهاد ضد المغول الأيلخانية ٦٦١ إلى ٧٢٨هـ، رسالة علمية لنيل درجة الماجستير من جامعة أم القرى غير مطبوعة، ص١٥٥؛ والخان : لقب يطلق على الملوك الذين يتولون جزءاً من الامبراطورية المغولية (انظر محمد قنديل البقلي، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص ٢٦٧)؛ وغازان بن ارغون ، تقلد حكم إيلخانات فارس والعراق عقب بايدوخان أواخر سنة ٦٩٤هـ، اشتهر بإنجازاته العمرانية المدنية والعسكرية إلى جانب رصيد حافل من الهزائم العسكرية على يد دولة المماليك كانت وفاته سنة ٧٠٣هـ (انظر الديار البكري، تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، ج٢، ص٣٨١؛ الغياثي، تاريخ الغياثي، ص٤٩-٥٣).

(٢) بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة، ص٣٣٠؛ ابن أيبك، كنز الدرر، مج٩، ص١٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص٤١٣-٤١٤؛ المقرئ، السلوك، ج٢، ص٣١٧؛ والأويراتية : هم جنس من المغول يتألفون من عدة قبائل سكنت الجزء الأعلى من نهر ينسي بأواسط آسيا ، وقد فرت من القان غازان نحو الأراضي المملوكية طالبة اللجوء السياسي من السلطان كتبغا فوافق على استضافتهم سنة ٦٩٥هـ (انظر بيبرس المنصوري، التحفة المملوكية ، ص١٤٦؛ زبدة الفكرة، ص٣٠٩-٣١٠؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٧، ص٤٠٩؛ ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج٨، ص٢٠٣-٢٠٤؛ المقرئ، السلوك، ج١، ص٧٠٨؛ هامش ٣؛ العيني، عقد الجمان، ج٣، ص٤٠٣، هامش ١).

وأمر الناصر بعد ذلك ببث سراياه للتعرف على مدى تقدم القوات المغولية والتحقق من إمكاناتهم العسكرية، فعاد البريد يؤكد عبورهم الفرات، ووصولهم إلى الحدود الشمالية الشرقية لنيابة حلب^(١)، ورغم أن الناصر أعدّ العدة لملاقاتهم^(٢)، إلا أن القوات تمكنت في مدة وجيزة من اجتياز خط الدفاع الأول حلب، ومن بعدها حماة - لم يحتاج غازان إلى الخطة التي رسمها في البدء لدخول حلب، وهذا على ما يبدو يعود لوضوح صورة الأوضاع السياسية والعسكرية وما أصابها من ثغرات وضعف للقائ المغولي بعد أن لجأ إليه أمراء المماليك العاصيين - ونزلت على وادي المروج بظاهر حمص ، فتقدم السلطان الناصر محمد ومعه بيبرس الجاشنكير وسيف الدين سلاّر ومعهم القوات المملوكية إلى وادي الخازندار، وأخذ بتقصي أخبار العدو من العرب المقيمين في هذه المنطقة^(٣)، حين قرر السلطان في البداية مواجهة المغول بأسلوب الكرّ والفرّ، فأوعز إلى عسكره استخدام الأسلحة الخفيفة ، حيث نودي في العسكر " أن ارموا الرماح واعتمدوا على ضرب السيف والدبوس"^(٤).

ثم قُسمت القوات المملوكية إلى عدة كراديس مقدمة وميمنة وميسرة وقلب، وجعل في المقدمة خمسمائة مملوك من الزرايين، أما الميمنة فكان بها نائباً حلب

(١) المقرئزي، السلوك، ج٢، ص٣١٨-٣١٩.

(٢) أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص٤٣.

(٣) العيني، عقد الجمان، ج٤، ص٩؛ و وادي خزاندار: تبعد مسيرة يوم أو أقل عن تربة خالد بن الوليد وهي بين حمص وحماة ويطلق عليها أيضاً مجمع المروج (انظر النويري، نهاية الأرب، ج٣١، ص٣٨٤، حاشية ٤؛ العيني، عقد الجمان، ج٤، ص٢٧)؛ والأمير سلاّر المنصوري ، تقلد نيابة السلطنة المملوكية ورشح إلى السلطنة بعد عزل السلطان محمد بن قلاوون لنفسه ولكنه رفض، فسلطن بيبرس الجاشنكير، قبض عليه الناصر محمد ثم قتله في سنة ٧١٠ هـ (انظر ابن تغري بردي، الدليل، ج١، ص٣١٤-٣١٥).

(٤) المقرئزي، السلوك، ج٢، ص٣١٩، والدبوس: هي كلمة فارسية تطلق على العصا المصنوعة من الخشب أو الحديد وفي رأسها شيء كالكرة (انظر محمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، ص٧٣)؛ والرماح: جمع رمح وهي آلة تستخدم للطنن، وهي على ضريين أحدهما يتخذ من القنا وهو عبارة عن قصب مسدود من الداخل ، وثانيها يصنع من الخشب ونحوه، عن صناعة الرماح وفنون القتال به (انظر خزانة السلاح لمؤلف مجهول، ص٣٣؛ الأحذب، الفروسية والمناصب الحربية).

بلبان الطباخي، ونائب حماة الأمير قراسنقر بعساكرهما وأمير العرب وتحت إمرته آل مرة وآل كلب وآل على وغيرهم من العربان^(١)، وفي الميسرة نائب طرابلس والأستادار لاجين والأمير طغريل الأيغاني والأمير أقوش، وعدد من أمراء الطلبخانة و الظاهريه، وجعلت قيادة القلب للسلطان الناصر، وكان معه عدد من الأمراء منهم سلاّر و ببيرس الجاشنكير و برلغي و قطلوبك الحاجب و أييك الخزندار، إضافةً إلى المماليك السلطانية^(٢).

(١) من المرجح بأن أمير العرب هو حسام الدين مهنا على خلاف ما ذكره المقرئزي بأنه عيسى ابن مهنا، وذلك لأن الأخير توفي قبل غزو غازان بأعوام تحديداً في سنة ٦٨٣هـ، وذلك بشهادة المؤرخ ذاته والذهبي، ولقد زاد ابن تغري بردي عند رصده لوفاة أمير العرب عيسى بأن ابنه مهنا قد تولى إمرة العرب من بعده (انظر الذهبي، دول الإسلام، ج٢، ص ١٨٦؛ المقرئزي، السلوك، ج٢، ص ١٨٦-٣١٩؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج٧، ص ٣٦٣)؛ وبلبان الطباخي: من ممالك السلطان قلاوون تقلد عدة وظائف عسكرية منها نيابة طرابلس ثم حلب، توفي سنة ٧٠٠هـ (انظر ابن تغري بردي، المنهل، ج٣، ص ٤٢٢)؛ والزرّاقون: هم حملة القوارير التي تحوي مواداً مشتعلة تلقى في وجه الأعداء ويطلق عليهم النفاطون (انظر محمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، ص ٨٥)؛ آل مرة وآل كلب وآل على ينتسبون إلى ربيعة بن حازم بن علي بن مفرج بن دغفل بن جراح الذي ينتهي نسبه إلى طيئ من بني سلسلة بن عنين بن سلامان، نشأ جدهم الأكبر طيئ في عهد الأتابك زنكي ووفد على ابنه نور الدين، فأكرمه وسكن بلاد الشام، ومنه تفرعت عرب الشام، وكان له من الأبناء أربعة فضل ومرة وثابت ودغفل، ويتفرع من "آل فضل" آل عيسى وجعلت فيهم الإمرة لعرب الشام قاطبة زمن المماليك، و آل على وينتسبون على ضئضي آل فضل، ومن أفرع آل فضل بنو كلب وآل مرة (انظر العمري، مسالك الأبصار، ج٢-٣، ص ١١٤-١٣٧)؛ وكراديس: مفردها كردوس أو كردوسة، وهي الفرقة الحربية الراكبة والقطعة العظيمة من الخيل (انظر سعيد عبدالفتاح عاشور، العصر المماليكي، ص ٤٦٥).

(٢) المقرئزي، السلوك، ج٢، ص ٣١٩؛ العيني، عقد الجمان، ج٤، ص ١١-١٣؛ والأمير حسام الدين لاجين الرومي: استشهد سنة ٧٠٢هـ (انظر ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٣، ص ٣٥٧؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج٨، ص ٢٠٦)؛ والأمير طغريل الأيغاني: من ممالك الأمير أيغان بن عبد الله الركني ببيرس، كان يعرف بـ"بسم الموت"، وقد ذكر اسمه محرفاً عند ابن حجر فقال طغريل الأتقاني (انظر ابن حجر الدرر الكامنة، ج٢، ص ٣٢)؛ وجمال لدين أقوش المنصوري ويعرف بقتال السبع توفي سنة ٧١٠هـ (انظر ابن تغري بردي، المنهل، ج٣، ص ٢٦)؛ والأمير سيف الدين برلغي: الأشرفي كان من المقربين للسلطان المظفر ببيرس الجاشنكير ومقدم عساكره، وبعد عود السلطان الناصر محمد للحكم قبض عليه ثم قتله سنة ٧١٠هـ (انظر المقرئزي، المقفى، ج٢، ص ٤٠٧)؛ والأمير قطلوبك المنصوري الكبير تولى الشد في نيابة دمشق وركي بعدها لحجوبية مصر سنة ٦٩٨هـ، ثم قلّد نيابة طرابلس ولم يبق عليها فطلب نقله، فعين في إمرة مائة بمشّق ثم تقلّد نيابة صفد سنة ٧٠٩هـ، وظل قائماً عليها حتى قبض عليه الناصر محمد سنة ٧١١هـ (انظر ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٣، ص ٣٣٨)؛ والأمير عز الدين أييك الخازندار: تنقل في الخدمة حتى غدا من أمراء الديار المصرية استتابه السلطان الأشرف خليل على الديار المصرية مدة غيبته لحصار عكا، ثم تولى نيابة طرابلس سنة ٦٩٢هـ، قبض عليه السلطان كتيغا، ثم أطلقه الناصر محمد عند عودته للحكم وقلده نيابة طرابلس حج سنة ٧٠٤هـ، وتوفي سنة ٧٠٩هـ (انظر المقرئزي، المقفى، ج١، ص ٣٢٧-٣٢٨).

ثم وقع المصاف في ٢٧ من ربيع الأول من السنة ذاتها، و هجم الزراقون وبأيديهم قوارير النفط المشتعلة على غازان وجنده الذي لم يستطيع أن يحرك ساكناً حتى خمدت نيران النفاطة، فهجم وجنده على مقدمة المماليك ^(١)، ورغم أن قلب الجيش المملوكي وميسرته صمد رجالها أمام ذلك الهجوم المغولي حتى كُسرت ميمنة المغول، وعادت ميسرة الجيش المملوكي إلى حمص محملة بالغنائم، إلا أن غازان ما لبث أن عاود هجومه الكاسح على الجيش المملوكي بدعم من الأمير قبجق نائب دمشق السابق ، والذي كان قد قاد ثورة داخلية ضد السلطان الناصر ، حيث نجحت ميسرة المغول في هزيمة القوات المملوكية ، كما وهن العرب من كثرة تعرضهم لسهام العدو فكانوا سبب كسرة الميمنة ^(٢)، ولم يتمكن عسكر حلب وحماة من الصمود طويلاً ^(٣)، وخاصة بعد تراجع السلطان بخواصه فحلت الهزيمة بالجيش المملوكي، وتفرق عسكره في الشعاب والأودية ^(٤). ومن رحمة الله ﷺ بأن المغول لم يتتبعوا الفارين لاعتقادهم بأنها مكيدة من مكائد المماليك لاستدراجهم ^(٥)، وكانت هزيمة ساحقة للقوات المملوكية أمام المغول قتل فيها عدد كبير من الطرفين ^(٦)، كان منهم الأمير نجم الدين أبو البقا نوح ابن المقدم

(١) المقرئزي ، السلوك، ج ٢، ص ٣٢٠؛ العيني، عقد الجمان ، ج ٤، ص ١٣-١٤.

(٢) العيني، عقد الجمان، ج ٤، ص ١٤-١٥؛ انظر أيضاً بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة، ص ٣٣١؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٢٧، ص ٤١١-٤١٢؛ ابن أبيك، كنز الدرر، مج ٩، ص ١٥-١٨؛ الذهبي ، دول الإسلام، ج ٢، ص ٢٠٢-٢٠٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية ، ج ١٤، ص ٤١٤؛ ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج ١، ص ٢٢٠؛ المقرئزي، السلوك، ج ٢، ص ٣٢٠؛ ابن تغري بردي ، النجوم، ج ٨، ص ١٢١-١٢٣؛ والأمير سيف الدين قبجق: تقلد عدة نيايات منها دمشق وحماة و حلب وتوفي وهو قائم عليها سنة ٧١٠هـ، ودفن بتريته في حماة (انظر الصفدي ، أعيان الناصر، ج ٤، ص ٦١ تحفة نوي الألباب، ج ٢، ص ١٩٥؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٣، ص ٢٤١؛ ابن طولون، أعلام الوري، ص ١٠).

(٣) العيني ، عقد الجمان ، ج ٤، ص ١٤-١٥.

(٤) عن وقعة الخزندار (انظر البرازلي، المقتفى لتاريخ أبي شامة، ق ١، ج ٢، ص ٤٨؛ بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة، ص ٣٣١؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٢٧، ص ٤١١-٤١٢؛ ابن أبيك، كنز الدرر، مج ٩، ص ١٥-١٨؛ الذهبي ، دول الإسلام، ج ٢، ص ٢٠٢-٢٠٣؛ الصفدي، الوافي، ج ٤، ص ٣٥٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٤١٤؛ ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج ١، ص ٢٢٠؛ ابن دقماق، النفحة المسكية، ص ١٠٦؛ العيني، عقد الجمان، ج ٤، ص ٢٥٥؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ٨، ص ١٢٢؛ القرمانى، أخبار الدول، مج ٢، ص ٢٨٠؛ اسطفان الدويهي، تاريخ الأرمنة، ص ٢٧٩).

(٥) ابن أبيك، كنز الدرر، مج ٩، ص ١٧-١٨؛ المقرئزي، السلوك، ج ٢، ص ٣٢٠؛ العيني، عقد الجمان، ج ٤، ص ٢٦-٢٧.

(٦) بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة، ص ٣٣٢؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٣١، ص ٣٠٥؛ الذهبي، دول الإسلام، ج ٢، ص ٢٠٢-٢٠٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٤١٤-٤١٥؛ ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج ١، ص ٢٢٠.

فحمل إلى حماة ليدفن فيها^(١). وقد أرجع أبو الفداء مسبباتها إلى كون "سلار والجاشنكير هما المتغلبان على المملكة فداخل الأمراء الطمع ولم يكملوا عدة جندهم، فنقص العسكر كثيراً مع سوء التدبير ونحو ذلك من الأمور الفاسدة التي أوجبت هزيمة العسكر"^(٢)، وأضاف الذهبي سبباً آخر للهزيمة هو كثرة عدد قوات المغول أمام المماليك فقال: "وجاءهم ما لا يقبل لهم به لأنّ الجيش لم يتكامل يومئذ ، وكانوا بضعةً وعشرين ألفاً ، وكان العدو ثلاثة أمثالهم"^(٣).

أما غازان فأكمل مسيره حتى وقفت قواته أمام أسوار دمشق، ثم تمكن من دخولها وفرض سيطرته عليها^(٤)، ثم أصدر أوامر بتقسيم المهام في بلاد الشام بين الأمير سيف الدين قبجق والأمير فارس الدين البكي الساقى والأمير بكتمر السلحدار، فاستقر الأول في نيابة دمشق، والثاني أوكلت له ممالك الساحل من طرابلس وصفد وغيرها، أما الثالث فتولى الممالك الداخلية وهي حلب وحماة وحمص تسانده حامية مغولية عدد فرسانها "عشرين ألف راکب"^(٥)، وبعدها عاد

(١) البرازلي، المقتفى، ج ١، ص ٢، ص ٤٩؛ والأمير نجم الدين أبوالبقا نوح بن عبد الملك ابن الأمير الكبير شمس الدين محمد بن عبد الملك ابن المقدم ، ولد في العشر الأواخر من رمضان سنة ٦٢٤هـ، جمع بين الفروسية والعلم وكان من العساكر الحموية (انظر البرازلي، المصدر السابق، ج ١، ص ٢، ص ٤٩).

(٢) يلحظ من المؤرخ استبعاد إلقاء المسؤولية على السلطان الناصر محمد الذي من المفترض أن يكون مشرفاً على جميع التجهيزات العسكرية بنفسه، وقد أرجع الصفدي الهزيمة إلى ذات المسبب من عدم تكامل الجيش، انظر أبو الفداء، المختصر ، ج ٤، ص ٤٣؛ الصفدي ، الوافي ، ج ٤، ص ٣٥٧.

(٣) الذهبي ، تاريخ الإسلام، حوادث ٦٩٩هـ، ص ٧٠.

(٤) للتعرف على كيفية دخول غازان دمشق (انظر ابن الفوطي، التجارب النافعة، ص ٥٤٣؛ أبو الفداء، المختصر، ج ٤، ص ٤٣؛ ابن أبيك ، كنز الدرر، ج ٩، ص ١٨ وما بعدها؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ، حوادث ٦٩٩هـ، ص ٧٣ وما بعدها ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٤١٥-٤١٧).

(٥) بيبيرس المنصوري، زبدة الفكرة، ص ٣٣٩؛ انظر كذلك ابن الفوطي، التجارب النافعة، ص ٥٤٣-٥٤٤؛ أبو الفداء، المختصر، ج ٤، ص ٤٣؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٢٧، ص ٤١٣؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ٦٩٩هـ، ص ٨٠-٨١/٨٨؛ دول الإسلام، ج ٢، ص ٢٠٤؛ الصفدي، أعيان النصر، ج ٤، ص ١٧-١٨؛ ابن دقماق، النفحة المسكية، ص ١٠٦؛ والأمير بكتمر السلحدار: من ممالك السلطان الظاهر بيبيرس نال الإمرة في عهد السلطان قلاوون، ثم فر إلى غازان وعاد بعد ذلك إلى حظيرة الحكم المملوكي، وظل من جملة أمرائها حتى توفي سنة ٧٠٣هـ (انظر ابن أبيك، كنز الدرر، ج ٩، ص ١١٣؛ الصفدي، أعيان النصر، ج ١، ص ٧٠٢-٧٠٣؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٢، ص ١٦)؛ الأمير البكي الساقى الظاهري: تقلد نيابة صفد بعد الإقراج عنه في عهد المنصور، ثم أمر بإيداع حسام الدين لاجين السجن، ولما تسلطن الأخير شرع في القبض عليه، ولكن ألبكي فر إلى غازان فزوجه القان المغولي من أخته، ثم تولى حمص واستقر عليها حتى توفي سنة ٧٠٢هـ (انظر الصفدي، أعيان النصر، ج ٢، ص ٥٨٩-٥٩٠).

الخان المغولي إلى بلاده يوم الجمعة ١٢ جمادي الأولى تاركاً حامية مغولية في دمشق^(١)، تقدر بعشرين ألف فارس^(٢).

والظاهر بأن إقرار غازان للأمير بكنتمر السلحدار على حلب وحماة^(٣)، لم يكن سوى شكلاً صورياً متمماً لبهجة الانتصار، وذلك لأن سيطرة نائب القان المغولي الأمير بكنتمر السلحدار لم تمتد إلى نيابة حماة، وهذا يظهر من وضع النيابة التي عاشت أوقات عصيبة بعد أن تغلب على القلعة عثمان السبيتاري - من أتباع النائب الحموي - وصاحبه إسماعيل فحكما في البلد والقلعة، وعائثا بها فساداً واستباحا دماء الأهالي وأموالهم وأعراضهم، ثم غدر عثمان بصاحبه وقتله وانفرد بحكم حماة، وقيل: "انه تلقب بالملك الرحيم"^(٤)، وهذا يعني بأن الحامية المغولية في دمشق لم ترسل من قبلها من يحفظ حماة ضمن نطاق امتدادها، كما أنه لا توجد إشارات تدل على موافقة المغول أو رفضهم لانفراد عثمان السبيتاري بحكم حماة، أو تدحض بأن فكرة استقلالية المذكور بحماة كانت من محض تصرفه الفردي .

و تتلخص النتيجة النهائية لحركة غازان على بلاد الشام في انتصاره الحاسم على السلطان الناصر محمد وسحقه للقوات المملوكية محيياً بذلك أسطورة القوات المغولية وأمجادها العسكرية، إضافة إلى انسلاخ البلاد الشامية من التبعية

(١) ابن الفوطي، التجارب النافعة، ص ٥٤٣؛ بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة، ص ٣٤٤؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٣١، ص ٣٩٧؛ ابن أبيك، كنز الدرر، مج ٩، ص ٣١؛ اسطفان الدويهي، تاريخ الأزمنة، ص ٢٧٩.

(٢) وقد استبقيت الحامية للاستيلاء على قلعة دمشق، ومنهم من أوكلت إليهم مهمة جمع الأموال، فكان من ضمن من خلف من أمراء المغول الأمير قطلوشاة والأمير بولاي (انظر ابن الفوطي، التجارب النافعة، ص ٥٤٤؛ بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة، ص ٣٤٥؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث سنة ٦٩٩هـ، ص ٨٧؛ الصفدي أعيان النصر، ج ٤، ص ١٨).

(٣) المقرئزي، السلوك، ج ٢، ص ٣٢٥.

(٤) أبو الفداء، المختصر، ج ٤، ص ٤٤؛ وعثمان السبيتاري: من أحد جندارية النائب الحموي المهزوم الأمير قراسنقر، ولهذه الصلة فقد حظي بالحماية من قبل الأمير المملوكي، ولكنها لم تطل لهرب أستاذه إلى المغول، فسعى الملك المؤيد إسماعيل للقبض عليه وتنفيذ حكم القتل فيه في يوم الاثنين ١٤ شعبان سنة ٧١٦هـ، (انظر أبو الفداء، المختصر، ج ٤، ص ٤٤ - ٤٥).

المملوكية وسيادة الخان غازان عليها إدارياً وعسكرياً حتى، إن المساجد الشامية أصبحت تدعوا للخان المغولي من فوق منابرها^(١).

وعلى كل حال فقد عاد السلطان الناصر محمد إلى القاهرة، ودخلها في يوم ١٣ ربيع الآخر، وشرع في تجهيز الجيوش بالعدة والعتاد، فأمر بفتح بيت المال^(٢)، وتوافدت عنده عساكر النيابات الشامية الدمشقية والحلبية والحموية، فوزع على نوابها نفقة الجند، فحصل كل نفر على خمسة عشر أردب من القمح والشعير والفول، وحصل جنود الأمراء على خمسين ديناراً^(٣)، و يبدو أن قيادة قوات حلب سلمت للأمير قراسنقر بعد أن طلب بلبان الطباخي إعفائه من مهام نيابة حلب، بعد تسلمه لنفقة جندها، فجمع بذلك الأمير قراسنقر بين قيادة العسكر

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ٦٩٩هـ، ص ٨٠-٨١؛ وعلى الرغم من تحقيق غازان لهذه الانتصارات على الصعيد العسكري، إلا أنه خلف من ورائه هزيمة معنوية تدور رحاها حول شخصه باعتباره مسلماً وتشكيك بعض المؤرخين في حقيقة اعتناقه للدين الإسلامي متخذين من أعمال الفساد والقتل والنهب المخلة بقواعد الحرب في الشريعة الإسلامية، والتي ارتكبتها قواته في مسلمي بلاد الشام تساندها قوات أرمينية، فضلاً إلى سعي القان المغولي للتحالف مع الدول الأوروبية بإرسال سفارة إلى ملكي فرنسا وإنجلترا لهذا الغرض، وكذلك الحصول على مساعدات عسكرية منهما، إلى جانب طلبه مشاركة ملك قبرص ومقدمي الاسبتارية والداوية العسكرية لإنجاح حملته على بلاد الشام، ولعل هذا كله هو الذي دفع الكثير من المؤرخين إلى القول بأن اعتناق غازان للإسلام كان لمواقع سياسية بحتة رغم ما اتخذته غازان من شعارات تؤكد اعتناقه للإسلام منها تطبيقه تعاليم أحكام الشريعة الإسلامية في المعاملات الرسمية في دولته (للمزيد انظر ابن الفوطي، التجارب النافعة، ص ٥٤٣؛ أبو الفداء، المختصر، ج ٤، ص ٤٣؛ ابن أبيك، كنز الدرر، ج ٩، ص ١٨ وما بعدها؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ٦٩٩هـ، ص ٧٣ وما بعدها؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٤١٥-٤١٧؛ ابن الجزري، تاريخ ابن الجزري، ج ١، ص ٢٥٦؛ رجب محمد عبد الحليم، انتشار الإسلام بين المغول، ص ١٩٧-١٩٩؛ عادل هلال، العلاقات بين المغول وأوروبا، ص ١٩٠-١٩١؛ محمود سعيد عمران، المغول وأوروبا، ص ٢٤١-٢٤٥؛ ويلم موير، تاريخ دولة المماليك في مصر، ص ٧٨؛ جوناثان سميث، الاسبتارية، ص ١٩٨).

(٢) بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة، ص ٣٤٤؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٣١، ص ٤٠٢؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ٨، ص ١٢٩؛ اسطفان الدويهي، تاريخ الأرمنة، ص ٢٧٩.

(٣) ابن دقماق، الجواهر الثمين، ص ٣٣١؛ والأردب: ونوع من أنواع مكيلات الحبوب وهو كقرشب مكيال ضخ بمصر ويقدر الأردب بـ ٢٤ صاعاً أو ٩٦ قنحاً والقنح أنواع، ومنها القنح المصري المستعمل في الحاضرة ووزنه من الحب المعتدل ٢٣٢ درهم (انظر القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٢، ص ٤٤١؛ انستاس الكرمللي، النفود العربية والإسلامية وعلم النميات، ص ٥٩، حاشية ٣)؛ والدينار: عملة نقدية من الذهب كانت في زمن الناصر تأتي من إفرنسة أو أفرنجة إحدى المدن الأوربية، وهي مشخصة النقش وزنتها تسعة عشر قيراط ونصف من المصري، أما زنته بصنجة الفضة المصرية درهم وجتي خروب، وكان أول ضرب لدينار مملوكي زمن الناصر فرج بن برقوق (انظر القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٣، ص ٤٣٧).

الحلبى والعسكر الحموي^(١)، وبعد أن اكتملت التجهيزات أمر السلطان الناصر بالخروج إلى البلاد الشامية مرة أخرى ، وعندما سمعت الحامية المغولية في دمشق بأمر القوات المملوكية فرت إلى بلادها^(٢)، فتمكن ذلك القوات المملوكية من دخول دمشق دون مقاومة عسكرية ، وكان دخول الأمير قراسنقر مع العسكر الحلبى في يوم الأحد ١١ رجب، وبعد أن استقرت جميع العساكر في دمشق رقي الأمير قراسنقر لنيابة حلب ، وعين العادل كتبغا نائباً على حماة^(٣). حيث أرسل الأمير صارم الدين أربك لضبط الأمور حتى وصوله إليها، ورغم أن قلعتها استعصت عليه بزعامة الملك الرحيم عثمان، إلا أن مقاومته لم تطل بعد أن تخلى عنه أتباعه حيث اعتقل وحكم عليه بالإعدام، إلا أن هذا الحكم لم ينفذ حيث شفع فيه الأمير قراسنقر نائب حماة السابق واصطحبه معه إلى حلب^(٤).

وبعد أن استقرت الأوضاع في البلاد الشامية بدأت موجة من الحملات التأديبية لمعاقبة من تجرأ بالاعتداء على فلول القوات المملوكية خلال تفهقها أمام القوات المغولية، وكان على رأسهم أهل جبل كسروان، فخرجت إليهم القوات الحلبية والحموية والحمصية والطرابلسية ، وكان أهلها قد تحصنوا ، فجعلوا للنساء والصبيان جانب يلقون منه الحجارة على القوات المملوكية ، ولكن الجبل لم يعصمهم عن جموع العساكر السلطانية طويلاً على الرغم من جهودهم المضنية في صدّ تقدم المماليك بالرماح والحجارة مما أثقل الأمر على قوات المماليك ، فعمد أمراء المماليك على وضع خطة ترمي إلى توزيع قواتهم على جوانب مختلفة من الجبل ، حيث طوقوا الجبل من كل الجهات ، فلما كان اليوم التالي ترجل الأمير أسندمر الكرجي نائب طرابلس على رأس فرقة من الجيش، وصعد إلى قمة

(١) بيبس المنصورى، زبدة الفكرة، ص ٣٤٤؛ ابن ابيك ، كنز الدرر، مج ٩، ص ٣٩؛ النويرى، نهاية الأرب، ج ٣١، ص ٤٠٥؛ المقريزى، السلوك، ج ٢، ص ٣٢٩؛ ابن تغري بردي ، النجوم، ج ٨، ص ١٢٩.

(٢) ابن ابيك ، كنز الدرر، مج ٩، ص ٣٨.

(٣) ابن ابيك ، كنز الدرر، ج ٩، ص ٣٩؛ النويرى، نهاية الأرب، ج ٣١، ص ٤٠٥؛ المقريزى، السلوك، ج ٢، ص ٣٢٩؛

ابن تغري بردي ، النجوم، ج ٨، ص ١٢٩.

(٤) أبو الفداء، المختصر، ج ٤، ص ٤٤.

الجبل ، واستطاعوا أن يجبروا أهل جبل كسروان إلى طلب الأمان ، وسيق مشايخهم وكبرائهم إلى دمشق مع القوات المملوكية^(١). ولقد كانت هذه الحملة بمثابة تحذير لكل من تسول له نفسه التعتدي على قوات المماليك، وكان السلطان الناصر وأمرأؤه قد توقعوا عودة المغول فأرادوا جعل الحملة ضد أهل كسروان عبرة لمن يعتبر، وبالفعل فما أن حل القرن الهجري الجديد، حتى عاود المغول هجومهم على بلاد الشام بعد فشل السفارة التي أوفدها غازان إلى الناصر محمد ، والتي حملت معها رسالة تتطوي على مطالب غريبة مقابل عقد صلح بين الطرفين^(٢). حيث جاءت الأخبار بعبور القوات المغولية نهر الفرات في شهر ربيع الآخر من سنة ٧٠٠هـ / ١٣٠٠م^(٣)، فجفل الناس من حلب وتراجع نائبيها الأمير قراسنقر إلى خط الدفاع الثاني حماة، لينضم إلى القوات الحموية بقيادة نائبها الأمير كتبغا، حيث تكامل وصول القوة الدمشقية إلى حماة في ٢٢ ربيع الآخر^(٤)، أما غازان فوصل بقواته إلى أنطاكية ثم إلى جبل السماق ومنها إلى قرون حماة ، فتمكنت طلائع الجيش الحموي في ١٧ جمادي الأولى من صدّ طلائع الجيش المغولي، وقتلوا منهم نحو المائة^(٥)، ويبدو أن هذا الانتصار أثنى غازان

(١) النويري، نهاية الأرب، ج ٣١، ص ٤٠٧-٤٠٨؛ ابن أبيك ، كنز الدرر ، ج ٩، ص ٤٠؛ المقريزي، السلوك ، ج ٢، ص ٣٣١؛ العيني، عقد الجمان، ج ٤، ص ٨١-٨٢؛ أسطفان الدويهي، تاريخ الأرمنة، ص ٢٨٣-٢٨٤؛ سعيد عبد الفتاح عاشور، العصر المماليكي، ص ٢١٦؛ جبل كسروان : وهو منطقة في لبنان تقع شرقي بيروت ومركزها مدينة جونبة وأهلها خليط من الشيعة الرافضة والزنادقة والغالب عليهم الدروز، وهم فرع من الباطنية أنشأها رجل فارسي الأصل عرف بدرزي واسمه محمد بن إسماعيل بعد قومه إلى القاهرة، فأدعى أولوهية الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله مما أثار السنين من أهل القاهرة، فخرج إلى لبنان ونشر مذهبه فيها، وقد عمدت هذه الفئة على ضرّ المسلمين من الخلف إذا ما حدث صدام عسكري مع قوات معادية من مغول وصلبيين كما كان في سنة ٦٨٧هـ، حينما خرج أهالي كسروان لمساعدة صليبي طرابلس بعد هزيمتهم على يد السلطان قلاوون (انظر النويري، نهاية الأرب، ج ٣١، ص ٤٠٧-٤٠٨، حاشية ٩؛ الصفيدي، تحفة نوي الألباب، ج ٢، ص ٢١١، حاشية ١؛ المقريزي، السلوك ، ج ٢، ص ٣٣١، حاشية ٢؛ العيني، عقد الجمان، ج ٤، ص ٨١؛ أسطفان الدويهي، تاريخ الأرمنة، ص ٢٦٥).

(٢) للوقوف على فحوى هذه انظر أبو الفداء ، المختصر ، ج ٤، ص ٤٦؛ النويري ، نهاية الأرب، ج ٣١، ص ٤٢٦ وما بعدها ؛ ابن أبيك ، كنز الدرر، مج ٩، ص ٥٢-٥٣؛ القلقشندي ، صبح الأعشى، ج ٧، ص ٢٤٣ وما بعدها، ج ٨، ص ٦٩ وما بعدها ؛ ابن تغري بردي النجوم، ج ٨، ص ١٣٥ وما بعدها.

(٣) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٥٤٥؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ص ٤٠٩.

(٤) أبو الفداء، المختصر، ج ٤، ص ٤٥؛ المقريزي، السلوك، ج ٢، ص ٣٣٦؛ العيني ، عقد الجمان ، ج ٤، ص ١٢٨.

(٥) الذهبي ، دول الإسلام ، ج ٢، ص ٢٠٥؛ وجبل السماق: يشمل العديد من المدن والقلاع والقرى ويعد من أعمال حلب الغربية ، أهلها من الإسماعيلية (انظر ياقوت الحموي ، معجم البلدان، مج ٢، ص ١٠٢).

عن التقدم أبعد من شيرز والمعرة و العمق وسرمين، واكتفى طيلة ثلاثة أشهر بإعمال السلب والنهب والقتل ونشر الفساد^(١). حيث اضطر غازان إلى عبور الفرات باتجاه الشرق بسبب انتشار الأوبئة نتيجة سوء الأحوال الجوية والذي قضى على عدد كبير من جنده ودوابهم^(٢)، فجعل على الجيوش أثناء انسحابه إلى سنجار الأمير قطلو شاه، ليحفظ مؤخرة الجيش من المباغطة حتى رحيل الجيش بكامله، وعندما لم يخرج أحد من المماليك لطلب المغول أمر غازان الأمير قطلوشاه باللاحاق به، بعد أن استقر غازان في بلاده^(٣).

والظاهر بأن غازان لم تكن لديه نية السيطرة على حلب كما سطرها المؤرخون المحدثون^(٤) فلو كان ذلك لترك حامية مغولية تحفظ حلب من عودة المماليك لما انسحب بكامل جنده، خاصة وأنه قد فقد قادراً كبيراً من رجاله ودوابه نتيجة الوباء مما سيترتب عليه الإجهاد والتعب والإبطاء لحركة الجند في ظل الظروف الراهنة، وما كان غازان ليهمل هذا الجانب والآثار المترتبة عليه.

وعلى كل حال فإن أطماع غازان في السيطرة على بلاد الشام لم تتوقف عند هذا الحد، فقد عاود عبور نهر الفرات على رأس قواته ومعه كبار أمرائه والأمير قطلوشاه، وجوبان، وطيطق وسوتاي، تدعمهم وحدات من عسكر مملكة أرمينية الصغرى، وذلك في شعبان من سنة ٧٠٢هـ / ١٣٠٢م^(٥). حيث دخلوا

(١) أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص٤٥؛ العيني، عقد الجمان، ج٤، ص١٢٨؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج٨، ص١٣٢؛ والعمق: يقع بين حلب وأنطاكية، ويعد من أعمال نيابة حلب (انظر ياقوت الحموي، المشترك، وضعاً، ص٣١٦).

(٢) ابن الفوطي، التجارب النافعة، ص٥٤٥؛ بيبس المنصوري، التحفة المملوكية، ص١٦٠؛ أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص٤٥؛ النويري، نهاية الأرب، ج٣١، ص٤١٥؛ ابن أبيك، كنز الدرر، مج٩، ص٤٦-٤٧؛ المقرئ، السلوك، ج٢، ص٣٣٧؛ العيني، عقد الجمان، ج٤، ص١٢٨.

(٣) البرازلي، المقتضى، ج١، ص١٤٠؛ ابن الفوطي، التجارب النافعة، ص٥٤٥؛ وقطلوشاه: يطلق عليه قطلوشاه، وكان غازان يخشاه فأخرجه لقتال أهل جبال كيلان فقتل هنالك سنة ٧٠٧هـ، ففرح غازان بأمر موته (انظر الصفدي، الوافي، ج١٣، ص٣٤٨؛ أعيان النصر، ج٢، ص٣٢١).

(٤) عادل عبد الحافظ، نيابة حلب، ص١١٩-١٢٠.

(٥) بيبس المنصوري، زبدة الفكرة، ص٣٧٦؛ أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص٤٨؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٧، ص٤١٥؛ الذهبي، دول الإسلام، ج٢، ص٢٠٨؛ ابن حبيب، تنكرة النبيه، ج١، ص٢٤٥؛ ابن دقماق، الجوهر-

بلاد الشام ووصلوا إلى مشارف حلب، وكالعادة انسحب أهلها بقيادة نائبها قراسنقر إلى حماة^(١)، ووصلت بعدها قوة نيابة طرابلس بقيادة أميرها أسندمر الكرجي وقوة من حمص وفرقة من قوة دمشق بقيادة الأمير سيف الدين أنص الجمدار لدعم خط الدفاع الثاني في حماة^(٢)، والتي كان نائبها الأمير زين الدين كتبغا يعاني من مرض أصابه^(٣).

ومما لاشك فيه بأن خلو حلب من المقاومة العسكرية كان له دور في تسهيل توغل المغول داخل البلاد الشامية، التي ما أن وصلت غارات مقدمة قواتهم إلى القريتين، حتى أطلق نائب حماة الأمير كتبغا في يوم السبت العاشر من شعبان قوة من جيش حماة بقيادة الأمير شجاع الدين أغولو لمشاركة قوات طرابلس وحلب و دمشق تحت قيادة نائب طرابلس أسندمر لمنع تقدم القوات المغولية^(٤).

=الشمين، ص ٣٣٢؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ٨، ص ١٦٤؛ وجويان بن تلك بن تداون: عين لنيابة مملكة إيلخانات فارس والعراق في عهد القان سعيد بن خربندا، قتل بهراة ثم نقل للمدينة لينفن بالبيع سنة ٧٢٨هـ (انظر الصفدي، الوافي، ج ١١، ص ٢٢٠-٢٢٢؛ الياضي، مرآة الجنان، ج ٤، ص ٢٧٨؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٢، ص ٧٨-٧٩؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج ٥، ص ٣٣-٣٤)؛ وسوتاي: عمل أظليجا -في مرتبة أمير أخور- لدى لأبغا، ثم حكم ديار بكر في عهد دولة غازان حتى دولة بوسعيد فكانت وفاته سنة ٧٣٢هـ (انظر الصفدي، أعيان النصر، ج ٢، ص ٤٨٦-٤٨٧؛ الوافي، ج ١٦، ص ٣٩؛ نكت الهيمن، ص ١٦١؛ ابن حبيب، تذكرة النبوة، ج ٢، ص ٢٣٤؛ ابن تغري بردي، المنهل، ص ١٠١)؛ وطيطق: لم أجد له ترجمة فيما توفر لي من مصادر اطلعت عليها.

(١) النويري، نهاية الأرب، ج ٢٧، ص ٤١٥، ج ٣٢، ص ٢٥؛ أبو الفداء، المختصر، ج ٤، ص ٤٨؛ ابن أبيك، كنز الدرر، مج ٩، ص ٨٢؛ العيني، عقد الجمان، ج ٤، ص ٢١٧.

(٢) النويري، نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ٢٥؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ٨، ص ١٥٧.

(٣) أبو الفداء، المختصر، ج ٤، ص ٤٨.

(٤) اقتصر بعض المؤرخين على ذكر اشتراك القوة الحموية والطرابلسية في هذه الحملة (انظر بيبيرس المنصوري، زبدة الفكرة، ص ٣٧٣؛ أبو الفداء، المختصر، ج ٤، ص ٤٨؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ٢٥-٢٦؛ الذهبي، دول الإسلام، ج ٢، ص ٢٠٨؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج ٢، ص ٢٤٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٤٣١؛ ابن حبيب، تذكرة النبوة، ج ١، ص ٢٤٥-٢٤٦؛ المقرئ، السلوك، ج ٢، ص ٣٥٥؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ٨، ص ١٥٧-١٥٨)؛ والقريتين: تدعى " حوادين" وهي قرية كبيرة تقع بين حمص وتدمر في طريق البرية (انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٧٨)؛ و شجاع الدين أغولو: ويعرف بالأمير أغولو الزيني أو العادلي، وكلاهما من كنى أستاذه الملك العادل زين الدين كتبغا، وقد ذكره ابن تغري بردي باسم "أغزلو" اشتهر بالشجاعة والفروسية، تولى نيابة دمشق زمن حكم أستاذه العادل كتبغا، وعلى ما يبدو بأنه أُنقل معه إلى حماة ليصبح من جملة أمرائها، توفي سنة ٧١٩هـ (انظر بيبيرس المنصوري، زبدة الفكرة، ص ٣٧٣؛ الصفدي، أعيان النصر، ج ١، ص ٥٤٢-٥٤٣؛ العيني، عقد الجمان، ج ٤، ص ٢١٩؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ٨، ص ١٥٨).

وعند "الكوم" القريبة من "عرض" فاجأ عساكر المماليك مقدمة القوات المغولية ^(١) التي تركت الغنائم و المواشي مهملة بهدف شغل المماليك بجمعها ومن ثمّ ينقضون عليهم ، ولكن المماليك فطنوا لخديعة المغول فلم يكثرثوا بأمر الغنائم، وشرعوا في تقسيم قواتهم إلى أربع فرق: قامت الأولى بشن هجوم خاطف على قوى المغول لاستدراجهم إلى ميدان المعركة، في حين قامت الثلاث الأخرى بالإطباق على قوى المغول من كل الجهات، ودارت بين الطرفين معركة حامية الوطيس انتهت بهزيمة جند المغول وفرارهم لا يلوون على شيء ^(٢).

وبذلك تمكن المماليك من استعادة الأسرى التركمان من المغول ، وأراح هذا الانتصار قلوب من خلفهم من أهل الشام و بقية القوات المملوكية ^(٣)، وعادت جميع القوات المملوكية إلى ثكناتها بما فيها قوى نيابة حماة التي دخلت المدينة في ١٣ شعبان من السنة نفسها ^(٤).

ولكن فرقة من الجيش المغولي بقيادة قطلوشاة عاودت مهاجمة حماة ، بعد أن تأكد من عدم مشاركة السلطان الناصر محمد في موقعة عرض ^(٥) ، وما أن وصل المغول إلى قرون حماة ^(٦) حتى تراجعت القوات المملوكية أمامهم بعض

(١) أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص٤٨؛ النويري، نهاية الأرب، ج٣٢، ص٢٦؛ ابن الوردي، ج٢، ص٢٤٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص٤٣١؛ المقرئ، السلوك، ج٢، ص٣٥٥؛ العيني، عقد الجمان، ج٤، ص٢١٩، حاشية ٤؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج٨، ص١٥٨؛ والعرض : بلدة في برية الشام تقع بين الرصافة وتدمر (انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص١٠٣).

(٢) و يبدو أن سبب هذا التقسيم يعود إلى كثرة عدد مقدمة المغول الذي اختلف في تقدير عددها بين الأربعة أو الخمسة إلى العشرة آلاف مقاتل في حين أن قوات المماليك لم تتجاوز الألف والخمسمائة مقاتل (انظر بيبرس المنصوري، التحفة المملوكية، ص١٦٤؛ زبدة الفكرة، ص٣٧٣؛ ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج١، ص٢٤٥؛ المقرئ، السلوك، ج٤، ص٣٥٥؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج٨، ص١٥٨).

(٣) النويري، نهاية الأرب، ج٣٢، ص٢٦؛ المقرئ، السلوك، ج٢، ص٣٥٥؛ العيني، عقد الجمان، ج٤، ص٢٢٢؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج٨، ص١٥٨.

(٤) أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص٤٨؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٤٢٣.

(٥) النويري، نهاية الأرب، ج٣٢، ص٢٦؛ المقرئ، السلوك، ج٢، ص٣٣٥.

(٦) أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص٤٨؛ المقرئ، السلوك، ج٢، ص٣٥٦؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج٨، ص١٥٨.

الشيء^(١)، وكلف أبو الفداء بمهمة الكشف عن مدى استعدادات المغول ومدى سرعة تقدمهم فظل يترقبهم من فوق العليليات ،حتى ظهوروا أمام حماة، فلاحق أبو الفداء بنائبها الأمير كتبغا ليلبغه أمر مثول المغول أمام حماة، فأدركه عند القطيفة في طريقه إلى دمشق^(٢). وهنالك اتصل شيخ الإسلام ابن تيمية بالقوات المملوكية، وكان قد خرج من دمشق ليعلمهم بأمر إجماع أمراء دمشق والأهالي على القتال، فحلف له الأمراء و الجند بما فيهم عسكر حماة على الجهاد^(٣).

وبعد تكامل دخول قوات النيابات الشامية دمشق ، وصلت طلائع الجيش المصري في ١٥ شعبان وعلى رأسها ركن الدين بيبرس الجاشنكير و حسام الدين لاجين و سيف الدين طغريل الأيغاني وغيرهم من كبار أمراء مصر^(٤) ، وكانوا قد راسلوا الأبواب السلطانية عند قاقون ليلبغوا السلطان الناصر بحقيقة خروج المغول^(٥). وأخذت القوات الشامية بتقصي أخبار تقدم قوات المغول^(٦)، فوجدوا

(١) بيبرس المنصوري، السحنة المملوكية، ص ١٦٤؛ زبدة الفكرة، ص ٣٧٤؛ أبو الفداء، المختصر، ج ٤، ص ٤٨؛ السنوري، نهاية الأرب، ج ٢٧، ص ٤١٥؛ الذهبي، دول الإسلام، ج ٢، ص ٢٠٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٤٣١؛ المقرئ، السلوك، ج ٢، ص ٣٥٦؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ٨، ص ١٥٨.

(٢) أبو الفداء، المختصر، ج ٤، ص ٤٨؛ والعليليات: أكبر محلات حماة تقع على تل بديع المنظر وتنقسم إلى قسمين عليا وسفلى (انظر أحمد الصابوني، تاريخ حماة، ص ٦٥، حاشية ٨)؛ والقطيفة: قرية تقع دون ثنية العقاب للقاصد إلى دمشق في طرف البرية من ناحية حمص (انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٧٨).

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٤٣٢؛ و شيخ الإسلام ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن تيمية، ولد بحران ١٠ ربيع الأول سنة ٦٦١هـ، ثم قدم مع أهله إلى دمشق سنة ٦٦٧هـ، وتلقى من شيوخها العلوم الشرعية، جلس بعد وفاة أبيه في تدريس الحديث سنة ٦٨٣هـ، وله عدة مصنفات، وكانت لشيخ الإسلام مواقف جلييلة في دفع الظلم عن أهل دمشق من قبل غازان وقواته، كما شارك في حملات عسكرية لصد المغول وتأديب أهل جبال كسروان توفي سنة ٧٢٨هـ (انظر الصفدي، الوافي، ج ٧، ص ١٥؛ أعيان النصر، ج ١، ص ٢٣٣؛ المقرئ، المقفى، ج ١، ص ٤٥٤ وما بعدها؛ ابن حجر، ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج ١، ص ٣٥٨؛ مريم بن لادن، دور ابن تيمية في الجهاد ضد المغول الأيلخانيين، ص ١٦٣-١٧٨؛ آمال رمضان، الحياة العلمية في الإسكندرية في العصر المملوكي ٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م، ص ٣١٧-٣١٨).

(٤) السنوري، نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ٢٦-٢٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٤٣١.

(٥) ابن نديم، الجوهر الثمين، ص ٣٣٢-٣٣٣؛ وقاقون: حصن قريب الرملة بفلسطين (انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٩٩).

(٦) بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة، ص ٣٧٤.

بأنهم قد جدّوا السير حتى وصلوا إلى حمص وبعلمك^(١)، ومنها إلى قارة، فخرجت القوات المملوكية إلى الجسور^(٢) ووقع الخلاف بين قادة المماليك حول لقاء العدو أو انتظار حضور السلطان الناصر محمد بالقوات المصرية إلى دمشق^(٣)، فانفقوا في ٢٩ شعبان على التأخر إلى مرج الصفر إلى أن يصل السلطان فأقاموا بها يومين حتى دخل شهر رمضان^(٤)، حيث نزل بقواته على مرج راهط، فتلقته العساكر الشامية والمصرية يوم السبت الثاني من رمضان عند عقبة الشحورا، ثم شرع في توزيع قواته إلى ميمنة وميسرة وقلب استعداداً للمواجهة العسكرية، فجعل على الميمنة العساكر الحموية والعربان تحت قيادة الأمير قبجق^(٥) - ويبدو أن عدم خروج زين الدين كتبغا على رأس الجيش الحموي في هذه الواقعة يعود إلى مرض عضال اعتراه والذي توفي على إثره في ذي الحجة سنة ٧٠٢هـ، وتولى مقاليد النيابة من بعده سيف الدين قبجق، ولعل بيبرس المنصوري أراد أن يوضح بأن من تولى القيادة للجيش الحموي هو من أوكلت له نيابة حماة فيما بعد - إضافة إلى عدد من الأمراء، أما الميسرة فضمت عسكر حلب بقيادة الأمير قراسنقر، والعساكر الصفدية بقيادة نائبها، إضافة إلى عدد من أمراء القوات المصرية منهم بدر الدين بكتاش الفخري أمير سلاح، و طغريل الأيغاني، و بكتمر السلاح دار، و بيبرس الدوادر، واشتمل القلب على السلطان والخليفة المستكفي بالله، وكبار أمراء المماليك كنائب السلطنة الأمير سلالر والأمير بيبرس الجاشنكير

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٤٣١.

(٢) الذهبي، دول الإسلام، ج ٢، ص ٢٠٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٤٣١؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٤، ص ١٥٨-١٥٩؛ وقارة: قرية قرب حمص مجمل أهلها من النصارى كانت في السابق تعد قارة الحد الفاصل بين حمص ودمشق (انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٩٥).

(٣) بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة، ص ٣٧٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٤٣٣.

(٤) النويري، نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ٢٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٤٣٣؛ المقرئ، السلوك، ج ٢، ص ٣٥٦؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ٨، ص ١٥٨؛ ومرج الصفر: مرج قريب من دمشق (انظر ابن طولون، القلائد الجوهريّة في تاريخ الصالحية، ق ٢، ص ٤٠٩، حاشية ١).

(٥) انظر زبدة الفكرة، ص ٣٧٦؛ التحفة المملوكية، ص ١٦٦؛ أبو الفداء، المختصر، ج ٤، ص ٤٩؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ٢٩؛ المقرئ، السلوك، ج ٢، ص ٣٥٦؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ٨، ص ١٥٩؛ ومرج راهط: غوطة بجوار دمشق من ناحية الشرق، وهو مرج عذراء اليوم (انظر ابن الأثير، اسد الغابة، ص ٣٢٨، حاشية ٢؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ٢٣٠-٢٣١)؛ وعقبة الشحورا: لم أف على تعريف لها فيما توفر لي من مصادر اطلعت عليها.

وغيرهما^(١) - الملاحظ أن السلطان وقد وزع قواته بشكل صحيح، إذ توقع أن الجناح الأيمن سيكون هدفاً للقوات المغولية فتحاشى عدم تكرار الخطأ السابق من جعل الميمنة مكشوفة دون دعم أو تغطيه من العساكر المصرية كما حدث في وقعة وادي الخازندار - ثم علت أصوات القراء بترتيل آيات القرآن الكريم وبدأت عبارات شحذ النفوس بالقوة والحث على الجهاد ترتفع بين الجنود استعداداً للقتال، والسلطان والخليفة يتنقلان بين الصفوف لرفع الروح المعنوية في نفوسهم^(٢).

وأقبلت القوات المغولية بكراديسها" كقطع الليل لا يبين فيها الرجل من الخيل"^(٣)، وكان على الميمنة الأمير بولاي^(٤)، واختار قتلوشاه أعلى النهر مقراً لقيادته^(٥)، ثم دارت المعركة عند شقحب، والتحم الجيشان بعد الظهر من يوم السبت، وثبتت عسكر حماة والعربان، في قتالهم على الرغم من حملة المغول الشرسة عليهم - لعل القائد المغولي أراد الاستفادة من أسباب كسر المماليك في وقعة وادي الخازندار فهم بالضغط على الجناح الأيمن أملاً أن يكون كسره مفتاحاً لنصره - فقتل منهم عدد من الأمراء ونحو ألف فارس منهم^(٦)، فانحاز عسكر القلب والميسرة لدعم عسكر الميمنة الذي شكّل عسكر حماة غالبية، ورغم فرار

(١) بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة، ص ٣٧٥-٣٧٦؛ التحفة المملوكية، ص ١٦٥-١٦٦؛ أبو الفداء، المختصر، ج ٤، ص ٤٩؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ٢٨-٢٩؛ المقرئ، السلوك، ج ٢، ص ٣٥٦؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ٨، ص ١٥٩؛ والمستكفي بالله أبو ربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله، ولد سنة ٦٨٤هـ - يوبوع بالخلافة سنة ٧٠١هـ، اعتقل بالبرج في سنة ٧٣٦هـ، على أثر خلاف وقع فيه مع السلطان، ثم نفاه السلطان إلى قوص مع أهله إلى أن كانت وفاته سنة ٧٤٠هـ، وقيل سنة ٧٤٢هـ - انظر السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٣٨٧-٣٨٩؛ ابن الطولوني، النزهة السنية في أخبار الخلفاء والملوك المصرية (أخبار الخلفاء)، ص ١٢٤).

(٢) المقرئ، السلوك، ج ٢، ص ٣٥٦؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ٨، ص ١٥٩-١٦٠.

(٣) بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة، ص ٣٧٦؛ التحفة المملوكية، ص ١٦٦.

(٤) بيبرس المنصوري، التحفة المملوكية، ص ١٦٦؛ زبدة الفكرة، ص ٣٧٦؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ٣٠؛ بولاي: لم أقف على ترجمة له فيما توفر لي من مصادر أطلعت عليها

(٥) المقرئ، السلوك، ج ٢، ص ٣٥٦.

(٦) بيبرس المنصوري، التحفة المملوكية، ص ١٦٦؛ زبدة الفكرة، ص ٣٧٦-٣٧٧؛ أبو الفداء، المختصر، ج ٤، ص ٤٨-٤٩؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ٢٩-٣٠؛ الذهبي، دول الإسلام، ج ٢، ص ٢٠٩؛ ابن دقماق، الجواهر الثمين، ص ٣٣٣-٣٣٤.

بعض الأمراء إلا أن قبجق قائد العسكر الحموي ظل صامداً في مكانه، وقدم دعماً ملحوظاً للأميرين سالار وبيبرس الجاشنكير ومن معهم من البرجية في دفع قطلوشاه^(١)، وأجبروه على الاعتصام بجبل غباغب، وفي هذه الأثناء شاهد المغول تراجع عناصر ميمنة الجيش المملوكي، فظنوا أن ذلك هزيمة، فترك بعضهم الجبل، وأخذوا في تعقب ميمنة المماليك حيث نجحوا في أسر بعض رجالها وعلى رأسهم الأمير أيدمر، فجاؤوا به إلى حضرة قطلوشاة، حيث أخبره بوصول السلطان الناصر لمواجهة المغول بنفسه، وكان لهذا الخبر أثره البالغ على الجيش المغولي الذي فضل معظمه الهرب بينما لاذ البعض الآخر مرة أخرى بالجبل^(٢).

و بمجرد وصول السلطان الناصر محمد ضُرب حصار محكم حول الجبل، وعندما حل الليل أضرم المغول النيران في الجبل^(٣) وعند بزوغ الفجر شن المغول هجوماً مباغتاً على فرق من جيش المماليك، واستمر القتال بين الطرفين^(٤)، حتى الظهيرة، وانتهى ذلك بانكسار الجيش المغولي "ففرج لهم سيف الدين أسندمر الكرجي فرجة من رأس الميسرة" فلاذت فرقتان بالفرار، وكان من ضمن الفارين جوبان وقطلوشاة، واستمرت الثالثة تقاتل بعض الوقت ثم لاذت بالفرار بعد أن قُتل وأسر عدد كبير من رجاله^(٥). ثم جرد السلطان الأمير سالار

(١) المقرئزي، السلوك، ج ٢، ص ٣٥٧؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ٨، ص ١٦١.

(٢) بيبرس المنصوري، التحفة المملوكية، ص ١٦٦؛ زبدة الفكرة، ص ٣٧٧؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٢٧، ص ٤١٦، ج ٣٢، ص ٣٠؛ ابن دقماق، الجواهر الثمين، ص ٣٣٤؛ النفحة المسكية، ص ١٠٩؛ المقرئزي، السلوك، ج ٢، ص ٣٥٧؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ٨، ص ١٦٢؛ وجبل غباغب : يقع في عمل حوران من نواحي دمشق (انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٨٧١).

(٣) يلحظ بأن المغول هم من أضرموا النيران في حين أن الجيش المملوكي لم يفعل، وهذا يعود إلى موقع القوات المملوكية في أسفل الجبل بالتالي سيكونون تحت مرمى المغول وإشعال النيران سيكشف مواقع توزيع مخيمات المماليك، في حين أن المغول في جبل وأن لا ضير في إشعال النيران، بل إن فيه نوعاً من الحرب النفسية على المماليك بإشعارهم بمدى كثرتهم وعدتهم وشجاعتهم وعدم خشيته من مغبة إشعال النيران.

(٤) النويري، نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ٣٠؛ ابن دقماق، الجواهر الثمين، ص ٣٣٤؛ النفحة المسكية، ص ١٠٩؛ المقرئزي، السلوك، ج ٢، ص ٣٥٨؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ٨، ص ١٦٢.

(٥) بيبرس المنصوري، التحفة المملوكية، ص ١٦٧؛ زبدة الفكرة، ص ٣٧٧؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٢٧، ص ٤١٥-٤١٦، ج ٣٢، ص ٣٠؛ ابن دقماق، الجواهر الثمين، ص ٣٣٤؛ المقرئزي، السلوك، ج ٢، ص ٣٥٨؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ٨، ص ١٦١.

وعدداً من الأمراء في طلب من هربوا فاقتفوا أثرهم إلى القريتين وأجبروهم على عبور الفرات وغرق بعض المغول في النهر^(١)، وعادت القوات المملوكية الشامية والمصرية إلى دمشق فأقاموا بها حتى أعطوا الدستور للعودة إلى ديارهم ومنهم الجيش الحموي الذي دخل حماة يوم السبت ١٦ رمضان من ذات السنة^(٢).

ولم تكن الهزيمة العسكرية هي النتيجة الوحيدة التي تمخضت عنها معركة شقحب، وإنما أحدثت تغييراً في منحى السياسة المملوكية المغولية حيث أثر الطرفان انتهاج سبل السلام بعض الوقت، بعدما اعتلى ألبايتو محمد خرابندا عرش إيلخانات فارس والعراق (٧٠٥-٧١٦هـ / ١٣٠٥-١٣١٦م)، حيث سعى لخلق صداقة مع الناصر محمد عن طريق السفراء الذين أرسلهم إلى القاهرة سنة ٧٠٤هـ/١٣٠٤م^(٣).

إلا أن هذه العلاقات السلمية لم تدم طويلاً حيث اتجه البايتو الذي اعتنق الإسلام على المذهب الشيعي إلى خطب ود الغرب الأوربي بغية إحياء محاولات التحالف المغولي الصليبي ضد دولة المماليك^(٤)، إضافة إلى لجوء الأمير قراسنقر إلى والبايتو سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م. وحرص المغول على غزو بلاد الشام حيث هددت فرق من جيشهم الأطراف الشمالية لنيابة حلب، وحاصرت الرحبة، وعندما

(١) بيبرس الودار، زبدة الفكرة، ص ٣٧٨؛ التحفة المملوكية، ص ١٦٧؛ أبو الفداء، المختصر، ج ٤، ص ٤٩؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ٣١؛ ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج ١، ص ٢٤٧.

(٢) أبو الفداء، المختصر، ج ٤، ص ٤٩.

(٣) بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة، ص ٣٨١؛ التحفة المملوكية، ص ١٧٦؛ ابن أبيك، كنز الدرر، ج ٩، ص ١٢٧-١٢٨؛ والببايتو محمد خرابندا بن أرغون بن أبغا بن هولاكو بن طلو بن جنكيز خان، أطلق على نفسه أسم ألبايتو محمد خربندا وترجمتها إلى العربية عبد الله، تمكن في سنة ٧٢٠هـ، من القضاء على تمرد أهل جبل كيلان، وقتل فيها الأمير قطلوشاه، فاستقر مكانه الأمير جوبان، توفي ألبايتو سنة ٧١٦هـ (انظر ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٣، ص ٤٦٨؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ٩، ص ٢٣٨؛ الغياثي، تاريخ الغياثي، الفصل الخامس، ص ٥٤-٥٥).

(٤) وجه ألبايتو رسائل بهذا الخصوص إلى ملك فرنسا فليب الرابع والبابا كليمنت الخامس، وذلك سنة ٧٠٥هـ/١٣٠٥م، وأخرى إلى ملك إنجلترا إدوار الثاني سنة ٧٠٧هـ/١٣٠٧م (انظر عادل هلال، العلاقات بين المغول وأوروبا، ص ١٣٨-١٣٩؛ محمد جمال الدين سرور، دولة بني قلاوون، ص ٢٠٤؛ محمود عمران، المغول وأوروبا، ص ٢٤٥-٢٤٦؛ عبد الكريم غرابية، العرب والأترك دراسة لتطور العلاقات بين الأمتين خلال ألف سنة، ص ١٩١).

تعاليت صيحات الاستنفار للخروج لصد غارة المغول هذه توافدت العساكر المملوكية على الرحبة من كل حذب وصوب بما فيها القوات الحموية التي خرجت تحت قيادة المؤيد إسماعيل، ونجحت هذه القوات في إجبار المغول على عبور الفرات لا يلوون على شيء، ثم تراجعت معظم قوات المماليك بصحبة الملك المؤيد إلى حماة حيث مكثت بها بعض الوقت تحسباً لأي هجوم مغولي آخر^(١).

وفي سنة ٧١٥هـ / ١٣١٥م شارك الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل صاحب حماة في الحملة التأديبية الموجهة ضد ملطية الموالية للمغول^(٢)، فخرج من حماة إلى حلب بعد صدور الأمر السلطاني بمشاركة القوات الحموية، ووصل إليها يوم الخميس ١٣ محرم، وبعد أن اكتمل وصول القوات المملوكية سارت إلى عين تاب ومنها عبرت الدربند، وفرضت حصاراً محكماً على ملطية، فخرج أهلها طالبين الأمان، فأمنهم قائد القوات المملوكية الأمير سيف الدين تنكز، واتفق الطرفان على فتح الباب القبلي المواجه للعسكر الحموي، فأمر الملك عماد الدين بأن يتقدم الأمير صارم الدين أزيك الحموي لحفظ الباب من تعدي جنود المماليك حتى يصل القائد العام للقوات المملوكية، ورغم هذا هاجمت فرق جيش المماليك المدينة، ثم انسحبت منها بعد أن أمضت بها يوماً وليلة، واستقر بها المقام في مرج دابق تحسباً لهجوم مغولي آخر^(٣). إلا أن شيئاً من ذلك لم يحدث، وبالتالي فقد جمد المغول هجومهم على بلاد الشام بعد أن تلقوا تلك الصفعات المتتالية من قبل دولة المماليك، واقتصر دورهم على دعم بعض الأمراء النافرين على دولة

(١) أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص ٦٩-٧٠؛ ابن أبيك الدودار، كنز الدرر، مج٩، ص ٢٥٤-٢٦٠؛ الذهبي، ذيل العبر، ج٤، ص ٣٢، ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص ٤٧٧؛ ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج٢، ص ٤٥.

(٢) سبب هذه الحملة يعود إلى محاولة رجل يدعى مندو لإفشال خطط السلطان الناصر محمد للقضاء على الأمير قراسنقر، مما حدا بالسلطان لاستغلال الخلاف بين مندو وحاكم ملطية من جهة المغول "ميراميز" لاستمالة الأخير. فما زال السلطان يتحلى حتى كاتبه ميراميز وقرر معه أن يسلم البلد لعساكره (المقريزي، السلوك، ج٢، ص ٥٠١-٥٠٢).

(٣) أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص ٧٥-٧٦؛ النويري، نهاية الأرب، ج٣٢، ص ٢١٨-٢١٩؛ المقريزي، السلوك، ج٣، ص ٥٠٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص ٤٨٤؛ مرج دابق: بالقرب من قرية تدعى دابق، وهي قريبة من حلب، وتعد من أعمال أعزاز، منزل بنو مروان إذا غزو صيفاً (انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص ٤١٦-٤١٧؛ العيني، عقد الجمان، حوادث ٨٢١هـ، ص ٣، حاشية ٣؛ محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص ١٩٢، حاشية ٢).

المماليك ، وإذكاء السياسية العدائية التي انتهجتها بعض الإمارات التركمانية ضد دولة المماليك ، فضلاً عن دعمهم المعلن لمملكة أرمينية الصغرى في صراعها مع دولة المماليك، ناهيك عن مزاحمة المماليك على أرض الحرمين^(١).

إسهام نيابة حماة في اضمحلال مملكة أرمينية الصغرى^(٢).

لم يقتصر دور مملكة أرمينية الصغرى على دعمها لحملات المغول على بلاد الشام، بل استغلوا انشغال المماليك بدفع خطر المغول ، ونجحوا في طرد الحاميات المملوكية عن حموص وكويرا وسرفندكار والنفير وغيرها^(٣)، إضافة إلى تجربأهم على التوقف عن دفع الأتاوة التي كانوا يحملونها إلى السلطان المملوكي كل سنة^(٤)، ولهذا عندما أمن السلطان المملوكي خطر المغول أصدر أوامره إلى فرق من جيشه لشن حملة تأديبية على مملكة أرمينية الصغرى ، حيث خرج لتنفيذ هذه المهمة عدد من الأمراء والنواب ، وفي مقدمتهم نائب حماة الأمير كتبغا وكان في معيته أبو الفداء التقوي، وذلك في يوم السبت ٢٥ من شوال سنة ٧٠١هـ / أكتوبر ١٣٠١م، وتوجّه الجميع إلى حلب ودخلوها في يوم الخميس مستهل ذي القعدة، وفي الثالث منه خرجوا نحو بلاد الأرمن من جهة بغراس فدخلوا الدربند في السابع من ذي القعدة، ثم دخلوا أراضي أرمينية الصغرى، ونجحوا في الوصول إلى عاصمتها سيس، حيث شنوا عليها هجوماً خاطفاً، ثم

(١) سعيد عبد الفتاح عاشور، العصر المماليكي، ص ٢٣٩؛ محمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ص ٢٦٤؛ ريتشارد مورتل، الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي، ص ٧٨-٩٠.

(٢) انظر الملحق رقم ٤.

(٣) والحصون التي استولى عليها الأمن (انظر أبو الفداء ، المختصر ، ج ٤، ص ٤٥؛ ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي، ج ٢، ص ٢٤١؛ المقرئزي، السلوك، ج ٢، ص ٣٣٠).

(٤) المقرئزي، السلوك، ج ٢، ص ٣٤٨؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ٨، ص ١٥٤؛ العيني، عقد الجمان، ج ٤، ص ١٨٣.

شرعوا في العودة إلى أنطاكية بعد أن خلفوا بها أضراراً بالغة، وعادوا بعدها محملين بالغنائم إلى حلب حيث دخلوها في ٢٧ من ذي القعدة من السنة ذاتها^(١).

ورغم المُسوّغات التي يمكن تلمسها لانسحاب قوات المماليك من أراضي مملكة أرمينية، والتي اكتفت بهذه الهجمة الخاطفة، والذي يبدو بأن مردّها خوف المماليك من تجدد خطر المغول عبر الفرات، مما يؤدي إلى تشتت قواتهم في جبهتين: شرقية ضدّ المغول، وشمالية ضدّ مملكة أرمينية الصغرى إلا أن السلطان المملوكي لم يرض عن نتائج هذه الحملة، لعدم نجاحهم في استرداد الحصون التي استولى عليها الأرمن خلال انشغال الجيش المملوكي بصدّ غارات المغول. وعليه فقد بادر الناصر بإرسال حملة أخرى في أواخر سنة ٧٠٣هـ/١٣٠٤م، اشترك فيها نائب حماة الأمير قبجق وعساكر حلب، وفي هذه المرة تمكّنوا من أخذ تل حمدون بالأمان وهدمها^(٢).

وفي سنة ٧٢٠هـ/١٣٢٠م، استغل الناصر محمد تردي أوضاعها الداخلية زمن ملكها ليو الخامس LeoV (٧٢٠-٧٤١هـ/١٣٢٠-١٣٤١م) لعجزه عن فض النزاع الذي نشب في دولته بين كبار الأمراء ورجال الدين ، حيث بعث إليه الناصر يطلب منه إعادة تلك الحصون لدولة المماليك ، وإعادة الحدود بين دولة المماليك ومملكة أرمينية إلى ما كانت عليه زمن السلطان لاجين، وهنا لم يكتف الملك الأرمني بمجرد الرفض لهذا الطلب، بل زاد على ذلك بأن أصر على الاستمرار في منع القطيعة التي كانت مملكة أرمينية الصغرى تدفعها لسلطنة

(١) أبو الفداء، المختصر ، ج٤، ص٤٦؛ انظر كذلك ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي ، ج٢، ص٢٤٢؛ ابن حبيب ، تنكرة النبيه، ج١، ص٢٣٩؛ المقرئزي، السلوك، ج٢، ص٣٤٨؛ وبغراس: وتكتب أيضاً بغراس وباللاتينية Gastun غاستون، وهو حصن منيع يقع في لحف جبل اللكام بين الشعاب الشرقية لسلسلة جبلية تعرف اليوم باسم قيزيل والأمانوس* وقد شكل هذا الحصن في عصر الحروب الصليبية مفتاح الطريق الواصل بين أنطاكية وقيليقية، وغدا في عصر دولة المماليك أحد الثغور التابعة لنيابة حلب(انظر ابن العمري،التتقيف، ص٢٣٣؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١٢٢؛ على الغامدي، حصن بغراس ودوره الحربي في عصر الحروب الصليبية، بحث منشور ضمن ندوة الإطار التاريخي للحركة الصليبية التي عقدها اتحاد المؤرخين العرب في القاهرة في رجب ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ص٢٦١).

(٢) ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٢٤٥.

المماليك^(١) ، الأمر الذي زاد في توتر العلاقات المملوكية الأرمنية حيث أصدر السلطان الناصر محمد أوامره إلى نائب حماة بالخروج للمشاركة في هذه الحملة ، فخرجت القوات الحموية في ربيع الأول سنة ٧٢٠هـ / ١٣٢٠م^(٢) ، إلى حلب حيث انضمت إلى القوات المملوكية التي تجمعت هنالك تحت قيادة نائب حلب الأمير الطنبغا ، فأمر بالمسير إلى حارم ومنها توجهوا إلى مملكة أرمنية الصغرى بهدف استرداد تلك الحصون بالقوة، إضافةً إلى إجبار ملكها على معاودة دفع القطيعة المفروضة عليه، إلا أن حدثاً مفاجئاً أدى إلى عدم تمكن الجيش المملوكي من تحقيق هدفه، وذلك بسبب زيادة منسوب مياه جيحان والتي أدت إلى غرق كثير من الجند التركمان المرافق للجيش المملوكي ، والذي كان يعول عليه المماليك الكثير في تحقيق أهدافهم من هذه الحملة ، ومن أجل ذلك اكتفى قائد هذه الحملة بشن غارة خاطفة على العاصمة سيس ، حيث أطلق لجيشه العنان في نهبها ، ومن ثم أصدر أوامره لجيشه بالعودة إلى حلب مكتفين بما حصلوا عليه من غنائم^(٣).

(١) كان لسوء الأوضاع الاقتصادية التي مرت بها المملكة الأرمنية من جراء الحملات المملوكية المتكررة على أراضيها، فضلاً عن مشاكلها الداخلية والتزاماتها المالية أمام المغول والمماليك دوراً في قطع القطيعة عن الأبواب السلطانية (انظر سعيد عبد الفتاح عاشور ، بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى ، ص ٢٦٨-٢٦٩؛ على إبراهيم حسن، تاريخ المماليك البحرية، ص ١٧١؛ محمد جمال الدين سرور، دولة بني قلاوون، ص ٢٢٨؛ عبد الله سعيد الغامدي ، سياسة سلاطين دولة المماليك البحرية إزاء ميناء أياس الأرمني، ص ٢٠، ٣٥ حاشية ٥٩؛ مشيل بالا، الحملات الصليبية والشرق اللاتيني من القرن الحادي عشر إلى القرن الرابع عشر، ص ٢٦٨-٢٦٩؛ وليو الخامس نصب على حكم مملكة أرمنية بعد وفاة أبيه هيثوم وكان عمره عشرة سنوات (انظر أبو الفداء ، المختصر، ج ٤، ص ٨٨).

(٢) أبو الفداء ، المصدر السابق، ج ٤، ص ٨٨.

(٣) أبو الفداء ، المصدر السابق، ج ٤، ص ٨٨؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ٣٢٣-٣٢٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٥١؛ ابن حبيب ، تذكرة النبیه ، ج ٢، ص ١٠٦-١٠٧؛ ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج ٥، ص ٤١٩؛ والأمير الطنبغا بن عبد الله الصالح العلاتي ، ممن ممالك الناصر محمد تدرج في الرتب العسكرية حتى أصبح من أمراء الألف في مصر ، ثم عين نائباً في حلب لمدة ١٣ سنة ثم نقل إلى نيابة دمشق ، توفي بالاسكندرية سنة ٧٤٢ هـ (انظر الصفدي، أعيان النصر ، ج ١، ص ٦٠٠؛ الوافي ، ج ٩، ص ٣٦؛ المقرئ ، ج ١، ص ٢٨٦؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ١، ص ٤٣٦؛ ابن تغري بردي ، النجوم ، ج ١٠، ص ٧٣؛ المنهل ، ج ٣، ص ٥٣؛ و حارم: أحد الحصون المنيعه القريبة من أنطاكية (انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٠٥).

ثم لاحت الفرصة للمماليك لاستعادة تلك الحصون ، وكذلك إعادة فرض الإتاوة على مملكة أرمينية الصغرى ، وذلك عندما تعرضت الأخيرة لاعتداء مفاجئ من قبل المغول المتواجدين داخلها ، والتي وصلت إلى أن القائد المغولي أقدم على قتل الملك الأرمني ليو الخامس وابن أخيه الصغير، وهنا وجد الملك الأرمني الجديد أوشين (٧٠٧-٧٢٢هـ/١٣٠٧-١٣٢٢م) فرصة للاستجابة لمطالب مبعوث السلطان الذي وصل إلى مملكة أرمينية الصغرى سنة ٧٢١هـ/١٣٢١م، حيث خاطب ملك أرمينية رسول السلطان المملوكي بقوله: " إن اختار السلطان أن يقاسمنا على متحصل البلاد، وأن يقرر علينا الجزية عن كل إنسان دينارين حتى على رأس الملك فمن دونه فعلنا ذلك، ويرسل إلينا نوابه يستخرجون ذلك، وإن أحب أن يُسلمَ إلى نوابه ما هو قاطع نهر جهان مما يلي المملكة الحلبية من القلاع والبلاد فعلنا ذلك على أن يضع عنا في مقابلة هذه القلاع والأعمال ثلث المال المقرّر، وهو أربعمئة ألف درهم فضة"^(١).

وبذلك لاحت الفرصة للناصر محمد لإعادة بسط نفوذه على مداخل مملكة أرمينية الصغرى، فأرسل البريد إلى ملك الأرمن يطالبه بتقرير الهدنة على تسليم القلاع لنواب السلطان، وفي الوقت ذاته شرع الناصر محمد في مستهل سنة ٧٢٢هـ/١٣٢٢م، في إنفاذ حملة عسكرية نحو مملكة أرمينية الصغرى، تعمل للضغط على ملك الأرمن لإتمام عملية التسليم، وفي حال تراجع الأرمن عن عرضهم

(١) السنوبري، نهاية الأرب، ج٣٣، ص٣٧-٣٨؛ وسبب اعتداء المغول على مملكة أرمينية الصغرى يعود إلى أن مقدم المغول المدعو برلغي كان مسلماً وأراد بناء مسجد في مملكة أرمينية، مما أثار الملك الأرمني فوشى به إلى القان المغولي بخيانة برلغي للمغول وموالاته للمماليك، فما أن علم برلغي أمر الوشاية حتى أقدم على قتل الملك الأرمني وابن أخيه، وما أن علم القان خربندا بمقتل ملك الأرمن حتى طلب مقدم المغول وأمر بقتله عقاباً له على هذه الجريمة (انظر أبو الفداء ، المختصر ، ج٤، ص٥٤؛ سعيد عبد الفتاح عاشور ، بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، ص٢٦٧)؛ وأما مبعوث السلطان فكان الأمير بدر الدين محمد بن الحاج أبي بكر (انظر السنوبري، نهاية الأرب، ج٣٣، ص٣٧-٣٨)؛ وملك الأرمن أوشين بن ليفون تملك سيس بعد أخيه الذي قتل على يد مقدم المغول برلغي وكان صغير السن، توفي في سنة ٧٢٢هـ ، بعد غارة المماليك على مملكته، (انظر أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص٤٥؛ المقرئزي، السلوك، ج٣، ص٥٤؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج٣، ص١١٦).

السابق تهاجم القوات المملوكية الأراضي الأرمينية^(١)، وقد أورد المقريري سبباً آخراً لهذه الحملة بقوله (بل مسيرهم إنما كان لأجل توجه الملك أزيك إلى بلاد أبي سعيد. وكتب بخروج عساكر الشام أيضاً)، والمرجح هو ما ذكره النويري في سبب الحملة لأمرين أولاًها: لقاء النويري للرسول المملوكي الأمير بدر الدين محمد وأخذه الخبر عنه، مما يعطي النويري طابع المصادقية والمعاصرة، في حين أن المقريري كان أبعد عهداً من صاحبه، وثانيها: أن العلاقة المملوكية الإيلخانية كانت تسير نحو الصلح والمهادنة، فمن المفترض من الجانب المملوكي عدم استثارة الجانب المغولي وهذا ما كان، حيث اعتذر الناصر عن عقد تحالف عسكري مع دولة المغول الذهبية لتوقيعه الصلح مع دولة إيلخانات فارس، ويمكن التوفيق بين ما ذكره المؤرخين، بأن المماليك أرادوا ضرب عصفورين بحجر واحد، استغلال انشغال دولة إيلخانات فارس بالجبهة الشمالية مع مغول القفجاق، والاستفادة من سوء العلاقة بين إيلخانية فارس ومملكة أرمينية.

ولكن لم يلبث هذا الهدف أن تغير بعد وصول أخبار سفارة البابوية إلى دولة إيلخانات المغول في فارس والعراق من أجل دعم مملكة أرمينية ونصرتها على المماليك، مما استثار السلطنة المملوكية في مصر وحدا بالمماليك إلى تحويلها حملة تأديبية شاملة لأراضي مملكة أرمينية الصغرى^(٢).

ومن الملاحظ بأن هذه الحملة جاءت مختلفة الطابع إذ استنفرت فيها القوات الشامية كاملة بما فيها الحموية إلى جانب العساكر المصرية^(٣)، كما أنها لم تكن عشوائية الهدف لمجرد الإغارة للسلب والتخريب، حيث حدد هدفها الرامي لفتح ميناء أياس بتوجيهات السلطان المملوكي، الذي أثبت باختياره بعد أفقه السياسي والاقتصادي لأنّ أياس تعدّ من أهم المرافئ البحرية لمملكة أرمينية

(١) النويري، نهاية الأرب، ج ٣٣، ص ٣٨؛ المقريري، السلوك، ج ٣، ص ٥٣.

(٢) سعيد عبد الفتاح عاشور، بحوث ودارسات في تاريخ العصور الوسطى، ص ٢٧٠.

(٣) ابن حبيب، درة الأسلاك، ج ٢، ورقة ١٩٢ب؛ أبو الفداء، المختصر، ص ٩١؛ ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج ٢، ص ١٢٤؛ المقريري، السلوك، ج ٣، ص ٥٣.

الصغرى، وهي بمثابة عصب الحياة الاقتصادية لديها، ولهذا فقد نالت أهمية خاصة لدى الأرمن تظهر من حجم تحصينهم العسكري لميناء أياس، حيث كان محاطاً بـ "ثلاثة حصون هي الأطلس والمشمعة والأياس" (١)، ومن أجل ذلك روعي حجم الإعداد والتنظيم لهذه الحملة فجهزت آلات الحصار (٢)، وأما أهل أياس فما أن علموا بقرب قوات المماليك من المدينة حتى أخذوا مدينتهم واعتصموا بقلعتها مما مكن جنود المماليك من دخولها إلى دون مقاومة، فضرب المسلمون الحصار حول القلعة وشرع النقبون في إحداث الثغرات في سورها، ولما شعر أهلها بقرب سقوطها انتقلوا إلى قلعة الأطلس في وسط البحر فلم يتمكن المسلمون من التقدم نحوها، وقد ساعد سقوط قلعة أياس في يد المماليك على إسقاط قلعة الأطلس، في نهار الأحد ٢١ من ربيع الآخر (٣)، ثم عادت الجيوش المملوكية بما فيها من عسكر حماة إلى قواعدها محملة بالغنائم بعد أن وسعت غاراتها حتى شملت معظم أراضي مملكة أرمنية الصغرى (٤).

وقد نتج عن هذه الحملة إقدام الملك الأرمني على إرسال سفارة سنة ٧٢٣ هـ/١٣٢٣م، إلى السلطان الناصر محمد بطلب عقد هدنة معه لمد ١٥ سنة، مقابل تعهده بدفع نصف دخل المكوس التي تجبى في ميناء أياس، بالإضافة إلى جزية سنوية تقدر بخمسين ألف فلورين للسلطنة المملوكية، وتكون سارية المفعول من

(١) ابن حبيب، درة الأسلاك، ج٢، ورقة ١٩٢ب؛ ومنهم من أطلق عليها أبراج وآخرون سموها قلاع (انظر أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص ٩١؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص ٢٦٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص ٥١٦؛ ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج٢، ص ١٢٤)؛ والأياس: قلعة المدينة وهي تقع على شبة جزيرة بوابتها تطل على البر محمية طبيعياً بالبحر المحيط بها من ثلاث جهات (انظر النويري، نهاية الأرب، ج٣٣، ص ٣٨-٣٩؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص ١٣٣)؛ وللتعرف على ما شغله ميناء أياس من أهمية ومكانة (انظر عبد الله سعيد الغامدي، سياسة سلاطين دولة المماليك البحرية إزاء ميناء أياس الأرمني، ص ٦-٩)؛ والأطلس أو الأطلسي حصن يقع على جزيرة تبعد عن حصن أياس (رمية ونصف) وقد اعتنى الأرمن بمدخله فطلبت أبوابه بالرصاص والحديد، وبلغ عرض السور ١٣ ذراعاً (انظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص ٥١٦؛ ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج٢، ص ١٢٤).

(٢) ابن حبيب، درة الأسلاك، ج٢، ورقة ١٩٢ب؛ أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص ٩١؛ النويري، نهاية الأرب، ج٣٣، ص ٣٨-٣٩؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص ٥١٦؛ ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج٢، ص ١٢٤؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص ١٣٣.

(٣) ابن حبيب، درة الأسلاك، ج٢، ورقة ١٩٢ب؛ أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص ٩١؛ النويري، نهاية الأرب، ج٣٣، ص ٣٨-٣٩؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص ٥١٦؛ ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج٢، ص ١٢٤؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص ١٣٣.

(٤) النويري، نهاية الأرب، ج٣٣، ص ٣٩؛ انظر أيضاً ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص ٢٦٤.

سنة ٧٢٣هـ/١٣٢٣م، في حين يلتزم الناصر محمد بإعادة بناء أياس الذي دمر على يد قواته^(١).

ولكن هذا الصلح لم يدم طويلاً ، حيث فوجئت مملكة أرمنية بخطر جديد تمثل في مجابهتها لغارات دولة بني قرمان المتاخمة لحدودها الغربية ، وخاصة بعد أن آثر أحد حكامها التقرب من السلطنة المملوكية بإعلانه التبعية للسلطان الناصر محمد، فتمخض عنها توحيد أهداف الدولتين لضرب مملكة أرمنية^(٢). حيث عاود المماليك غاراتهم عليها ، ويهمنها منها تلك الحملة التي جردها السلطان بالتعاون مع القرمانيين ضد مملكة أرمنية الصغرى سنة ٧٣٧هـ/١٣٣٧م، والتي شاركت فيها القوات الحموية بقيادة الأمير صارم الدين أربك^(٣)، حيث وصل

(١) سعيد عبد الفتاح عاشور، بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، ص ٢٧٠؛ عبد الله سعيد الغامدي ، سياسة سلاطين دولة المماليك البحرية إزاء ميناء أياس الأرمني، ص ٢٠-٢١؛ والمكوس: وهي ضريبة مالية تفرض على السلع الموجودة على أرض الميناء سواء أكانت واردة إليها أم صادرة عنها، وقد كانت تفرض في عهد المماليك على البيوت والحوانيت والخانات الحمامات والأفران والبساتين والطواحين وغيرها، وهي جائزة غير شرعية لأنه لم يرد في كتب الشريعة نصوص بشأنها ولذلك ألغاه بعض سلاطين المماليك (انظر القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٣، ص ٤٦٦ ؛ محمد قنديل البقلي، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص ٣٢٥؛ حصّة ناصر المبارك، الناصر محمد بن قلاوون الحياة الاقتصادية في مصر، رسالة علمية لنيل درجة الماجستير من جامعة أم القرى غير مطبوعة، ص ١٥٠)؛ والقنورين: من الإيطالية فيورينو fiorino وهو نقد أجنبي الأصل ، اختلف سعره باختلاف المكان والزمان، ويقال أيضاً الفوريني (انظر الأب انتناس الكرملي، النقود العربية والإسلامية، وعلم النماط، ص ١٩٨).

(٢) أطلقت السلطنة المملوكية حملة تأديبية على مملكة أرمنية بقيادة نائب حلب في سنة ٧٣٥هـ، لتجرو ملك الأرمن وأصحابه على اعتراض الحامية السلطانية المرافقة لأحد أولاد بني قرمان، الذي عاد من الأراضي المقدسة بعد إتمامه لمناسك فريضة الحج متوجهاً إلى بلاده (انظر ابن حبيب ، درة الأسلاك، ج ٢، ورقة ٢٤٣؛ ابن الجزري، تاريخ ابن الجزري، ج ٣، ص ٧٦٨؛ ابن أبيك، كنز الدرر، مج ٩، ص ٣٩٨-٣٩٩)؛ و بنو قرمان: هم من الأرمن المسلمين ، ينتسبون إلى جدهم الكبير نوره صوفي سكن مدينة إلياس ثم قونية ، وقد نال ولده قرمان في عهد السلطان علاء الدين كيقيباد السلجوقي منزلة رفيعة حتى أن السلطان زوجه بأخته وأعطاه إمرة بلاد لارنده، حكم هذه الإمارة ثلاثة عشر أميراً، و شملت حدود بلاد قرمان ما بين أنقرة شمالاً والبحر المتوسط جنوباً وقيصريّة شرقاً وقونية غرباً. وقد اتخذوا من أرمناك عاصمه لهم في البدء ثم تحولوا إلى قونية، ومن أهم مدنها لارندا وسيواس وقونية وقرمان وأرمناك، وقد كانت لهم جهود عسكرية في إضعاف مملكة أرمنية الصغرى، وتسهيل عملية قضاء القوات المملوكية عليها (انظر القرماني، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، ج ٢، ص ٥١١؛ محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص ١٣٤، حاشية ٢؛ زامباور، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة، ص ٢٣٦؛ عبد الكريم غرايبة، العرب والأكراد، ص ٢٧١؛ محمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك ، ص ٣٢٠؛ سيد رضوان علي، الإمارات التركية المستقلة في آسيا الصغرى في النصف الأول من القرن السابع الهجري، مجلة كلية العلوم الاجتماعية، إصدار جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ع ٦، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص ٩٥-٩٦).

(٣) ابن الجزري، تاريخ ابن الجزري، ج ٣، ص ٩٣٦-٩٣٧؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج ٢، ص ٣٠٤.

الجيش الحموي إلى حلب في ٢٣ من رمضان من السنة نفسها^(١)، وبعد تكامل وصول القوات المملوكية خرجت من حلب في الثاني من شوال إلى مملكة أرمينية الصغرى، وعند وصولهم إلى الأسكندرونه وجدوا الأمير ملطغاي الغزي في انتظارهم وكان قد سبقهم لإعداد الآلات الحربية من المجانيق والجسور والمراكب لعبور نهر جيحان ، للنفاز إلى مملكة أرمينية وقاعدة ملكهم "سيس"، وفي تلك الأثناء وصلت رسل الملك الأرمني إلى الناصر محمد عن طريق دمياط فرفض الناصر محمد دخولهم عليه متعللاً بعدم اتصالهم بالنائب الدمشقي، ولعل الناصر أراد من وراء هذا الضغط على الملك الأرمني تقديم أقصى ما يمكنه من تنازلات، وفي جميع الأحوال عاد الرسل إلى بلاد الشام لمقابلة النائب الدمشقي الأمير تتكز حاملين معهم هدية له من قبل الملك الأرمني، وطلبوا منه كف يد القوات المملوكية عن أراضيهم، وفي المقابل أبدوا استعدادهم تسليم جميع القلاع والحصون التي تقع وراء نهر جيحان للناصر محمد، وتعود بذلك الحدود المملوكية الأرمينية إلى ما كانت عليه زمن السلطان لاجين، فأرسل الأمير تتكز إلى الناصر يخبره بذلك، فوافق الناصر على انسحاب القوات المملوكية شرط التزام الأرمن بتسليم الحصون والمدن^(٢). وبالفعل فقد وقع الاتفاق على تسليم القلاع والقطيعة وكانت ستمائة ألف درهم^(٣)، وبالفعل تسلم رسل الناصر أياس والمصيصة ونجيمة و كوبرا والهارونية وسرفندكار وباناس وكوارا والنقير^(٤). وشاعت إرادة الله أن

(١) ابن الجزري، تاريخ ابن الجزري، ج٣، ص ٩٣٧.

(٢) المقرئزي، السلوك، ج٣، ص ٢٢٩؛ سعيد عبد الفتاح عاشور، بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، ص ٢٧٢؛ ودمياط أحد الموانئ المصرية المطلّة على البحر المتوسط ويقع على زاوية بين البحر المالح ونهر النيل (انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان ، مج٢، ص ٤٧٢-٤٧٣).

(٣) ابن الجزري، تاريخ ابن الجزري، ج٣، ص ٩٤١؛ انظر أيضاً الذهبي ، ذيل تاريخ الإسلام، ص ٤٢٦.

(٤) ابن الجزري، الأئس الجليل، ص ٥٣١؛ تاريخ ابن الجزري، ج٣، ص ٩٤١؛ الذهبي، ذيل تاريخ الإسلام، ص ٤٢٦؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص ٣٠٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٥٩٩؛ ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج ٢، ص ٢٧٩؛ ابن دقماق، الجوهر الثمين، ص ٣٥٥؛ والهارونية تحصن صغير بناء هارون الرشيد ١٨٣هـ، ويقع في الجهة الغربية من جبل اللكام (القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ١٣٦؛ ابن شحنة، الدر المنتخب، ص ١٨٦)؛ والمصيصة: تقع على الضفة الغربية لنهر جيحان بنيت في خلافة المنصور، وعدت من الثغور الشامية (ياقوت الحموي، المشترك وضعاً، ص ٣١٨، ٣٩٨؛ ابن شحنة، الدر المنتخب، ص ١٧٨-١٧٩)؛ باناس: ولعلها باياس هو حصن صغير يقع غربي المصيصة وشرقي أنطاكية (ابن العديم، بغية الطلب، ج ١، ص ١٥٣-١٥٦؛ ابن شحنة، الدر المنتخب، ص ١٨٨)؛ وكوارا: ذكرها =

يتوفى قائد العساكر الحموية الأمير صارم الدين أربك داخل ميناء أياس، فحمل منها ليدفن بحماة، وذلك في شهر ذي الحجة من سنة ٧٣٧هـ/١٣٣٧م^(١).

ومما يعجب له أنه مع مقدرة الناصر على إسقاط مملكة أرمينية الصغرى وكثرة الفرص التي لاحت في الأفق لتحقيق ذلك الهدف، إلا أن الناصر أثر استمرارية هذه المملكة على الساحة السياسية مع ما صاحبها من تحجيم لمساحتها وامتدادها، ولعله أراد من ذلك إيقاعها حاجزاً يحفظ حدود بلاد الشام الشمالية والشمالية الغربية من تعديات المغول وغارات التركمان، فضلاً عن كونها لم تعد تشكل خطراً عسكرياً نظراً لما أصابها من وهن. ولعل ما يؤكد هذا أن ضعف المملكة الأرمينية الصغرى وما صاحبها من عجز اقتصادي أقعدها عن الوفاء بالتزاماتها المادية أمام دولة المماليك زمن السلطان الصالح إسماعيل، كان مدعاة لاستنفار القوات المملوكية لمهاجمتها سنة ٧٤٤هـ/١٣٤٣م^(٢)، حيث خرجت العساكر الحموية والطرابلسية الحلبية نحوها، وكانت القيادة العامة لنائب حلب الأمير أفسنقر، فدخلوا أراضي مملكة أرمينية الصغرى، ووصلوا في غاراتهم حتى أذنه، وكان الأرمن قد انسحبوا إليها واعتصموا بها فتكدست بها الأموال، وكادت قوات المماليك أن تأخذها إلا أن قائد هذه الحملة تورّع عن ذلك "بأن السلطان ما رسم بأخذها"^(٣)، وبالتالي أصدر أوامره إلى قواته بالعودة إلى مراكزها^(٤).

- القلقشندي باسم (كاورا)، وهي قلعة تقع على جبل يطل على البحر في شمال أياس (ابن العمري، مسالك الأبصار، ج ٤، ص ٢١٧؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ١٣٥)؛ وكوبرا والنقيير: لم أجد لهما تعريفاً فيما توفر لي من مصادر اطلعت. (١) ابن الجزري، تاريخ ابن الجزري، ج ٣، ص ٩٣٩؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج ٢، ص ٤٠٢؛ ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج ٢، ص ٢٨٤؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج ٢، ص ٤٣١؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ١، ص ٣٧٧.

(٢) المقرئزي، السلوك، ج ٣، ص ٤٠٢؛ سعيد عبد الفتاح عاشور، بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، ص ٢٧٣ (٣) قاد قوة طرابلس للأمير صلاح الدين يوسف النواذر (انظر ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج ٢، ص ٣٢٦-٣٢٧)؛ وأذنه: وتعرف أيضاً بأذنه وأطنه، وهي مدينة ببلاد الأرمن قرب المصيصة وتبعد عن طرسوس ١٨ ميلاً، بناها هارون الرشيد على سهل رسوبي خصب يمر به نهر سيحان، فغدت حارسة لمداخل من المداخل المؤدية لهضبة الأناضول (انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ١٣٢-١٣٣؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ٢٤٨-٢٤٩؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ١٣٤؛ صلاح الدين على الشامي وغيره، جغرافية الوطن العربي، ص ٥٥٩).

(٤) ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج ٢، ص ٣٢٦-٣٢٧؛ المقرئزي، السلوك، ج ٣، ص ٤٠٢.

ولم يحدث بعد هذا التاريخ أي مشاركة لعسكر نيابة حماة في الحملات اللاحقة التي شنّها المماليك على مملكة أرمينية الصغرى، ولعل ذلك يعود لعدم وجود الحاجة الماسة لتدخل قوات حماة في الحملات العسكرية المتوجهة نحو هذه المملكة، نظراً لما أصابها من ضعف ووهن، إضافة إلى تنامي قوة النيابة الحلبية، والتي اضطلعت بعد ذلك بمهام تسيير الحملات على مملكة أرمينية الصغرى، حتى توجّبت جهودهما بالقضاء عليها كلياً ، وذلك سنة ٧٧٦هـ/١٣٧٥م، وأصبحت بعد هذا التاريخ ضمن ممتلكات سلطنة المماليك حيث خضعت لبعض الوقت لسلطان نائب حلب، ثم رأى سلاطين المماليك بأن موقعها المتميز يحتم جعلها نيابة مستقلة أطلق على متوليها "نائب سيس"^(١).

دور نيابة حماة في حركة الجهاد ضد الصليبيين في جزر البحر المتوسط

✠ قبرص - أرود - رودس ✠

أدى نجاح السلطان الأشرف خليل في استئصال شأفة الصليبيين من ساحل بلاد الشام سنة ٦٩٠هـ/١٢٩٠م، إلى لجوء كثير من جموع الصليبيين إلى جزر البحر المتوسط ، وعلى رأسها أرود وقبرص ورودس، ولهذا فإنه يبدو لنا أن الملك الإنجليزي ريتشارد كان محقاً عندما عرج بحملته وهو في طريقه إلى سواحل بلاد الشام سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م، ضمن جموع ما عرف بالحملة الصليبية الثالثة التي خرجت من الغرب كرد فعل لنجاح صلاح الدين في استرداد بيت المقدس من الصليبيين سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م، إذ جعل قبرص ملاذاً للقوى

(١) عن جهود نيابة حلب في إضعاف مملكة أرمينية ومن ثم إسقاطهم لها سنة ٧٧٦هـ (انظر ابن حجر ، إنباء الغمر ، ج١، ص٩٧-٩٩؛ ابن تغري بردي ، المنهل ج٢، ص٤٥٢؛ النجوم ، ج١١، ص٦٦؛ عادل عبد الحافظ حمزة، نيابة حلب ، ج١، ص١٦٣-١٦٦؛ سعيد عاشور، بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، ص٢٧٧-٢٧٨).

الصليبية حال حدوث مكروه لها في سواحل بلاد الشام، ناهيك عن كونه أراد بذلك أن يوجه لطمة عنيفة لبيزنطة باقتطاع هذه الجزيرة منها^(١).

وعلى أي حال فعلى الرغم من تطهير بلاد الشام من الاحتلال الصليبي الذي استمر جاثماً في المنطقة قرابة قرنين من الزمان، فقد واجه سلاطين دولة المماليك ذيول الجموع الصليبية في ثلاثة مراكز هي مملكة أرمينية الصغرى في الطرف الجنوبي الغربي لآسيا الصغرى، وكذلك قوى مملكة قبرص التي قويت بعد لجوء عدد كبير من الصليبيين إليها، إضافة إلى فرسان الاسبتارية في رودس، وقد لقيت هذه الكيانات دعماً مباشراً من قبل المقر البابوي في روما، وخاصة قبرص، استجابة لنداءات المقر البابوي بضرورة استضافة الصليبيين الهاربين من بلاد الشام إلى أراضيها^(٢).

ولم يكن التزام الملك القبرصي مقتصرًا على تقديم الدعم العسكري للأسبتارية فقط، بل شمل ذلك الدعم قوات الداوية التي لجأت من صيدا وأنطرسوس وغيرهما إلى جزيرة أرواد، والتي عانت من شح المياه، مما أضاف عبأً آخر على ملك قبرص، يتمثل في إمداد الجزيرة بالمؤن و تسهيل إعمار الجزيرة و

(١) سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية، ج٢، ص ٨٧٠-٨٧١، ١٢٢٣؛ قبرص والحروب الصليبية، ص ١-٢؛ جوناثان سميث، الأسبتارية، ص ١١١؛ يوشع بروار، عالم الصليبيين، ص ٦١؛ أرنتس باكر، الحروب الصليبية، ص ٨٩؛ ميشيل بالار، الحملات الصليبية والشرق اللاتيني، ص ١٩٨؛ إتش-إم ماير، تاريخ الحملات الصليبية، ج ١، ص ١٩٨.

(٢) ابن الجزري، تاريخ ابن الجزري، ج ١، ص ٤٦، حاشية ١؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ٦٩٠هـ، ص ٤٦-٥٠؛ سعيد عبد الفتاح عاشور، قبرص والحروب الصليبية، ص ٥٢-٥٣؛ العصر المماليكي، ص ١٣٦؛ جوناثان سميث، الأسبتارية، ص ١٩٧-١٩٨؛ أنتوني بيردج، تاريخ الحروب الصليبية، ص ٢٩٢-٢٩٥؛ الأسبتارية: تُعد من المنظمات الرهبانية الصليبية وكانت بدايتها عبارة عن وكالات تقديم الخدمات للحجاج الصليبيين والأعمال الخيرية الأخرى من تطبيب ودفن وعناية بالفقراء، ثم سرعان ما توسعت أهدافها لتشتمل على المشاركة في الحروب العسكرية، فغدت من المؤسسات الرهبانية العسكرية المتطورة والمصاحبة للحملات العسكرية، وقد استحوذت هذه المنظمة على عدد هائل من الممتلكات والإقطاعات، كما حصلت على الكثير من الامتيازات داخل الإمارات الصليبي، للمزيد من التفصيل عن تلك الأسبتارية وغيرها من المنظمات الرهبانية (انظر يوحنا فورزيورغ، وصف الأراضي المقدسة في فلسطين، ص ٥٢؛ يوشع بروار، الأستيطان في فلسطين مملكة بيت المقدس ص ١٦٤-١٦٥؛ عالم الصليبيين، ص ١٤٢؛ نورمان ف. كانتور، التاريخ الوسيط، ج ٢، ص ٥٢٠؛ جوناثان ريلي سميث، ما لحروب الصليبية، ص ١٠١-١٠٣).

تحصينها وزيادة الدفاعات بها، والتي يمكن أن ندرك حجمها من مدى ما تمتعت به تلك الفرقة من ثراء وغنى بسبب حجم المساعدات التي قدمها ملك قبرص^(١)، وذلك ليتسنى لفرقة الداوية استئناف حملاتها الصليبية ضد المسلمين في سواحل بلاد الشام^(٢).

عاود الداوية بُعيد استقرارها في أرواد نشاطهم الصليبي، فشنوا هجمات متكررة على سواحل بلاد الشام. مما دعا نائب طرابلس للكتابة إلى السلطان الناصر محمد بن قلاوون في سنة ٧٠١ هـ / ١٣٠١ م ، يخبره بذلك، وأنه شرع في إعداد مراكب لغزو تلك الجزيرة ، فأصدر السلطان أوامره بعمارة أربعة شواني دعماً منه لفكرة نائب طرابلس لمهاجمة جزيرة أرواد^(٣).

وما أن اكتمل تجهيز الشواني في المحرم من السنة التالية حتى خرجت صوب الساحل الشامي بقيادة الأمير كهرداش الزراق المنصوري^(٤)، وبوصوله

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ٩٦٠ هـ، ص ٥٢؛ المقرئ، السلوك، ج ٢، ص ٣٤٨؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٣، ص ٣٥٦؛ النويري السكندري، الإمام بالإعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقتضية في وقعة الإسكندرية، ج ٤، ص ١٢٤؛ العيني، عقد الجمان، ج ٤، ص ١٨٨؛ للتعرف على مدى ما وصلت له الداوية من ثراء (انظر محمد مؤنس عوض ، الرحالة الأوربيون، ص ١٨٢-١٨٣؛ أنتوني بيروج، تاريخ الحروب الصليبية، ص ٢٩٥؛ نورمان ف. كانتون، التاريخ الوسيط، ج ٢، ص ٥٢٠-٥٢١).

(٢) أورد البعض بأن الأسبترية هم الذين نزلوا على جزيرة أرواد ولكن الأقرب للصواب بأن الداوية هم من استوطنوا هذه الجزيرة لأن أنطرسوس التي ورد اسمها في بعض المصادر الإسلامية على أنها مضخة للمستعمرين الصليبيين على أرواد كانت من مستعمرات الداوية (انظر الذهبي ، تاريخ الإسلام ، حوادث ٩٦٠ هـ، ص ٥٢؛ المقرئ، السلوك، ج ٢، ص ٣٤٨؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٣، ص ٣٥٦؛ النويري السكندري، الإمام، ج ٤، ص ١٢٤؛ السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص ٢٧٨؛ تاريخ طرابلس، ص ٣٣٨؛ أسقف رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية، ج ٣، ص ٧١٧؛ أنتوني بيردج، تاريخ الحروب الصليبية، ص ٢٩٥؛ جوناثان رايلي سميث، الأسبترية، ص ١٩٨).

(٣) المقرئ، السلوك، ج ٢، ص ٣٤٨؛ ذكر العيني عملية فتح أرواد ضمن حوادث سنة ٧٠١ هـ (انظر عقد الجمان، ج ٤، ص ١٨٤؛ والشواني: جمع ومفردها مختلف فيه ما بين شين وشاني وشينية وشونة، هي من أكبر القطع البحرية في الأسطول الإسلامي وأهمها لأنها الحاملة للمقاتلين الذين يصل متوسط عددهم ١٥٠ رجلاً ويمتاز الشيني بتطور دفاعاته من الأبراج والقلاع المبنية على ظهره (النويري السكندري، الإمام، ج ٢، ص ٢٣٣؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج ٣، ص ٧٩؛ حاشية ٣؛ سعاد ماهر، البحرية في مصر الإسلامية، ص ٣٥٢؛ درويش النخيلي، السفن الإسلامية على حروف المعجم، ص ٨٣).

(٤) بيبيرس المنصوري، زبدة الفكرة، ص ٣٦٦؛ المقرئ، السلوك، ج ٢، ص ٣٥٤؛ علي إبراهيم حسن، تاريخ المماليك البحرية، ص ١٨٢؛ السيد عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة صيدا، ص ١٦٩؛ وكهرداش الزراق المنصوري عمل في بداية حياته على النفط ثم تولى عمارة المأئنة المنصورية سنة ٧٠٢ هـ، وبعدها خرج لغزو أرواد، ثم استقر أميراً في دمشق حتى توفي سنة ٧١٤ هـ، وهو بذلك يعد نموذجاً لتعدد المهام الملقاة على الأمير المملوكي، وأنها لم تقتصر على الناحية العسكرية، بل تعدتها إلى المجال العمراني وكذلك الحضاري (انظر ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٣، ص ٣٥٦-٣٥٥).

طرابلس انضم إليه نائبها الأمير أسندمر الكرجي ومن معه من جنود ومطوعة- ولا يستبعد أن تكون عساكر نيابة حماة قد خرجت للمشاركة في هذه الحملة لكونها أقرب مدن الشام الداخلية لطرابلس- وقد أبحر الأسطول المملوكي صوب أرواد يتقدمهم الأمير أسندمر الكرجي فرست مراكبه أمام البر الشرقي للجزيرة في الثاني من شهر صفر، فتفاجأ الصليبيون الذين هرعوا صوب مراكبهم طلباً للفرار، ولكنهم لم يتمكنوا من ذلك، فبعد أن تم إنزال الجند على شاطئ الجزيرة احتدم القتال بين الطرفين، فلم تتمكن تحصينات الداوية من دفع عناصر الأسطول البحري لدولة المماليك عن إنزال الهزيمة بهم، ومن ثم السيطرة على جزيرة أرواد، ثم عادت قطع الأسطول المملوكي إلى قواعدها محملة بالغنائم والأسرى^(١).

وما أن آل ملك قبرص لبطرس الأول لوزجان (٧٥١-٧٦١هـ/١٣٥٠م) حتى أخذ الملك الجديد يتطلع لبناء مجده العسكري بهدف مزاحمة ملوك أوروبا على زعامة الحروب الصليبية، فترأى له أن أسهل الطرق لبلوغ مأربه هو الدعوة لإطلاق حملة صليبية جديدة تضرب السواحل المملوكية، ويبدو أن فشل غارتيه على السواحل الشامية والتي كانت في عامي ٧٥٦-٧٥٧هـ/١٣٥٠م-١٣٥١م^(٢)، عززت فكرة قيامه برحلة نحو الغرب الأوربي للحصول على الموافقة البابوية وجمع المساعدات المادية والعسكرية من ملوك أوروبا، الذين أدركوا الأطماع الشخصية لبطرس، فبدأ لهم عدم مشاركتهم في هذه الحملة والاكتفاء بإرسال بعضاً من قطعهم البحرية المحملة بالجنود والمؤن^(٣)، حيث

(١) بيبرس المنصوري، التحفة المملوكية، ص ١٦٣؛ زبدة الفكرة، ص ٣٦٦؛ الذهبي، دول الإسلام، ج ٢، ص ٢٠٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٤٢٩؛ ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج ١، ص ٢٥٢-٢٥٣؛ المقرئ، السلوك، ج ٢، ص ٣٤٨؛ النويري السكندري، الإمام، ج ٤، ص ١٢٤؛ العيني، عقد الجمان، ج ٤، ص ١٨٧-١٨٨؛ علي إبراهيم حسن، تاريخ المماليك البحرية، ص ١٨٢.

(٢) ويبدو أن جمهورية البندقية لم تكن ترغب في تصعيد حدة التوتر بينها وبين الكنيسة في روما، مما دعاها لاتخاذ سياسية الكيل بمكيالين وازدواجية التعامل مع الكنيسة الكاثوليكية بروما والسلطنة المملوكية في مصر حيث بادرت بتقديم الدعم المادي لتلك الغارتين، ثم أعقبها خطبتها لود سلطنة المماليك، وذلك بسعيها لتوقيع معاهدة تجارية في عام ٧٦٣هـ/١٣٦١م للمزيد (انظر ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج ٣، ص ١٩٨؛ عفاف صبره، العلاقات بين الشرق والغرب، ص ٦٦-٦٧).

(٣) عبد الرحمن زكي، الجيش المصري، ج ٢، ص ١١٢؛ سعيد عبد الفتاح عاشور، قبرص والحروب الصليبية، ص ٥٧؛ عفاف صبره، العلاقات بين الشرق والغرب، ص ٦٧-٦٨؛ أستقن رنسيان، تاريخ الحروب الصليبية، ج ٣، ص ٧٤٠-٧٤٢.

توافدت وصول السفن الصليبية إلى جزيرة رودس ، وذلك في مطلع سنة ٧٦٧ هـ/ ١٣٦٥م، والتي كان بطرس في انتظارهم هناك بنفسه، وبعد أن أكمل استعداداته برودس، بأن استدعى قواته بقبرص إليها، أصدر أوامره لهذه القوات بأن تتجه لمهاجمة ثغر الإسكندرية ، حيث تمكنت من اقتحام المدينة في يوم الجمعة من شهر صفر سنة ٧٦٧ هـ/ أكتوبر ١٣٦٥م، خلال أداء أهلها لصلاة الجمعة ، وعاث رجالها في المدينة سلباً ونهباً، ثم انسحبوا عنها مكتفين بما حصلوا عليه من الغنائم والأسرى^(١).

فكان لهذه الحملة أبعادها السياسية والعسكرية على المنطقة بشكل عام وعلى ملك قبرص الصليبي بشكل خاص، أما الأولى فقد ظهرت بصورة جلية تقسيم الأدوار فيما بين قبرص ورودس، حيث تصدرت قبرص دور الريادة في إحياء فكرة الحملات الصليبية في حين غدت رودس محط تجمع القوى الصليبية بعد أن أصبحت الحليف المخلص للملك القبرصي^(٢)، أما بطرس لوزجنان فعلى الرغم من نشوة الانتصار التي أحاطت به، وهالة الإكبار التي وصل إليها في العالم الصليبي بعد غارته على الإسكندرية^(٣) إلا أن الخوف قد خالجه من ردة فعل المماليك، ولهذا أراد تغطية ذلك الشعور بتسديد ضربة أخرى تكون دفاعية أكثر من كونها هجومية، تعمل على تشتيت وشل الصفوف المملوكية فاختر بأن يكون هدفه القادم بيروت، ولكن تدخل البنادقة حال دون ذلك لتعارضه مع مصالحهم الاقتصادية، إلا أن ذلك لم يمنع السلطان الأشرف شعبان من إصدار

(١) للوقوف على تفاصيل هذه الغارة التي تباينت أراء بعض المؤرخين في عدد القطع البحرية المشتركة في الحملة الصليبية والمرجح بأنها ١٦٥ سفينة لإجماع البعض (انظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص٧٥٤؛ النويري السكندري، الإمام، ج٥، ص٧٧؛ القلقشندي، مآثر الأنافة في معالم الخلافة، ج٢، ص١٦٨-١٦٩؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٠، ص٢٩؛ أسستين رنسيان، تاريخ الحروب الصليبية، ج٣، ص٧٤٣-٧٥١؛ سهير محمد نعينع، الحروب الصليبية المتأخرة، حملة بطرس الأول لوزجنان على الإسكندرية، ص١٢٣ وما بعدها؛ عبد الرحمن زكي، الجيش المصري، ج٢، ص١١٣).

(٢) خاشع المعاضيدي، تاريخ الوطن العربي، ص٢٨٠؛ سعيد عبد الفتاح عاشور، قبرص والحروب الصليبية، ص٧١؛ الحركة الصليبية، ج٢، ص١٢٣٤.

(٣) خاشع المعاضيدي، تاريخ الوطن العربي والغزو الصليبي، ص٢٨٠؛ عبد الرحمن زكي، الجيش المصري، ج٢، ص١٢٨؛ سعيد عبد الفتاح عاشور، قبرص والحروب الصليبية، ص٧١.

مرسوم في ربيع الأول سنة ٧٦٧هـ/١٣٦٥م، قضى بقطع الأخشاب من غابات البلاد الشامية لعمل الشواني استعداداً لغزو قبرص، ثم أعقب ذلك تجميد العلاقات التجارية مع البندقية ومصادرة بضائع السفن التجارية القادمة منها في جميع موانئ الشام ومصر حتى إشعار آخر^(١)، الأمر الذي دعا البنادقة للضغط على ملك قبرص للإذعان لشروط الصلح التي أملتھا الأبواب السلطانية على وفد البنادقة، والتي نصت على إطلاق أسرى المسلمين الذين أخذوا من الإسكندرية، فوافق بطرس على إعادة ما لديه في جزيرة قبرص من أسرى المسلمين، فكان لذلك الخبر ما أنقص شعبية الملك القبرصي لدى الغرب الأوربي وفي مقدمتهم المقر البابوي في روما التي بادرت بخلع يدها من تقديم المساعدات لقبرص^(٢).

وما أن علم سلطان المماليك بموقف المقر البابوي وملوك غرب أوربا من بطرس لوزجنان، حتى أوقف مفاوضات الصلح مع قبرص، فأدرك بطرس بأنه خدع من قبل السلطنة والبنادقة، فأخذ يعدّ العدة لشنّ ضربة جديدة ضد السواحل المملوكية، ووقع اختياره في هذه المرة على طرابلس لأنها أحد أقرب مدن الساحل إلى قبرص^(٣)، حيث استغل بطرس وحلفاؤه أسبتيارية رودس اضطراب الأوضاع الداخلية الطارئ في دولة المماليك، فهاجموا طرابلس على حين غرة من أهلها، وذلك في الأول من المحرم سنة ٧٦٩هـ/١٣٦٦م، وقد ضربت رياح قوية الأسطول الصليبي فمزقته، ولم يصل منه إلى الشاطئ الطرابلسي سوى مراكب

(١) انظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٧٤٦؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٠، ص ٣٠؛ عبد الرحمن زكي، الجيش المصري، ج ٢، ص ١٢٨؛ سعيد عبد الفتاح عاشور، قبرص والحروب الصليبية، ص ٧١؛ والبندقية: فينيزيا Venezia تقع شمالي شرقي إيطاليا على البحر الإندرياتيكي، وهي عبارة عن مجموعة من جزر وقد أمتد سلطاتها في القرن العاشر إلى الشاطئ الشرقي لبحر الاندرياتيكي فشمّل الساحل اليوكوسلاقي والباينا وجزءاً من اليونان وبعض جزر بحر إيجه (انظر محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص ١٦٣، حاشية ٢).

(٢) سعيد عبد الفتاح عاشور، قبرص والحروب الصليبية، ص ٧١-٧٢؛ عبد الرحمن زكي، الجيش المصري، ج ٢، ص ١٢٩؛ عفاف صبره، العلاقات بين الشرق والغرب، ص ٧٥؛ محمد جمال الدين سرور، دولة بني قلاوون، ص ٢٥٢-٢٥٣؛ لتعرف على مجريات أحداث السفارة القبرصية لدولة المماليك (انظر المقريري، السلوك، ج ٤، ص ٢٩١).

(٣) انظر النويري السكندري، الإمام، ج ٥، ص ٨٤؛ سعيد عبد الفتاح عاشور، قبرص والحروب الصليبية، ص ٧٢.

الصيد، والتي ظلت مرابطة أمام ساحل المدينة قرابة ١٢ يوماً، ثم اضطرت إلى الانسحاب عند تعذر وصول بقية قطع الأسطول الصليبي^(١).

ثم كرر بطرس وحلفاؤه الأستبارية في رودس هجومهم على طرابلس، ولكن في هذه المرة بدعم من جهات صليبية عدة^(٢). ويبدو أن أجهزة التجسس التي امتلكتها الأستبارية^(٣)، ساعدت في نقل صورة واضحة المعالم لأوضاع نيابة طرابلس، حيث أبحرت قطع صليبية نحو طرابلس مستغلين غياب نائبها وظهروا أمام طرابلس في ٢٢ المحرم من سنة ٧٦٩هـ/١٣٦٦م، ونشب على أثر ذلك معركة عنيفة في شوارع المدينة نتج عنها نهب للبيوت والأسواق وقتل أعداد كبيرة من الطرفين^(٤)، إلا أن وصول الإمدادات إلى طرابلس من جميع نيابات الشام، ومنها بطبيعة الحال نيابة حماة أجبرت بطرس على الانسحاب عن طرابلس^(٥).

ويبدو أن ملك قبرص عندما أدرك عجزه التام عن مواصلة هجماته على موانئ بلاد الشام ومصر، عمد إلى السماح لبعض قراصنة البحر الصليبيين، في جعل جزيرة قبرص منطلقاً لعمليات القرصنة التي أخذوا يشنونها على سواحل الشام بهدف النهب والسلب، ثم العودة إلى الجزيرة، كما حدث سنتي ٧٨٠هـ/

(١) النويري السكندري، الإمام، ج ٥، ص ٨٤-٨٥؛ سعيد عبد الفتاح عاشور، قبرص والحروب الصليبية، ص ٧٢.
(٢) من الذين قدموا الدعم أهالي جنوة والبندقية وكريت وأيضاً الفرنسيون والهنجاريون وحلفاء القبارصة أستبارية رودس (انظر السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص ٢٨٢؛ سعيد عبد الفتاح عاشور، قبرص والحروب الصليبية، ص ٧٣؛ محمد جمال الدين سرور، دولة بني قلاوون في مصر، ص ٢٨٢).

(٣) خاشع المعاصيدي، تاريخ الوطن العربي والغزو الصليبي، ص ٢٨٢.

(٤) ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج ٣، ص ٣١٢؛ المقرئ، السلوك، ج ٤، ص ٣١١؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ١١، ص ٥٢-٥٣؛ السخاوي، الذيل التام، ج ١، ص ٢٢٥-٢٢٦؛ السيد عبد العزيز سالم، طرابلس الشام، ص ٣٤٨-٣٤٩.

(٥) انظر ابن العراقي، ذيل العبر، ق ١، ص ٢٣٣؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ١١، ص ٥٣؛ سعيد عبد الفتاح عاشور، قبرص والحروب الصليبية، ص ٧٣-٧٧.

١٣٧٨م، و ٧٨٤هـ/١٣٨٢م^(١)، وكذلك تلك الغارة التي شنّها بعض قراصنة قبرص ورودس على مدينة الأسكندرية في سنة ٨٠٥هـ/١٤٠٢م^(٢).

وعندما اعتلى عرش السلطنة المملوكية في مصر السلطان الأشرف برسباي سنة ٨٢٥هـ/١٤٢٢م، والذي نجح إلى حدّ كبير في إعادة الأمور إلى نصابها الصحيح داخل السلطنة. وجّه جهوده نحو الجهاد الشامل ضد الوجود الصليبي في قبرص، حيث استغلّ تجرؤ الأسطول القبرصي على مهاجمة ثغر دمياط في شهر رجب من سنة ٨٢٧هـ/١٤٢٤م^(٣). فأصدر أوامره إلى قطع الأسطول المملوكي في سواحل مصر والشام بالتجمع أمام ساحل مدينة طرابلس، وذلك في شعبان من السنة نفسها، حيث استقبلت طرابلس المجاهدين الذين توافدوا عليها بناء على أوامر السلطان برسباي من كلّ النيابات الشامية، وفي مقدمتها نيابة حماة التي خرج معظم أهلها تطوعاً للجهاد ضد الصليبيين في قبرص، وباجتماع القوات المملوكية في طرابلس، أبحر الأسطول صوب جزيرة قبرص حيث ظهر أمام برها الغربي في يوم الأحد ٢٠ رمضان من ذات العام^(٤).

وقد تباينت أقوال بعض المؤرخين حول عملية إنزال المجاهدين المسلمين على الأراضي القبرصية، فمنهم من قال بأنها تمت على أرض "الماغوصة، فأضافهم ممتلكها، فلم يتعرضوا لبلاده، ومضوا عنه إلى بلاد يقال لها اللمسون من

(١) ابن حجر، أنباء الغمر، ج ١، ص ٢٦٨؛ المقرئ، السلوك، ج ٥، ص ٥٠؛ سعيد عبد الفتاح عاشور، العصر المماليكي، ص ٢٧٨؛ السيد عبد العزيز سالم، طرابلس الشام، ص ٣٥١-٣٥٢؛ خاشع المعاضيدي، تاريخ الوطن العربي والغزو الصليبي، ص ٢٨١؛ عصام محمد شبارو، السلاطين في المشرق العربي، المماليك، ص ١٠١-١٠٢.

(٢) أحمد دراج، المماليك والفرنج، ص ٢٢، ٢٦.

(٣) المقرئ، السلوك، ج ٧، ص ٩٩؛ غرس الدين الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص ١٣٨؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٤، ص ٢٦٦؛ انظر كذلك؛ السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الأسكندرية وحضارتها، ص ٣٨٨؛ سعيد عبد الفتاح عاشور، قبرص والحروب الصليبية، ص ٨٩.

(٤) المقرئ، السلوك، ج ٧، ص ١٠٠-١٠٣؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٤، ص ٢٧٠-٢٧٩؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج ٣، ص ٧٧؛ أحمد مختار العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام، ص ٣٣٠.

جزيرة قبرص^(١)، في حين أن البعض الآخر ذكر بأنهم نزلوا في "رأس الياق من جزيرة قبرص فوجدوا مركباً موسوقاً فهرب من به فأخذوا ما فيه وأحرقوه ثم وصلوا إلى اللمسون"^(٢). ورغم أن هذه الروايات ركزت على وصف المعركة التي دارت رحاها في ميناء اللمسون فإن الرواية الأولى هي الأقرب إلى الصواب، لأن قائلها من المعاصرين للحملة، وأن روايته قد تبناها عدد من المؤرخين^(٣).

ثم بدأ الأسطول المملوكي عملية استكشاف في سواحل الجزيرة، تعرض خلالها لريح عاتية عصفت ببعض سفنه، ولكن سرعان ما تمكن الأسطول من الالتحام، وأكمل سيره^(٤)، حيث تجاوز اللمسون، فوصل إلى رأس الياق القريبة منها، فهاجم رجاله سفن العدو الراسية على الساحل^(٥)، ثم عادوا لمهاجمة اللمسون فاعترضتهم ثلاثة أغربة لمنعهم من التقدم، فتمكنوا من إحراقها، ووجدوا أهل اللمسون قد استعدوا للدفاع عن مدينتهم^(٦)، فدار قتال عنيف بين الطرفين

(١) المقرئزي، السلوك، ج٧، ص١٠٣؛ وخالف ابن تغري بردي والسخاوي رواية المقرئزي فنكروا بأن المسلمين نهبوا المدينة (انظر، النجوم، ج١٤، ص٢٧٩؛ السخاوي، وجيز الكلام، ج٢، ص٤٧٩)، والماغوصة: Famagosta مدينة قبرصية تقع على ساحل الجزيرة الشرقي وتتمتع بحكم ذاتي ولها عدة أسماء منها المراعش وفاما جوستا (انظر المقرئزي، السلوك، ج٧، ص١٠٣، حاشية ٢؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ص١٠٠؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٢، ص٢٣٤، حاشية ٣، ج١٤، ص٢٧، حاشية ٢؛ فولغانغ مولر - فيز، القلاع الصليبية، ص١٢٠-١٢١)؛ واللمسون وتعرف بـ (ليماسول): ميناء بحري هام يقع على ساحل الجزيرة الجنوبي محمي بقلعة حصينة (انظر غرس الدين الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص١٣٨؛ المقرئزي، السلوك، ج٧، ص١٠٣، حاشية ٣؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٤، ص٢٧٠، حاشية ٣).

(٢) غرس الدين الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص١٣٨؛ ورأس الياق: ويقع جنوب اللمسون، (انظر الملحق رقم ٥)
(٣) المقرئزي، السلوك، ج٧، ص١٠٣؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٤، ص٢٧٩؛ السخاوي، الذيل التام، حوادث وتراجم ٧٤٥-٨٥٠هـ، ص٥٣٥؛ إبراهيم على طوخان، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، ص١٠٠؛ عصام شبارو، السلاطين في المشرق العربي، ص١٠٣.

(٤) سعيد عبد الفتاح عاشور، قبرص والحروب الصليبية، ص٩٠.

(٥) غرس الدين الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص١٣٨.

(٦) المقرئزي، السلوك، ج٧، ص١٠٣؛ غرس الدين الظاهري، كشف زبدة الممالك، ص١٣٨؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٤، ص٢٧٠؛ سعيد عبد الفتاح عاشور، قبرص والحروب الصليبية، ص٩٠-٩١؛ عبد الرحمن زكي، الجيش المصري، ج٢، ص١٥٧؛ والأغربة: ومفردها غراب وهو نوع من القطع البحرية المستخدم في الأسطول العسكري والذي يشترك من الشيني في حمل المقاتلين، ولكن الغراب مزود بجسر خشبي يتصل بمراكب العدو لإنزال المقاتلين على ظهر مراكب العدو ليحول الحرب البحرية لبرية (انظر إبراهيم أحمد العدوي، قوات البحرية العربية في مياه البحر المتوسط، ص١٦٧؛ سعاد ماهر، البحرية في مصر الإسلامية، ص٣٦٠-٣٩٩؛ درويش النخيلي، السفن الإسلامية على حروف المعجم، ص١٠٤-١١٢).

انتهى بهزيمة حاكم اللمسون، وإحراق مدينته ونهبها، إلا أنه تعذر على الجيش المملوكي اقتحام حصنها المنيع، وعندما رأوا بأن اقتحامه سيتطلب مدة أطول فضلوا عدم الاستمرار في حصاره، وعاد الجيش المملوكي إلى قواعده في سواحل الشام ومصر محملاً بالغنائم والأسرى^(١).

ويبدو أن السلطان برسباي قصد بهذا الانسحاب إعادة تنظيم أسطوله، وزيادة قطعه البحرية، حيث أصدر أوامره إلى دار الصناعة ببولاق والإسكندرية ودمياط ببناء سفن جديدة^(٢)، تحت إشرافه الشخصي^(٣)، كما أمر نائب طرابلس بعمارة حمالة^(٤)، وأما بيروت فصنعت حمالة وغرايين^(٥)، وفي غضون ذلك جاءت الأخبار بأن ملك قبرص أعدّ سفناً للإغارة على السواحل المملوكية^(٦)، فأصدر السلطان أوامره "بتركيز الجند في السواحل حفظاً لها من عادية الفرنج"^(٧)، حيث توافدت القوات الشامية، ومنها نيابة حماة التي كانت تعدّ الأقرب إلى طرابلس لمواجهة هذا الخطر الذي ظهرت طلائعه برسو غراب وسلورة صليبية أمام ساحل صور، فتمكن المسلمون من دفعها عنها، وأجبروا رجالها على الإبحار نحو جبله، انتظاراً لوصول بقية قطع الأسطول الصليبي، ثم

(١) المقرئزي، السلوك، ج٧، ص١٠٣؛ غرس الدين الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص١٣٨؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٤، ص٢٧٠؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج٣، ص٧٧؛ انظر كذلك السخاوي، الذيل التام، حوادث ٧٤٥-٨٥٠، ص٥٣٥؛ سعيد عبد الفتاح عاشور، قبرص في الحروب الصليبية، ص٩١؛ عبد الرحمن زكي، الجيش المصري، ج٢، ص١٥٧؛ أحمد دراج، الممالك والفرنج، ص١٠٠؛ عصام شبارو، السلاطين في المشرق العربي، ص١٠٣؛ ناجلا محمد عبد النبي، مصر والبندقية، العلاقات السياسية والاقتصادية في عصر المماليك، ص٨٤.

(٢) المقرئزي، السلوك، ج٧، ص١١٢.

(٣) سعيد عبد الفتاح عاشور، قبرص والحروب الصليبية، ص٩٢؛ عبد الرحمن زكي، الجيش المصري، ج٢، ص١٥٨. (٤) أسطفان الدويهي، تاريخ الأزمنة، ص٣٤٦؛ أحمد مختار العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية، ص٣٣١؛ وحمالة : مخصصة لنقل مؤن الأسطول العسكري (انظر سعاد ماهر، البحرية في مصر الإسلامية، ص٣٤٢؛ إبراهيم أحمد العلوي، قوات البحرية العربية في مياه البحر المتوسط، ص١٦٨).

(٥) ابن حجر، إنباء الغمر، ج٨، ص٧١؛ أحمد مختار العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية، ص٣٣١؛ سعيد عبد الفتاح عاشور، قبرص والحروب الصليبية، ص٩٤.

(٦) المقرئزي، السلوك، ج٧، ص١١٣؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج٨، ص٧١؛ غرس الدين الظاهري، كشف زبدة الممالك، ص١٣٩.

(٧) ابن حجر، إنباء الغمر، ج٨، ص٧١.

وقع صدام كبير بين الطرفين عند مصب نهر الكلب، حيث اجتاحت مقاتلوا الفرنج مياهه، وكان جند المماليك قد كمنوا لهم، وما أن دخلت السلورة النهر حتى انقض عليها الكمين، فأحرقوا المراكب وأسروا من كان عليها، أما الغراب فطفق عائداً نحو قبرص لا يلوِي على شيء^(١).

ويبدو أن هذا الاعتداء الصليبي على سواحل الشام قد تزامن مع تكامل أعداد سفن الأسطول المملوكي، ولهذا بادر السلطان بإعلان النفير العام للجهاد في الأراضي المصرية وبلاد الشام، فاستجاب لندائه عددٌ كبير من أهل الشام ومصر الذين خرجوا للجهاد تطوعاً مع العسكر النظامي، حيث أسند برسباي قيادة الأسطول إلى الأمير جرباش الكريمي ومعه عدد من الأمراء^(٢).

أما طرابلس وبيروت فقد اكتظتا بالمجاهدين الذين ووفدوا عليهما من سائر بلاد الشام بما فيها حماة، وظلوا منتظرين وصول الأسطول المصري الذي خرج من ساحل دمياط صوب الساحل الشامي، فمر ببيروت نقطة اجتماع السفن التي صنعت في دور الصناعة بالشام، ومن ثم انطلقوا صوب طرابلس^(٣).

وبعد تكامل تجهيزات الأسطول المملوكي بدأ رحلة إحاراه نحو جزيرة قبرص في يوم الاثنين ١٤ من رمضان، فوصل برها الغربي في يوم الجمعة ١٨

(١) المقريزي، السلوك، ج٧، ص١١٤-١١٥؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج٨، ص٧١؛ غرس الدين الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص١٣٩؛ وسلورة: من القطع البحرية المتوسطة الحجم لها ثلاثة أشعة وأربعين مجداف، و تمتاز بسرعتها ومرونتها في المناورات البحرية للقطع الكبيرة، وأن استعمالها لا يقتصر على المجال العسكري (انظر النويري السكندري، الإمام، ج٢، ص٢٣٥؛ سعاد ماهر، البحرية في مصر الإسلامية، ص٣٤٧؛ درويش النخيلي، السفن الإسلامية على حروف المعجم، ص٦٦).

(٢) المقريزي، السلوك، ج٧، ص١٢١؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج٨، ص٧١؛ غرس الدين الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص١٣٩-١٤٠؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج٣، ص٢٦٢-٢٦٣؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج٣، ص٧٧؛ وجرباش الكريمي الظاهري برقوق: ويعرف بالقشق أو العاشق، وهو أمير سلاح الملك الظاهر وحموه، توفي بطلاً في دارة بالقاهرة، وقد اختلف في تاريخ وفاته بين ٨٦٠-٨٦١هـ (انظر ابن تغري بردي، المنهل، ج٤، ص٢٥٦؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص٦٦).

(٣) ابن حجر، إنباء الغمر، ج٨، ص٧٢؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج٣، ص٧٨.

من ذات الشهر، ونزلت عناصر القوات المملوكية على الماغوصة يوم السبت ١٩ رمضان^(١)، بعد أن تبين لهم ضعف هذه المنطقة وعجزها عن المقاومة ، مما سيسهل عليهم عملية إنزال المجاهدين، الذين باثروا بنصب خيامهم عليها بعد نزولهم، وعندما علم متملكها بأمرهم أعلن رضوخه للقوات المملوكية، وأفصح لهم عن استعدادات الملك القبرصي التي اتخذها لدفع المماليك عن أراضيها^(٢).

وفي صبيحة اليوم التالي أخذت القوات المملوكية في الإغارة على القسم الغربي من الجزيرة، واستمر ذلك ٣ أيام^(٣)، حيث اشتبكت القوات المملوكية مع فرقة حربية يقودها أخو ملك قبرص، ألحقت به هزيمة سريعة أجبرته على الفرار إلى الداخل^(٤).

وفي يوم الأربعاء ٢٤ من الشهر نفسه، قسم القائد المملوكي جيشه إلى قسمين، قسم ظل مرابطاً على الشاطئ يراقب تحركات القبارصة داخل المدينة، وكان يتألف من ٤٠٠ راجل، والثاني عاد إلى السفن لحماية ظهر المقاتلين في البر^(٥)، ولعله أراد التمويه على العدو لاستدراج الصليبيين إلى مكان محايدة بعيد عن اللمسون ذات الحصن المنيع، وحدث ما تمناه حيث أمر الملك أسطوله بالخروج صوب رأس العجوز، التي كان رجال الأسطول المملوكي قد تجمعوا أمامها^(٦)، ورغم أن الملك القبرصي قد وضع خطته على أساس استدراج

(١) الصيرفي ، نزهة النفوس، ج٣، ص٧٨.

(٢) المقرئزي، السلوك، ج٧، ص١٢١؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج٨، ص٧٢؛ غرس الدين الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص١٩٠؛ ابن تغري بردي ، النجوم، ج١٤، ص٢٧٨؛ السخاوي، وجيز الكلام، ج٢، ص٤٨٤؛ الذيل التام، حوادث ٧٤٥-٨٥٠هـ، ص٥٤٠.

(٣) المقرئزي، السلوك، ج٧، ص١٢٠-١٢١؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٤، ص٢٧٨؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج٣، ص٧٨.

(٤) ابن حجر ، إنباء الغمر، ج٨، ص٧٢؛ ذكر الصيرفي بأنه قد دارت معركة بين الطرفين أسفرت عن استشهاد مسلمين ومقتل وجرح عدد من الصليبيين، نزهة النفوس، ج٣، ص٧٩.

(٥) المقرئزي، السلوك، ج٧، ص١٢١.

(٦) ابن حجر، إنباء الغمر، ج٨، ص٧٢؛ غرس الدين الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص١٩٠؛ ابن تغري بردي ، النجوم، ج١٤، ص٢٧٩؛ ورأس العجوز: ويقع بين الماغوصة واللمسون على شاطئ قبرص الجنوبي (انظر الملحق رقم ٥).

الأسطول المملوكي لمعركة بحرية ظناً منه أن ميزان القوى سيكون في صالحه، إذا ما شعر المماليك بالهزيمة، وآثروا الانسحاب إلى الشاطئ، فتكون قواته البرية في انتظارهم للإجهاد عليهم^(١). إلا أن قائد الأسطول المملوكي الذي كان يعلم بمدى براعة القبارصة في المعارك البحرية فضلاً عن إدراكهم لطبيعة تقلبات بحر جزييرتهم من مواسم الرياح وغيرها، عمد إلى المناورة البحرية حتى يتسنى لهم إنزال مقاتليهم على البر، وما كاد المجاهدون يضعون أرجلهم على الشاطئ حتى عاجلهم خيالة الفرنج، ولكنهم لم يصمدوا أمام المجاهدين المسلمين، بل تمكن المسلمون من الإجهاد على عدد كبير منهم^(٢)، وتعليق رؤسهم على الرماح ليراها المسلمون على ظهر السفن فتثبت أنفسهم للقتال، وبالفعل كان لهذا الإجراء دوره البالغ في التأثير على معنويات صليبي الجزيرة الذين تقهقروا أمام السفن الإسلامية^(٣).

ثم تجدد القتال بين الطرفين يوم الجمعة عندما وصل ميدان المعركة أخو ملك قبرص لبرنس كندس طابيل، ومعه نحو ٥٠٠ خيال ٨٠٠٠ راجل، حيث برز للقتال من عساكر المسلمين النصف، وأما الباقي فظل على ظهر المراكب ليحموا ظهر إخوانهم من مباغطة بحرية، وانتهت هذه المعركة لصالح المجاهدين المسلمين، حيث ألحقوا بالقبارصة هزيمة نكراء، وأجبروا قائدهم على الفرار، ثم أنزلت الخيول من المراكب، وهاجم الفرسان الجزيرة، فملكوا حصن اللمسون وأسروا من فيه وغنموا ما به ثم هدموه^(٤).

(١) هنالك من ذكر بأن عدد الأعرية تسع وقرقرور، ومنهم من قال بأنها قرقرورة وثمانى شوانى و سلورتين (انظر المقرئى ، السلوك، ج٧، ص١٢١؛ ابن حجر ، إنباء الغمر، ج٨، ص٧٢؛ غرس الدين الظاهري ، زبدة كشف الممالك، ص١٩٠؛ ابن تغري بردي ، النجوم، ج١٤، ص٢٧٩؛ الصيرفي ، نزهة النفوس، ج٣، ص٧٩-٨٠.

(٢) المقرئى، السلوك، ج٧، ص١٢١؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج٨، ص٧٢-٧٣؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٤، ص٢٧٩.

(٣) انظر الصيرفي، نزهة النفوس، ج٣، ص٨٠.

(٤) المقرئى، السلوك، ج٧، ص١٢١؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٤، ص٢٨٠؛ غرس الدين الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص١٩١؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج٣، ص٨١-٨٢؛ أسطفان الدويهي، تاريخ الأرمنة، ص٣٤٧ وكندس طابيل: لم أفد على ترجمة له فيما توفر لي من مصادر اطلعت عليها.

وبعد هذا النصر كتب قائد الأسطول إلى نائب طرابلس يخبره بما حققه الأسطول المملوكي من انتصارات، ويرى ضرورة عودة الجيش خشيه من أن يدب فيهم الضجر إضافة إلى أنه رأى - على ما يبدو - بأن استمرار الجهاد ضد قبرص يتطلب المزيد من الرجال والعتاد وقطع الأسطول، وفي ٢٥ من شوال برزت السفن الإسلامية أمام الساحل المصري محملة بالغنائم والأسرى، حيث عرضوا على السلطان في اليوم التالي ، وكان يوماً مشهوداً^(١).

وعلى الرغم من حجم الانتصار الذي حققته عناصر الأسطول المملوكي، وكمية ما قدموه من غنائم للسلطان برسباي، إلا أن هذا لم يكن ليرضي طموحه؛ إذ كان يطمع في السيطرة التامة على قبرص، ولذا اهتم بإعداد حملة جديدة لتحقيق هذا الغرض^(٢)، فأصدر أوامره بعمارة السفن والتشديد على الإسراع في إنجازها وإحضارها إلى دمياط^(٣)، وتعيين أربعة من مقدمي الألوف، منهم: الأمير إينال الجكمي، والأمير تغري بردي المحمودي، فضلاً إلى عدد من أمراء الطبلخانات والعشرات^(٤)، ومما لاشك فيه حتمية اشتراك العساكر والمجاهدين الحمويين في

(١) المقرئزي ، السلوك، ج٧، ص١٢١؛ ابن تغري بردي ، النجوم، ج١٤، ص٢٨١؛ الصيرفي ، نزهة النفوس، ج٣، ص٨٣-٨٤.

(٢) ابن تغري بردي، المنهل، ج٣، ص٢٩٣.

(٣) غرس الدين الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص١٤٢؛ ابن حجر ، إنباء الغمر، ج٨، ص٩٨.

(٤) المقرئزي، السلوك، ج٧، ص١٣٩؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج٨، ص٩٨؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٤، ص٢٨٨؛ المنهل، ج٣، ص٢٦٣؛ وانيلال الجكمي: تتقل بعد موت أستاذه جكم من عوض إلى عدة وظائف حتى صار أتابك العساكر بالقاهرة ، ثم ناب في حلب وبعدها في دمشق، فظل عليها إلى أن دبر حركة عصيان ضد السلطان جقمق ولكنه فشل وسجن على أثرها بقلعة دمشق حتى قتل في أواخر سنة ٨٤٢هـ - انظر ابن تغري بردي، المنهل، ج٣، ص١٩٦؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٢، ص٣٢٧؛ و تغري بردي المحمودي: الناصري فرج بن برقوق تولى في عهد أستاذه مرة عشرة ثم خدم لدى الأمير نوروز فتورط في حركة عصيان الحافظي، وسجن على أثرها في عهد السلطان المؤيد شيخ، ثم أطلق وأنعم عليه إمرة طبلخانة، ثم إمرة مائة ومقدم ألف في عهد السلطان ططر وفي عهد الأشرف برسباي نقل رأس نوبة النوب وقد خرج لفتح قبرص، ثم قبض عليه في سنة ٨٣٠هـ، وحبس في الإسكندرية، ولم يطل مقامه فيها حيث أطلق بطلاً بدمياط، ثم عين أتابك العساكر في دمشق، إلى أن توفي متأثراً بجراحه التي أصيب بها في حربه ضد آمد سنة ٨٣٦هـ - انظر ابن حجر ، إنباء الغمر، ج٣، ص٥٠٤؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج٤، ص٥١؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج٣، ص٢٦٨).

هذه الحملة تلبية منهم لنداء الاستتفار الذي أطلقته السلطنة، فنزل الحمويون في الميدان الكبير مع بقية من خرج من بلاد الشام من أمراء وعساكر ومتطوعين خيالة ورجالة وبحارة، وذلك يوم الاثنين ١٣ جمادى الآخرة سنة ٨٢٩هـ/ ١٤٢٦م^(١).

حيث أبحرت هذه القوات باتجاه اللمسون في يوم الأربعاء ٢٠ من شعبان، وعندما حطوا رحالهم على برّ الجزيرة بلغهم أمر استعداد ملك قبرص، وأنه قد تحصن بمدينة الأفقسية، وأنه قد وصلته نجدة من ملوك أوربا، فتقدم جيش المماليك نحو اللمسون، فوجدوا بأن أهلها قد عمروا قلعتها وحصنوها وحفروا حولها خندقاً عظيماً، فنازل المماليك القلعة حتى تمكنوا من اقتحامها^(٢)، في يوم الأربعاء السادس والعشرين من شعبان^(٣)، وتوجهوا بعدها إلى قرية الأكستية، فخرج أهلها بالهدايا طالبين الأمان، عندها أخذ المماليك يستفسرون عن حجم استعدادات ملك قبرص العسكرية وعدد قواته، فوجدوا بأنها حوالي ٥٠٠٠ فارس، و ٧٠٠٠ راجل، فراسل المماليك ملك قبرص يفاوضونه على الصلح رغبة منهم في إعطائه فرصة لحقن الدماء، لكن جانوس (٨٠٠-٨٣٥هـ/ ١٣٩٧-١٤٣١م) رفض ذلك وفضل القتال^(٤).

(١) المقرئزي، السلوك، ج ٧، ص ١٣٩؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٤، ص ٢٨٧؛ المنهل، ج ٣، ص ٢٦٣؛ والميدان الكبير: وهو أحد مسميات الميدان الناصري الذي شيده الناصر محمد بن قلاوون، وكانت تقام فيه مراسم التشريف للمماليك، من توزيع العطايا للركوب في يوم العيدين، أو عند خروج العساكر ودخولها بصحبة السلطان أو بدونه (انظر المقرئزي، المواعظ والاعتبار، ج ٢، ص ٢٠٠-٢٠١؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٤، ص ٩٩، حاشية ٥).

(٢) الصيرفي، نزهة النفوس، ج ٣، ص ٨٧-٨٨؛ والأفقسية: وتعرف بـ (نيقوسيا): وهي مدينة داخلية ذات شأن كبير لأن فيها تخت الملك القبرصي (انظر غرس الدين الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص ١٣٨؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٤، ص ٢٩٠، حاشية ٣).

(٣) ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٤، ص ٢٩٠؛ المنهل، ج ٣، ص ٢٦٤.

(٤) ابن حجر، إنباء الغمر، ج ٨، ص ١٠٠؛ والأسكتية: إحدى قرى قبرص يتمتع حاكمها باستقلالية الحكم وعدم التبعية للملك القبرصي (انظر المصدر السابق، ص ١٠٠)؛ وجايوس أو جنيوس بن جاكم بن بيدو بن أنطوان بن جنيوس صاحب قبرص، ملك قبرص بعد وفاة أبيه جاك أو جاكم سنة ٨٠٠هـ، واستمر بها إلى أن قبض عليه المماليك عند سيطرتهم على قبرص، ثم أطلقوه مقابل دفع جزية في كل سنة، توفي سنة ٨٣٥هـ (انظر ابن حجر، إنباء الغمر، ج ٨، ص ٩٧؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج ٥، ص ٤٦-٤٧؛ النليل، ج ١، ص ٢٥٥؛ النجوم، ج ١٥، ص ١٧٦؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج ٣، ص ٢٤٥؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج ٣، ص ٨٦؛ الذيل التام، حوادث ٧٤٥-٨٥٠، ص ٥٧٨).

فعمد الأمراء المماليك إلى تقسيم قواتهم إلى قسمين، بحرية مهمتها حفظ السفن من مباغطة العدو، وبرية تظل على البر لإتمام عمليات السيطرة على الجزيرة^(١)، حيث اتجهت نحو الملاحه^(٢)، فاصطدمت مقدمة الجيش المملوكي بطلائع الجيش القبرصي، والتي لم تتمكن من الصمود، ففرت هاربة لتتضم إلى بقية الجيش القبرصي وحلفائهم ممن قدم لمساندتهم من قطلان وقرمان وأسبتيارية وفرق ملوك أوربا، فاحتدم القتال بين الطرفين وانتهت المعركة بهزيمة صاحب قبرص ووقوعه في الأسر ومقتل أحد إخوته^(٣)، وبذلك تمكن المماليك من تحقيق انتصارهم على الصعيد البري، أما على الصعيد البحري، فقد اجتمعت القوتان على الملاحه في يوم الاثنين ثاني شهر رمضان، وانطلقوا بعدها صوب مدينة الأفقسية، فتصدى لهم الأسطول القبرصي. الأمر الذي دعا قائد القوات البحرية الأمير إينال الجكمي أن يطلب من قائد القوات البرية الأمير تغري بردي المحمودي، تزويده بعدد من المقاتلين، ودار قتال عنيف بين الطرفين استمر حتى حجز الليل بينهم، فأغتنم القبارصة الفرصة ولانوا بالفرار، وعندما طلع الفجر تفقد المماليك الأسطول المعادي، فوجدوا بأنهم لم يتمكنوا من الابتعاد، فأرسلوا خلفهم الأمير إينال الذي تمكن من ضرب مركب من مراكبهم أما البقية فتمكنت من الهرب^(٤).

(١) الصيرفي، نزهة النفوس، ج ٣، ص ٨٩.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٤، ص ٢٩٢؛ المنهل، ج ٣، ص ٢٦٥.

(٣) الصيرفي، نزهة النفوس، ج ٣، ص ٨٩؛ وانظر كذلك غرس الدين الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص ١٩٣؛ القطلان:نسبة إلى قطلان أسبانيا أو قطلونيا، وهم فرقة من الجنود المرتزقة المتألفة من عناصر مختلفة وفدت من أماكن متعددة، كان بدايات وجودهم في المنطقة على يد البيزنطيين الذين استعانوا بهم في عهد أندرونيقوس الثاني سنة ١٣٠٣م، لرفع سلاجقة الروم والعثمانيين عن الأراضي البيزنطية، ثم سرعان ما انقلب السحر على الساحر بعدما عجزت الدولة البيزنطية من الوفاء بالتزاماتهم المالية اتجاههم مما أدخلهم في حرب ضروس معهم انتهت بالتحاق القطلان في خدمة دوق أثينا الفرنجي سنة ١٣١٠م(انظر حسنين محمد ربيع، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ص ٢٩٧-٢٩٨).

(٤) ابن حجر، إنباء الغمر، ج ٨، ص ١٠٢؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج ٣، ص ٩١؛ انظر كذلك المقرئ، السلوك، ج ٧، ص ١٣٨؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٤، ص ٢٩٤؛ المنهل، ج ٣، ص ٢٦٦.

ثم أكملت القوات المملوكية بجناحيها البري والبحري سيرها نحو الأفسسية ، وتمكنت من اقتحامها، ولما كان يوم الجمعة اجتمع المسلمون لتأدية صلاة الجمعة بها^(١)، وبعد الصلاة وفد رجال الدين النصارى وعدد من كبار أعيانهم، على الأمير تغري بردي المحمودي يطلبون الأمان، فلبى الأمير مطلبهم نظير دفع الأموال لقوات المماليك، ونُودى بالأمان، وأن الجزيرة "صارت من جملة بلاد السلطان الملك الأشرف برسباي"^(٢)، وأقام العسكر المملوكي بالمدينة يومين، ثم عادوا إلى الملاحه، ومنها قفلوا عائدين إلى قواعدهم في الشام ومصر بما حملوه معهم من غنائم وأسرى، وعلى رأسهم ملك قبرص^(٣)، الذي نقل إلى القاهرة حيث سجن في أحد أبراج قلعتها، وبقي سجيناً بها فترة من الزمن، ثم أعيد إلى قبرص ليحكمها ليس بوصفه ملكاً عليها وإنما باعتباره نائباً للسلطان المملوكي^(٤).

وبعد أن فرغ السلطان برسباي من أمر قبرص، أدرك فرسان الأسبترية في رودس بأن الدور آت عليهم، فعمدوا إلى تحصين جزيرتهم وزيادة دفاعاتها وتحصيناتها العسكرية^(٥)، كما سارعوا في ذات الوقت بالاتصال بالسلطان برسباي وعقدوا معه صلحاً في سنة ٨٣١هـ / ١٤٢٧م، تعهدوا بموجبه بعدم السماح لقراصنة القطلان بالاحتفاء بجزيرتهم^(٦). إلا أن أمد هذه الهدنة لم يدم طويلاً، فقد استجاب السلطان المملوكي جقمق للنداء الذي وجهه إليه السلطان العثماني مراد الثاني بإرسال حملة بحرية لغزو رودس لإثناء فرسان الأسبترية

(١) المقرئزي، السلوك، ج٧، ص١٣٨؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج٨، ص١٠٢؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٤، ص٢٩٤؛ المنهل، ج٣، ص٢٦٦؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج٣، ص٩١.

(٢) سعيد عبد الفتاح عاشور، قبرص والحروب الصليبية، ص١١٤؛ نقلاً عن العيني، عقد الجمان، ج٢٥، ق٣، ص٥٨٣.

(٣) المقرئزي، السلوك، ج٧، ص١٣٨؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج٨، ص١٠٣؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٤، ص٢٩٥؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج٣، ص٩١-٩٢.

(٤) سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية، ج٢، ص١٢٣١.

(٥) إبراهيم طوخان، مصر في عصر دولة ممالك الجراكسة، ص١٠٦؛ أحمد دراج، المماليك والفرنج، ص٥٦؛ أحمد مختار العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية، ص٣٣٦.

(٦) أحمد دراج، المماليك والفرنج، ص٥٥؛ سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية، ج٢، ص١٢٣٥.

عن الانضمام لمشروع الحلف الصليبي لضرب العثمانيين في شبة جزيرة البلقان^(١)، وحرصاً من السلطان جقمق على توثيق عرى الصداقة مع العثمانيين ، فضلاً عن إدراكه بأن رودس ستصبح الملاذ الوحيد لقراصنة الصليبيين بعد السيطرة على قبرص^(٢)، فقد أصدر أوامره في المحرم سنة ٨٤٤هـ / ١٤٤٠م، بتجهيز قطع الأسطول في سواحل مصر والشام استعداداً لغزو رودس^(٣)، وأسندت قيادته إلى الأمير تغري برمش يعاونه عدد من الأمراء، حيث ظهرت قطع الأسطول أمام سواحل رودس وشنت غارات محددة على الجزيرة^(٤)، ثم عادت إلى دمياط في يوم الثلاثاء ٢١ جمادى الأولى من ذات العام، بعد أن أتمت مهمتها، وحملت معها أخبار الجزيرة وتحصينها، وبعض الغنائم والأسرى^(٥) وفي مقابل هذا شنّ قراصنة البحر الذين يتخذون من رودس ملاذاً لهم غارة على ساحل بيروت، وأخذوا مركباً مشحوناً بالبضائع، وأسروا عدداً من المسلمين في يوم الأربعاء ٢٧ ذي الحجة^(٦)، الأمر الذي دفع السلطان المملوكي إلى إصدار أوامره

(١) إبراهيم طوخان ، مصر في عصر دولة ممالك الجراكسة، ص ١٠٦؛ خاشع العاضدي ، تاريخ الوطن العربي والغزو الصليبي، ص ٢٨٢؛ سعيد عبد الفتاح عاشور ، الحركة الصليبية، ج ٢، ص ١٢٣٥؛ عبد الرحمن زكي، الجيش المصري، ص ١٧٧-١٧٨؛ ومراد الثاني ابن محمد جلبي :ولد سنة ٨٠٦هـ، وتولى السلطنة العثمانية وعمره ١٨ سنة بعد وفاة أبيه سنة ٨٢٤هـ، افتتح عهده بعقد معاهدات صلح وهنة مع أعدائه ليتمكن من فتح القسطنطينية ، ولكنه لم يوفق في فتحها بسبب حركة العصيان التي دبرها ابن أخيه مصطفى بتحريض من امبراطور القسطنطينية ، وما أن انتهى السلطان مراد منها تحول لتصفية حساباته مع من ساند الأمير العاصي من أمراء الإمارات التركمانية في الأناضول فأخضع إمارة بني قرمان وحصل على أقليم حميد، ثم فتح سالونيك سنة ٨٣٣هـ، وقضى على حركات التمرد في البلقان ثم عمد على توطيد حكمه فيها وبعدها أستأنف الفتوحات الإسلامية في جبهتين رئيسيتين ألبانيا والمجر (للمزيد انظر إسماعيل سرهك، تاريخ الدولة العثمانية، ص ٣١-٣٤؛ محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص ١٥٣-١٥٩؛ إسماعيل أحمد ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي، ص ٤٤-٤٧؛ عبد اللطيف عبدالله بن دهيش، قيام الدولة العثمانية، ص ٤١-٤٢؛ نبيل عبد الحي رضوان، القوة العثمانية بين البر والبحر، ص ٤٢-٤٧).

(٢) المقرئزي، السلوك، ج ٧، ص ٤٦٠؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٥، ص ٣٤٢؛ الصيرفي ، نزهة النفوس ، ج ٤، ص ١٩٦.

(٣) المقرئزي ، السلوك، ج ٧، ص ٤٥٩؛ الصيرفي ، نزهة النفوس ، ج ٤، ص ١٩٣.

(٤) أبن تغري بردي ، النجوم، ج ١٥، ص ٣٤١-٣٤٢؛ الصيرفي ، نزهة النفوس ، ج ٤، ص ١٩٦؛ وتغري برمش بن عبد الله الشبكي الزدكاش: تنقل في الخدم بعد وفاة أستاذه يشبك بن أزمع ، وقد خرج لغزو الفرنج مرات عدة ، توفي بمكة المكرمة سنة ٨٥٤هـ (ابن تغري بردي ، المنهل ، ج ٤، ص ٦٥).

(٥) المقرئزي ، السلوك، ج ٧، ص ٤٦٣-٤٦٤؛ ابن حجر ، إنباء الغمر، ج ٩، ص ١٢٧-١٢٨؛ ابن تغري بردي ، النجوم، ج ١٥، ص ٣٤٣؛ الصيرفي ، نزهة النفوس، ج ٤، ص ٢٠١؛ السخاوي ، التبر المسبوك، ص ٦٢.

(٦) المقرئزي ، السلوك، ج ٧، ص ٤٧٦؛ السخاوي ، التبر المسبوك، ص ٦٣.

باستتفار الجند من كافة النيابات الشامية لحماية السواحل من غارات قراصنة رودس، ومما لا شك فيه اشتراك العساكر الحموية في حفظ الثغور الساحلية لأن نداء الاستتفار لجميع نيابات الشام، وقد أسهمت نيابة حماة بنصيب وافر في هذا العمل لأنها أقرب نيابات الشام إلى الساحل بعد طرابلس^(١).

وقد دفعت هذه التعديتات السلطان جقمق لإعداد حملة أكبر وأقوى من سابقتها، فأمر دور الصناعة بالقاهرة وطرابلس وبيروت بعمارة سفن جديدة كي تلتحق بالأسطول المملوكي. كما أعلن الاستتفار العام للجهاد في سبيل الله، فخرجت القوات المملوكية تؤازرها فرق المجاهدين المتطوعة من البلاد الشامية بما فيها حماة، إلى الثغور الساحلية لينضموا إلى السفن المعدة للغزو^(٢).

حيث أسند جقمق قيادة الأسطول إلى كلٍّ من الأمير اينال العلاني والأمير تمرباي، حيث أبحر الأول من بيروت والثاني من طرابلس، واجتمعت الفرقتان في قبرص بالقرب من اللمسون، وذلك في ليلة الأربعاء ثاني جمادى الأولى من سنة ٨٤٧هـ/١٤٦٩م، وفي اليوم التالي ورد رسول جانوس صاحب قبرص ليجدد عهده بالطاعة والولاء للسلطنة، حيث قدم هداياه لقائد الأسطول واستضافهما في بافوس، وبعد أن أمضى رجال الأسطول المملوكي بعض الوقت في جزيرة قبرص^(٣)، أبحرت السفن بمحاذاة الساحل القبرصي باتجاه جزيرة رودس، حيث ظهروا أمام سواحلها ليلة الجمعة من الشهر نفسه، ورست سفنهم أمام قشتلة، وبدأت المفاوضات بين الطرفين، حيث عرض قائد الأسطول المملوكي على زعماء الأسبترارية التسليم، إلا أنهم رفضوا ذلك، فشرع الجيش المملوكي في مهاجمة الحصن، ودارت بين الطرفين معركة أسفرت عن ضعف جانب من جداران حصن قشتلة، مما دعا الأسبترارية إلى طلب الصلح في يوم السبت ١٥ من

(١) المقرزي، السلوك، ج٧، ص٤٧٦.

(٢) السخاوي، التبر المسبوك، ص٦٢-٦٣؛ الذيل التام، حوادث ٧٤٥-٨٥٠هـ، ص٣٦٣.

(٣) ابن حجر، إنباء الغمر، ج٩، ص٢٠٠-٢٠٣؛ السخاوي، التبر المسبوك، ص٦٣؛ عبد الرحمن زكي، الجيش المصري، ج٢، ص١٨٠.

ذات الشهر، مقابل تسليم الحصن للمماليك، وتمت مراسم التسليم بين الطرفين يوم الاثنين ١٧ جمادى الآخرة من ذات العام^(١)، وقد حاول قائد الأسطول المملوكي قضاء فصل الشتاء بها ، ولكن الرياح حالت دون ذلك ففقل الأسطول عائداً إلى قواعده في الشام و مصر^(٢).

وعلى أي حال فإن انسحاب رجال الأسطول من سواحل رودس قد أتاح الفرصة لفرسان الأستبارية في زيادة تحصينات الجزيرة ، وشحن مدنها وقلاعها بالمؤن والعتاد تحسباً لحملات مملوكية لاحقة عليه، إذ إنهم أدركوا بطبيعة الحال أن الحملة السابقة لا تعدو كونها مجرد عملية استكشافية لاستطلاع أحوال الجزيرة، وفي ذات الوقت فإن السلطان المملوكي جقمق بدأ مباشرة في الإعداد لحملة بحرية جديدة تتناسب والوضع العام في الجزيرة ، حيث جهّز الأسطول بشقيقه المصري والشامي بما يحتاجه من مؤن وعتاد ورجال ممن وفد من الأراضي المصرية ،وكافة نيابات الشام بما فيها حماة، وأسند قيادته للأمير أنيال الأجرودي العلائي ، والذي أبحر بقطع الأسطول المصري باتجاه بلاد الشام، حيث جرى الاتفاق مع نواب الشام بأن تكون طرابلس هي نقطة الانطلاق الأخيرة باتجاه رودس، فأبحر الأسطول منها في يوم الخميس ١١ ربيع الآخر سنة ٨٤٨هـ/ ١٤٤٤م، فوصلوها في ١٤ ربيع الآخر، وظهر أمام سواحل رودس في ١٤ من الشهر نفسه، حيث انقسم رجال الأسطول إلى قسمين، قسم ظل على ظهور السفن لحمايتها من أي هجوم بحري قد يشنه الأستبارية عليها ، وقسم نزل إلى بر الجزيرة لاستئناف الحملات البرية التي كانت قد نجحت في السيطرة على قشتالة^(٣)، حيث شرع الجيش الإسلامي في حصار حصن القديس نقولا ، ثم

(١) عن مجريات المعركة بالتفصيل (انظر ابن حجر، إنباء الغمر، ج٩، ص٢٠٥-٢٠٩؛ السخاوي، التبر المسبوك، ص ٦٤؛ وجيز الكلام، ج٢، ص٥٨٩؛ ذيل التام، حوادث ٧٤٥-٨٥٠هـ، ٦٤١؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج٤، ص٢٧٢)؛ وقشتالة: حصن منبع على طرف الجزيرة مبني على جبل (انظر ابن حجر ، إنباء الغمر ، ج٩، ص ٢٠٥).

(٢) إبراهيم طوخان ، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، ص١٠٩؛ عبد الرحمن زكي، الجيش المصري، ج٢، ص١٨١.

(٣) السخاوي، التبر المسبوك، ص٦٥-٦٦؛ الذيل التام، حوادث ٧٤٥-٨٥٠هـ، ص٦٤٦؛ التبر المسبوك، ص٦٥؛ إبراهيم طوخان، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، ص١٠٩.

اصطدم المسلمون مع الأسبتارية أمام الباشورة^(١)، فدارت معركة حامية الوطيس تعذر خلالها على الجيش المملوكي السيطرة على الحصن ، فأثرت القوات المتبقية العودة إلى السفن، والتي كانت قد هوجمت هي الأخرى من قبل الأسبتارية ظناً منهم بخلوها من المقاتلين ، ولكن القوات البحرية المملوكية تمكنت من دحرهم^(٢)، ثم عاد الأسطول المملوكي بعد أن حمل باقي القوة البرية على ظهره إلى الإسكندرية ودمياط وطرابلس، وغيرها، وذلك في جمادى الآخرة من السنة ذاتها^(٣).

ويمكن أن نرجع انسحاب الأسطول المملوكي من جزيرة رودس، وعدم نجاحها في السيطرة على حصن القديس نيقولا إلى عدة عوامل منها دور حجم الدفاعات والميرة التي حفظت داخل الحصن^(٤)، وكذلك وصول النجيدات الصليبية من خارج الجزيرة ، والتي دعمت صمود الأسبتارية^(٥)، إضافةً إلى خوف الأمراء من مdahمة الشتاء لهم وما يعقبه من تقلبات في مسار الرياح ، وأثر ذلك على السفن^(٦).

ويبدو أن كلا الطرفين قد تعباً من كثرة الموجهات العسكرية ، فعمد الأسبتارية لإيجاد وسيط فيما بينهم وبين المماليك ، فوجدوا في التاجر الفرنسي جاك كير Jacques Coeur مطلبهم فسيروه إلى الأبواب السلطانية - بعد أن أخذ موافقة ملكه - لطلب الصلح ، أما السلطان المملوكي فقد أنقلت كاهله الهزيمة التي لحقت بأسطوله ، فوجد في الصلح حفظاً لماء الوجه ، ووقع الصلح فيما بين

(١) عبد الرحمن زكي، الجيش المصري، ج٢، ص١٨٢-١٨٣؛ والباشورة: هي المنطقة الواقعة بين بابين من أبواب الحصن (انظر المرجع السابق، ص١٨٢)؛ وحصن القديس نيقولا: لم أقف على تعريف له فيما توفر لي من مصادر اطلعت (٢) السخاوي ، التبر المسبوك، ص٦٥-٦٦.

(٣) السخاوي ، النذل التام، حوادث ٧٤٥-٨٥٠هـ، ص٦٤٦.

(٤) السخاوي ، التبر المسبوك، ص٨٩؛ وجيز الكلام، ج٢، ص٥٩٤.

(٥) إبراهيم طوخان، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، ص١١٠.

(٦) ابن حجر، إنباء الغمر ، ج٩، ص٢٢٤.

الطرفين واشترط فيه تبادل الأسرى ، فعاد التاجر الفرنسي إلى رودس ومعه عددٌ من أسرى النصارى^(١).

دور نيابة حماة في الحملات التأديبية ضد الإمارات التركمانية:

يرجع الفضل في تواجد التركمان السياسي على الأراضي الشامية إلى دولة السلاجقة التي استعانت بهم لتوطيد حكمها في المنطقة^(٢)، وساعد بعد ذلك الاكتساح المغولي في تهجير أعداد كبيرة منهم إلى الحدود الشمالية المتاخمة للبلاد الشامية، فاستوطنوا الجبال والتغور والسواحل، ثم تمكنوا فيما بعد من اكتساب دعم سياسي من دولة أيلخانات فارس والعراق^(٣)، وبمرور الوقت تمكنت تلك العشائر من تكوين إمارات تركمانية افتقرت للدعم السياسي والعسكري، فوجدت في الدول الإسلامية المتاخمة لحدودها حاجتها مقابل تقديم فروض الطاعة والولاء لها^(٤).

(١) إبراهيم طوخان ، مصر في عصر المماليك الجراكسة، ص ١١٠؛ أحمد مختار العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية، ص ٣٣٩؛ عبد الرحمن زكي، الجيش المصري، ج ٢، ص ١٨٤؛ وجاك كير :هو أحد أبناء مدينة بوج Bourges في وسط فرنسا، فضل التجارة على مهنة والده الحرفية ، تمكن من تكوين ثروات طائلة عن طريق التجارة ونقل أفواج الحجاج النصارى إلى الأراضي المقدسة في فلسطين، واستغلال نفوذه، وشراء أراضي النبلاء الذين افتقروا، كما عمل سفيراً للحكومة الفرنسية في بعض الأوقات(انظر ناجلا محمد عبد النبي، مصر والبنديقية العلاقات السياسية والاقتصادية في عصر المماليك، ص ٩١، حاشية ٢)

(٢) البنداري الأصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٢١٨؛ ابن ميسر، المنتقى في أخبار مصر، ص ٣٦؛ العيني، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ططر، ص ٤-٥؛ عماد الدين خليل، الإمارة الأرتقية، ص ٥٧-٥٨؛ عثمان توران، الأناضول في عهد السلاجقة والإمارات التركمانية، ص ٣؛ شاكور مصطفى، المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام، تاريخ بلاد الشام من القرن السادس إلى القرن السابع عشر، دخول الترك الغز إلى بلاد الشام، ص ٣٢٦، ٣٣٠-٣٣١؛ زبيدة عطا، السترك في العصور الوسطى بيزنطة وسلاجقة الروم والعثمانيون، ص ٤٥؛ كوزيه موريس، تاريخ الحضارات العام، ج ٣، ص ٣٤١؛ عن تاريخ دولة السلاجقة(انظر ابن البيبي، تاريخ سلاجقة الروم؛ الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية).

(٣) ابن تغري بردي، المنهل، ج ٢، ص ٢٢١-٢٢٢؛ العيني، الروض الزاهر، ص ٤-٥؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٢، ص ٢٨١، حاشية ٤؛ عن خط سير الهجرات التركمانية المدعومة من قبل دولة السلاجقة(شاكور مصطفى، المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام، تاريخ بلاد الشام من القرن السادس إلى القرن السابع عشر، دخول الترك الغز إلى الشام، ص ٣١٧- وما بعدها).

(٤) الغياثي ، تاريخ الغياثي، الفصل الخامس، ص ٢٣٧.

وعلى كل حال كان تواجد العشائر التركمانية الرحل على الساحة الشامية وحدودها الشمالية أمراً واقعاً قبل قيام دولة المماليك^(١)، الأمر الذي دعا السلطنة المملوكية لإبقاء إماراتهم على الساحة السياسية مقابل تجنيدهم باعتبارهم دروعاً بشرية وقت الأزمات واستمرارهم حدوداً طبيعية للفصل بين الممالك والقوى المعادية لهم، فأطلقت على العشائر الموالية لها "تركمان الطاعة" تمييزاً لهم عن غيرهم^(٢)، وغدوا "للدولة بمنزلة السور عليها، ويتحصل منهم في كل سنة عشرات آلاف من الغنم، يؤخذ منهم عن زكاة أغنامهم يقال له "العداد" وينال أهل حلب منهم منافع لا تحصى، وإذا ندبهم السلطان لحرب بادروا إلى امتثال أمره، وعدوا ذلك طاعة وعبادة"^(٣)، ولكن ما لبث أن قوي أمرهم عندما دب الضعف في السلطنة فكان لهم دور في تحريك مجريات الحوادث الداخلية للسلطنة، وعلى وجه التحديد في إنكاء حركات العصيان ضدها، وهذا ما نجده في أحداث سنة ٧٥٣ هـ/١٣٥٢م، حيث دفعت إمارة بني دلغار بزعامة الأمير زين الدين بن قراجا بن دلغار ثمن معاضدتها الأمير بيبغا أرس نائب حلب غالباً حيث لم تكتف السلطنة بتدبير مقتل زعيمهم^(٤) بل زادت في قصاصها من تلك الإمارة بإطلاقها

(١) أطلقت صفة (الرحل) على التركمان تمييزاً لهم عن القبائل السلجوقية المستقرة، وقد شكك موريس كزوية في عقيدة هذه القبائل التركمانية الرحل، مفسراً سبب توجيه تلك القبائل لنشاطها العسكري ضد الأمبرطورية البيزنطية إنما كان بهدف ما ستجنيه من كسب مادي من غنائم وأسرى، وهو تصور خاطئ وفيه من المغالطات ما يقف بطريق غير مباشر لمبادئ الحركة الجهادية التي تبنتها الدولة العثمانية لفتح الأراضي البيزنطية (انظر يوشع بروا، الإستيطان، ص ٧١؛ موريس كزوية، تاريخ الحضارات العام، ج ٣، ص ٣٣٨).

(٢) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٢، ص ١٧٨؛ القرماني، أخبار الدول، ج ٣، ص ٩٩-١٠٠.

(٣) المقرئزي، السلوك، ج ٥، ص ٥٩.

(٤) المقرئزي، السلوك، ج ٤، ص ١٦٠، ١٦٤-١٦٥؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٣، ص ٣٢٩؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٠، ص ٢٧٥-٢٧٦، ٢٨٤؛ والأمير بيبغا أرس (أو روس) تقلد نيابة السلطنة بمصر ثم بحلب، وقد نجح في تأليب النواب في بلاد الشام ضد السلطنة في مصر ولكن حركته باءت بالفشل، وكانت نهايته السجن بحلب ثم قتل سنة ٧٥٣ هـ (انظر الصفدي، الوافي، ج ١٠، ص ٣٥٥؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج ٣، ص ٤٨٦)؛ وإمارة بني دلغار: تعرف أيضاً بذي القدر أو ذي القدرية، وهي إمارة صغيرة تقع في شرقي الأناضول إلى الجنوب، تبدأ حدودها من غرب مدينة مرسين، وتذهب بخط صاعد ومائل فتمر من أمام قيصرية، وتنتهي خلف ملطية، ثم تتحد حتى تصل إلى البحر المتوسط، مشتملة على خليج الاسكندرونة، خضعت لنفوذ السلطنة المملوكية في منتصف القرن السابع الهجري، وظلت على ذلك حتى سقوطها على يد العثمانيين سنة ٩٢٢ هـ، من أملاكها، الأبلستين ومرعش وعينتاب وزمنتي وأنطاكية وهارونية وكيوخسن وأندرين وقيبر شهر وأنقرة وبزاق ودارندا وخربوت وملطية وبهسنا وحصن المنصور وكخته وكركر وديار بكر وأورفه وقلعة الروم وعمق وسيس وأباس وبازازجيق وكندزولو (انظر محمد فريد بك المحامي، -

العنان لنوابها في التصرف بأمر العشائر التركمانية" فصيرهم سوء التدبير وكثرة الظلم، أعداء لدولة تقتل رجالها وتتهب أموالها وتستولي على أعمالها" (١)، مما أجبر نائب الأبلستين الأمير مبارك شاه الطازي للاستعانة بعسكر من حلب لتأديبهم في سنة ٧٨٠هـ/١٣٧٨م، إلا أن تلك الحملة باءت بالفشل الذريع حيث قتل فيها نائب الأبلستين ، فتحزب بنو دلغادر (٢) بمن انضم إليهم من تركمان، وغالوا في إفسادهم في تلك المناطق (٣)، وهنا كان على السلطنة الحسم في أمر تلك الإمارة للحد من تطاولها، حتى لا تطمع باقي الإمارات التركمانية في أملاكها أو المساس بهيبتها، فأرسل السلطان برقوق إلى نائب حلب تمرباي الدمرداشي يأمره بالخروج مع قوات دمشق وبمشاركة عساكر حماة لتأديب التركمان، فسارت القوات نحو سيس، وما أن اقتربوا من مدينة أياس حتى بادر أمراء التركمان بإرسال الهدايا إليهم وطلب الأمان لأصحابهم من التركمان، إلا أن قائد الحملة رفض الصلح، وقبض على الرسل (٤)، ثم هاجمت القوات المملوكية منازل التركمان، وأجبروهم على الرحيل عنها، ولكن يبدو أن هذا التراجع كان مقصوداً حيث أخذ التركمان في التظاهر بالانسحاب والهزيمة، حتى يملّ المماليك المقام ويقفلون عائدين، وفي طريق عودتهم يكمن لهم التركمان (٥)، عند مضيق فاز الملك، وهذا ما حدث بالفعل فقد انقض التركمان على الجيش المملوكي خلال عبوره هذا المضيق

- تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص ١٩١، حاشية ٢؛ عبد الكريم غرابية، العرب والأترك، ص ٢٧١؛ زامبور، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ص ٢٣٥؛ الأمير قراجا بن دلغادر بن خليل التركماني كان نائباً للسلطنة في الأبلستين ولكنه خامر على العصيان مع نائب حلب، قبض عليه وأرسل إلى القاهرة فوسط بها في ذي القعدة سنة ٧٥٤هـ (انظر ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٣، ص ٣٢٩).

(١) المقرئزي، السلوك، ج ٥، ص ٥٩.

(٢) القرمانى، أخبار الدول، ج ٣، ص ١٠٠؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ٢، ص ٢٣٠؛ و الأمير مبارك شاه الطازي: لا يعرف عنه سوى الأحداث التي دارت فيما بينه وبين التركمان (انظر ابن إياس، المصدر السابق، ج ١، ق ٢، ص ٢٣٠)؛ والأبلستين: أو البستان مدينة مشهورة ببلاد الروم بالقرب من أبس مدينة أصحاب الكهف، خضعت لحكم سلاجقة الروم (انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج ١، ص ٧٥).

(٣) انضمت جموع من تركمان الأجدية والأعاجرية لصفوف بنو دلغادر (انظر المقرئزي، السلوك، ج ٥، ص ٥٨).

(٤) ابن دقماق، الجواهر الثمين، ص ٤٤٨؛ المقرئزي، السلوك، ج ٥، ص ٥٨؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج ٤، ص ٨٨؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ٢، ص ٢٣٧.

(٥) ابن دقماق، الجواهر الثمين، ص ٤٤٨؛ المقرئزي، السلوك، ج ٥، ص ٥٨؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج ١، ص ٢٧٦؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج ٤، ص ٨٨.

وألحقوا بهم خسائر كبيرة في الأرواح ، كما أسروا منهم عدداً كبيراً ، وقيل بأن أمير حلب أسر في هذا الكمين ولكنه تمكّن من الخلاص بالحيلة، أما التركمان فقد استحوذوا على المال والآلات والأسلحة والخيول والجمال، كما ملكوا الإبلستين^(١).

ومما لاشك فيه بأن هذه الهزيمة كان لها انعكاس سيئ على إدارة السلطنة المملوكية بالقاهرة، حيث عمدت إلى إنفاذ حملة تأديبية ضد التركمان، خاصة بعدما وردت أخبار في سنة ٧٨٣هـ/ ١٣٨١م، تؤكد استمرار عصيان التركمان^(٢)، وبعدها أرسل أتابك السلطان الصالح حاجي إلى نائب دمشق الأمير أشقنمر يأمر بإنفاذ حملة تأديبية ضدّ خليل بن قراجا بن دلغادر، فخرجت قوات حماة تحت قيادة نائبها الأمير طشتمر، ونائب حلب الأمير اينال اليوسفي وقواته، ونائب طرابلس الأمير كمشبع الحموي وقواته، إضافة إلى نائب صفد الأمير طشتمر العلاني وعساكره، لإنفاذ الأمر السلطاني^(٣). ومن حجم هذه القوات المستتفزة يظهر مدى ما وصلت إليه قوة بني دلغادر، التي أخذت في توسيع نطاقها على حساب المناطق الحلبية يساندتهم تركمان بني رمضان بزعامة الصارم إبراهيم بن رمضان^(٤)،

(١) ابن نديم، الجواهر الثمين، ص ٤٤٨؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج ١، ص ٢٧٦؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج ٤، ص ٨٨؛ وفاز الملك: مضيق لا يسلكه إلا جمل واحد على شاطئ البحر بالقرب من بلدة إياس ويسميه البعض بباب الملك (انظر ابن حجر، إنباء الغمر، ج ١، ص ٢٧٦؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج ٤، ص ٨٨).

(٢) السخاوي، وجيز الكلام، ج ١، ص ٢٥٥؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ٢، ص ٢٨٦.

(٣) ابن نديم، الجواهر الثمين، ص ٤٥٥؛ المقرئ، السلوك، ج ٥، ص ١٢٠-١٢١؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج ٣، ص ١٩١-١٩٢؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ٢، ص ٢٨٨؛ و خليل بن قراجا بن دلغادر التركماني البوزقي: نائب أبلستين، قتله صارم الدين إبراهيم بن همز التركماني سنة ٧٨٨هـ (انظر ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٢، ص ١٧٨؛ ابن تغري بردي، الدليل، ج ١، ص ٢٩٢).

(٤) المقرئ، السلوك، ج ٥، ص ١٢٥؛ وبني رمضان: من العشائر التركمانية التي سيطرت على أئنه و سوس وأياس وشطر من وارسلق و طرسوس (انظر القرمانلي، أخبار الدول، ج ٣، ص ١٠٥؛ زامباور، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ص ٢٣٤؛ محمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك، ص ٤٤٧) وإبراهيم بن رمضان: ولاء والده أحمد أمر طرسوس بعد استعادتها من يد الدولة التيمورية سنة ٨١٨هـ، وقد اختلف مع إخوته عقب وفاة أبيهم على إمرة بني رمضان، غير أن استقرار ابنه داود حسم خلافات بني رمضان (انظر ابن تغري بردي، النجوم، ج ٤، ص ٢٧؛ القرمانلي، أخبار الدول، ج ٣، ص ١٠٦؛ زامباور، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة، ص ٢٣٤).

الذين بلغوا بقواتهم تيزين، الأمر الذي أثار الرعب والفرع في نفوس أهل حلب^(١).

وفي الأول من شهر ربيع الأول اكتمل اجتماع القوات المملوكية في حلب ثم ساروا منها نحو مرعش، وعندما وصلوا إلى مشارف أراضي التركمان اصطدمت مقدمة قوات المماليك بقيادة الأمير ضياء الدين ابن زدوغان بني دلغادر، فهزمت المقدمة وقتلت عدداً من كبرائهم، وعندما علم النواب بالهزيمة التي لحقت بمقدمة الجند، عقدوا العزم على أخذ مرعش ومن بعدها الأبلستين لحرمان التركمان من أقوى معاقلهم فتقدموا نحوها^(٢)، وما أن نزلوا بهما حتى نوذي بالأمان^(٣)، وقد فر منها سولي بن دلغادر وتراجع إلى ملطية، فاستقر في قلعة خربرت بغية استجماع قواته التي تفككت بعد اصطدامها مع مقدمة المماليك^(٤)، ثم اتصل بنو رمضان عنه، فأرسلوا إلى مقدم عساكر سييس الأمير حسام الدين طرنطاي بطلب السماح له بالعودة إلى طاعة السلطان، فأجيب إلى ذلك، ومما لاشك فيه أن قبول السلطنة لطلب الأمير الصارم إبراهيم بن رمضان، قد دفع كبير تركمان البوزقية إلى المبادرة بطلب الأمان له وللأمراء من عشيرته، فوصل طلبه إلى قادة القوات المملوكية الذين نزلوا على بريد عين تاب في ١٣ من

(١) ابن حجر، إنباء الغمر، ج ١، ص ٥٠؛ ذكر القرمانى بأن خوف أهل حلب كان بسبب وصول ابن دلغادر إلى تبريز، ولعله خطأ مطبعي حيث كان وصول التركمان إلى تيزين، انظر أخبار الدول، ج ٣، ص ١٠٠.

(٢) المقرئزي، السلوك، ج ٥، ص ١٢٠-١٢٤؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج ٢، ص ٥١؛ وضياء الدين ابن زدوغان بني دلغادر: لم أقف على ترجمة له فيما توفر لي من مصادر اطلعت عليها.

(٣) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ٢، ص ٢٨٩.

(٤) المقرئزي، السلوك، ج ٥، ص ١٢٤؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج ٢، ص ٥١-٥٢؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ٢، ص ٢٩٢؛ وسولي بن قراجا بن دلغادر التركماني: أمير التركمان الأوجقية والبوزقية، ونائب الأبلستين تولاهما بعد أخية غرس الدين خليل، وقد كانت له عدة مواجهات عسكرية مع نائب حلب، ولهذا عذ من أشد الأخطار الداخلية التي واجهت السلطنة مما دعا السلطان برقوق بتدبير اغتياله في سنة ٨٠٠هـ (انظر ابن حجر، إنباء الغمر، ج ٢، ص ٣٤؛ الدرر الكامنة، ج ٢، ص ٢٧٦؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج ٦، ص ١٨٣)؛ وخبريت: تكتب أيضاً خربت، وهو اسم أرمني أطلق على حصن زياد المبني في أقصى ديار بكر من بلاد الروم (انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٥٥).

رجب، وكان رد المماليك بقبول طلبه وإعطائهم الأمان^(١)، ولكن الغريب في الأمر أن الأمير خليل بن دلغادر عندما تقدم بطلب الأمان رُفِض طلبه^(٢) وأصر نواب الشام في مقدمتهم نائب حماة على تتبع العاصين من بني دلغادر، إلا أن وفاة نائب حماة في تلك الأثناء وتعذر عبور القوات المملوكية لنهر الفرات للوصول إلى خربت^(٣)، بسبب سوء الأحوال الجوية، دفع أمراء الجيش المملوكي إلى طلب الإذن من السلطنة بالقاهرة للرجوع إلى حلب، حيث دخلوها في شعبان من ذات العام^(٤).

وقد شجع هذا التصرف تركمان بني رمضان الذين أخذوا في التعدي على الحجاج، وقطع طريق التجار ونهب أموالهم والإفساد في أراضيهم، وقد انضم إليهم تركمان الأوجقية، الذين تحالفوا مع تركمان بني قرمان بهدف الاستيلاء على قلاع بلاد سيس^(٥)، مما دعا السلطنة لاستئجار عساكر حلب من جديد بقيادة الأمير يلغا الناصري يسانده نائب حماة الأمير صنجق الحسيني، وكذلك عسكر طرابلس ودمشق ونواب الثغور، وذلك سنة ٧٨٥هـ/١٣٨٣م^(٦). حيث تحرك الجميع نحو الإسكندرونة، ومنها عبروا الجسر ليصدموا بني رمضان^(٧)، ففر التركمان القاطنين بالمصيصة إلى رؤوس الجبال، وآثروا إرسال وفد للتفاوض على طلب

(١) المقرئزي، السلوك، ج ٥، ص ١٢٤-١٢٥؛ والبوزقية: فرع من فروع التركمان الذين استوطنوا على ما يبدو الحدود الشمالية لنيابة حلب، وكان كبيرهم يعرف بالأمير حيدر بن باشان (انظر المقرئزي، المصدر نفسه، ج ٥، ص ١٢٥).

(٢) ابن تغري بردي، المنهل، ج ٣، ص ١٩٢؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج ٢، ص ٥٢.

(٣) المقرئزي، السلوك، ج ٥، ص ١٢٥، ١٣٣.

(٤) ابن حجر، إنباء الغمر، ج ٢، ص ٥١؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج ٣، ص ١٩٢؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ٢، ص ٢٩٢.

(٥) المقرئزي، السلوك، ج ٥، ص ١٥٧؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج ١، ص ٨٢؛ والأوجقية: فرع من فروع التركمان، الذين نزحوا نحو الأناضول من آسيا الصغرى فراراً من جنكيز خان، ويبدو أنهم استقروا نهائياً فيما كان يعرف بأراضي مملكة أرمينية الصغرى وذلك بعد سقوطها، وينحدر منهم بني برناص وبني أوزر وكذلك بني دلغادر (انظر المقرئزي، السلوك، ج ٥، ص ١٥٧؛ محمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك، ص ٤٤٦).

(٦) المقرئزي، السلوك، ج ٥، ص ١٥٧؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج ٢، ص ١٣٨-١٣٩؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج ١، ص ٨٢.

(٧) عندما وصلت قوات المماليك إلى الجسر وجدوا عليه حامية تركمانية معدة لتعيق تحركهم لكن عساكر المماليك تمكنوا من حصرهم، وأسر الأمير إبراهيم ابن رمضان وابنه راشد (انظر المقرئزي، السلوك، ج ٥، ص ١٥٧؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج ٢، ص ١٣٨؛ السخاوي، وجيز الكلام، ج ١، ص ٢٦٥؛ الذيل التام، حوادث ٧٤٥-٨٥٠، ص ٣٣٠؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج ١، ص ٨٢-٨٣).

الأمان ، ويبدو أن نائب حلب وجد في هذا الطلب فرصه لإيقاع الفرقة بين التركمان فوافقهم على ذلك، وحط رحاله على المصيصة، وعندما علم أحمد بن رمضان التركماني بانشطار حلفائه هرع للاعتصام بالجبال تاركاً أذنة، فوصل إلى أطراف بلاد سيس عندها أخذ بني قرمان في تتبعه ونهبه، فالتجأ ابن رمضان إلى تركمان البياضة، عندما وصل خبره إلى يلغا الناصري رأى الأمراء المماليك ضرورة التوجه لتأديب تركمان البياضة، فتحركت القوات المملوكية للإيقاع بابن رمضان، إلا أن نائب سيس كان أسرع في الإطاحة بأحمد بن رمضان وأخيه قرا محمد وأولاده ، فأرسل يخبر قائد المماليك بما حققه من انتصار، وعلى ما يبدو بأن تلك النتيجة كانت مرضية للعساكر المملوكية، التي أخذت في إكمال تقدمها نحو سيس لاستئصال شأفة التركمان العاصين، فهاجموا تركمان الميراكزية الذين عمدوا إلى المراوغة حيث تقدموا إلى القائد المملوكي بطلب الأمان بعد أن لحقت بهم خسائر فادحة، فأمنهم المماليك، واستقر بعد ذلك أمرهم، ولكنهم ما أن علموا بتحريك القوات المملوكية عائدة إلى المصيصة، حتى بادروا بتجيش قواتهم وجمعها مرة أخرى، لمداومة المماليك بين ممرات الجبال الشديدة الوعورة هناك، ووقع القتال عند أذنة^(١).

وخلف الصدام بين الطرفين العديد من القتلى إلى جانب تفرق القوات المملوكية ، فتاه القائد العام يلغا ونائب حماة الأمير صنجق في شعابها، ويبدو أن أهمية موقع عساكر حماة في ميمنة القوات، ودورها البارز الذي لعبته في هذه الحرب، حفز التركمان لوضع نائب حماة ضمن أولويات خطتهم للفتك بالفرق العسكرية المملوكية، وبحلول الظلام أخذ التركمان في الانقضاض على قوات حماة للإطاحة بنائبها، ولكنهم لم يتمكنوا من ذلك لتدخل القائد العام يلغا في صد هجومهم المباغت، وإثنائهم عن تحقيق هدفهم^(٢).

(١) المقرئزي، السلوك، ج ٥، ص ١٥٧-١٥٩؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج ١، ص ٨٣-٨٤؛ وتركان البياضة والميراكزية: لم أقف على تعريف لهما فيما توفر لي من مصادر اطلعت عليها، غير أنه يبدو بأنهم عرق من التركمان قطنت أراضي مملكة أرمينية الصغرى بُعد سقوطها على يد دولة المماليك.

(٢) ابن حجر ، إنباء الغمر، ج ٢، ص ١٣٨-١٣٩.

ثم جاءت الأخبار بتملك التركمان دربند باب الملك، بهدف قطع الميرة والأقوات عن المماليك، فتوجه يلغا إلى مدينة أياس وكانت القوات المملوكية قد اعتصمت بها، فاستبشر من بالحصن بقدم القائد وسلامة نائب حماة وقواته، وبذلك استجمعت الفرق المملوكية قواها مرة أخرى، وظلت متحصنة بأياس، فطال عليهم المقام وقلت أقواتهم وضعفت همهم، ولعل ذلك حرض قائد الحملة الأمير يلغا على المواجهة العسكرية فأمر قوات المماليك بالخروج من أياس، ففوجئوا عندها بحشود التركمان التي تجمعت لضرب المماليك، فوقع القتال بين الطرفين وصمد الأمير يلغا في وجه التركمان، ونجح في هزيمتهم على باب الملك، وذلك بعد أن وصله المدد من حلب وما حولها، ثم أثر بعد ذلك السماح لقواته بالعودة إلى حلب، خشية تعذر وصول المزيد من الأقوات والمؤن إليهم^(١).

ومما لا شك فيه أن تعديات التركمان السابقة وعلى وجه التحديد تركمان بني دلغادر، كانت كفيلة ببناء حاجز يصعب تخطيه فيما بينهم وبين السلطنة المملوكية، فعلى الرغم من مبادرات التودد، التي أقدم عليها أمراء بني دلغادر، لنيل رضا المماليك فإن السلطان المملوكي برقوق رفض الإصغاء إليها، وأمر باعتقال الأمير سولي بن قراجا بن دلغادر الذي جاء إلى حلب طائعاً في شهر ربيع الأول سنة ٧٨٧هـ/١٣٨٥م^(٢)، كما أطلق بعدها حملة اعتقال لمنائوي السلطنة من أبناء هذه الأسرة التركمانية^(٣)، فكانت سياسة السلطان برقوق هذه سبباً في قيام التركمان بحشد قواتهم للانتقام لأميرهم المقتول غدرأ^(٤).

(١) المقرئزي، السلوك، ج ٥، ص ١٥٩؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج ١، ص ٨٦.

(٢) المقرئزي، السلوك، ج ٥، ص ١٧٥-١٧٦؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج ٢، ص ١٨٩؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج ١، ص ١١٥؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ٢، ص ٣٥٩.

(٣) المقرئزي، السلوك، ج ٥، ص ١٨٤؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج ٢، ص ٢٢٢-٢٣٢؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ١١، ص ٣٠٩؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج ١، ص ١٤٧؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ٢، ص ٣٦٩.

(٤) ابن حجر، إنباء الغمر، ج ٢، ص ٢١٩.

وما أن علمت السلطنة بتحركات التركمان هذه، حتى بادرت باستنفار القوات الشامية وعلى رأسها قوة نيابة حماة بقيادة نائبها الأمير سودون العلاني، وذلك في سنة ٧٨٨هـ/١٣٨٦م، وخرجت جميعاً نحو طنون لإيقاف جحافل التركمان الغاضبة^(١)، إلا أن قوات التركمان نجحت في إنزال هزيمة ساحقة بقوات السلطنة المملوكية قتل فيها نائب حماة وعدد كبير من الأمراء والأجناد^(٢).

وفي جمادى الآخرة سنة ٨٠٧هـ/١٤٠٤م، استغل التركمان خلو نيابة حماة من معظم قواتها لانشغالها بحركة الأمير سيف الدين جكم في حلب، فأغاروا عليها بقيادة أميرهم فارس الدين بن صاحب الباز الغازي، عندما أدرك الأمير سيف الدين دمرداش بأن لا طاقة له بمواجهة هجوم التركمان، فر إلى حمص تاركاً نيابته تواجه مصيرها^(٣)، بيد أن أهالي حماة حملوا على كاهلهم دفع التركمان عن أراضيهم، فاستنسلوا في منع دخول التركمان حماة، وعندما وجد الأمير فارس الدين أن لا جدوى من دخولها، أخذ في إشاعة الفوضى والفساد في ضواحي النيابة^(٤).

(١) المقرئزي، السلوك، ج٥، ص١٨٦؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص١٣٣؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٣٧٢.
(٢) ابن حجر، إنباء الغمر، ج٢، ص٢٢٠.

(٣) سعى نائب حلب الأمير دمرداش للإصلاح بين بني دلغادر وبني رمضان من أجل القضاء على حركة الأمير جكم في حلب ومن ثم قمع التطاول التركماني على أعمال حلب، إلا أن جهوده توقفت عندما أصدرت السلطنة عفواً عن جكم، ونصبت دمرداش نائباً في حماة، وتزامن ذلك مع وصول المد التركماني إلى حماة (انظر المقرئزي، السلوك، ج٦، ص١١٨، ١٥٧؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج٥، ص٢٩٧-٢٩٨؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٣، ص٧٠٣، ٧٤٨-٧٤٩)، والأمير فارس بن صاحب الباز الغازي التركماني: اتخذ من أنطاكية مقراً لحكمه، ثم أخذ في توسيع سيطرته على البلاد الشمالية، فاستولى على القصير والشعر وبغراس وحارم وصهيون واللائقية وجبله، وقد دفع حياته ثمناً لأطماعه التوسعية، حيث قتل على يد الغازي ابن أوزون سنة ٨٠٨هـ (انظر ابن حجر، أنباء الغمر، ج٥، ص٣٣٤-٣٣٥؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٦، ص١٦٣).

(٤) ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٣، ص٧٤٨؛ أجبرت تلك الأعمال التخريبية نائب دمشق الأمير شيخ بتحريض من الأمير دمرداش نائب حماة -على ما يبدو- لأخذ أجرة شهر من البساتين والحوانيت والبيوت لإعداد قواته من أجل تأديب التركمان وردهم عن حماة، غير أن هذه الحملة لم تنفذ فأعيد ما جمع من الأهالي إليهم (انظر المقرئزي، السلوك، ج٦، ص١٥٧؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج٥، ص٢٩٨؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٣، ص٧٤٩).

وعلى الرغم من التعديات التي ارتكبتها الإمارات التركمانية، فإن السلطنة المملوكية لم تواجه ذلك بنفسها، بل اكتفت بإيكال أمر ضبط تعديات التركمان إلى نيابة حلب، والتي يبدو أنها لم تستطيع القيام بهذه المهمة كاملة، الأمر الذي شجع بني قرمان للسيطرة على طرسوس، في حين استفحل أمر بني دلغادر وتمادى أمراؤهم في إنكاء حركات العصيان ضد السلطنة في بعض بلاد الشام، الأمر الذي جعل السلطنة تعمل على مواجهتهم بنفسها مباشرة، فأطلق السلطان شيخ حملة تأديبية سنة ٨٢٠هـ/١٤١٧م، اشتركت فيها جميع القوات العسكرية الشامية بما فيها نيابة حماة التي انضمت قواتها بقيادة نائبها الأمير جارقطلوا مع باقي القوات المصرية والشامية واصطففت في الميدان الأخضر بحلب، حيث وزعت المهام على رؤساء قوات الكتائب المملوكية، فكلف نائب حماة بالخروج نحو ملطية مع نائب دمشق الأمير سيف الدين أقباي ومن انضم إليهما من تركمان وأعراب لتأديب الأمير حسن بن كبك، وعندما وصلت العساكر الحموية والدمشقية إلى ملطية في الخامس من ربيع الآخر من السنة نفسها، وجدوا بأنها قد أحرقت من قبل حسن بن كبك، فأخذت القوات المملوكية في تعقبه، وكتب نائب الشام إلى السلطان يخبره بتطورات الأحداث وما آل إليه الأمر، ويبدو أن السلطان خاف من أن يلجأ ابن كبك إلى أمير بني دلغادر، فأمر ابنه إبراهيم وعدداً من الأمراء ومنهم على ما يبدو نائب حماة بالتوجه نحو الأبلستين للقبض على ابن دلغادر، وفي تلك الأثناء ورد الخبر بأن ابن كبك قد فر إلى بلاد الروم، فأثر نائب الشام العودة، في حين كلف نائب حماة بالتوجه إلى كختا وكركر مع نائب طرابلس، مدداً لنائب حلب الأمير سيف الدين قجقار الذي نازل قلعة كختا، التي يبدو بأنها استعصت عليه، فأخذ نائب حماة في منازل قلعتي كختا وكركر، وعمد حاكم كختا على حرق أسواقها لحرمان الجيش المملوكي من الحصول على المؤن التي تساعد على مواصلة الحصار، غير أن القوات الحلبية والحموية والطرابلسية لم تحقق تقدماً ملحوظاً مما دعا السلطان المؤيد شيخ للتوجه بنفسه للمشاركة في حصار قلعة كختا. ويبدو أن صاحب كختا قد أدرك إصرار سلطان المماليك اقتحام حصنه، فلجأ إلى أسلوب المهادنة وطلب الأمان مبرهنأ على صحة

طلبه بإرسال ابنه ليكون رهينة لدى السلطان، وكان قد نزل من القلعة بعد رحيل السلطان عنها نحو كركر، أما عساكر حماة فيبدو أنهم رحلوا مع بقية القوات المملوكية صوب قلعة كركر لضرب الحصار حولها، وفي أثناء الحصار أصيب السلطان المؤيد شيخ في رجله، مما أجبره على الرحيل إلى حلب مخلفاً وراءه القوات الدمشقية والحلبية والحموية على قلعة كركر، عندها تتالت الأخبار بتحركات قرا يوسف العسكرية وتمكنه من الإيقاع بتركمان قرايلوك، فما كان من نائب حلب إلا أن ترك موقعه على قلعة كركر وانسحب إلى حلب، وكتب نائب دمشق الأمير سيف الدين آقباي إلى السلطان المؤيد شيخ يخبره بما كان من عودة نائب حلب دون إذن مسبق، وعلى ما يبدو بأن نائب حماة أثر الانسحاب أيضاً مما أغضب السلطان، فأرسل إلى نائب دمشق يأمره بالثبات على الحصار^(١).

(١) للوقوف على تفاصيل أكثر عن هذه الحوادث (انظر المقرئزي، السلوك، ج ٦، ص ٤٤٠-٤٤٥؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج ٧، ص ٢٥٦-٢٦٢؛ العيني، عقد الجمان، أحداث سنة ٨٢٠هـ، ص ٢٨٨-٢٩٥؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٤، ص ٤٧-٥٥؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج ٢، ص ٣٨٨-٣٩٣)؛ والأمير حسين بن كيك: قتل في الثالث من جمادى الآخرة سنة ٨٢١هـ (انظر ابن تغري بردي، المنهل، ج ٥، ص ١٦٧؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج ٢، ص ٤٢٢-٤٢٣)؛ والأمير آقباي بن عبد الله المؤيدي : نسبة إلى الملك المؤيد شيخ، تقلد نيابة حلب سنة ٨١٨هـ، ثم نيابة دمشق، قتله أسناده سنة ٨٢٠هـ، من جراء مخالفته للأوامر العسكرية القاضية بالمرابطة على قلعة كركر (انظر ابن حجر، أنباء الغمر، ج ٣، ص ١٣٥؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج ٢، ص ٤٦٨؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج ٢، ص ٣١٤)؛ والأمير الصارمي إبراهيم بن المؤيد شيخ: ولد في بلاد الشام في مطلع القرن التاسع قبل تنصيب أبيه سلطاناً، قلده أبوه إمرة مائة قلد تقدم ألف بالديار المصرية، كما جرده لقيادة عدة حملات تأديبية ضد الإمارات التركمانية، توفي بالقاهرة في ليلة الجمعة في ١٥ جمادى الآخرة سنة ٨٢٣هـ، بعد أن تجاوز عمره العشرين عاماً شهد له ابن تغري بردي بحسن القيادة فقال: "ولعمري إنه كان خليقاً للسلطنة، لائقاً للملك" (انظر النجوم، ج ١٤، ص ١٦٦؛ المنهل، ج ١، ص ٢٧٨؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج ١، ص ٥١)؛ والأمير قجقار: القردي ترقى في عهد السلطان شيخ حتى صار مقدم ألف ثم أمير سلاح، ثم نائب حلب، قتله السلطان ططر في سنة ٨٢٤هـ (انظر ابن تغري بردي، الدليل، ج ٢، ص ٥٣٤؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج ٦، ص ٢١١)؛ وكختا: مدينة حصينة تقع على الحدود الشمالية لبلاد الشام، شرقي ملطية (انظر أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ٢٦٢-٢٦٣؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ١٢٠)؛ وكركر: حصن بين سميساط وخرتبرت شمالي حلب، تقع غربي كختا على جانب الفرات الغربي، وعدها شيخ الربوة من "ثغور تجاه الأرمن والتتار" (انظر نخبة الدهر، ص ٢٧٣؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ٢٦٤-٢٦٥؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ١٢٠؛ صابر محمد دياب، المسلمون وجهادهم ضد الروم، ص ٣١)؛ وقرايلوك: وتكتب أيضاً وقرايلك وهو لقب لجهاء الدين قرا عثمان البائندري زعيم أسرة الآق قوينلو (الشاة البيضاء) التركمانية التي وفدت من أواسط آسيا نتيجة غزوات المغول على بلاد خوارزم، واستقرت في بعض المناطق من أرمينا والفرات العليا (انظر محمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك، ص ٤٤٨).

وبعدما دخل السلطان المؤيد شيخ حلب أمر بأن يمثل كل من نائب دمشق ونائب حلب ونائب حماة في مجلسه، فأخذ في توبيخ نائب حلب الأمير سيف الدين قجقار على انسحابه من كركر، ثم أمر بسجنه وحبسه، أما نائب حماة فإن عقوبته جاءت مخففة - على ما يبدو - حيث أمر بنقله من نيابة حماة إلى نيابة صند^(١). ويبدو أن هذا التجروء على أملاك السلطنة، حفز جماعات تركمانية أخرى على نشر الفوضى والفساد من نهب وسلب في أعمال نيابة طرابلس، مما استدعى تدخل نائبها الأمير برسباي الدقماقي لكف أيدي التركمان عن صافيتا، وحدث صدام بين الطرفين، أدى إلى هزيمة نائب طرابلس و قتل عدد كبير من المماليك والتركمان، وذلك في ٢٦ من شعبان في ذات العام^(٢)، فرأى السلطان ضرورة الضرب بيد من حديد على تطاول ابن قرمان الذي كان يُعد - في نظره - المحرض الأول لجماعات التركمان للنيل من هيبة السلطنة، فأثر إشهار الورقة الرابعة التي قد تساعده في كسب تأييد قسم كبير من التركمان، ألا وهو علي بك أخو محمد ابن قرمان الذي فرّ من أخيه ولجأ إلى الأبواب السلطانية فأكرمه السلطان وأذن له بالحج في سنة ٨٢١هـ / ١٤١٨م، حيث أمر المؤيد شيخ بخروج القوات المملوكية المصرية، تساندها قوات بلاد الشام بقيادة نواب الأقاليم لتأديب محمد بن قرمان وإقرار أخيه علي بك في إمارة بني قرمان^(٣).

(١) ابن حجر، إنباء الغمر، ج٧، ص٢٦٢-٢٦٣؛ العيني، عقد الجمان، حوادث سنة ٨٢٠، ص٢٩٥-٢٩٦؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٤، ص٥٥-٥٦؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ص٣٩٣-٣٩٤.

(٢) نكر ابن تغري بردي بأن تلك الجماعات التركمانية هم من تركمان الأنثالية والأشورية (انظر، النجوم، ج١٤، ص٧٢)؛ وصافيتا أو صافينا كانت أحد أشهر حصون من طائفة الداوية وبه برج يسميه الصليبيون "القصر الأبيض" كان يقع على الجبال التي تسمى حالياً بجبال العلويين التي تشرف على ساحل البحر الممتد مابين اللانقية وطرسوس (انظر على الغامدي، بلاد الشام قبيل الغزو المغولي، ص٢٣٩، حاشية ٤).

(٣) ابن حجر، إنباء الغمر، ج٧، ص٣٤٣؛ العيني، عقد الجمان، حوادث سنة ٨٢٢هـ، ص٣٤٣-٣٤٤؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج٢، ص٤٣٦؛ ومحمد ابن قرمان: هو ناصر الدين بك بن علي بك بن قرمان أمير لارندة ونكة، كانت له وقعة مع ابن عثمان سنة ٨١٨هـ، ثم ساءت علاقته بالدولة المملوكية حتى تمكن ابن دلغادر من القبض عليه سنة ٨٢٢هـ، ليرحله إلى الأبواب السلطانية (انظر ابن تغري بردي، النجوم، ج١٤، ص٢٥، ٨٨، ١٨٠)؛ وعلي بك (علباك أو علي بك) ابن قرمان: قلنته السلطنة إمارة بني قرمان غير أنه ما لبث أن خلع عنها بأخيه ناصر الدين محمد، ويبدو ان ذلك كان سبباً لمساعدته للفرنج عندما خرج الأسطول المملوكي يستعيد قبرص (انظر ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج١٤، ص١٨٠، ٢٩٤).

ومما تجدر الإشارة إليه أن السلطان المؤيد شيخ حرص على سرية الحملة، حيث أمر بتعويق الخاتون أم إبراهيم بن رمضان التي لجأت إليه في ذي القعدة من سنة ٨٢١هـ / ١٤١٨م ، فلم يأذن لها بالرجوع إلى بلادها^(١)، وباستكمال الاستعدادات خرجت القوات المملوكية من مصر بقيادة الأمير الصارمي إبراهيم في يوم الاثنين ١٦ صفر سنة ٨٢٢هـ / ١٤١٩م، وعند دخولها دمشق كان في استقبالها نائب حماة الأمير شاهين الزردكاش مع بقية نواب بلاد الشام^(٢). ثم تحركت القوات المملوكية بعد أن استراحت أياماً في دمشق نحو حلب، فوصلوا تل السلطان في يوم الثلاثاء غرة ربيع الأول، حيث استقبلهم نائب حلب الذي اختار هذا المكان لمراقبة تحركات التركمان، وحفظ حدود بلاده من أي هجوم مباغت^(٣)، ثم انضم نائب حلب إلى القوات المملوكية التي تقدمت صوب مدينة قيسارية، فدخلتها دون مقاومة بعدما فر منها نائبها^(٤).

ويبدو أن القوات المملوكية في تلك الأثناء انقسمت إلى فرقتين وفقاً للأوامر السلطانية^(٥)، وذلك للانتشار في مساحة واسعة من أراضي التركمان وحصار الأمير محمد ابن قرمان ومن معه ومنعهم من الهروب، وتولت الفرقة الأولى مهمة تمشيط الأراضي الشمالية لبلاد ابن قرمان، فسارت القوات المصرية بقيادة الأمير الصارمي إبراهيم ومعه نائب حماة وبقية نواب بلاد الشام رأس قواتهم نحو مدينة قونية في ١٥ ربيع الآخر ، ومنها واصلوا سيرهم نحو نكداه التي خرج أهلها لاستقبالهم في ١٨ من شهر ربيع الآخر، وعلى الرغم من استمالة الرأي العام

(١) ابن تغري بردي، النجوم ، ج١٤ ، ص ٧٥؛ والخاتون: لقب يعني الأميرة (انظر غرس الدين الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص ١٢١).

(٢) المقرئزي، السلوك، ج ٦، ص ٤٩١؛ العيني ، عقد الجمان ، حوادث سنة ٨٢٢هـ، ص ٣٤٤؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٤، ص ٧٧؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج ٢، ص ٤٣٨.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٤، ص ٧٧.

(٤) ورد عن العيني بأن نائب قيسارية هو محمد بن دغاادر وأنه ظل نائباً عليها بإقرار ابن السلطان (انظر العيني، عقد الجمان ، حوادث سنة ٨٢٢هـ، ص ٣٤٤-٣٤٥؛ ابن تغري بردي، النجوم ، ج ١٤، ص ٨٠؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج ٢، ص ٤٣٨).

(٥) العيني، عقد الجمان ، حوادث سنة ٨٢٢هـ، ص ٣٤٥؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج ٢، ص ٤٣٨-٤٣٩.

التركمانى^(١)، إلا أن القوات المملوكية لم تتمكن من دخول القلعة لبعض الوقت، فعمدوا على تضيق الحصار عليها وضربها بالمنجنيقات ، حتى اضطر محمد ابن قرمان إلى الفرار منها مع عدد من رجاله^(٢)، فدخلتها القوات المملوكية في ١٢ رجب، وعين عليها على بك بن قرمان^(٣)، ثم سارت القوات المصرية تساندها قوات حماة وباقي القوات الشامية إلى مدينة أركلى، ومنها إلى لارنده ، وعندما وصلت تخومها في جمادى الآخرة ، عسكرت بالقرب منها وتمكنت من دخولها بعدما فر معظم أهالي البلد إلى الجبال والمغارات ليتحصنوا بها^(٤)، وأمر ابن السلطان بإرسال فرق عسكرية الواحدة تلو الأخرى لقمع تركمان المنطقة والبحث عن ابن قرمان، وتمكنت واحدة منها بقيادة نائب حلب الأمير يشبك اليوسفي، من الإيقاع ببعض التركمان ،والعودة محملاً بالغنائم^(٥)، كما بعث الأمير الصارمي إبراهيم سرية إلى جبال لارنده، كان عليها نواب حماة وطرابلس وصفد ، وذلك لكبس ابن قرمان ، فباغته في ليلة الجمعة ٦ جمادى الآخرة وأجبروه على الفرار إلى أذنه في الجنوب، وبذلك تمكن ابن السلطان من تمشيط الأراضي الشمالية واستقرت البلاد بيد علي بك بن قرمان، وشهد الصارمي مظاهر التبعية للسلطنة المملوكية حيث أقيمت الخطبة لها وسُكت العملة باسم السلطان المؤيد شيخ^(٦)، ثم أثر الصارمي العودة إلى حلب بعدما جاءته الأخبار السارة عن نجاح

(١) ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٤، ص ٨٣-٨٤؛ ولعل المراد يئكده المدينة القديمة التي ذكرها ياقوت الحموي باسم نكيدا الواقعة في آسيا الصغرى شمالي قيسارية بثلاثة أيام وتبعد عن هرقل ثلاثة أيام أيضا(انظر معجم البلدان، ج ٥، ص ٣٠٣)؛ وقونية: مدينة تقع في وسط آسيا الصغرى إلى الجنوب من أنقرة وإلى الشمال من البحر الأبيض المتوسط(محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص ٦٨، حاشية ٤).

(٢) انظر ابن حجر ، إنباء الغمر، ج ٧، ص ٣٤٣؛ العيني ، عقد الجمان، حوادث سنة ٨٢٢هـ، ص ٣٤٥؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٤، ص ٨٤؛ الصيرفي ، نزهة النفوس، ج ٢، ص ٤٣٨.

(٣) المقرئزي، السلوك، ج ٦، ص ٥٠٤؛ ابن تغري بردي ، النجوم، ج ١٤، ص ٨٦.

(٤) العيني ، عقد الجمان، حوادث سنة ٨٢٢هـ، ص ٣٤٥؛ الصيرفي ، نزهة النفوس، ج ٢، ص ٤٣٨؛ وأركلي ولارنده، من المدن التي كانت خاضعة تحت سيطرة إمارة بني قرمان، وقد اتخذوا من الأخير عاصمة لهم في بعض المراحل(انظر زامباور، معجم الأنساب والأمراء الحاكمة، ص ٢٣٦؛ عبد الكريم غرابية، العرب والأترک، ص ٢٧١).

(٥) ابن تغري بردي ، النجوم، ج ١٤، ص ٨٦.

(٦) المقرئزي، السلوك، ج ٦، ص ٥٠٤؛ العيني، عقد الجمان، حوادث سنة ٨٢٢هـ، ص ٣٤٥؛ الصيرفي ، نزهة النفوس، ج ٢، ص ٤٣٨.

الفرقة الثانية التي تولى قيادتها نائب دمشق الأمير تتبك ميق في تمشيط الأراضي الجنوبية من أملاك ابن قرمان بحثاً عنه وكفاً لاعتدائه على طرسوس، حيث أثنى في أراضي التركمان بعد أن انضم إليه الأمير عز الدين حمزة ابن رمضان بجماعة من التركمان لمساندته عسكرياً، فساروا معاً نحو المصصية وتمكنوا من السيطرة على أدنه وطرسوس في ١٥ ربيع الآخر سنة ٨٢٢هـ/١٤١٩م، كما أوقع بابن قرمان الذي احتفى بأدنه فاراً من الصارمي إبراهيم في الشمال، وذلك في الثالث من رجب، ففر محمد ابن قرمان وابنه مصطفى وإبراهيم ابن رمضان عقب تلك الواقعة نحو قيسارية حيث الأمير ناصر الدين محمد ابن دلغادر الذي منعهم من دخول المدينة فحاصرها، ولكنهم لم يتمكنوا من اقتحامها، لقوة دفع ابن دلغادر لهم الذي تمكن في نهاية المطاف من هزيمتهم فأسر ابن قرمان وسجن بقيسارية، في حين قتل ابنه وحمل رأسه إلى القاهرة فوصلها في ١٦ من شهر رمضان سنة ٨٢٢هـ/١٤١٩م^(١).

كان لنجاح الحملة التأديبية التي أطلقت سنة ٨٢٠هـ/١٤١٧م، أثره البالغ، على الصعيد السياسي لدولة المماليك إذ سارع عدد من أمراء التركمان إلى تقديم فروض الطاعة والولاء، وتجديد التبعية والخضوع للسلطان المملوكي، فكان منهم الأمير طرعى التركماني أمير قرابيلوك الذي حضر وفده عند حصن منصور لملاقاة السلطان المؤيد شيخ وفي جعبتهم هدية للسلطان المملوكي وذلك في أواخر جمادى الآخرة سنة ٨٢٠هـ/١٤١٧م^(٢)، وكان يهدف من وراء ذلك الحصول

(١) المقرئزي، السلوك، ج٦، ص٥٠٧؛ على ما يبدو بأن السبب من وراء انقسام أمراء بني رمضان بين المناصر لابن قرمان والمعارض له، يعود إلى الصراع الأسري الذي حدث في إمارة بني رمضان على عرش الإمارة الذي خلا عقب وفاة جدهم الأكبر أحمد ابن رمضان (انظر القرماني، أخبار الدول، ج٣، ص١٠٦)؛ و ناصر الدين محمد بن خليل بن دلغادر كان ذا علاقة مضطربة مع دولة المماليك حتى عهد السلطان جقمق الذي سعى للحد من تمرد الأمير التركماني بعقد قرانه على ابنته نفيسة في سنة ٨٤٣هـ، فهدأت جبهة تركمان بني دلغادر بعدها، إلى أن توفي ناصر الدين محمد في أوائل جمادى الآخرة سنة ٨٤٦هـ (انظر ابن تغري بردي، النجوم، ج١٥، ص٤٩٩، ٥٤٢؛ السخاوي، التبر المسبوك، ص٢٩٣-٢٩٤)؛ عز الدين حمزة بن رمضان: لم أقف على ترجمة له فيما اطلعت عليه من مصادر غير أنه حمزة بن إبراهيم بن أحمد ابن رمضان.

(٢) المقرئزي، السلوك، ج٦، ص٤٤٣؛ العيني، عقد الجمان، حوادث سنة ٨٢٠هـ، ص٢٩٢؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٤، ص٥٣؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ص٣٩٢.

على مساعدة مملوكية ضد خصمه الأمير التركماني قرا يوسف، فتحقق له ذلك، بعدما شن هجومه الخاطف على ماردين التابعة لقرا يوسف في سنة ٨٢١هـ/ ١٤١٨م، عندها شعر بحرج موقفه، بادر باللجوء إلى السلطان المملوكي هرباً من غضب قرا يوسف الذي شرع في تعقبه حتى الحدود الشمالية لنيابة حلب فنهب كلاً من عينتاب والبيرة^(١).

والذي يهمنا هنا هو أن دخول قرا يلوک تحت مظلة السلطنة المملوكية منذ ذلك التاريخ زاد من قوة إمارة قرا يلوک التركمانية، حتى أخذت تتأطح دولة المماليك ذاتها، فأخذت تهدد الحدود الشمالية لنيابة حلب، في حين هاجم أميرها عثمان بن طر على قرا يلوک خربت سنة ٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م^(٢). إضافة إلى استخفاف هذا الأمير التركماني بالسلطنة، وذلك من خلال هدية بعثها إلى السلطان المملوكي الأشرف برسبای سنة ٨٣٦هـ/ ١٤٣٣م^(٣)، فما كان من السلطان المملوكي إلا الخروج على رأس حملة تأديبية أستغفرت فيها جميع القوات المصرية والشامية بما فيها نيابة حماة التي استقبل نائبها الأمير جلبان المؤيدي السلطان الأشرف برسبای في أواخر شعبان، وقام بواجب الضيافة للسلطان المملوكي خارج حماة ثلاثة أيام، ثم رحل عنها ومعه عساكر حماة، فوصلوا حلب في يوم السبت الخامس من رمضان سنة ٨٣٦هـ / ١٤٣٣م^(٤)، وأقام بها نصف

(١) العيني، عقد الجمان حوادث سنة ٨٢١، ص ٣٢٨؛ انظر كذلك الصيرفي، نزهة النفوس، ج ٢، ص ٣٩٢-٣٩٣؛

البيرة: قلعة حصينة مرتفعة في البر الشمالي الشرقي لنهر الفرات (انظر أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ٢٦٨-٢٦٩)

(٢) ابن حجر، إنباء الغمر، ج ٨، ص ١٧٣؛ وعثمان بن قطبک بن طر على التركماني ويعرف بقرا يلوک أو قرا يلوک، ينحدر من أسرة تركمانية سكنت ديار بكر وكان والده من أمراء التركمان، فورث الإمارة من بعده ودخل في طاعة تيمورلنک فاستتابه على ديار بكر، اتسمت علاقته مع دولة المماليك بالمراوغة والتأرجح بين السلم والحرب، كما كانت له مواجهات عسكرية مع قرا يوسف وابنه إسکندر انتهت بمقتله سنة ٨٣٩هـ (انظر ابن تغري بردي، المنهل، ج ٧، ص ٤٢٤؛ الدليل، ج ١، ص ٤٤٠؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج ٣، ص ٣٥٩؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج ٥، ص ١٣٥).

(٣) وتألفت الهدية على مرآة وخروف وخلعه ففسرها برسبای على أن الخروف يقصد به شخص السلطان وأما المرآة فهي تعني بأن من في بلاط السلطاني ليسوا إلا نساء، في حين أريد بالخلعة إعلان تبعية السلطنة لقرا يلوک، فحملت هذه الهدية في معناها إهانته بالغة لشخص السلطان المملوكي وتحذير مشين لهيئة السلطنة المملوكية (ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٢، ص ١٩-٢٠).

(٤) ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٥، ص ١١.

شهر يستقبل أمراء التركمان الذين حضروا لتأكيد ولائهم له، كما حضر رسل قرايلوك لطلب الصلح إلا أنهم عوّقوا، ولم يُردّ عليهم بسرعة، وذلك حتى تكتمل الترتيبات العسكرية لقوات المماليك التي كانت تتوي مهاجمة أراضي قرايلوك^(١). حيث تقدمت عساكر حماة وطرابلس وصفد نحو الفرات لتأمين الطريق للسلطان، وذلك ببناء جسر تعبر عليه القوات المملوكية، فكان وصولهم إلى الضفة الغربية لنهر الفرات في ١٦ رمضان من ذات العام، وباكتمال بناء الجسر غادرت القوات المملوكية حلب نحو الفرات في ١٩ من ذات الشهر، بقيادة السلطان الأشرف برسباي^(٢)، وعبرت الجسر نحو البيرة، حيث أقام بها السلطان إلى أن تم ترتيب أمورها ثم غادرها في أواخر شهر رمضان تاركاً فيها الكثير من الأتقال السلطانية، متوجهاً إلى آمد، وفي طريقة مرّ على الرّها، فلم يجد بها إلا العاجز والضعيف^(٣)، ف قضى ليلة العيد بها، وفي صبيحة اليوم التالي أكمل سيره إلى آمد، فوصلها في يوم الخميس الثامن من شوال، ووجد الأمير قرايلوك عثمان قد فر من المدينة بعد أن أغرق أراضيها بالماء، وترك ابنه على قلعتها، أما هو فقد اعتصم بقلعة أرقنين^(٤). ويبدو أن السلطان أدرك أن حصار آمد سيطول أمده^(٥)، فرأى أن لا ضير من إرسال فرقة من جيشه للإغارة على قلعة أرقنين بقيادة نائب دمشق الأمير جارقطلوا، شاركه فيها نائب حماة جلبان المؤيدي، إضافة إلى تركمان

(١) المقرئزي، السلوك، ج٧، ص٢٥٤؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٥، ص١١-١٢؛ السخاوي، وجيز الكلام، ج٢، ص٥٢٤.

(٢) ابن حجر، إنباء الغمر، ج٨، ص٢٧٩.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم، ج١٥، ص١٣-١٤؛ انظر كذلك المنهل، ج٧، ص٤٢٦؛ السخاوي، وجيز الكلام، ج٢، ص٥٢٤؛ الذيل التام، حوادث سنة ٧٤٥-٨٥٠هـ، ص٥٧٩.

(٤) المقرئزي، السلوك، ج٧، ص٢٥٤؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٥، ص١٣-١٤؛ وأرقنين: لعلها إحدى القلاع الحصينة القريبة من آمد.

(٥) وعلى الرغم من جهود العساكر المملوكية في حصار آمد إلا أن ذلك لم يرض طموح السلطان المملوكي الذي صب جام غضبه على الجند والأمراء، ففكر بعضهم في الثورة على السلطان للتخلص من ضغطه، ولكنهم لم يجرؤوا على ذلك، والذي يلفت النظر أن نائب حماة الأمير جلبان لم يرد اسمه ضمن من حاول الثورة ضد السلطان، بل كان يتردد كل يوم على معسكر السلطان (انظر المقرئزي، السلوك، ج٧، ص٢٥٤؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٥، ص١٦-١٩)؛ عن حصار آمد وجهود السلطان المملوكي للاستيلاء عليها (انظر المقرئزي، السلوك، ج٧، ص٢٥٤-٢٥٥؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٥، ص١٥-٢٤؛ السخاوي، الذيل التام، حوادث سنة ٧٤٥-٨٥٠هـ، ص٥٧٩-٥٨٠).

الطاعة والعرب^(١)، فوجدوا قرايلوك قد ضرب خيمته تحت القلعة، فبادرت القوات المملوكية بمهاجمته قبل أن يعتصم وقواته بالقلعة، فاصطدم الطرفان، ونجحت القوات المملوكية في إنزال هزيمة قوية بقرايلوك، وأجبرته على الانسحاب إلى داخل القلعة المذكورة^(٢).

أدت هذه الهزيمة إلى دفع قرايلوك إلى إعادة النظر في علاقته مع المماليك فأثر الرضوخ لهم، وعقد الصلح معهم، فأرسل إلى نائب دمشق وبقية النواب بما فيهم نائب حماة بطلب التوسط فيما بينه وبين السلطان، كما بعث إلى السلطان برسباي بكاتب سري لتأكيد عزمه على الصلح، والتعرف على شروط السلطنة^(٣)، التي تركّزت حول تحديد أولويات العلاقة السياسية والاقتصادية بين الطرفين، فقضت على أن يخطب قرايلوك للسلطان على المنابر، ويضرب اسمه على السكة^(٤). وأن يتنازل عن الرّها، وأن يضرب قرايلوك بيد من حديد على قطاع الطرق لحماية القوافل المتجهة للسلطنة^(٥)، وفي مقابل هذا أرسل السلطان إليه الخلعة وهي فرس بسرّج ذهب وكنبوش زركش معلناً بذلك نهاية الحملة^(٦).

وعلى أثر هذه الاتفاقية هدأت الجبهة المملوكية التركمانية رداً من الزمن إلى أن تجرأ بني دلغادر على مناصرة أحد الأمراء الخارجيين على طاعة السلطان، فأمر السلطان برسباي عندها بإنفاذ حملة تأديبية ضدّ بني دلغادر ضمت فرقة من الجيش المصري بقيادة الأمير الكبير جقمق العلّائي الناصري، وانضم

(١) المقرئزي، السلوك، ج ٧، ص ٢٥٥.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٥، ص ٢٤.

(٣) كان كاتب السر هو القاضي شرف الدين أبو بكر الأشقر (انظر المقرئزي، السلوك، ج ٧، ص ٢٥٥؛ انظر كذلك ابن تغري بردي، المنهل، ج ٧، ص ٤٢٦).

(٤) ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٥، ص ٢٦؛ السخاوي، الذيل التام، حوادث ٧٤٥-٨٥٠هـ، ص ٥٨٠.

(٥) السخاوي، وجيز الكلام ج ٢، ص ٥٢٥؛ الذيل التام، حوادث سنة ٧٤٥-٨٥٠هـ، ص ٥٨٠.

(٦) المقرئزي، السلوك، ج ٧، ص ٢٥٥؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج ٧، ص ٤٢٦؛ وكنبوش: البرذعة توضع تحت سرّج الفرس (نظر محمد دهمان، معجم الالفاظ التاريخية، ص ١٣١؛ سعيد عبد الفتاح عاشور، العصر المماليكي، ص ٤٦٧)؛ وزركش: زخرفة الثوب وتطريزه من حواشيه بخيوط من ذهب (انظر محمد دهمان، معجم الالفاظ التاريخية، ص ٨٦).

إليه بعد وصوله إلى بلاد الشام عساكر حماة بقيادة نائبها قانباي الحمزاوي مع غيره من نواب الشام^(١)، وقضت خطة الهجوم أن تتقدم عساكر حلب وحماة إلى أراضي بني دلغار لتمهيد الطريق للعساكر المصرية التي ظلت مقيمة في حلب، فوصلت القوات الحلبية والحموية إلى عينتاب في شهر شعبان من ذات العام، ومنها تقدمت إلى الدربند، فعبرت الجسر، إلى دربند كينوك، حيث توقفوا بها بعض الوقت بسبب تساقط الثلوج التي سدت ممراتها، واضطروا بعد ذلك إلى التحول إلى معبر أترنيت من أعمال بهسنا، ورغم أنه لم يكن بأفضل من سابقه، إلا أن القوات المملوكية تمكنت من عبوره بمساعدة أهل البلاد، وعسكرت تحت جبل بزقاق، حيث جهز الأمير تغري برمش فرقة من الكشافة مكونة من ٤٠ فارساً تقدمت فلول القوات المملوكية، فتمكنت أثناء سيرها من الإيقاع بكشافة ابن دلغار فقبض على بعضهم، وفر الباقيون نحو الأبلستين محذرين أميرهم من مباغاة القوات المملوكية، وما أن سمع ناصر الدين ابن دلغار بمقدم القوات المملوكية حتى لاذ بالفرار تاركاً الأبلستين، فدخلها تغري برمش نائب حلب، والأمير قانباي الحمزاوي نائب حماة دون مقاومة في يوم الثلاثاء ٩ رمضان، وطلبوا من أهلها الخروج إلى درنده، وبعدها عادت القوات الحلبية والحموية إلى قواعدها محملة بالغنائم^(٢).

وعندما عاود بنو دلغار تهديدهم للوجود المملوكي في المنطقة سنة ٨٤٠ هـ/١٤٣٦م^(٣)، أثار تنامي قوة بني دلغار مخاوف السلطنة المملوكية خاصة بعدما استعانت بقوة الدولة العثمانية في توسعها على حساب جيرانها، فأطلقت السلطنة على أثر ذلك حملة عسكرية لنصرة ابن قرمان التابع لدولة المماليك،

(١) المقرئزي، السلوك، ج٧، ص٧٥، ٣٠٩، ٣١٣؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٥، ص٧٦، ٧٨؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج٣، ص٣٤٤.

(٢) المقرئزي، السلوك، ج٧، ص٣١٣؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٥، ص٧٨-٧٩؛ انظر أيضاً الصيرفي، نزهة النفوس، ج٣، ص٣٥٢-٣٥٣؛ وبهسنا: قلعة حصينة من أعمال حلب، قرب مرعش وسميساط (انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٥١٦)؛ ودرنده: تقع على جبل قرمانيا (انظر أبو الفداء، تقويم البلدان، ص٢٢١)؛ دربند كينوك: لم اجد لها تعريف فيما توفر لدي من مصادر اطلعت عليها، ولعله الطريق المؤدي إلى كينوك.

(٣) انظر المقرئزي، السلوك، ج٧، ص٣٣٢-٣٣٥؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج٨، ص٤١٨؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٥، ص٨٢-٨٥؛ السخاوي، الذيل التام، ج١، ص٦٠١.

والذي سلبت مدنه من قبل ابن دلغادر. فأصدر عند ذلك السلطان أوامره إلى القوات الحموية بالخروج مع بقية قوات النيابات الشامية نحو الأبلستين فوصلتها في صفر من ذات العام، ومنها ساروا نحو آق شهر لانتزاعها من حاكمها حسن الأيتاقي، فوصلوها في أول ذي الحجة وضربوا عليها الحصار، وتمكنوا من دخولها بعد هروب حاكمها، كما نجحت هذه القوات في السيطرة على عدد من القلاع المجاورة لها^(١)، الأمر الذي أثار مخاوف ابن قرايلوك، فبعث يسأل العفو ويعرض تنازله عن أرزنكان، فوافق نائب حلب وبعث مع رسول ابن قرايلوك من يتسلمها ثم خرج بقواته من آق شهر نحوها وبصحبه العساكر الحموية، فنزلوا عليها دون أن يتعرضوا لأهلها، وأقاموا بها شهر ذي الحجة، وفي يوم الثلاثاء الأول من محرم سنة ٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م، رحلت عنها القوات المملوكية عائدة إلى حلب وحماة^(٢).

وفي سنة ٨٥٤هـ/ ١٤٥٠م، دعا السلطان جقمق إلى النفير العام للقوات الشامية للمرابطة بحلب تحسباً لهجوم تركماني متوقع، فخرجت العساكر الحموية إلى حلب، وظلت مرابطة بها عاماً كاملاً تنتظر ما ستسفر عنه المراسلات التركمانية المملوكية، حتى جاء الأمر السلطاني في رجب سنة ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م، بعودة القوات المملوكية المرابطة بحلب إلى قواعدها بما فيها عساكر حماة^(٣).

وفي سنة ٨٧١هـ/ ١٤٦٦م، أنفذت حملة تأديبية لقمع شاة سوار الذي كان يُعد لمهاجمة الأراضي الحلبية بحجة أنها "لآبائه وأجداده"^(٤)، فخرج نائب حماة

(١) ومن هذه القلاع فارس و تماشى و بزطلش و برداش (انظر المقرئزي، السلوك، ج ٨، ص ٣٦٤؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج ٣، ص ٤٢٦-٤٢٧)؛ وآق شهر: مدينة تركية تقع في آسيا الصغرى جنوبي بحيرة آق شهر وصفها القرمانى بأنها "من أنزه المدن ذات أشجار مثمرة وأنهار" (انظر أخبار الدول، ج ٣، ص ٣٠٦؛ المنجد، ص ٥٨).

(٢) المقرئزي، السلوك، ج ٧، ص ٣٦٤، ٣٧١؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج ٩، ص ١٣-١٤؛ الصيرفي نزهة النفوس، ج ٣، ص ٤٢٧، ٤٣٥؛ وأرزنكان: لم أجد لها تعريف فيما توفر لي من مصادر اطلعت عليها.

(٣) ذكر البقاعي أن الأمر بعودة القوات صدر في الأول من شعبان من ذات العام (انظر ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج ١، ص ٢٧٤، ٣٣٠؛ البقاعي، إظهار العصر، ق ١، ص ١٣٣؛ السخاوي، التبر المسبوك، ص ٣٢٣؛ ابن لياس، بدائع الزهور، ج ٢، ص ٢٨٠).

(٤) السخاوي، الضوء اللامع، ج ٣، ص ٢٧٤.

الأمير تتم الحسيني، ومعه نائب طرابلس لمساعدة أهل حلب في دفع قوات شاة سوار عنها في حال تعرضها لهجوم مرتقب من قبل شاه سوار^(١)، الذي يبدو أن استفحال أمره، دفع القوات المملوكية للخروج من حلب، لمباغتته في معسكره، قبل أن يقوم بهجومه المرتقب عليها إلا أن القوات المملوكية لم تفلح في تحقيق مرادها ، حيث منيت بهزيمة نكراء أمام قوات شاه سوار، ذهب ضحيتها عدد من الأمراء الحمويين كان على رأسهم أتابك حماة الأمير شادبك فرفور الأشرفي، ووصلت أخبار هذه الهزيمة إلى حلب في ربيع الأول سنة ٨٧٢هـ/١٣٦٧م^(٢).

وعندما تقلد السلطان قايتباي عرش السلطنة، بدأت مرحلة جديدة من الصراع المملوكي التركماني أشد وطأة من سابقتها، حاول من خلالها الثأر من الهزيمة السابقة، حتى إن المؤرخ ابن إياس وصف أسلوب قايتباي في التعامل مع حيثيات الصراع بأسلوب "العترسة"^(٣). ولعل السلطان قايتباي كان محقاً في رؤيته هذه، فما وصلت إليه الإمارة التركمانية من قوة وبأس وإصرار أميرها على التطاول السياسي والعسكري، ناهيك عن كسبه للدعم العثماني ، كل ذلك يُعد من المعطيات التي تستدعي تدخل عسكري حاسم للقضاء على حركة شاة سوار قبل أن تقوى شوكته، كما أن البدائل الدبلوماسية التي وضعها ابن إياس من إرسال السلطان قايتباي بخلة وهدية لشاة سوار، ما هي إلا تنازلات قد تُعوّل عن ضعف السلطان قايتباي الحديث العهد بشؤون السلطنة، مما قد يزيد من قوة شاة سوار ويحفز غيره على التعالي سياسياً وعسكرياً على السلطنة.

وبالرغم من اهتمام قايتباي بتجهيز هذه الحملة أصدر أوامره لفرسان النيابات الشامية الذين نجوا من الهزيمة السابقة بما فيهم فرسان نيابة حماة

(١) ابن تغري بردي ، النجوم، ج١٦، ص ٣٠٠، ٣٠٢.

(٢) السخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص٢٨٩؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٤٦٠؛ شاركت عساكر حماة ضمن جموع القوات المملوكية تحت قيادة أتابك حماة الأمير شادبك فرفور، وذلك لمرض مفاجئ أصاب نائب حماة فأقعدته عن الخروج (انظر ابن تغري بردي، النجوم، ج١٦، ص٣٦٢؛ القرمانلي، أخبار الدول، ج٣، ص١٠١).

(٣) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٧.

بالمشاركة في هذه الحملة^(١) إلا أن حملته باءت بالفشل الذريع حيث أُسر قائدها وقتل عدد كبير من أمرائها وجندها^(٢).

وقد شجع هذا الانتصار الأمير التركماني شاه سوار على مهاجمة عينتاب والسيطرة عليها، وسجل بذلك اختراقاً جديداً للحدود الحلبية^(٣)، كما سعى بعد ذلك للاستيلاء على قلعة درنده، وتمكن من دخولها في شهر جمادى الأولى سنة ٨٧٣ هـ/١٤٦٨^(٤).

وقد أدى هذا التطاول من قبل شاه سوار، إلى مسارعة السلطان قايتباي بإعداد حملة عسكرية جديدة لإيقاف شاه سوار عند حدّه، خرجت من الأراضي المصرية بقيادة الأمير يشبك بن مهدي الدوداري^(٥)، خرج لاستقبالها نائب حماة الأمير بلاط اليشبكي مع غيره من نواب الشام عند وصولها إلى حمص في يوم الثلاثاء مستهل ذي الحجة سنة ٨٧٥ هـ/٤٧١ م. ثم فارق الأمير بلاط الجموع المملوكية إلى حماة ليكون في استقبالهم عند دخولها، حيث دخلها القائد يشبك ومعه نواب طرابلس وصفد ومصيف، وبقي الجميع بحماة حتى يوم الاثنين ٧ من ذي الحجة، ثم غادروها إلى حلب، ومنها إلى عينتاب، وضربوا حصاراً محكماً على المدينة، وقذفوا أسوارها بحمم منجنيقاتهم، ونجحوا في اقتحام المدينة بعد حصار

(١) السخاوي، وجيز الكلام، ج٢، ص٧٩٣؛ البصروي، تاريخ البصري، ص٣١.

(٢) الصيرفي، أنباء الهصر، ص٢، البصروي، تاريخ البصري، ص٣١.

(٣) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص١٢.

(٤) الصيرفي، أنباء الهصر، ص١٨، ٤٤.

(٥) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٤٥، ٥٩؛ الصيرفي، أنباء الهصر، ص٢٢٥، ٢٢٦، ٢٣٤؛ محمد دهمان، العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك، ص٦٥؛ والأمير يشبك بن مهدي الظاهري جقمق : تتقل في مناصب وظيفية عدة حتى استقر في الدوادية الكبرى، كانت له عدة مشاركات عسكرية لحرر الثائرين على السلطنة المملوكية، قتل في رمضان سنة ٨٨٥ هـ، على يد الأمير يعقوب بن حسن بالك (السخاوي، الضوء اللامع، ج١٠، ابن إياس، بدائع الزهور، ص٣، ١٧٢-١٧٣؛ ابن طولون، مفاكهة الخلان، ج١، ص٢٨).

دام بعض الوقت، حيث وصلت البشائر إلى الحضرة السلطانية بالقاهرة في شهر صفر من سنة ٨٧٦هـ/١٤٧١م^(١).

وبعد سقوط عينتاب شعر الأمير شاة سوار بحرج موقفه أمام قوات المماليك، فعمد إلى تحصين أفراد أسرته بأن أسكنهم أحد القلاع الحصينة، ثم سعى بعدها إلى الدخول في مفاوضات مباشرة مع القائد المملوكي يشبك، حيث أوفد إليه أحد كبار أمرائه، وهو المعروف بابن أجا، فعرض على يشبك تسليم قلاع التركمان دون قيد أو شرط، إلا أن هذه المفاوضات ما لبثت أن وصلت إلى طريق مسدود بسبب إصرار شاة سوار على إبقاء حامية تركمانية داخل هذه القلاع، ريثما يحصل على عفو سلطاني مكتوب^(٢).

وبهذا غدا الخيار العسكري للمماليك هو البديل الوحيد، فاصطدم الجيشان عند نهر جيحان في يوم الاثنين ٢٧ من جمادى الأولى، وأسفرت المعركة عن انتصار ساحق للأمير يشبك، أجبر خصمه شاة سوار إلى الفرار، ومن ثم

(١) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٦٢؛ محمد دهمان، العراك بين المماليك والعثمانيين، ص ٧٩-٨٣، ٩١-٩٥؛ والجدير بالذكر أن نائب حمة الأمير بلاط عمد للاستعفاء من منصبه النيابي، وطلب أن يستقر أمير كبير بطرابلس في هذه المرحلة، ويبدو أن شدة اهتمام السلطان المملوكي بالحملة التأديبية أثارت مخاوفه باعتباره مسؤولاً عن إحدى أهم القوى العسكرية في بلاد الشام، وعلى الرغم من موافقة السلطان على طلبه، وتعيين الأمير خير بك القصير نائباً على حمة، إلا أن الأمير بلاط يشبكي استمر في منصبه النيابي، وذلك لوفاء النائب الجديد، والذي يؤكد ذلك ما ذكر ابن إياس عند نهاية حملة يشبك على شاة سوار، وعودة القوات المملوكية الشامية والمصرية إلى قواعدها في سنة ٨٧٨هـ، من صدور أمر عزل الأمير بلاط يشبكي عن منصب نائب حمة (انظر الصيرفي، إنباء الهصر، ص ٢٢٥-٢٢٦، ٢٣٤-٢٣٥؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ٥٤، ٩٢)؛ و نائب طرابلس الأمير يشبك البجاسي، ونائب صفد الأمير جكم الأشرفي، و نائب مصياف الأمير حمزة سقلسير (انظر محمد دهمان، العراك بين المماليك والعثمانيين ص ٨٢)؛ ومما تجدر الإشارة إليه أن مشاركة نيابة حمة في هذه الحملة لم تقتصر على الجانب العسكري، وإنما شملت النواحي الحضارية، وذلك يظهر من استقدام قائد الحملة للصناع والمعماريين من حمة من أجل إعادة إعمار الجهات التي هدمت من قلعة عينتاب (انظر محمد دهمان، المرجع السابق، ص ٨٥).

(٢) محمد دهمان، العراك بين المماليك والعثمانيين، ص ٩٨-١٠٤؛ عبد الرحمن محمود، قايتباي المحمودي، ص ١٤٦-١٥٤؛ والأمير محمد المعروف بأجا: هو محمد بن محمود بن خليل الشمس الحلبي، ولد بحلب سنة ٨٢٠هـ، وفيها نشأ وتلقى العلوم الشرعية، ثم انتقل إلى القاهرة، وكانت وفاته في جمادى الآخرة سنة ٨٨١هـ (انظر السخاوي، الضوء اللامع، ج ١٠، ص ٤٣٠).

الاعتصام بقلعة زمنطوا التي كان يتحصن بها أفراد أسرته^(١). ووصلت بشارة بهذا النصر إلى الأبواب السلطانية بالقاهرة في يوم الاثنين ١٢ جمادى الآخرة^(٢).

ثم تحرك الأمير يشبك الدوداري بعد هذا النصر نحو أدنه ونجح في السيطرة عليها، وسار بعدها إلى بغراس، فنزل عليها في يوم الخميس مستهل جمادى الآخرة، وظل مقيماً عليها، في حين أرسل نواب دمشق و حلب و حماة للاستيلاء على قلعة سيس التي استعصت على القوات المملوكية، فضربت عليها حصاراً محكماً، ثم بادر أهلها بتسليمها، إلى القوات المملوكية^(٣).

وعندما بلغ الأمير يشبك نبأ أخذ سيس خرج للكشف على قلعتي أدنة و أباش، ثم سار إلى حلب ليقضي بها الشتاء، وبانقضاء الشتاء توجه نحو بلاد بني دلغادر، فتمكن من الاستيلاء على بعض قلاعهم، ثم نجح في القبض على شاة سوار في ذي الحجة سنة ٨٧٦هـ/ ١٤٧٢م، ومن ثم عادوا إلى حلب في مطلع السنة التالية، ورحل منها الأمير يشبك عائداً إلى الديار المصرية وفي طريقة نزل على حماة في يوم الجمعة، فخلع على نائبها، ومن اجتمع عنده من نواب منهم نائب طرابلس ونائب شيزر، وذلك في يوم السبت وفي اليوم التالي واصل سيره نحو وجهته الأراضي المصرية^(٤).

(١) محمد دهمان، العراق بين المماليك والعثمانيين، ص ١٣٥؛ عبد الرحمن محمود، قايتباي المحمودي، ص ١٥٤-١٥٥؛ وزمنطوا: لم أجد لها تعريف فيما توفر لي من مصادر اطلعت عليها.

(٢) الصيرفي، أنباء الهصر، ص ٣٦٣-٣٦٤؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ٦٥-٦٦.

(٣) محمد دهمان، العراق بين المماليك والعثمانيين، ص ١٣٦-١٣٧.

(٤) خلال إقامة الأمير يشبك في حلب لقضائه فصل الشتاء حضر رجل من أهل حماة يشنكي من استنادار نائبها بأنه قتل ولده، وأنه تقدم لنائب حماة مطالباً بمحاكمة شرعية لقاتل ابنه، إلا أن النائب لم يهتم لأمره، ولذا جاء يشكو مظلمته للأمير يشبك الدوداري "فالتزم- يشبك- الأيمان الشرعية انه لا يمكن الاجتماع به- نائب حماة- ولا يرى وجهه إلى أن يرضي الشاكي بأي وجه كان" (انظر محمد دهمان، العراق بين المماليك والعثمانيين، ص ١٣٨-١٤٠، ١٥٤-١٥٥)؛ و أباش: لم أفد على تعريف لها فيما توفر لي من مصادر اطلعت عليها.

وختاماً يمكن القول بأن سلاطين دولة المماليك، وبمساعدة من نوابهم في الشام، ومنهم نائب حماة، قد أتبعوا سياسة متوازنة في مواجهاتهم مع هذه الجماعات التركمانية، وذلك-على ما يبدو-كان بهدف عدم الدخول في حروب طويلة، ربما تجرهم إلى حرب استنزاف، فضلاً عن المحافظة على العلاقة الودية التي نشأت بين سلاطين دولة المماليك وبين بعض هذه الإمارات فيما عرف بتركمان الطاعة.

حملة تيمورلنك^(١) على بلاد الشام سنة ٨٠٣هـ/١٤٠٠م وموقف نيابة حماة عنها

لم تسلم بلاد الشام كغيرها من المناطق المجاورة من الخطر التيموري المدمر، إذ فوجئ نواب الشام وخاصة دمشق وحلب وحماة باقتراب خطر جيوش تيمورلنك. حيث أقدمت قواته بعد أن نجحت في اقتحام المدن المتاخمة لبلاد الشام كسيواس وبهنسا وملطية وقلعة الروم وغيرها^(٢). على عبور حدود بلاد الشام، وكانت مدينة عينتاب أول محطة لها، منها أرسل رسله إلى نواب الشام يدعوهم فيها إلى الخضوع لسيطرته، ويطلب منهم إعادة من بأيديهم من الرسل الذي سبق

(١) تيمورلنك: تيمور ابن أيتمش قنلخ ابن زنكي ابن سينا وأصله من قبيلة برلاص، ولد سنة ٧٢٨هـ، بقرية خواجه أباغار إحدى قرى بلاد ما وراء النهر، كانت له عدة ألقاب منها تيمورلنك وتعني تيمور الأعرج لجرح أصابه في فخذه، وكذلك لقب بتيمور كوركان أي تيمور صهر الملوك، وقد تمكن من تكوين إمبرطوريته في آسيا الوسطى والهند، ثم أخذ في التوسع على حساب جيرانه حتى وصل بجحافل قواته إلى الحدود الشرقية لمصر في سنة ٨٠٣هـ، وبعدها وجه أنظاره لسلخ أملاك الدولة العثمانية سنة ٨٠٥هـ، كانت وفاته سنة ٨٠٧هـ (انظر ابن حجر، إنباء الغمر، ج٢، ص ٣٠١؛ ابن عربشاه، عجائب المقنور؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج٤، ص ١٠٣؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج٢، ص ٢٠٩؛ ناجلا محمد عبد النبي، مصر والبنديقية العلاقات السياسية والاقتصادية في عصر المماليك، ص ٥٩).

(٢) المقرئزي، السلوك، ج٦، ص ٣٨-٤٠؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج٤، ص ١٩٣، حاشية ٤، ابن تغري بردي، النجوم، ج١٢، ص ٢١٧، ص ٢٢١؛ المنهل، ج٤، ص ١١٨؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص ٤٧؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج٢، ص ٧١؛ ابن إلياس، بدائع الزهور، ج١، ق٣، ص ٥٩١-٥٩٦.

وأرسلهم إلى بلاد الشام وتم الاستحواذ عليهم، وحذرهم في حالة رفضهم لذلك بالويل وعظائم الأمور^(١).

وعلى الرغم من شدة لهجة تيمور لك أن الأمير سودون نائب دمشق لم يلتفت لتهديده، بل أقدم على قتل رسول تيمور لك، ثم أرسل بعدها تحذيراً مستعجلاً إلى الأبواب السلطانية يوضح فيها استفحال أمر جحافل قوات تيمور لك، كما أطلق استنفاراً عاماً لجميع القوات الشامية بما فيها عساكر نيابة حماة للخروج لملاقاة جيوش تيمور لك والدفاع عن حلب التي كانت خط الدفاع الأول عن بلاد الشام، وخاصة بعد أن تلقى نائب دمشق رسالة من نائب حلب دمرdash المحمدي، والتي أرفق بها رسالة تلقاها من تيمور لك يطلب منه التعاون معه في القبض على نائب دمشق، وتسليمه إليه لكي ينتقم منه جراء إقدامه على قتل موفده^(٢).

وفي الوقت الذي شرع فيه السلطان فرج في إعداد العدة للخروج على رأس قواته من مصر لمواجهة هذا الخطر، كانت قوات حماة هي السباقة للوصول إلى حلب ثم لحق بها بقية النواب، وشرعوا في ترتيب صفوفهم وإعداد قواتهم، ولكن تيمور لك لم يمهلهم حتى يستكملوا جميع الإجراءات العسكرية لدفعه، حيث اقتحم قرية حيلان، واستمر في اندفاعه حتى وصل إلى حلب في يوم الخميس ٩

(١) أكرم العلبي، تيمور لك وحكايته مع دمشق، ص ١٢٦-١٣٧؛ أحمد عبد الكريم سليمان، تيمور لك ودولة المماليك الجراكسة، ص ٢٤-٢٥؛ عماد تيمور لك لإيجاد أسباب واهية تخوله ضرب دولة المماليك كان منها التحجج بموافقة السلطان المملوكي برقوق على لجوء سلطان بغداد إليه وتقديمه دعماً عسكرياً يساعده لاستعادة عرش مملكته من نائب تيمور لك، وذلك في سنة ٧٩٦هـ/١٣٩٤م، كما تذرع بالأسلوب الاستفزازي الذي اتبعه برقوق وابنه من بعده في الرد على مراسلاته ناهيك عن إهانته للرسول وقتلهم، إضافة إلى إثارته لموقع الخليفة العباسي، وقد خدمته الأقدار بموت السلطان الملك الظاهر برقوق، وموت صاحب سيواس، فرأى (أنه بعد موتها قد ظفر بمملكتي مصر والروم، وكاد يطير فرحاً بموتهما) (انظر ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج ٩، ق ١، ص ٣٤٣-٣٤٧؛ المقرئ، السلوك، ج ٥، ص ٣٣٩-٣٤٠؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج ٣، ص ١٥٦-١٥٧؛ ابن صصري، الدرر المضيئة في الدولة الظاهرية، ص ١٤٠؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٢، ص ٤٤، ٤٩، ١٧٦-١٧٧؛ المنهل، ج ١، ص ٢٥، ١١٧؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج ١، ص ٣٨١-٣٨٣).

(٢) المقرئ، السلوك، ج ٦، ص ٦١؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج ٤، ص ١٩٠-١٩٣؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج ٤، ص ١١٨-١١٩؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ٣، ص ٥٩٦.

ربيع الأول، وضرب عليها حصاراً محكماً، وأخذت قواته تتأوش عساكر البلاد الشامية تارة وتقاتلهم تارة حتى حدث المصاف بين الطرفين في ظاهر حلب في يوم السبت ١١ ربيع الأول^(١) عند قرية حيلان^(٢). حيث دارت رحى معركة عنيفة بين الطرفين تولى نائب حماة خلالها قيادة الجناح الأيمن للجيش المملوكي، ثم نقله نائب حلب إلى القلب، وانتهت بهزيمة القوات المملوكية وسقوط مدينة حلب بأكملها في يد تيمورلنك، ووقع معظم الجيش المملوكي في الأسر وفيهم نائب حماة الذي ظل أسيراً في حلب^(٣).

وخلال تصفية تيمورلنك لحساباته مع نواب البلاد الشامية بحلب أرسل ابنه ميران شاة على رأس فرقة عسكرية لمباغثة نيابة حماة التي أضحت دون حماية عسكرية تردع التقدم التيموري، فكانوا أسرع وصولاً من أخبار هزيمة المماليك، ونزل ميران شاة على حماة في يوم الثلاثاء ١٤ ربيع الأول^(٤)، وشرع في مهاجمتها من كل الجهات حيث لاذ معظم أهلها بالفرار، وفي مقدمتهم أغنياء المدينة، ووقع من بقي منهم فريسة لميران شاة وقواته الذين شرعوا في نهب

(١) المقرئزي، السلوك، ج٦، ص٣٢، ٢٧-٣٣؛ انظر أيضاً العيني، السيف المهند، ص٢٤٢-٢٤٣؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج٢، ص٦٠-٧٧؛ ابن عربشاة، عجائب المقدور، ص٢١٢-٢١٣؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٣، ص٥٨٩؛ كانت من الأمور التي زادت من اضطراب القوات الشامية حدوث خلاف بين نواب البلاد الشامية حول تحديد موقع المعركة هل يكون في حلب أو خارجها إلى أن استقر الأمر بينهم على مواجهة المد التيموري خارج مدينة حلب (انظر أحمد عبد الكريم سليمان، تيمورلنك ودولة الجراكسة، ص٢٥).

(٢) ابن تغري بردي، المنهل، ج٤، ص١١٩؛ وقرية حيلان: من أعمال حلب يوجد بها عين للمياه تمد حلب بالمياه العذبة (انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٣٣٢).

(٣) وقد انتقد ابن تغري بردي تعبئة نائب حلب الأمير حمداش لهذه المعركة فقال: "فكانت هذه التعبئة من أشم التعابي"، وذلك لأنها أخلت بالتوزيع العسكري لموقع النواب وعساكرهم، حيث أضعفت الجناح الأيمن بسحب نائب حماة وقواته منها وإضافتهم إلى القلب الذي شمل غالب النواب ما عدا نائب حلب المتزعم قياد الجناح الأيسر، ولم يكتفِ النائب الحلبي بالتلاعب في تنظيم الجيش فحسب، بل عمل على حسم المعركة لصالح تيمورلنك بانسحابه المبكر من ميدان المعركة على الرغم من مساندة النواب الباقين في جبر كسر قواته عند الصدام الأول (انظر ابن تغري بردي، النجوم، ج١٢، ص٢٢٢)؛ عن سير المعركة (انظر المقرئزي، السلوك، ج٦، ص٤١-٤٢؛ العيني، السيف المهند، ص٢٤٣، السخاوي، وجيز الكلام، ج١، ص٣٥١؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٣، ص٥٩٧-٥٩٨؛ القرمانلي، أخبار الدول، مج ٢، ص٢٩٨-٢٩٩؛ أحمد عبد الكريم سليمان، تيمورلنك ودولة المماليك الجراكسة، ج٢، ص١١).

(٤) المقرئزي، السلوك، ج٦، ص٤٦؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٢، ص٢٢٥؛ أكرم الحلبي، تيمورلنك وحكاياته مع دمشق، ص ١٤١.

وسلب وأسر من وجدوهم في ظاهر حماة ، ثم ضرب حصاراً على أسوار المدينة، فتمكن من الصمود بعض الوقت حتى اضطر إلى استخدام الحيلة وخداع أهلها، ففتح له بعض الخونة أحد أبوابها فدخل المدينة في صبيحة اليوم التالي، ونودي بعدها بالأمان ، فاجتمع الأهالي لتقديم الطعام لابن تيمور الذي عمل على ترتيب أوضاع المدينة بإقامة رجل يديرها، والظاهر بأن القائد ميران شاة خاف من المبيت داخل حماة بسبب قلعتها التي امتنعت عن التسليم فبات في مخيمه خارجها، وفي اليوم التالي رحل عن حماة بعد أن ترك فيها حامية عسكرية تحفظ المدينة، ويبدو أن هذا الإجراء كان مناورة من ابن تيمور لاستدراج من في القلعة للخروج، فوقع رجال القلعة ضحية لذلك ونزل بعضهم إلى المدينة وقتلوا اثنين من جند ابن تيمور، فانقض ميران شاة على المدينة وحال بين رجالها وبين إغلاق أبوابها، وأنزل بأهلها مذبحه مروعة، واستولى على ما بحماة من ذخائر ومؤن^(١).

أما القلعة فظلت صامدة حتى علم من فيها بمسير تيمور لنك نحو حماة بعد أن فرغ من حلب عندها آثروا الاستسلام ووسطوا من كان في المدينة من أمراء ليشفّعوا لهم عند تيمور لنك ليمنحهم الأمان^(٢)، وبوصول تيمور لنك إلى حماة في العشرين من شهر ربيع الآخر^(٣) وقعت حادثه الأمراء في شأن أهل القلعة فوافق على تأمينهم^(٤)، غير أنه صبّ جام غضبه على القلعة فأمر بهدمها حتى غدت قاعاً صفصفاً^(٥).

(١) المقريزي، السلوك، ج ٦، ص ٤٣؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٢، ص ٢٢٥-٢٢٦؛ أكرم العلبي، تيمور لنك وحكايته مع دمشق، ص ١٤١؛ وميران شاة: ابن تيمور لنك اشتهر بسلوكه المضطرب بسبب إفراطه في شرب الخمر وتسبيده لأموال الدولة وقد أرجأ البعض هذا الخلل السلوكي إلى اختلال قواه العقلية من جراء حادث سقوط عن ظهر حصانه تعرض له في إحدى رحلات الصيد، ومن بين الأعمال التي أوكّلها إليه والده تيمور لنك حكم تبريز والاستيلاء على قلعة النجف (انظر محمد سالم باعمر، صلة الدولة التيمورية في عهد تيمور لنك، رسالة لنيل درجة الدكتوراة من جامعة أم القرى غير مطبوعة، ص ٢٣٢، حاشية ٢).

(٢) محمد سالم بكر باعمر، المرجع نفسه، ص ٣٣٣.

(٣) ابن حجر، إنباء الغمر، ج ٤، ص ٢١٠؛ ابن عريشة، عجائب المقدور، ص ٢٢٦؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج ٤، ص ١٢١؛ أكرم العلبي، تيمور لنك، ص ١٤١.

(٤) محمد سالم بكر باعمر، صلة الدولة التيمورية بالعالم الإسلامي، ص ٣٣٣.

(٥) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٢٣٨؛ غرس الدين الظاهري، زبدة كشف المالك، ص ٤٨؛ ابن كنان، المواكب الإسلامية، ق ٢، ص ١٠٦.

ولجأ من سلم من أهل حماة من القتل أو الأسر إلى دمشق ، وهنا أدرك أهل دمشق بأن سقوط خط الدفاع الثاني - حماة - في يد قوات تيمورلنك يعني بداية النهاية لمدينتهم، فشرعوا في الجلاء عنها، وحاول الأمراء ضبط الوضع، والحد من تزايد عدد النازحين، وشرع من بقي بتحسين المدينة وإعدادها لحصارٍ طويل^(١). خاصةً بعد أن تواترت الأخبار في دمشق بقدم السلطان إلى بلاد الشام ، ووصوله إلى غزة في العشرين من شهر ربيع الآخر، وعندها شرع السلطان بإعادة توزيع المناصب الإدارية في البلاد الشامية على الأمراء المماليك بحكم أسر تيمورلنك لمعظم النواب السابقين، حيث ولى على دمشق الأمير تغري بردي والد المؤرخ المعروف^(٢).

ثم خرج السلطان من غزة إلى دمشق فدخلها في يوم الخميس ٦ من جمادى الأولى، وأقام معسكره في ظاهر دمشق عند قبة يلغا، استعداداً للمواجهة العسكرية المرتقبة، وعلى الرغم من الانتصار الذي حققته القوات المملوكية التي تجمعت بدمشق من كافة نيابات الشام بما فيها نيابة حماة على جاليش تيمورلنك وعلى قواته في الصدمة الأولى وأجبروا تيمورلنك وقواته على طلب الصلح معهم إلا أن أمراء المماليك لم يسعوا لاستغلال طلب الصلح الذي تقدّم به تيمورلنك لحسم المعركة لصالحهم، وهي من الفرص التي فوتها أمراء المماليك. ولعلمهم تخوفوا من عدم مصداقية تيمورلنك، وأن تكون تلك المبادرة من قبله خديعة يراد بها تهدئة الحرب الدائرة بهدف النقاط الأنفاس وترتيب قواته، ومن ثمّ الانقضاض على القوات المملوكية.

وعلى أي حال فقد تهيأت الظروف لتيمورلنك لمهاجمة دمشق ، وذلك عندما قام كبار الأمراء المماليك ممن كانوا قد تواجدوا بدمشق لحمايتها من الهجوم

(١) ابن تغري بردي، النجوم، ج١٢، ص٢٢٧.

(٢) المقرئزي، السلوك، ج٦، ص٤٥؛ انظر أيضاً ابن تغري بردي، النجوم، ج١٢، ص٢٣٠-٢٣١.

التيموري المرتقب بحمل السلطان فرج إلى القاهرة بحجة تدارك وقوع انقلابٍ سياسي يرمي لخلعه عن عرش السلطنة^(١). حيث أسفر هذا التخبط في الكيان العسكري لدولة المماليك عن وقوع دمشق فريسة للقوات التيمورية، فهرع أهلها لطلب الصلح^(٢) بعدما وجدوا مدينتهم قد خلت من السلطان وكبار أمرائه، حتى إنه لم يبق للدفاع عنها سوى من اجتمع بها "من الحلبيين والحمويين والحمصيين وأهل القرى وممن خرج جافلاً من تيمور"^(٣).

وعندها اختير القاضي تقي الدين ابن مفلح الحنبلي مفاوضاً عن الجانب الدمشقي ، في حين سعى تيمورلنك من جانبه للتلطف وإظهار حسن المعاملة للقابعين داخل الأسوار^(٤)، بل إنه لجأ لحيل الخداع والمكر فأمسك ببعض الفلاحين العرب وألبسهم زي جنده، ثم قام بقتلهم أمام أسوار دمشق ليبين لأهلها مصير جنده إن هم اعتدوا على أهلها^(٥)، هذا كله والمفاوضات بين الطرفين قائمة على قدمٍ وساق وقد اشترط تيمورلنك أخذ التقدمة من الطقزات، على أنها مقدمة لتوقيع الصلح، فكان له ما أراد ودفعت له الطقزات، فدفعت بفرمان الأمان لأهل دمشق الذين سارعوا بجمع التقدمة لتيمورلنك فسلموه ألف ألف دينار، ولكنه لم يكتف بذلك بل شرع في نهب ما بالمدينة من مؤن وعتاد، وبعدما استيقن بأن مقاومة أهلها قد ضعفت، تم القبض على المفاوضين وعلى رأسهم قاضي القضاة تقي

(١) انظر المقرئزي، السلوك، ج٦، ص٥٠؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج٤، ص٢٠٠؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٢، ص٢٣٦؛ السخاوي، وجيز الكلام، ج١، ص٣٥٢.

(٢) انظر المقرئزي، السلوك، ج٦، ص٥١؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج٤، ص٢٠٧؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٢، ص٢٣٩؛ السخاوي، وجيز الكلام، ج١، ص٣٥٣.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم، ج١٢، ص٢٣٦-٢٣٨.

(٤) انظر المقرئزي، السلوك، ج٦، ص٥١؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج٤، ص٢٠٧؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٢، ص٢٣٩؛ السخاوي، وجيز الكلام، ج١، ص٣٥٣؛ وابن مفلح: هو قاضي القضاة تقي الدين إبراهيم بن محمد بن مفلح الحنبلي، ولد سنة ٧٤٩هـ، ودرس بدار الحيث الأشرفية بالصالحية، تقلد قضاء الحنابلة بدمشق وكانت له عدة مصنفات منها "فضل الصلاة على النبي ﷺ"، توفي على أثر مرض أصابه بعد الفتنة التيمورية في شعبان سنة ٨٠٣هـ.

(٥) انظر ابن تغري بردي، المنهل، ج١، ص١٦٤؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج١، ص١٥٢؛ ابن طولون، قضاة دمشق أو الثغر البسام في ذكر من ولي قضاء الشام، ص٢٨٨).

(٥) أحمد عبد الكريم سليمان، تيمورلنك ودولة المماليك الجراكسة، ج٢، ص٢٥.

الدين الحنبلي، وأمرهم بخط جميع المعلومات الخاصة بدمشق وبذلك كشفت ثغراتها، ومواطن الضعف فيها، وبدأ بعدها هجوماً شاملاً على دمشق، وأُخذ فيها قتلًا وأسرًا حتى "لم يبق بها دابة تدب إلا أطفال يتجاوز عددهم آلاف فيهم من مات، وفيهم من سيموت من الجوع"^(١).

وما أن فاضت يد تيمور لنك بالغنائم التي جمعتها قواته من سائر البلاد الشامية حتى بادر بالانسحاب عنها بعدما أدرك بأنه من الصعوبة بمكان المكوث فيها لتنفيذ أقواتها وخشيته على قواته من الهلاك^(٢) إذا ما توحدت قوى النيابات الشامية لدحر قواته عن بلاد الشام، خاصة وأنه لم يكن لديه ترسانة عسكرية احتياطية تدعم استمراره وتساعد على تنظيم شؤون بلاد الشام الإدارية، إضافة إلى ذلك رغبته المبهمة لتأديب سلطان أحمد ابن أويس على تجرّئه لإعادة نفوذه إلى بغداد، فغادر دمشق في الثالث من شعبان من ذات العام متوجهاً إلى حلب ومنها إلى ماردين فوصلها في ٢٠ من رمضان^(٣).

أما السلطان المملوكي فقد دخل القاهرة في يوم الخميس خامس جمادى الآخرة من ذات العام، وشرع في إعادة تنظيم جهازه الإداري، وعندما سمع بدخول تيمورلنك دمشق أمر بإعداد القوات المصرية استعداداً للخروج مرة أخرى إلى بلاد الشام لتخليصها من تيمورلنك، واستمر الإعداد لهذه الحملة العسكرية شهراً تقريباً، حتى جاء خبر رحيل تيمولنك بقواته عن دمشق في الخامس من

(١) المقرئزي، السلوك، ج٦، ص ٥١-٥٤؛ وعن سقوط دمشق (انظر ابن دقماق، النفحة المسكية، ص ٢٣٠؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج٤، ص ٢٠٧-٢٠٨؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٢، ص ٢٤٦؛ السخاوي، وجيز الكلام، ج١، ص ٣٥٣؛ أكرم العلبي، تيمورلنك، ١٥٩-١٩٠)؛ والطفرات: كلمة تركية تعني تسعة، وهي عادة حكام المغول عند أخذ أي مدينة صلحاً بأن يقدم أهلها من كل نوع من أنواع المأكول والمشروب والدواب والملابس والتحف تسعة (انظر ابن تغري بردي، النجوم، ج١٢، ص ٢٣٩)؛ والفرمان: مفرد والجمع فرمانات وفرامين وفرامنة، وهي في اللغة ما يصدره السلطان أو الملك من الكتب للولاء والوكلاء والقضاة يعلن فيها بتصبيهم وأموريتهم (انظر محمد قنديل البقلي، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص ٢٦١).

(٢) ابن دقماق، النفحة المسكية، ص ٢٣٠؛ السخاوي، وجيز الكلام، ج١، ص ٣٥٣؛ الذيل الثام، حوادث سنة ٧٤٥-٨٥٠، ص ٤١٥.

(٣) ابن تغري بردي، المنهل، ج٤، ص ١٢٥.

شعبان" فرسم السلطانُ بإبطال السفر، ورجع كل أمير إلى داره من خارج القاهرة^(١)، وقد تمكن نائب حماة الأمير دقماق المحمدي خلال تلك الفترة من الإفلات من الأسر التيموري بفدية قدرها ١٠٠ ألف درهم^(٢)، فوصل القاهرة في السادس من شعبان عندها أقره السلطان فرج على منصبه النيابي فاستمر نائباً على حماة^(٣).

(١) ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٢، ص ٢٥٢، ومن الغريب إبطاء المماليك في إطلاق حملة عسكرية لإنقاذ دمشق فعلى خلاف مما كان زمن الناصر محمد عند غزو غازان لبلاد الشام وتسارع السلطان المملوكي لجبر هزيمته الأولى أمام المغول عند أسوار دمشق، فإن السلطان الحالي لم يطلق حملته الإنقاذية إلا بعد مرور شهر من سقوط دمشق، كما أنه لم يخرج ثانية لطرد التيموريين وإنما ظل في القاهرة مع الخوالم.

(٢) وذكر آخرون، بأنه تمكن من الهرب من قوات تيمورلنك (انظر ابن دقماق، النفحة المسكية، ص ٣٢١؛ المقرئزي، السلوك، ج ٦، ص ٥٨؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ٣، ص ٥٨٩).

(٣) المقرئزي، السلوك، ج ٦، ص ٥٨؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٢، ص ٢٥٢-٢٥٣.



الفصل الثالث

سقوط نيابة حماة

٩٢٢ هـ / ١٥١٦ م



✧ الثورات الداخلية.

✧ علاقة نيابة حماة بحركات العصيان العامة في بلاد

الشام ضد السلطنة في مصر.

✧ تدهور العلاقات العثمانية المملوكية.

✧ التوسع العثماني لبلاد الشام وسقوط نيابة حماة.

الثورات الداخلية:

عانت نيابة حماة في سنة ٧٩٤هـ/١٣٩٢م، من تعدي أمير العربان نعيم عليها، مما حدا بالأمير آقبا الصغير نائب حماة دفعه عنها، بمساندة عساكر طرابلس ودمشق، كما أمر بنشر القوات المساندة لحفظ المناطق الحموية في كل من حماة وسلمية من أي أخطار محتملة من قبل هؤلاء الأعراب، كما أسهم السلطان برقوق شخصياً في هذا العمل، وذلك بأن أصدر أوامره إلى القوات المملوكية المرابطة بحماة للإقامة بسلمية لتحفظها من طرق العرب إلى أن يتمكن الفلاحين من حصاد محاصيلهم الزراعية وتحميل الغلال إلى داخل حماة^(١).

أما أهالي مدينة حماة فلم يكونوا من النوع المثير للشغب والشغب بحب الخروج عن الحدود أو كسر المألوف، بل كانوا من النوع المسالم المحافظ على سلامة وحدة الصف في الدولة المملوكية، بعدم إشعال الفتنة والقلق داخل حماة، بيد أن هذه الصفة لا تعني بأنهم كانوا بعيدين عن الحوادث الداخلية أو سلبيين إزاء استبداد النواب، أو أن الجرأة كانت تنقصهم لتقويم الاعوجاج ودفع الظلم عن أنفسهم، وهذا ما يظهر من خلال ثوراتهم التي اندلعت إبان تطاول النواب عليهم والجور على أملاكهم، وقد نجحوا في كثير من ثوراتهم في وضع حد لتعسف السلطة الإدارية والعسكرية، بل انهم كسبوا تعاطف حكام السلطنة فأضحوا الأداة الرادعة لنواب حماة عن ظلم أهلها، فكان لتدخل بعض السلاطين في نصرة

(١) ابن صصري، الدرر المضيئة، ص ١٣٥-١٣٧؛ ويبدو بأن تلك الغارات هي التي ذكرها ابن حجر في ترجمته لنعيم، والتي أرجع أسبابها إلى رغبة نعيم في طرد أبناء عمه الذين أقرهم السلطان برقوق في إمارة بلاد الشام بدلاً منه، عقب غضبه على نعيم وطرده من البلاد بسبب مساندته لحركة منطاش، وقد أشار المؤرخ إلى تمكن نعيم هذا من طرد أبناء عمه، وعقب وفاة السلطان برقوق أعيدت إليه إمارة عرب الشام (إنباء الغمر، ج ٥، ص ٣٤٩)؛ ونعيم : هو محمد بن حيار بن مهنا بن عيسى آل فضل الشهير بنعيم، تقلد إمارة عرب الشام بعد وفاة والده سنة ٧٧٧هـ، ودام عليها حتى قتل على يد الأمير جكم في سنة ٨٠٨هـ (انظر ابن حجر، إنباء الغمر، ج ٥، ص ٣٤٩؛ السخاوي، الضوء الاعم، ج ١٠، ص ٢٠٣-٢٠٤؛ أحمد وصفي زكريا، عرب الشام، ص ٩٦).

الأهالي ما ألجأ عدداً من النواب للعصيان والنزوح عن حماة كما حدث في سنة ٨٤٨هـ/١٤٤٤م، حين تجرأ النائب الحموي الأمير بردبك العجمي على ممارسة بعض التعسف مع رعاياه، فنظم سكان النيابة ثورة عارمة ضده ذهب ضحيتها أكثر من ١٢٠ قتيلاً من أهل حماة ، وحوالي أربعة قتلى من أتباع النائب، ومما لاشك فيه أن النائب الحموي أدرك فداحة ما اقترفه من تعدٍ على أرواح المسلمين فخاف على نفسه من تفاقم الغضب الحموي ومن ردة فعل السلطان المملوكي، فخرج من حماة إلى ظاهرها وأعلن العصيان على السلطنة، وخلال تواجده في البرية فكر في حلٍ لحسم هذه القضية فوجد أن من الأسلم الكتابة إلى نائب دمشق الأمير جلبان ليتوسط له عند السلطان جقمق، فأرسل جلبان إلى السلطان المملوكي يشفع فيه ، فلم يلق ذلك التعدي من قبل السلطة النيابية على الأهالي ترحيباً من قبل السلطان جقمق الذي عمد إلى استدراج النائب الحموي إلى القاهرة لمعاقبته على ذلك، وعندما وصل إلى القلعة في ٤ من رجب/أكتوبر في ذات العام، وبخه السلطان على تصرفه غير المسؤول مع أهالي حماة ، ثم أمر بالقبض عليه وترحيله إلى سجن الإسكندرية، وعين على نيابة حماة بدلاً عنه الأمير قانباي الأبو بكر البهلوان^(١).

غير أن حدة تعامل الأهالي مع تطاول النواب الحمويين قد خفت عقب إدراكهم لمدى جدية السلطنة في قمع استبداد نوابهم إن انحرفوا عن الجادة، إذ اكتفوا في الغالب برفع شكاوهم إلى السلطنة في مصر متى ما حدث تجاوز من نوابهم، من ذلك ما حدث سنة ٨٥٣هـ/١٤٤٩م، عندما بادر جماعة من أهل حماة بشكوى نائبهم الأمير بيغوث عند السلطان جقمق، فاستدعاه الأخير لاستجوابه، إلا أنه لم يخرج بنفسه، بل بعث ابنه لمقابلة السلطان، ويبدو أن السلطان قد أحسن الظن به، واعتبر ذلك رمزاً لعدم تكرار الإساءة إلى رعاياه، فأعاد السلطان الابن إلى أبيه يحمل خلعة تؤكد قبوله اعتذاره، وموافقته على استمراره نائباً على حماة

(١) ابن تغري بردي ، النجوم، ج١٥، ص٣٦٣-٣٦٤؛ المنهل، ج٣، ص٢٥٣-٢٥٤؛ حوادث الدهور، ج١، ص١٠٧-١٠٨؛ السخاوي التبر المسبوك، ص٩٤؛ ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل ج٢، ق٥، ص١٩١.

وما أن وصل إلى حماة حتى بدأ بسلسلة عقوبات أسفرت عن مقتل جماعة من أهل المعرة^(١) فخرج وفدٌ منهم إلى الأبواب السلطانية، حيث قابلوا السلطان في يوم الأربعاء ١٤ ذي الحجة/ يناير ١٤٥٠م ، وشكوا إليه ما أصابهم على يد ابن النائب وشيخ المعرة ابن العجيل، الأمر الذي أوجب "تغير خاطر السلطان عليهما" فأصدر أوامره بخروج الأمير جانم الساقى الظاهري إلى حماة لإحضار ابن بيغوث وابن العجيل "وفي رقبة كل واحدٍ منهما جنزير"^(٢) لاشك بأنها عقوبة مهينة لصاحبها قبل بلوغه الأبواب السلطانية، وأن السلطان رمى من ورائها الترهيب لكل من تسول له نفسه العبث في مصالح الرعية بغض النظر عن هويته ومكانته العسكرية والإدارية.

وفي يوم الجمعة ١٦ من ذي الحجة خرج الأمير جانم الساقى إلى نيابة حماة لتنفيذ الأمر السلطاني، في حين أنزل وفد أهل المعرة في دار الضيافة السلطانية على ما يبدو لحين حضور المدعى عليهما^(٣).

وفي ٢١ المحرم من العام التالي عاد الأمير جانم الساقى إلى القاهرة ، وفي صحبته إبراهيم بن بيغوث وابن العجيل مصفدين بالحديد ، وفي اليوم التالي، وقفا بين يدي السلطان، وبحضور أهل المعرة قرأ الأمير جانم على السلطان مطالعة النائب الحموي الأمير بيغوث، إلا أن السلطان لم يلتفت إلى ذلك بل أمر السلطان بعدها بحبسهما في أحد أبراج القلعة، وبادر بتطبيب خاطر أهل المعرة، فقال لهم: "قد حضر غرماؤكم"^(٤). وزاد السلطان على ذلك بأن أرسل أمراً بعزل الأمير بيغوث عن منصبه وحبسه بقلعة دمشق، فكان ذلك سبباً في عصيانه ولجؤه إلى العجل بن نعيم للاعتضاد به ضد السلطان المملوكي، فورد خبره إلى الأبواب

(١) ابن تغري بردي، المنهل، ج٣، ص٥٠٧-٥٠٨.

(٢) انظر ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج١، ص٢٢٦؛ السخاوي، التبر المسبوك، ٢٧٠.

(٣) انظر ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج١، ص٢٢٦؛ السخاوي، التبر المسبوك، ٢٧٠.

(٤) ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج١، ص٢٤٩-٢٥٠؛ انظر أيضاً المنهل، ج٣، ص٥٠٨-٥٠٩؛ السخاوي، التبر المسبوك، ص٥٠٨-٥٠٩.

السلطانية في جمادى الأولى^(١)، وعلى ما يبدو فإن السلطان المملوكي لم يرد أن يؤلب عليه أهل الشيخ المعري، أو إنه وجد بأن ابن العجيل دفع لمجاراة ابن النائب الحموي خوفاً من بطشه، فضلاً عن أن ما لحق بالشيخ المعري من أهانه وعقاب كانا كافيين لتأديبه، فأطلق سراحه في الأول من رجب والبسه الخلعة إيداناً باستمراره في منصبه^(٢). وأدرك بذلك نائب حماة بيغوث أن لا قبل له بمواجهة القوات المملوكية، فآثر الهروب، غير أن التركمان تمكنوا من القبض عليه في ديار بكر، وبعثوا بخبره إلى السلطان المملوكي وذلك ذي الحجة سنة ٨٥٤هـ / ١٤٥٠م^(٣).

وفي العام التالي أرسل الأمير قانباي الحمزاي نائب حلب بكتاب إلى السلطان المملوكي يتشفع فيه للأمير العاصي بيغوث، فوافق السلطان على عودته إلى الأراضي المملوكية^(٤).

وإن كانت الثورة السابقة انتهجت الطرق السلمية في التعبير عن سخطها على النائب، إلا أنها لم تكن كذلك في سنة ٨٨٢هـ / ١٤١٩م، عندما أستاذ أهل حماة من ظلم نائبهم الأمير قراجا الطويل، فعمدوا إلى رجمه بالحجارة، وإخراجه من حماة، وقتل دوداره ثم إحراق جثته بالنار، فكان لتمرد أهل حماة أثره البالغ على السلطان قايتباي الذي عمل على الحد من تفاقم الأزمة بحماة بإرسال خاصكياً يحقق في الأسباب التي دفعت أهل حماة للتجروء على نائبهم، وإلى أن تتبين نتائج التحقيق، أصدر السلطان أوامره بالقيام برحلة تفقدية للبلاد الشامية وذلك في

(١) أختلف ابن تغري بردي في تحديد اليوم الذي وصل فيه الخبر بين يوم الخميس ٨ جمادى الآخرة أو السبت ١٧ من ذات الشهر (انظر حوادث الدهور، ج ١، ص ٢٦٩؛ المنهل، ج ٣، ص ٥٠٨-٥٠٩؛ ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل، ج ٢، ق ٥، ص ٣١٠).

(٢) السخاوي، التبر المسبوك، ص ٣٠١.

(٣) ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج ١، ص ٣٠٢.

(٤) ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل، ج ٢، ق ٥، ص ٣٣٣.

جمادى الآخرة من ذات العام^(١)، غير أن تلك الرحلة لم تسفر عن نتيجة مرضية لأهل حماة ، إذ إن السلطان عمل على استمرار الأمير قراجا على نيابة حماة بعيد زيارته لها في شعبان^(٢).

وعلى ما يبدو فإن فشل السلطان المملوكي في معالجة ظلم نائب حماة كانت سبباً لاندلاع ثورة العربان في جمادى الأولى من العام التالي، والتي أسفر عنها هزيمة ساحقة للنائب الحموي قراجا، إضافة إلى ما خلفته من خسائر بشرية في المعسكر الحموي، مما حدا بنائب حلب إلى التدخل، للحد من خطر العربان، الذين بادروا بالفرار منه، غير أنهم ظلوا يشكلون مصدر قلق لنيابة حماة ، ومما لا شك فيه فإن سوء سياسية الأمير قراجا تلك، وما نتج عنها من ثورات متعاقبة كانت سبباً في القبض عليه وإيداعه سجن دمشق وتعيين الأمير أزدمر نائباً على حماة بدلاً منه، وذلك في شهر رجب سنة ٨٨٤هـ/ ٤٧٩م^(٣).

وقد حاول نائب حماة الأمير أزدمر حماية أهل حماة من العربان والقضاء على ثورة سيف الدين على البدوي الخياري في صفر من سنة ٨٨٥هـ/ ابريل ٤٨٠م، فدفع حياته وحياة عددٍ من أمراء حماة ثمناً لذلك^(٤)، وعندما نُقلت تلك الأخبار إلى السلطان المملوكي أبدا انزعاجه حيال تجرؤ العربان على نائب السلطنة بحماة، فجرد جريدة من عسكره في شهر ربيع الأول للقصاص من قتلة

(١) انظر ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل، ج ٢، ق ٧، ص ١٩١؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ١٣٢، ١٣٥؛ عبد الرحمن محمود، قايتباي المحمودي، ص ١٢٦؛ ومما يدل على الأثر البالغ الذي خلفته ثورة أهل حماة على السلطنة المملوكية، أن السلطان برسباي أوصى أمراء القاهرة بالنظر في أحوال الرعية والجند (انظر ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ١٣٢، ١٣٥)؛ والخاصية: هم الملازمون للسلطان في خلوته ويسوقون المحمل الشريف ويعتنون بكامل الكفال ويجهزون في المهمات الشريفة والمتعينون للإمرة والمقربون في المملكة، وقد كان عددهم أربعين خاصكياً في عهد الناصر محمد بن قلاوون، ثم زادوا حتى غدوا نحو الألف في عهد الأشرف برسباي (انظر محمد قنديل البقلي، تعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص ١١٤).

(٢) ابن الجيعان، القول المستظرف في سفر الملك الأشرف، ص ٧٧.

(٣) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ١٤٧، ١٥٨.

(٤) كان ممن قتل في المعركة الأمير الكبير بحماة وحاجب النائب (انظر ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ١٦٤؛ ابن طولون، مفاكهة الخلان، ج ١، ق ١، ص ١٣؛ عبد الرحمن محمود، قايتباي المحمودي، ص ١٢٦)؛ وسيف الدين على البدوي الخياري: قتل في جمادى الأولى سنة ٨٨٦هـ، على يد ابن عمه الذي كوفئ في جمادى الآخر من العام التالي بالخلع عليه ليستقر مكان الأمير المقتول (انظر ابن طولون، مفاكهة الخلان، ج ١، ق ١، ص ٤٢، ٥٥).

النائب الحموي، وأوكل قيادتها للأمير يشبك الدودار ، كما خرج معه عددٌ من الأمراء المقدمين والطلبخانات والعشرات إضافةً إلى الجند، وقد لهج الناس بأن هذه التجربة قد خرجت لسيف^(١). وتعدت الأوامر السلطانية خروج القوات المصرية ليشمل هذا الاستنفار عساكر نيابة دمشق الذين خرجوا من دمشق في صبيحة يوم السبت ١٥ من ربيع الآخر/ يونيه للمساهمة في وأد ثورة أمير العرب سيف الدين ومعاقبته على جرائمه^(٢). والتي وصلت إلى حد أنه لم يمكن أهل حماة من دفن جثث قتلهم بما في ذلك جثة النائب أزدمر حيث ظلت أجسادهم ملقاة في ساحة المعركة لم يدفنها أحدٌ من أهل حماة، حتى جاء نائب حماة الجديد الأمير حمزة سلفيس، فوارى أجسادهم التراب^(٣).

وفي يوم الثلاثاء وصلت القوات المصرية إلى دمشق لتنفيذ الأوامر السلطانية^(٤)، وفي تلك الأثناء لجأ الأمير الخياري إلى صاحب الرها الأمير يعقوب بن حسن الطويل، فتعقبته القوات المملوكية بما فيها عساكر حماة إلى الرها للقبض عليه، وعقب حصار شديد فرضه الأمير يشبك الدوداري على الرها بادر صاحبها يعقوب بن حسن الطويل إلى طلب الصلح مقابل تسليم الأمير سيف الدين الخياري ومبلغ من المال، غير أن الأمير يشبك رفض عرضه، فما كان من صاحب الرها إلا الدفاع عن مدينته دفاع المستميت، وتمكّن بذلك من كسر قائد القوات المملوكية الأمير يشبك الدوداري وأسرّه، وقتل عدداً من نواب بلاد الشام منهم نائب حماة الأمير جانم الجداوي^(٥). ويبدو أن الأمير العربي قد قويت شوكته

(١) أنظر ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص١٦٥-١٦٦؛ والتجريدة: فرقة من العسكر الخيالة لا رجالة فيها(انظر سعيد عبد الفتاح عاشور، العصر المماليكي، ص٤٢٦).

(٢) ابن الحمصي، حوادث الزمان، مج١، ص٢٤٢؛ عبد الرحمن محمود، قايتباي المحمودي، ص١٢٦-١٢٧.

(٣) السخاوي، الضوء اللامع، ج٢، ص٢٧٤.

(٤) ابن الحمصي، حوادث الزمان، مج١، ص٢٤٣.

(٥) هنالك من ذكر أن سبب الحملة يعود إلى طمع الأمير يشبك في بلاد أوزون حسن، وتحسين بعض الأمراء له أخذها بعدما ضربتها النزاعات(انظر السخاوي، وجيز الكلام، مج٢، ص٩٠٤؛ ابن الحمصي، حوادث الزمان، ج١، ص٢٥١؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص١٦٥-١٦٦، ١٧٠؛ عبد الرحمن محمود، قايتباي المحمودي، ص١٦٤)؛ ويعقوب بن حسن باك بن علي بن قرايلوك، تسلم السلطنة بعد وفاة أخيه أبي الفتح خليل ليصبح بذلك سلطان العراقين، كانت وفاته سنة ٨٩٦هـ- (انظر السخاوي، الضوء اللامع، ج١٠، ص٢٨٣).

عقب هذه الهزيمة وعاد لترويع أمن سكان نيابة حماة، فعمد عندها السلطان قايتباي إلى كفّ أذى جماعات العربان وأميرهم سيف الدين عن نيابة حماة، وذلك بإعمال الحيلة للتخلص منه حيث أرسل السلطان إلى نائب دمشق خلعةً لسيف الدين البدوي الخياري متظاهراً بأنه يريد استمراره في إمارته، فأرسلت الخلعة إلى النائب الحموي ليجهزها مع أحد كبار حماة فوقع اختياره على كبير الأكراد ليحملها إليه الأمير العاصي، وأثناء عملية التسليم التي تمت خارج مدينة حماة وثب ابن عم سيف الدين عليه، فقتله في جمادى الأولى من العام التالي^(١).

وفي رمضان من سنة ٩٠٠هـ/ مايو ١٤٩٥م، بادر أهالي حماة بالقصاص من النائب الحموي بأنفسهم بسبب تعديه على حرمة نسائهم، فاستغلوا فرصة خروجه لاستقبال أحد أمراء حلب ومنعوه من دخول البلد بقوة السلاح، وبشق الأنفس تمكّن النائب الحموي اقباي من دخول حماة، فتكاثر عليه الأهالي وحاصروه في بيته فضيقوا عليه الخناق، و عندما أدرك عجزه عن ضبط تلك الجموع الغفيرة المحيطة ببيته، بادر بطلب الصلح من الأهالي فوافقوا شريطة أن يحلف لهم على معاقبة من كان وراء ذلك الإفساد من جماعته، فكان لهم ما أرادوا وسكنت الفتنة^(٢).

بيد أن هذا التصرف الجماعي لم يرضِ السلطان قايتباي الذي استمع لشكاة نائب حماة فعد تلك الثورة تطاولاً واعتداءً على الحرمة السلطانية، وأنه يجب تأديبهم عليها، فكتب إلى النيابات الشامية لتدشين حملة تأديب ضد الأهالي المارقين عن الطاعة، فخرجت القوات الحلبية والطرابلسية والحمصية نحو حماة، ويبدو أنهم أفحشوا في تنفيذ العقاب حتى تألبت ضدهم نفوس أهالي دمشق، فبادروا لنصرة إخوانهم، وأعلنوا العصيان على نائبهم على الرغم من عدم مشاركته في هذه الحملة وتعفّفه عن الخروج^(٣).

(١) كان كبير الأكراد يدعى الحاج علي بن العبيس (انظر ابن صصري، الدرر المضيئة، ص ٥١٦؛ ابن طولون، مفاكهة الخلان، ج ١، ق ١، ص ٤٢).

(٢) السخاوي، الذيل التام، مج ٣، ص ٢٠٩؛ ابن الحمصي، حوادث الزمان، ج ١، ص ٣٨٥.

(٣) السخاوي، الذيل التام، مج ٣، ص ٢٠٩-٢١٠؛ ابن الحمصي، حوادث الزمان، ج ١، ص ٣٨٥؛ ابن طولون، مفاكهة الخلان، ج ١، ق ١، ص ١٦٥.

ولم يقف دور نيابة حماة على قمع حركات العصيان الداخلية ، وإنما امتدت مشاركتها إلى قمع حركات العصيان في النيابات الأخرى بدليل خروج الأمير دوليتباي نائبها إلى حلب في ربيع الأول سنة ٩٠٤هـ/أكتوبر ١٤٩٨م، لنصرة نائبها الأمير جان بلاط الذي حوَصِر في الشهباء من قبل الأمير أقبردي، الذي قاد ثورة داخلية ضده^(١).

وخلاصة القول فإن ما تعرضت له نيابة حماة من ثورات داخلية سواء تلك التي نظمها عامة الناس ضدّ نوابهم الذين مارسوا ضدهم تعسفاً وقسوة ، أو تلك التي نشبت ضد ثورات زعماء العشائر والعربان، أو تلك التي شاركوا من خلالها في مساعدة بعض النيابات المجاورة ضد الثورات الداخلية التي نشبت ضدها كل ذلك أسهم بنصيب وافر في تداعي كيان نيابة حماة وكان أحد عوامل سقوطها في نهاية المطاف.

علاقة نيابة حماة بحركات العصيان العامة في بلاد الشام ضد السلطنة بمصر:

كان لتوسط حماة بين دمشق وحلب، إضافةً إلى كونها همزة وصلٍ بين باقي النيابات الشامية الأخرى، أثره لدى الأمراء العصاة عند اندلاع نار ثوراتهم لكسب حاكمها إلى معسكرهم للاعتداد به ضد السلطنة المملوكية في مصر. إلا أن الثوابت السياسية التي سار عليها حكام حماة إبان عهد الأسرة التقوية من التزامها بالوفاء بتعهداتهم للسلطنة في مصر، حال دون انخراط حماة في تلك الحركات، إلى أن خضعت حماة للحكم المباشر للمماليك، عندها بدأ قادة حركات العصيان في دمشق وحلب محاولة جر النائب الحموي إلى هذا المجال، فكان لتواجد نيابة حماة في مُعترك الأحداث إما بالدعم العسكري أو المساعي الدبلوماسية ما أدى إلى

(١) ابن طولون، أعلام الوري، ص ١١٢.

إنجاح الكثير من التحالفات العسكرية بين تلك النيابات لعزل السلطان وتعيين غيره في سدة الحكم. ولعلّ تلك الأهمية التي أضحت عليها نيابة حماة، أدركها السلطان المظفر بيبرس الجاشنكير بعيد تقلده السلطنة سنة ٧٠٨هـ/١٣٠٨م، إذ بلغه قول نائب حماة الأمير قبجق بـ "من قال إنّ هذا خطُّ الملك الناصر؟ والله واحد يكون وكيلاً في قرية ما يعزّل نفسه منها بطيبة خاطره! ولا بدّ لهذا الأمر من سبب" (١)، والذي عدّه المظفر رفضاً صريحاً لتوليّه السلطنة، فعمل المظفر من أجل ذلك على استقطاب نواب حلب وحماة وطرابلس إلى معسكره بالطرق السلمية، بدأها بكتاب أرسله إلى الأمير قراسنقر افتتحه بالملاطفة فقال: "أنت خُشْدَاشِي، ولو علمتُ أنّ هذا الأمر يصعبُ عليك ما عملتُ شيئاً حتّى أرسلتُ إليك وأعلمتُك به، لأنّ ما في المنصوريّة أحد أكبر منك"، ثم شرع في تبرير أمر تنصيب نفسه سلطاناً فقال: "غير أنّه لما نزل ابنُ أستاذنا عن الملك اجتمع الأمراء والقضاة وكافة الناس، وقالوا: مالنا سلطان إلّا أنت، وأنت تعلم أنّ البلاد لا تكون بلا سلطان، فلو لم أتقدّم أنا كان غيري يتقدّم وقد وقع ذلك"، وعاد إلى أسلوب الملاطفة والملاينة فقال: "فاجعلني واحداً منكم ودبرني برأيك"، وأعقب ذلك دفع ثمن انضمام قرا سنقر ونائب حماة ونائب طرابلس إليه فقال: "وهذه حلب وبلادها درّستُ لك، وكذا لخُشْدَاشِيَّتِكَ: الأمير قَبْجَقُ والأمير أَسَنْدَمُرُ" (٢).

أما الناصر محمد فعلى الرغم من صغر سنه إلا أن مستشاريه دلوه على استثمار ولاء مماليك أبيه المطلق له، والذين كانوا يتولون مناصب عليا في الدولة، حيث أرسل الناصر إلى الأمير قبجق يشكو حاله إليه، ويذكره بفضل أبيه عليه، فقال: "أنتم مماليك أبي وربيتُموني. فإما أن تردوه عني، وإلا أسير إلى بلاد التتار"، فجاء رد قبجق "بأنّي مع الأمير قراسنقر نائب حلب" (٣). وهنا يظهر لنا بعد نظر النائب الحموي وكياسته، لأنه متأكّد من ولاء نائب حلب المطلق لبني

(١) كان الأمير قبجق قد قال هذه المقولة بعدما قرأ رسولا بيبرس وسلاّر كتاب عزل الناصر لنفسه عن الحكم (انظر

ابن تغري بردي، النجوم، ج ٨، ص ٢٣٩).

(٢) ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج ٨، ص ٢٤٢.

(٣) المقرئزي، السلوك، ج ٢، ص ٤٣٢.

قلاوون^(١)، فهو بذلك أجاب بمعاوضة الناصر محمد، ولكنه آثر التمويه في رده خوفاً من ردة فعل السلطان بيبرس الجاشنكير عليه.

وعلى الرغم من محاولة الأمير سلار إغماض عينه عما بدر من النائب الحموي قبجق، بدليل ما كان بينه وبين صاحب أمين الدين حيث خاطبه سلار قائلاً: "يا سبحان الله نسيت ما عمله قبجق أمس ها تريد تغيظه، حتى يعمل النوبة أنحس من النوبة الأولى، هو طالع رقاصاً عندكم، حتى تقولوا له: اعمل كذا، اعمل كذا ما يقنعكم، أنه قنع بحماة ويسكت عنكم"^(٢).

وكان لاجتماع كلمة نائبي حلب وحماة سبباً لاستجابة عدد من النواب للانضمام لهذه الحركة، ومنهم نائب صفد الأمير ناصر الدين محمد بن بكتمر الجوكندار الذي التحق بمعسكر الملك الناصر محمد، الذي كان قد رفض في البدء متعذراً "بالخوف من بيبرس وسلار، وأنه لولا ثقته به لما اجتمع به قط. فلما عرفه أيتمش طاعة الأمير قراسنقر والأمير قبجق أجاب بالسمع والطاعة، وأنه على ميعاد النواب إلى المضي إلى الشام"^(٣).

وما إن علم السلطان المظفر بأمر المراسلات التي تمت بين الناصر محمد ونواب حلب وحماة وطرابلس، وهروب عدد من قواته إلى الناصر، حتى أصدر أوامره بخروج القوات المصرية نحو حلب، فبادر نائب حماة قبجق بالمشاركة في هذه الحملة بإرسال قواته معهم، في محاولة أخرى منه للتمويه عن موقفه المؤيد لإعادة الناصر محمد لسدة الحكم، فدخلت عساكر حماة حلب، في يوم الخميس ١٩ ربيع الآخر سنة ٧٠٩هـ / سبتمبر ١٣٠٩م^(٤). في الوقت ذاته كتب إلى الناصر محمد يحذره من مغبة الاستمرار في تأليب نواب الشام ضده حيث خاطبه قائلاً :

(١) وهي إحدى الصفات التي وصفه بها الصفدي، أعيان العصر، ج٤، ص ٦٢.

(٢) الصفدي، أعيان العصر، ج٤، ص ٧١.

(٣) المقرئزي، السلوك، ج٢، ص ٤٣٦.

(٤) أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص ٥٦.

" إذ أنت لم ترجع عن مكاتبك للأمرء، وإلا نقلتك من الكرك إلى القسطنطينية، كما فعل الملك الأشرف خليل مع أولاد الملك الظاهر بيبرس البندقداري" (١).

فحسبت تلك الرسالة موقف الناصر، لضرورة إيقاف تعديات المظفر بيبرس، وبادر عندها بإرسال كتبه إلى نواب حلب وحماة وطرابلس يقول: "لما اشتدّ على الضنك من الأمرء، خرجت من مصر، وتركت لهم الملك، ورضيت من الدنيا بأحقّ الأماكن، وأضيق المساكن، ليستريح خاطري من النكد، فما يرجعوا عني، وأرسل المظفر يهدّني بالنفي إلى القسطنطينية، كما جرى على أولاد الظاهر بيبرس، وأرسل يطلب مني ما لا أقدر عليه، وأنتم تعلموا ما لوالدي عليكم من العتق والتربية، وما أظنكم ترضوا لي بهذا الحال، فأما أنكم تكفوني أمر هؤلاء الأمرء الذين تعصّبوا علىّ، وأما إنّي أتوجّه إلى بعض ملوك الشرق، وألتجئ إليه، قبل أن يرسلوني إلى القسطنطينية" (٢).

وفي خضم هذه التطورات بدأت قوات حماة انسحابها من حلب تمهيداً للإعلان عن تأييدها للناصر، فكان الأمير أبو الفداء ممن وصل إلى حماة في يوم الثلاثاء ١٩ رجب/ ديسمبر من السنة ذاتها (٣). وبعد اكتمال رجوع عناصر القوات الحموية خرج الأمير قبجق نحو دمشق لملاقاة الناصر محمد، فدخلها مع عساكره وعساكر الساحل في يوم الاثنين ٢٤ شعبان/ يناير ١٣١٠م (٤).

(١) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ١، ص ٤٢٦؛ القسطنطينية: عاصمة الدولة البيزنطية تم بناؤها سنة ٣٣٠م بأمر من الإمبراطور قسطنطين الأكبر على موقع كان يعرف سابقاً باسم بيزنطة لتكون قاعدة ملكة وأطلق عليها القسطنطينية نسبة إليه، وقد امتازت بموقعها الاستراتيجي الهام وحصانيتها الطبيعية والعسكرية (للمزيد من التفصيل انظر سعيد عبد الفتاح عاشور، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص ٢٦؛ سالم عبد العزيز فرج، دراسات في التاريخ و حضارة الدولة البيزنطية، ج ١، ص ١١-١٥؛ محمد سعيد عمران، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية مدخل الدراسة التاريخ السياسي و الحربي، ص ٢٨-٣٠؛ السيد الباز العريني، الدولة البيزنطية ٣٢٣-١٠٨١م، ص ٣٠).

(٢) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ١، ص ٤٢٦-٤٢٧.

(٣) أبو الفداء، المختصر، ج ٤، ص ٥٦-٥٧.

(٤) ابن أبيك، كنز الدرر، مج ٨، ص ١٧٥؛ الذهبي، دول الإسلام، ج ٢، ص ٢١٤؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج ٢، ص ٢٤٩؛ الصفدي، أعيان العصر، ج ٤، ص ٧٢؛ ابن دقماق، الجواهر الثمين، ص ٣٣٩.

وبتكامل توافد القوات الشامية قاطبة إلى دمشق جلب الناصر حواصله من الكرك لينفق على الجند، ثم خرج في يوم الثلاثاء ٩ من رمضان/فبراير نحو غزة، وفي خدمته نائب حماة وقواته، فوصلها في يوم الجمعة ٩ من رمضان، وفي تلكم الأثناء كانت القوات المصرية قد خرجت بقيادة الأمير برلغي لصد تقدم الناصر محمد، وما أن دنت من غزة حتى أخذت عساكر الحملة في الانسحاب نحو الناصر، وكان من بين من دخل في حرز الناصر قائد الحملة المصرية الأمير برلغي، وبذلك حسمت المعركة قبل أن تبدأ، فلما علم السلطان المظفر بيبرس بمجريات الأحداث وتكالب الأمراء وعامة الناس عليه، عزل نفسه من السلطنة وأرسل بكتابه إلى الناصر يخيره بأن يوليه صهيون أو حماة أو الكرك^(١).

ولم يقف دور نيابة حماة على تنصيب سلطان والإطاحة بحكم الآخر، وإنما تعداه إلى منع حدوث حركة عصيان جديدة، وذلك عندما احتدم الصراع بين الأمير أسندمر الكرجي والأمير أبي الفداء حول تولي نيابة حماة، وما أسفر عنه ذلك الصراع من عجز السلطان الناصر عن الوفاء بعهده الذي قطعه لأبي الفداء بإعطائه حماة التي آلت إلى الأمير المملوكي.

وما يهمنا هو تزامن هذا الصراع مع انتشار خبر رغبة نائب الشوبك الأمير سار في الهرب، فكان لابد من أن تثير هذه الأحداث مخاوف السلطان الناصر محمد إزاء حدوث حركة عصيان إن لم يحسم أمر سار، وأصر على محاباة وتقريب الأمير أبي الفداء ند الأمير أسندمر وغريمه، فتجتمع عندها كلمة الأميرين المملوكيين ضده، وتوحد جهودهما للإطاحة بحكمه في مصر.

عندها أخذ الناصر في التفكير في حيلة تمكنه من القبض على سار وإخراج الكرجي برضاه من حماة لكي يحجب عنه مصدر قوته، فخلص في نهاية

(١) بيبرس المنصوري، التحفة المملوكية، ص ٢٠١-٢٠٢؛ أبو الفداء، المختصر، ج ٤، ص ٥٧؛ الذهبي، دول الإسلام، ج ٢، ص ٢١٥؛ ابن نديم، الجوهر الثمين، ص ٣٣٩-٣٤٠؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ١، ص ٤٢٧-٤٢٩.

الأمر إلى إرسال استدعاء للأمير سلاّر يطلبه للحضور على الأبواب السلطانية ، ويغريه فيها بتقليده نيابة حماة، وفي الوقت ذاته بعث برسالة إلى أسندمر الكرّجي يأمره فيها بإخلاء حماة للأمير سلاّر، فخرج كلا الأميرين لتنفيذ أوامر السلطان الناصر، وما أن وصل سلاّر إلى القاهرة حتى أمر بالقبض عليه، أما الأمير أسندمر فما أن دخل دمشق حتى أصدر أمر عزله عن نيابة حماة ، وقلدت للأمير أبي الفداء، وبذلك تمكنت نيابة حماة من وأد حركة عصيان قبل مولدها^(١).

وعندما دبّ النزاع بين أمراء المماليك عشية وفاة السلطان الناصر محمد سنة ٧٤١هـ/١٣٤٠م، حول السلطة وتوزيع المهام العسكرية بينهم، وما أعقبها من استبداد الأمير قوصون بالحكم حيث خلع السلطان المنصور أبا بكر ونفاه إلى قوص، وولى السلطنة للأشرف كجك في سنة ٧٤٢هـ/١٣٤١م، وتفاقت الأحداث^(٢) بسعي قوصون إلى تضيق الخناق على أحمد ابن السلطان الناصر محمد متولي نيابة الكرك، لجأ الناصر إلى نواب البلاد الشامية، الذين أبدى بعضهم تعاطفاً كبيراً معه، وكان في مقدمتهم نائب حماة الأمير طقزمر الذي فضل عدم المجاهرة بهذا الموقف على خلاف نائب حلب الأمير طشتمر حمص أخضر، الذي أعلن ذلك صراحة، وأرسل يعتب على الأمراء سكوتهم، وحثّ الجميع على المطالبة بالخروج على قوصون، وأسند منصب السلطنة للأمير أحمد بن الناصر^(٣).

ويبدو أن موقف النائب الحموي كان فيه من الحكمة الشيء الكثير ، وهو يتضح فيما حملته الأيام من أحداث، فبعد أن فشل الأمير قوصون في القبض على نائب حلب جرد حملة عسكرية من القاهرة لتنفيذ هذا الغرض، وأرسل يستنفر

(١) أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص ٦٠.

(٢) الذهبي ، دول الإسلام، ج٢، ص ٢٤٨؛ الصفدي، أعيان العصر، ج٤، ص ١٣٩.

(٣) ابن دقماق، الجواهر الثمين، ص ٣٧١؛ المقرئ، السلوك، ج٣، ص ٣٤٥؛ ابن تغري بردي، النجوم، ص ٣٣؛ محمد جمال الدين سرور، دولة بني قلاوون، ص ٥٣-٥٤؛ وطشتمر حمص أخضر: من ممالك السلطان الناصر محمد بن قلاوون تقلد عدة مناصب نيابية في الأراضي الشامية منها نيابة صفد وحلب ثم تقلد نيابة السلطنة بمصر ، قبض عليه يوم السبت ٢٠ من ذي القعدة سنة ٧٤٢هـ، وكانت وفاته في العام التالي (انظر الصفدي، الوافي، ج ١٦، ص ٤٣٧؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٢، ص ٣٢٠؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج ٦، ص ٣٩٢).

نواب بلاد الشام بما فيهم نائب حماة للمشاركة في ذلك^(١)، فلبى نائب دمشق ونائب حمص ونائب طرابلس الأوامر، في حين آثر نائب حماة الأمير طقزدمر الصمت ولزوم نيابته معتزلاً بوجع ألم به^(٢)، فأثار تناقل طقزدمر مخاوف النائب الدمشقي إزاء أمرين أولاها عدم ولاء النائب الحموي وهو الأمير ذو المهابة والكلمة النافذة^(٣)، وثانيها أثر عدم مشاركته في هذه الحملة العسكرية في كشف ظهر القوات المصرية والشامية أثناء سيرها نحو حلب، فتكون بذلك عرضه لكمين من قبل الأمير طشتمر حمص أخضر من الشمال، والقوات الحموية وقوات أحمد بن الناصر من الجنوب مما يعني فناء الحملة قبل بلوغها حلب، فضلاً عن أن دمشق ستكون سهلة المنال لخلوها من العساكر، فعمد عندها النائب الدمشقي لتحليف طقزدمر "على طاعة السلطان الأشرف كجك، وألا يوافق طشتمر حمص أخضر نائب حلب ولا قطلوبغا الفخري، ولا يخرج من حماة حتى يعود الطنبغا من حلب، فحلف الأمير طقزدمر على ذلك"^(٤).

وعلى ما يبدو فإن نائب حماة رغب في ماطلة قائد الحملة، حتى يتسنى لطشتمر تدارك الوضع إما بالهرب، وإما بالاستعداد لمواجهة عسكرية، وقد نجحت خطته في إعطاء وقت أطول لنائب حلب، أسعفه في طلب مساعدة وعون تركمان بني دلغادر، الذين ساروا به وبأولاده ومماليكه نحو الأبلستين فتعقبه الأمير أطنبغا، ولكنه لم يتمكن من الإمساك به، فعاد أدراجه إلى حلب ليخبر الأمير قوصون بما جرت عليه الأمور^(٥).

(١) الذهبي، دول الإسلام، ص ٢٤٨؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٠، ص ٣٤.

(٢) المقرئزي، السلوك، ج ٣، ص ٣٤٧.

(٣) ابن تغري بردي، المنهل، ج ٦، ص ٤٢١.

(٤) المقرئزي، السلوك، ج ٣، ص ٣٤٧؛ وقطلوبغا الفخري هو الشهير بالناصر الساقى، من مماليك السلطان الناصر، وأحد خواصه فقربه إليه، ولكن سعادته لم تطل حيث قبض عليه الناصر، وسجنه ثم أطلقه بشفاعه الأمير تتكز، وخرج معه إلى دمشق، ثم عاد إلى مصر، حيث قتل في المحرم سنة ٧٤٤هـ (الصفدي، أعيان النصر، ج ٤، ص ١١٢؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٣، ص ٣٣٥؛ ابن تغري بردي، الليل، ج ٢، ص ٥٤٦).

(٥) المقرئزي، السلوك، ج ٣، ص ٣٤٨؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٠، ص ٣٤.

وفي تلك الأثناء خرج قطلوبغا الفخري نحو دمشق، مستغلاً غياب نائبها الطنبغا عنها، وبعد أن دخلها كتب إلى نائب حماة طقزمر يستدعيه للخروج إليه على رأس عدد كبير من رجاله فقوي به "جأشه وجأش من معه"^(١). وعندما سمع الطنبغا بهذا النبأ، قرر العودة إلى دمشق لتحريرها من الأمير قطلوبغا الفخري، فخرج من حلب مع قواته إلى حمص، ولكن قطلوبغا كان أسرع تحركاً منه حيث سار على رأس قواته من دمشق لإيقافه على مشارفها الشمالية^(٢). وعند ما علم النائب الدمشقي بأمر خروجه أثر عدم المواجهة معه، وجرت مفاوضات سلمية بين الطرفين، استمرت ثلاثة أيام، إلا أن هذه المفاوضات انتهت إلى طريق مسدود، وهنا يبدو أن الطنبغا استغل هذه الهدنة، وأمر ثلثة من جيشه بالتسلل من خلف المعسكر المعادي ليتسنى له حصاره والقضاء عليه، فأرسل فرقة عسكرية عن طريق المرج للالتفاف خلف معسكره، ولكن بعض أمراء الحملة آثروا الانضمام إلى قطلوبغا، فهزم النائب الدمشقي وولى هارباً عن طريق صفد^(٣). وهنا يبدو أن وقوف جيش حماة إلى جانب قطلوبغا كان له دور كبير في تحقيق هذا النصر، وإجبار نائب دمشق على التخلي عنها.

وبعد أن عاد قطلوبغا إلى دمشق منتصراً، حلف طقزمر على طاعة السلطان أحمد، ثم خرج إلى الكرك ليجلب السلطان إلى دمشق، غير أنه رفض ذلك، وكتب إليه يقول: "إن الفخري هو نائبي وهو يولي النيابات من يراه"^(٤)، فعاد نائب حماة بمن رافقة من الأمراء إلى دمشق حاملين معهم رد السلطان^(٥).

(١) الصفيدي، أعيان العصر، ج ٤، ص ١١٦؛ انظر أيضاً المقرئ، السلوك، ج ٣، ص ٣٤٧-٣٤٨؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٠، ص ٣٥-٣٦.

(٢) المقرئ، السلوك، ج ٣، ص ٣٤٩.

(٣) الذهبي، دول الإسلام، ج ٢، ص ٢٤٩؛ الصفيدي، أعيان العصر، ج ٤، ص ١١٦-١١٧؛ المقرئ، السلوك، ج ٣، ص ٣٤٩؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٠، ص ٣٦.

(٤) الصفيدي، أعيان العصر، ج ١، ص ٣٧٢.

(٥) الصفيدي، المصدر السابق، ج ٤، ص ١١٧.

ورغم أن حركة العصيان هذه لم تتعدى حدود بلاد الشام، إلا أنها نجحت في تأليب أمراء الديار المصرية ضدّ قوصون لاستبداده في الحكم دونهم، مما جعله موضع استياء عام من قبل الشعب والأمراء، فعملوا على تدبير ثورة ضده، ثم قبضوا عليه وأرسلوه إلى سجن الإسكندرية، وبذلك تمّ خلع السلطان الأشرف كجك من السلطنة وأقر السلطان الناصر أحمد مكانه^(١).

وفي سنة ٧٤٧هـ / ١٣٤٥م، شهدت نيابات الشام حركة عصيان شارك فيها نائب حماة الأمير أسنندر العمري، وذلك للإطاحة بحكم السلطان الكامل شعبان وإقامة أخيه أمير حاجي، فتحزبوا له وأرسل نائب دمشق الأمير يلغا اليحياوي بكتابه إلى السلطان يقول: "إني أحد الأوصياء عليك، وأن مما قاله الشهيد رحمه الله لي وللأمراء في وصيته، إذا أقمت أحد من أولادي، ولم ترتضوا سيرته جروه برجله، وأخرجوه، وأقيموا غيره. وأنت أفسدت المملكة، وأفقرت الأمراء والأجناد، وقتلت أخاك، وقبضت على أكابر أمراء السلطان الشهيد. واشتغلت عن الملك، والتهيت بالنساء وشرب الخمر، وصرت تتبع أخبار الأجناد بالفضة"^(٢). فجاءت تلك الرسالة مبطنة بتهديد مباشر بالعزل بسبب تلك التعديات التي اقترفها السلطان، ثم عضد نائب دمشق ذلك بكتاب آخر طالب من خلاله السلطان بالتخلي عن السلطنة جاء فيه: "إنك لا تصلح للملك، وإنك إنما أخذته بالغلبة من غير رضى الأمراء"، ثم أخذ يعدد أخطاءه التي ارتكبها وأتبع ذلك قائلاً: "ونحن ما بقينا نصلح لك، وأنت فما تصلح لنا. والمصلحة أن تعزل نفسك"^(٣).

(١) الذهبي، دول الإسلام، ج ٢، ص ٢٤٩؛ الصفدي، أعيان العصر، ج ٤، ص ١٣٩-١٤٠؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٠، ص ٣٩-٤٦.

(٢) المقرئ، السلوك، ج ٤، ص ٣٠؛ انظر أيضاً ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٠، ص ١٣٤؛ ويلغا اليحياوي: قتل سنة ٧٤٨هـ (انظر ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٥، ص ٢١٢؛ ابن تغري بردي، الليل، ج ٢، ص ٧٩٣).

(٣) المقرئ، السلوك، ج ٤، ص ٣١؛ انظر أيضاً ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٠، ص ١٣٦.

فاستشاط السلطان المملوكي غضباً، ودعا مماليكه ليحلفوا له على السمع والطاعة، ثم أصدر أوامره بتسيير حملة عسكرية إلى بلاد الشام للقضاء على ذلك التمرّد الذي قاده نائب دمشق، وفي الوقت ذاته دبر مؤامرة داخل مصر للتخلص من أخوية أمير حاجي وأمير حسن بسجنهما، وأعقب هذا نشوب ثورة عارمة ضده في مصر انتهت بالقبض عليه وإعدامه في يوم الأربعاء ٣ جمادى الآخر/ أغسطس من ذات العام^(١).

وجاءت البشارة من الديار المصرية إلى دمشق عن طريق حاجب الحجاب الذي قلّد نيابة دمشق للأمير يلغا، فحضر إليه نائب حماة في يوم الاثنين الثامن من الشهر في تجمل وأبهة^(٢)، وفي يوم الجمعة ١٢ من الشهر شهد نائب حماة الاحتفال الذي أعدّه يلغا بمناسبة تقلّده دمشق، حيث دخل نائب دمشق الجديد إلى ميدان الاحتفال في حشد كبير من عسكر بلاد الشام، ومعه نواب حماة وحمص وصفد "عن يمينه وشماله"^(٣).

وفي العام التالي شنت السلطنة المملوكية في مصر حملة اعتقال طالت عدداً من كبار أمرائها^(٤)، الأمر الذي أثار قلق نائب دمشق من أن تطال تلك الحملة النواب في بلاد الشام، فكتب إليهم يخبرهم مبيناً تخوفه من ذلك، ويعرض عليهم المشاركة في حركة عصيان شاملة ضد السلطان المظفر حاجي والمطالبة بعزله، فجاء رد نائب حلب أرغون شاه بالطاعة لما يراه مناسباً^(٥).

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٦٤٣-٦٤٤؛ ابن دقماق، الجواهر الثمين، ص ٣٨٢-٣٨٣؛ المقرئ، السلوك، ج ٤، ص ٣١-٣٣؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٠، ص ١٣٩-١٤٠.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٦٤٤.

(٣) السخاوي، وجيز الكلام، ج ١، ص ٢٢؛ انظر أيضاً الذهبي، العبر، ج ٤، ص ١٤١؛ الصفدي، أعيان العصر، ج ٥، ص ٥٨٧.

(٤) الذهبي، نيل العبر، ج ٤، ص ١٤٤؛ الصفدي، أعيان النصر، ج ٥، ص ٥٨٨؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٠، ص ١٦٣-١٦٤؛ السخاوي، الذيل التام، ج ١، ص ٢٦.

(٥) الذهبي، نيل العبر، ج ٤، ص ١٤٤؛ المقرئ، السلوك، ج ٤، ص ٤٩؛ السخاوي، وجيز الكلام، ج ١، ص ٢٧. وأرغون شاه: تولى الاستاذية زمن المظفر حاجي، ثم تدرج في تولي منصب النيابة لبعض النيابات الشامية إلى أن استقر نائباً لدمشق، قتل في ربيع الأول من سنة ٧٥٠هـ (انظر ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ١، ص ٣٧٣).

أما نائب حماة الأمير قطليجا فمع أنه ماطل في الردّ على نائب دمشق بعض الوقت، إلا أنه ما لبث أن رفض مشاركة نائب دمشق وحلب في ذلك، وزاد على ذلك بأن أرسل بكتاب يلبغا إلى السلطان في مصر يخبره بما كان يدبره ضد نائب دمشق وموافقة نائب حلب له^(١)، وهنا تصرف السلطان بحكمه بالغة، حيث تظاهر - على ما يبدو - بأنه لم يكن يعلم بتواطؤ نائب حلب مع نائب دمشق، فأصدر أمره بعزل الأمير يلبغا عن نيابة دمشق، ونقل نائب حلب الأمير أرغون شاه إلى نيابة دمشق، وأدى هذا الإجراء إلى تخلي أرغون عن مؤازرته ليلبغا، ومن ثمّ وأد هذه الحركة في مهدها^(٢).

وعلى أثر ذلك فر نائب دمشق نزولاً عند مشورة كبار مستشاريه إلى حماة، فخرج نائبها لاستقباله على مشارف المدينة متظاهراً في البداية بأنه سيؤويه عنده. إلا أن نائب حماة ما لبث أن قبض على يلبغا وأودعه ورجاله السجن، ولكي يبرهن على صدق اعتقاله لهم أرسل سيوفهم إلى السلطان^(٣). وظل يلبغا حبيس السجن بحماة حتى جاءت الأوامر من السلطان إلى نائب حماة قطليجا بترحيل الأمير يلبغا إلى القاهرة، فقتل وهو في طريقه عند قلعة قاقون، ثم وصل الأمير منجك إلى حماة لينقل من بقي من أهل يلبغا مقيدين في الأصفاد إلى مصر^(٤).

والذي يجدر ذكره هنا ، أن حركات العصيان السابقة سواء التي وقف فيها نواب حماة إلى جانب بقية نواب الشام، أو التي خالفوهم فيها، لم تصل إلى حد فصل بلاد الشام عن جسم السلطنة في مصر، وإنما اقتصر على المطالبة بعزل

(١) الصفدي، أعيان العصر، ج ٥، ص ٥٨٩؛ المقرئ، السلوك، ج ٤، ص ٤٩؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٠، ص ١٦٠.

(٢) الصفدي، أعيان العصر، ج ٥، ص ٥٨٩؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٦٤٦؛ المقرئ، السلوك، ج ٤، ص ٤٩.
(٣) أبو الفداء، المختصر، ج ٤، ص ١٤٨؛ الصفدي، أعيان العصر، ج ٥، ص ٥٨٩؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٤٤٧؛ ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج ٣، ص ١٠٤؛ المقرئ، السلوك، ج ٤، ص ٥٠.

(٤) أبو الفداء، المختصر، ج ٤، ص ١٤٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٦٤٧؛ الصفدي، أعيان العصر، ج ٥، ص ٥٩٠.

السلطان وإقامة آخر مكانه، غير أن هذه القاعدة ما لبثت أن كسرت في سنة ٧٥٣ هـ/١٣٥٣م، عندما استغل نائب حلب ببيغا أرس تسلط مجموعة من كبار الأمراء على السلطان الصالح صلاح الدين بن الناصر محمد، حيث نادى بنفسه سلطاناً على بلاد الشام، وتلقّب بالملك العادل^(١). وقد ساندته في ذلك كل من نائب حماة الأمير أحمد الساقى ونائب طرابلس، وتركمان بني دلغادر. حيث واعدهم ببيغا عند الرستن بالزحف على دمشق التي يبدو أنها لم تستجب لرغبته. وهنا يبدو أن السلطان أدرك حرج موقفه أمام هذه الحركة، فعمل على استخدام الحيلة في تفكيك هذا الحلف، وذلك بأن أرسل رسائل ملاطفة إلى كل من نائب حماة وطرابلس، إلا أن هذا الإجراء لم يجد نفعاً، إذ أدرك رسول السلطان بعد وصوله إلى دمشق تعاضم أمر ببيغا أرس، فكتب الأمير أرغون الكاملى نائب الشام إلى السلطان بمصر يطلب منه الخروج إلى الشام بنفسه حيث خاطبه بقوله: " بأن سفر السلطان لأبد منه، وإلا خرج عنكم الشام جميعه"^(٢). فكان لذلك النداء وقع كبير على السلطنة التي بادرت بتجهيز حملة عسكرية لقمع ثورة ببيغا أرس، وبعدما تكاملت الاستعدادات العسكرية ركب السلطان في يوم الاثنين ٧ شعبان/ أغسطس إلى الريدانية في طريقه إلى بلاد الشام^(٣).

أما نائب دمشق فما أن سمع باجتماع ببيغا أرس مع نائبى حماة وطرابلس عند الرستن وتوجههم نحو دمشق، حتى أخرج قواته لصددهم عنها، ولكنه لم يلبث أن تراجع عن ذلك عند ما علم بمخامرة أمراء دمشق لببيغا أرس، فخاف من الغد وترك دمشق وسار نحو الرملة ينتظر العساكر المصرية، في الوقت الذي توجه فيه أرس إلى حماة، ثم سار بنائبيها ونائب طرابلس إلى حمص، حيث استقبل بها رسول يحمل رسالة من السلطان يدعوه فيها للحضور إلى الأبواب السلطانية، إلا

(١) ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج٣، ص١٥٨؛ المقرئى، السلوك، ج٤، ص١٦٠.

(٢) المقرئى، المصدر السابق، ج٤، ص١٦٠-١٦١؛ وأرغون الكاملى: الشهير بالصغير تقلد نيابة حلب ثم دمشق، توفي في ذي الحجة من سنة ٧٥٨ هـ (انظر ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١، ص٣٧٥؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج٢، ص٣١٩؛ ابن طولون، إعلام الورى، ص٢١).

(٣) السخاوى، وجيز الكلام، ج١، ص٦١.

أنه لم يأبه بذلك بل قبض على الرسول وأكمل سيره نحو دمشق، وفي طريقه إليها بلغه نبأ مسير السلطان مع العسكر المصري إلى بلاد الشام، وفشا خبر عزل ببيغا عن حلب، فأوهن ذلك عزائم عساكره، وتوجس ببيغا خيفة منهم، فعمد إلى التحفظ على كثير منهم خوفاً من خروجهم عليه، وانضمامهم إلى عسكر السلطان، إلى أن وصل دمشق ، فدخلها بمساعدة بعض من أمرائها، وظل قائماً عليها^(١).

ويبدو بأن خوف ببيغا من انحلال وتراجع العساكر الحموية والطرابلسية عن نصرته، يفسر إطلاقه العنان لنائبي حماة وطرابلس، للإغارة على أعمال دمشق بعد وصولهم مشارفها في يوم الخميس ٥ من رجب، حيث قاموا بنهب الضياع والقرى المجاورة قرابة عشرة أيام، غير أن وصول خبر تقدم القوات المصرية نحو بلاد الشام أجبرهم على التراجع إلى دمشق^(٢)، فضلاً عن تخاذل أمراء التركمان والعرب، وانسحابهم إلى مواقعهم، كل ذلك أدى إلى شعور الأمير ببيغا وأمرائه بعدم قدرتهم على المواجهة، فأتروا التراجع إلى حلب، وذلك في يوم الثلاثاء ١٥ رجب، للتحصن بها، وإعادة ترتيب قواهم استعداداً للمواجهة مع عدوهم^(٣).

ومما لاشكَّ فيه فإن العساكر الحموية التي كانت قد راجعت نفسها في أمر العصيان قد حسمت موقفها في هذه المرة، حيث رأت أنه من الأسلم الكف عن مؤازرتها لنائب حلب، فتأخرت مع بعض عساكر حلب في سيرها وقدمت قوات ببيغا أرس التي دخلت حلب في ١٩ من شعبان، وظلت عليها في حين عمل المتخلفون من العساكر الحموية و الحلبية على الاتصال بالأهالي داخل حلب ، واتفقوا معهم على خطة لإجلاء القوات العاصية عن حلب، حيث عسكر من تخلف من عسكر حلب عند جبل جوشن ووزعت عليهم السناجق السلطانية فإذا ما أصبح الصبح صاح من في المدينة "يا منافقين العسكر وصل" فرفعت السناجق السلطانية

(١) المقرئزي، السلوك، ج٤، ص ١٦١-١٦٢؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٠، ص ٢٧٣.

(٢) ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج٣، ص ١٥٨؛ المقرئزي، السلوك، ج٤، ص ١٦٢؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٠، ص ٢٧٤؛ السخاوي، وجيز الكلام، ج٣، ص ٦١.

(٣) المقرئزي، السلوك، ج٤، ص ١٦٢؛ المقرئ، ج٢، ص ٥٦١؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٠، ص ٢٧٤..

وعندما ارتعب عسكر ببيغا وهموا بالفرار، خرج لهم كمين حاصرهم عند طريق ضيق حتى وافتهم بقية العساكر، فأجهزت على جل عساكر ببيغا أرس، الذي لاذ بالفرار مع نائبى حماة وطرابلس إلى أمير بني دلغادر الذي قبض عليهم وسجنهم عنده^(١). وكان من ضمن من قبضت عليه العساكر المتخلفة أخو نائب حماة الذي وُسط في قلعة دمشق يوم الاثنين ثالث الشهر، وبُعِد ذلك صدر أمرٌ بتقليد الأمير سيف الدين طنبرق نيابة حماة بدلاً من نائبها السابق أحمد الساقى^(٢).

ولم تشر المصادر التي تيسر لي الاطلاع عليها إلى أي تدخل لنيابة حماة في حركة عصيان بغية عزل سلطان، أو تنصيب آخر مكانه، أو دفع الأمراء عن السيطرة عليه وعلى مصر حتى سنة ٧٧٩هـ/١٣٧٧م، عندما استفحل أمر الأمير أينبك البدرى بمصر، بدأت عندها النيابات الشامية في التحزب ضد إدارة السلطنة في القاهرة للحد من تسلطه، فوصل خبرهم إلى الأبواب السلطانية في شهر ربيع الأول، وبمضي شهر على ذلك الخبر، بعث نائب حماة مع بقية نواب البلاد الشامية برسالة احتجاج على استبداد الأمير أينبك بالحكم، أوضحوا فيها استياءهم من صمت أمراء مصر عليه، فكانت تلك الرسالة كفيhle بتحريك أمراء مصر لتخطيط القبض على الأمير أينبك^(٣)، ويبدو أن تلك الرسالة أيقظت أيضاً أمراء مصر إلى ضرورة استئناف حركة تنقل بين النواب في بلاد الشام ليشغلهم ذلك عن أمر السلطنة، وليحد من تكتلاتهم العسكرية فنالت نيابة حماة نصيبها من

(١) المقرئزي، السلوك، ج٤، ١٦٤-١٦٥؛ انظر أيضاً المقرئ، ج٢، ص٥٦١؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٠، ص ٢٧٥-٢٧٦؛ المنهل، ج٣، ص٤٨٨؛ السخاوي، وجيز الكلام، ج١، ص٦٠-٦٢؛ وجبل جوشن: يوجد به عدة مشاهد منها مشهد الحسين الذي بناء الملك الصالح ابن الملك العادل نور الدين محمود، والمشهد الأحمر، ويبدو أن أهل حلب اتخذوا منها مدافن لموتاهم (انظر ابن شحنة، الدر المنتخب، ص٨٠، ٨٧، ٩١)؛ والصناجق: مفرداً صنجق أو سنجق: وهو لفظ تركي كان يطلق على اللواء والعلم والراية (انظر محمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، ص٩٣).

(٢) المقرئزي، السلوك، ج٤، ص١٦٥؛ ووسط: "عقوبة تقضي بضرب المحكوم عليه بواسطة السيف، على أن تكون الضربة قوية تحت السرة، فتقسم الجسم نصفين من وسطه وتتهار أمعاء المحكوم عليه إلى الأرض" (انظر سعيد عبد الفتاح عاشور، العصر المماليكي، ص٤٢٤).

(٣) ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٢٠٨-٢١٠؛ إبراهيم طوخان، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، ص٣؛ و أينبك البدرى: كان أحد أمراء الطبليخانات بالقاهرة، وفي عهد المنصور على تقلد أتابكية العساكر بمصر فأثار ذلك غضب الأمراء في بلاد الشام، ولم تطل مدته حيث قبض عليه وسجن بالإسكندرية، وكان قتله في سنة ٧٧٨هـ (ابن تغري بردي، المنهل، ج٣، ص٢٢١؛ الدليل، ج١، ص١٧٧).

النقل، حيث عين عليها الأمير حطط مكان أرغوان الأسعدي في شهر شعبان من ذات العام^(١).

وبنهاية عهد بني قلاوون وبداية عهد الظاهر برقوق الذي تولى عرش السلطنة بالقاهرة سنة ٧٨٥هـ/١٣٨٢م، واجهت السلطنة رفضاً من قبل بعض أمراء بلاد الشام لتغيير السلطة الحاكمة بمصر، ولكن ذلك الرفض لم يظهر على الساحة السياسية إلا عندما بادر نائب حلب الأمير يلغا الناصري بالانضمام إلى منطاش-الذي كان منفياً في بلاد الشام- في سنة ٧٩١هـ/١٣٨٩م، حيث انضوى تحت رايتهما عددٌ من النواب والأمراء في بلاد الشام، كان منهم عدد كبير من أمراء حماة الذين ما أن شعروا بإعراض نائبهم الأمير سودون العثماني عن الانخراط في تلك الحركة، حتى بادروا بتدبير مؤامرة لقتله، ولكنه تمكن من النجاة بنفسه إلى دمشق، فاستغل الحاجب سيف الدين بيرم العزي ذلك وأعلن مباشرة انضمام نيابة حماة إلى ثورة يلغا الناصري ومنطاش^(٢)، حيث بادر الأخير بدخول حماة، وشرع في الإحسان إلى أهلها، وكسب بذلك دعمهم^(٣). غير أن نائب حماة لم يرض بخروج نيابته من بين يديه فأخذ بإعداد العدة وتجهيز العساكر لاستعادتها، فنال ذلك الإجراء -على ما يبدو- مباركة السلطنة بمصر، بدليل صرفهم نفقات هذه الحملة للنائب الحموي، وذلك لكي تعينه على استكمال الترتيبات العسكرية، وقد انضم إليه الأمير صارم الدين إبراهيم بن همز التركماني لمساعدته في العودة إلى مقر نيابته، فانطلقا نحو حماة وعندما وصلا إليها اصطدما بعساكر منطاش، التي تمكنت من إجبارهما على التراجع إلى حمص^(٤).

(١) ابن تغري بردي، النجوم، ج ١١، ص ١٦٩.

(٢) ابن حجر، إنباء الغمر، ج ٢، ص ٣١٤؛ المقرئ، السلوك، ج ٥، ص ٢١٧؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج ٦، ص ١٦١-١٦٢؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ٢، ص ٣٩٦؛ منطاش الأشرفي: قتله الظاهر برقوق في سنة ٧٩٥هـ، عقب فشل حركة العصيان التي قادها ضد الظاهر برقوق (انظر ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٥، ص ١٣٤).

(٣) ابن صصري، الدرر المضيئة، ص ٤.

(٤) المقرئ، السلوك، ج ٥، ص ٢١٩؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج ١، ص ١٩٠.

ومما تجدر الإشارة إليه بأن مشاركة أمراء حماة لمنطاش وبلغا الناصري كان له بالغ الأثر في تمكينهما من السير نحو دمشق ومنها إلى القاهرة فدخلها في يوم الاثنين ٥ من جمادى الآخرة من ذات العام، وأعيد بعدها السلطان حاجي ابن الملك الأشرف شعبان سلطاناً على دولة المماليك، ونصب الأمير الثائر بلغا الناصري أتابكاً للعسكر في ٢٦ من ذات الشهر، وخلالها عين الأمير أحمد المهندار نائباً على حماة بدلاً من الأمير سودون العثماني، وذلك في ١٥ من ذات الشهر، ثم خلع عليه خلعة السفر في يوم الخميس ٢٢ من جمادى الآخرة/ إبريل^(١).

ولكن سعادة بلغا ومنطاش لم تدم طويلاً حيث تمكن السلطان السابق برقوق من التخلص من سجنه بالكرك بعدما التف حوله عدد من الأمراء منهم نائب حلب الأمير كمشبع الحموي المؤيد لحكمه، فاستفحل بذلك أمر برقوق في بلاد الشام، عندها اجتمعت رايات نائب حماة الأمير تتكز الأعور ونائب صفد وأمراء دمشق وغيرهم لضرب برقوق ومن معه عند صفد في ذي القعدة من سنة ٧٩١هـ/ سبتمبر ١٣٨٩م، فمنا بهزيمة نكراء أجبروا جرائها على ترك بلاد الشام قاطبة والعودة إلى الأبواب السلطانية بمصر، فدخل الأمير تتكز وأمراء نيابته جنتم الأسعردي والطنبغا المارديني وغيرهما، إضافة إلى عدد من أمراء بلاد الشام القاهرة في يوم ٢٣ من ذي القعدة من ذات العام^(٢).

فكانت تلك الهزيمة مؤشراً لنجاح عودة السلطان برقوق لسدة الحكم في القاهرة، حيث تتالت بعدها الانتصارات التي حققها برقوق على الصعيد العسكري، كان أولها وقعة شقحب التي حدثت في يوم الأحد ١٤ محرم سنة ٧٩٢هـ/ نوفمبر ١٣٨٩م، والتي أعقبها تمكنه من خلع السلطان حاجي من السلطنة وإعادة نفسه على عرش مصر^(٣).

(١) ذكر ابن الفرات بأن تعيين الأمير أحمد تم في يوم الخميس ١٩ من جمادى الآخرة (انظر تاريخ ابن الفرات، مج ٩، ج ١، ص ٩٤، ١٠٦-١٠٨؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج ٢، ص ٣٢٣-٣٢٧؛ ابن صصري، الدرر المضيئة، ص ٢٣).

(٢) ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، مج ٩، ج ١، ص ١٥٧-١٥٩؛ انظر أيضاً المقرئ، السلوك، ج ٥، ص ٢٦١-٢٦٣؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج ١، ص ٢٦٣؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ٣، ص ٤١٧.

(٣) ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، مج ٩، ج ١، ص ١٩٥، ١٩٩؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ٣، ص ٤٣٨-٤٤٠؛ القرماني، أخبار الدول، مج ٢، ص ٢٩٤-٢٩٥.

ثم تلتها حركة تعقب للأمرء الخارجين عن طاعته الذين نجوا من شقحب واعتصموا بدمشق وكان منهم الأمير منطاش، الذي جهز قوة لضرب حلب وإخراج نائبها الأمير كمشبع الحموي الذي وقف إلى جانب السلطان برقوق، وظل الأمير طغاي تمر القبلوي نائب حماة من قبل منطاش في دمشق، وعلى ما يبدو فإنه خلال تحرك قوات منطاش إلى حلب، بلغهم خبر تقدم حملة الظاهر برقوق إلى دمشق، ففر نائب حماة من دمشق وفي صحبته ٢٠١ من رجال منطاش، ولحقوا بالفرقة العسكرية التي كانت قد بدأت حصاراً على حلب، وقد استغل برقوق خلو نيابة حماة من نائبها فعين الأمير مأمور القلمطاوي نائباً على حماة في يوم السبت الأول من شهر ربيع الآخر ليؤكد بذلك على سيادته على حماة^(١)، فخرج النائب الجديد مع قوات السلطان للقضاء على منطاش، فاصطدموا بعساكر منطاش عند سلمية في يوم الجمعة ٨ من شعبان في ذات العام، ولكنهم هزموا ووقع في الأسر الأمير مأمور القلمطاوي ووسط بعدها، وخلت بذلك حماة من نائب يمارس سلطته الإدارية عليها^(٢)، بيد أن خلو منصب النيابة بحماة ساعد على تثبيت سيطرة السلطان برقوق عليها إذ باتت تتبع مباشرة نفوذ السلطان حين أعلن عن ذلك في ٢١ رمضان/ يولييه من ذات العام^(٣).

وبدأت قوات نيابة حماة مشاركة قوات السلطان برقوق في إعادة نشر نفوذها في بلاد الشام، وذلك بقيادة نائبها الجديد الأمير أحمد المهندار، الذي يبدو أن السلطان برقوق اختاره لهذا المنصب، حيث خرجت قواته في يوم الجمعة ٢٣ ذي الحجة لضرب منطاش في عينتاب، والذي ما إن سمع بخروج قوات برقوق نحوه حتى لاذ بالفرار إلى مرعش بعد أن دبت الفرقة بين قواته، ففارقه عدد من عساكره لينضموا إلى قوات السلطان، وبذلك عادت قوات حماة ومن معها إلى

(١) المقرئزي، السلوك، ج ٥، ص ٢٩٢-٢٩٣؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٢، ص ٧.

(٢) ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، مج ٩، ج ١، ص ٢١٨-٢١٩؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٢، ص ١٥-١٦.

(٣) ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، مج ٩، ج ١، ص ٢٢٢؛ المقرئزي، السلوك، ج ٥، ص ٢٩٣-٢٩٦؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٢، ص ٨؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج ١، ص ٣١٣.

تكناتها دون أيّ صدام مع قوى منطاش، وكان وصولها إلى الأبواب السلطانية بمصر في يوم الأربعاء ١١ صفر سنة ٧٩٣هـ / نوفمبر ١٣٩١م^(١).

ولم تقف علاقة نيابة حماة بحركة منطاش ومن انضم إليه من عرب نعيم والتركمان عند هذا الحدّ، بل تعرضت حماة لهجوم عسكري جديد من قبله في يوم الأربعاء ٢٣ ربيع الثاني/مارس، فهرب نائبها أحمد المهندار تاركاً حماة تواجه مصيرها، حيث دخلها منطاش، ولكنه أدرك بأن إقامته في حماة يعني استنفار القوات الشامية ضده، فانسحب منها وسار إلى بعلبك، وقد صدق حدس منطاش، حيث فرغ أهل دمشق لسقوط حماة في يد منطاش، وبادر النائب الدمشقي للإعداد من أجل استعادتها، إلا أن خبر انسحاب منطاش عنها أثنى عزمه عن الخروج لتخليصها منه^(٢).

وفي الأول من رجب طرق منطاش حماة مرة أخرى وهو في طريقه لمهاجمة دمشق، ويبدو أن نائب حماة أدرك غاية الأمير منطاش ومن معه وهي دمشق، ففضل عدم الاصطدام به، وانسحب إلى طرابلس صوناً لعساكره من منطاش ومن بعض سكان حماة الذين يظهر بأنهم كانوا مؤيدين لمنطاش، يدل على ذلك إقدام بعض النساء عند دخول منطاش لحماة، بإطلاق الزغاريد ترحيباً بقدمه، فأعطاهم منطاش عندها الأمان، وخرج منها دون أن يمس أهلها بسوء^(٣).

وإن كانت حماة قد سلّمت في هذه المرة فإنها لم تسلم عندما دخلها منطاش ومن معه عقب هزيمته لنائبي حماة وطرابلس وقواتهما بالقرب من حماة في يوم الاثنين ٨ جمادى الآخرة سنة ٧٩٥هـ / مارس ١٣٩٣م، إذ تعرضت حماة للنهب من قبل العربان المؤيدين لمنطاش، ولم ينقذها سوى تدخل نائب حلب الذي أرسل قواته لكبس بيوت العربان ليَجبرهم على العودة لنجدة أهلهم وترك حماة، كما

(١) ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، مج ٩، ج ١، ص ٢٣٧؛ مج ٩، ج ٢، ص ٢٤٧.

(٢) ابن صصري، الدرر المضيئة، ص ٧٥-٧٦.

(٣) ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، مج ٩، ج ٢، ص ٢٥٥؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج ١، ص ٣٢٨.

نجحت خطته هذه في استدراج قوات العربان للكمان التي أعدت للقبض عليهم فقتل منهم أعداداً كبيره، وبذلك نجت حماة من دمار محقق^(١).

وبُعِيد هذا التاريخ استقرت الأوضاع في نيابة حماة بعض الوقت، وذلك بعد مقتل منطاش بعد أربعة أشهر من هجومه السابق عليها، حيث حمل رأسه إلى حماة على سن رمح وطيف به في شوارع حماة في رمضان من ذات العام^(٢)، ولم يشترك نوابها في حركة عصيان أخرى، حتى توفي السلطان برقوق في ١٥ شوال من سنة ٨٠١هـ/ يونيه ١٣٩٩م، وتقلّد ابنه فرج السلطنة من بعده، حيث شهد عصره عدداً من حركات العصيان بدأت عشية تقلده السلطنة مباشرة، عندما استغل عدد من أمراء المماليك حداثة سنه، وتنافسوا للفوز بالوصاية عليه، وكان على رأسهم نائب الشام الأمير تتم، الذي أعلن أحقيته بالوصاية على السلطان فرج، وقاد بها ثورة ضد أمراء السلطنة في مصر. وهنا يبدو أن تتم وجه دعوة إلى كافة نواب الشام لمشاركته في هذه الثورة، ومنهم نائب حماة دمرداش المحمدي، الذي تلقى رسالة من تتم في صفر من عام ٨٠٢هـ/ ١٤٠٠م، يدعوه فيها لمشاركته في هذا الخروج، إلا أن دمرداش رفض طلب تتم^(٣)، فكان ذلك الرفض سبباً في خروج قوات تتم نحو حماة في ٦ من ربيع الأول، فعمد نائبها إلى التحصن بمدينة، وشرع في دفع الأمير تتم وقواته، فتمكن دمرداش من تسديد ضربات موجعة إلى صفوف قوات تتم أودت بحياة أربعة من أصحابه، الأمر الذي أجبر تتم على فك حصار حماة، وخاصة بعد ورود خبر مقدم الأتابك أيتمش إلى دمشق حيث قرر العودة إلى دمشق، فدخلها في ٥ من ربيع الآخر^(٤).

(١) ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، مج ٩، ج ٢، ص ٣٣٣.

(٢) ابن الفرات، المصدر السابق، مج ٩، ج ٢، ص ٣٤١؛ ابن مصري، الدرر المضيئة، ص ١٣٩؛ السخاوي، الذيل التام، ج ١، ص ٣٧١؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج ١، ص ٣٦١.

(٣) المقرئزي، السلوك، ج ٦، ص ٥٧؛ ابن حجر، أنباء الغمر، ج ٤، ص ٣٠؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٢، ص ١٨١؛ المنهل، ج ٥، ص ٣١٨؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ٣، ص ٥٤٢، ٥٥٤.

(٤) المقرئزي، السلوك، ج ٦، ص ١١-١٢؛ ابن حجر، أنباء الغمر، ج ٤، ص ١٠٣؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٢، ص ١٩٠-١٩٣؛ المنهل، ج ٥، ص ٣١٨؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ٣، ص ٥٦١-٥٦٢.

وقد أدى فشل الأمير تتم في الاستيلاء على حماة إلى البحث عن طريقة أخرى تمكنه من الحصول على دعم وتأييد النائب الحموي، فأشار عليه الأمير تغري بردي، بأن يتوجه إليه بصحبة الأمير أيتمش ليدعواه للدخول في طاعتها. ومما لا شك فيه أن عرض الأمير السابق لم يطرح إلا عندما أيقن صاحبه بأن رباطة جأش النائب الحموي ستحول دون انضمامه إلى معسكر الأمير تتم إن أجبر بالقوة العسكرية، وأنه لا يؤخذ إلا بالملاينة، فوافق عندها الأمير تتم على رأي الأمير تغري بردي، فخرجا بعد أيام إلى حماة ليلتقيا بنائبها الأمير دمرداش، وأسفر ذلك اللقاء عن نجاح باهر حققه تغري بردي بإقناع دمرداش في الانضمام إلى معسكر الأمير تتم، فعادا بعد ذلك إلى دمشق وفي جعبتهما وعد شفوي بالطاعة، ولم يتمكن عندها الأمير تتم من إخفاء علامات السرور التي بدت عليه^(١).

وقد ظهر حرص الأمير تتم لشد عضده بنائب حماة وكسبه في صفه ، عندما حضر إليه الأمير دمرداش المحمدي ليضع نفسه تحت تصرفه في منتصف ربيع الآخر، حيث بادر تتم بإغداق الأموال عليه طيلة خمسة الأيام التي قضاها في دمشق إضافة إلى إقراره بالاستمرار في نيابة حماة^(٢).

ثم عاد الأمير دمرداش إلى حماة لحشد عساكره وإعدادها للخروج إلى دمشق للمشاركة في قتال القوات السلطانية، فدخل دمشق على رأس قواته في ١٣ من جمادى الآخرة^(٣)، وفي ٢٥ جمادى الآخرة خرج منها بمعية العساكر الطرابلسية والحلبية وجاليش تتم متوجهين نحو غزة، حيث جرى صدام بين

(١) المقريزي، السلوك، ج٦، ص١٣؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٢، ص١٩٤؛ المنهل، ج٥، ص٣١٨؛ ابن إلياس، بدائع الزهور، ج١، ق٣، ص٥٥٥؛ وتغري بردي الشيبغاوي الظاهري: تقلد مهام نيابتي حلب ودمشق، توفي في يوم الخميس ١٦ محرم ٨١٥هـ (انظر ابن تغري بردي المنهل، ج٤، ص٣١).

(٢) ابن حجر، إنباء الغمر، ج٤، ص١١٠-١١١؛ المقريزي، السلوك، ج٦، ص١٥؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٢، ص١٩٤.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم، ج٢، ص١٩٧؛ ابن إلياس، بدائع الزهور، ج١، ق٣، ص٥٧١.

عسكره وبين العساكر المصرية التي تسارعت إلى المنطقة لمنع القوات الشامية من دخول مصر، وعلى الرغم من النجاح الذي تحقق للقوات الشامية في هذه المعركة، إلا أن انسحاب نائب حماة المفاجئ من ساحة المعركة، كان له أبلغ الأثر في إضعاف الروح المعنوية للجيش الشامية، حيث حذا حذو بعض القادة، الأمر الذي أدى إلى كسر جاليش تتم أمام القوات السلطانية، ومن ثمّ تقهقرها إلى قواعدها^(١).

ويمكن أن نغزو انسحاب النائب الحموي المفاجئ من ساحة المعركة إلى موقفه المسبق المعارض لثورة تتم، وأن موافقته على الذهاب بعسكره إلى دمشق، يعود إلى خوفه على حماة وأهلها من أن يصبّ الأمير تتم جام غضبه عليها إن لم يسانده في حركته هذه، أو لعلّ انسحابه يعود إلى شكّه في أن يغير تتم موقفه ويتخلّى عن خروجه على السلطنة، خاصةً وإن تأخر الأمير تتم عن الحضور إلى غزة قد عزّز من ذلك الشك، كما لا يستبعد أيضاً أن انضمام نائب حماة إلى تتم ثم انسحابه في غزة يعود إلى تنسيق مسبق مع السلطان المملوكي لإحداث ثغرة في القوات المتمردة عليه، لتتمكّن القوات السلطانية من كسرها، وسواءً كان هذا أو ذاك فإن النائب الحموي لم يسجن أو يقتل مثل باقي الأمراء الذين لقوا حتفهم بعيد انتصار الناصر فرج على الأمير تتم، وإنما كافأه بنقله إلى نيابة حلب التي كانت تحتل المرتبة الثانية بعد نيابة دمشق^(٢).

ولم تقم نيابة حماة في ثورة أخرى حتى سنة ٨٠٦هـ/١٤٠٣م، حيث ورد اسم النائب الحموي علان جلق المؤيدي ضمن المؤيدين لحركة الأمير دقماق المحمدي الذي قاد ثورة بسبب قرار عزله عن نيابة حلب، إلا أن ذلك التأييد لم

(١) ابن حجر، إنباء الغمر، ج٤، ص١١٥-١١٩؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٢، ص٢٠٣-٢٠٤؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج٢، ص٥٣؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٣، ص٥٧١؛ وجاليش: لها عدة معانٍ منها مقدمة الجيش أو الحرب أو المعركة (انظر محمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، ص٥٠).

(٢) ابن تغري بردي، النجوم، ج١٢، ص٢٠٤، ٢١٠؛ المنهل، ج٥، ص٣١٨؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج٢، ص٥٤؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٣، ص٥٨٢.

يكن - على ما يبدو - باقتناع تام منه، بل انتقاءً لشر دقماق، ولعل مما يؤيد هذا القول، أنه في الوقت الذي أيد فيه نائب حماة ثورة دقماق المحمدي، فإنه قد جعل من مدينة حماة ملاذاً آمناً لبعض الأمراء الفارين من بطش دقماق^(١).

وعندما قاد الأمير جكم النائب السابق لحلب حملة ضد الأمير دمرداش المحمدي نائب حلب الجديد، وذلك في صفر من سنة ٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م، انضم النائب الحموي علان إلى جكم، وكان له دور في كسر دمرداش وأخذ حلب منه، وعندما دخل الأمير جكم إلى حلب أنعم على علان بممتلكات دمرداش، فضلاً عن إقراره على حماة^(٢).

ولكن موقف النائب الحموي علان ما لبث أن تبدل، بعدما أن علم بتقدم القوات السلطانية نحو بلاد الشام، فدخل عندها علان في طاعة السلطان وخالف الأمير جكم، وذلك في ٩ من ذي القعدة/ إبريل^(٣)، كما استقبل نائب طرابلس الأمير شيخ السليمان في بارين في ٢٠ من ذي القعدة، ونصحه بالكتابة إلى السلطان يطلب منه تأجيل تنفيذ أمر عزله عن طرابلس حتى تهدأ الجبهة الشامية^(٤)، ويبدو بأنه رمى من وراء ذلك توفير قوة عسكرية حليفة لحماية حماة إذا ما تعرضت لإغارة من قبل الأمراء الخارجين على طاعة السلطان.

(١) ابن حجر، إنباء الغمر، ج ٥، ص ١٣٧-١٣٨؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٢، ص ٢٩٠؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج ٢، ص ١٨٥؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ٣، ص ٦٨٧؛ عادل عبد الحافظ حمزة، نيابة حلب، ج ٢، ص ١٢٥-١٢٦.

(٢) ابن حجر، إنباء الغمر، ج ٥، ص ١٩٧؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٢، ص ٣١٠؛ السخاوي، الذيل التام، ج ١، ص ٤٣٥-٤٣٦؛ وفي لمحة مقتضبة عن سبب عصيان الأمير جكم، العائد إلى الوحشة التي نشبت بينه وبين الدودار الكبير يشبك الذي عمل على نقله لنيابة صنف، مما أوقع بينهما الحرب التي أفضت إلى هزيمة يشبك وتقلد الأمير جكم الدودارية الكبرى في القاهرة، غير أن الأمير سودن طاز عمل على الإيقاع فيما بينه وبين السلطان، فأنتهى الوضع بسجن الأمير جكم في الإسكندرية، ثم في حصن المرقب، ثم في حلب، حيث أطلقه نائبها الأمير دمرداش في يوم عرفة سنة ٨٠٦هـ، بيد أنه أثر العصيان والهرب إلى حماة ومنها إلى أنطاكية حيث التجأ إلى صاحب الباز التركماني عدو دمرداش، ثم سعى للاستيلاء على طرابلس سنة ٨٠٧هـ (للمزيد من التفاصيل انظر ابن تغري بردي، المنهل، ج ٤، ص ٣١٣-٣١٧).

(٣) ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٢، ص ٣١٥.

(٤) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ٣، ص ٧١٦؛ وعن كان يتقلد نيابة طرابلس في تلك الفترة (انظر السيد عبد العزيز سالم، طرابلس الشام، ص ٣٢٣؛ والأمير شيخ السليمان: كان من ممالك الظاهر برقوق، وقد تنتقل في عدة نيابات منها طرابلس، توفي سنة ٨٠٨هـ) (انظر ابن تغري بردي، المنهل، ج ٦، ص ٣١٤).

وأياً كان مرمى النائب الحموي فإنه قد نال شرف النقل من نيابة حماة إلى نيابة حلب في ذي الحجة من ذات العام، في حين أوكلت مهام نيابة حماة للأمير دقماق المحمدي الذي لم يهنأ بمباشرة مهامها طويلاً، حيث خرج عليه الأمير جكم والأمير شيخ -اللذان ثارا ضد قرار عزلهما الأول في حلب والثاني في دمشق- لقتاله في حماة، عندها استتجد بالأمير نوروز نائب دمشق، والأمير علان نائب حلب، فأنجدها بوحدهاتهما العسكرية، وظلوا مرابطين على حماة حتى جاءتهم الأخبار بسيطرة دمردأش على حلب، فبادر الأميران نوروز وعلان لاستردادها منه تاركين حماة ونائبها لمصيرهما، فاستغل جكم خلوها من حلفاء دقماق وباغتها في رجب سنة ٨٠٨هـ / نوفمبر ١٤٠٥م، فكسر عساكر حماة وقبض على نائبها دقماق وقتله صبراً بظاهر حماة^(١).

وبذلك أعاد جكم نشر نفوذه في حماة، غير أن سيطرته على المناطق الشمالية للبلاد الشامية لم تكتمل إلا بعد كسره نائب دمشق الأمير شيخ -الذي كان قد تغلب على دمشق بعد فرار نوروز إلى طرابلس- عند الرستن في يوم الاثنين ٥ ذي الحجة، فقتل في تلك الواقعة عدد كبير من الأمراء والنواب الشاميين^(٢)، عندها أعلن جكم سيطرته الفعلية على حلب وحماة وطرابلس دون منازع، ومما يدل على ذلك تسلطه في ٩ من جمادى الآخرة سنة ٨٠٩هـ / أكتوبر ١٤٠٦م، وتلقبه بالملك العادل أبي الفتح، وضربه للسكة باسمه والخطبة له من على جميع المنابر بما فيها حماة^(٣)، والتي استمرت حتى قُتل على يد التركمان في أواخر العام، فعادت حماة إلى سابق عهدها نيابة تتبع السلطنة في القاهرة^(٤). نتج عن حركة عصيان نائب حلب الأمير جكم انسلاخ أجزاء من بلاد الشام عن تبعية

(١) ابن تغري بردي، المنهل، ج٤، ص ٣١٨-٣١٩؛ ج٥، ص ٣١٢-٣١٣؛ ج٦، ص ٢٧٠.

(٢) ابن حجر، إنباء الغمر، ج٥، ص ٣٠١-٣٠٢؛ ج٦، ص ٢٦؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج٤، ص ٣٢٠-٣٢١؛ ج٦، ص ٢٧١؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج٢، ص ٢١٩-٢٢٠؛ السخاوي، النيل التام، ج١، ص ٤٤٧.

(٣) ابن حجر، إنباء الغمر، ج٦، ص ١٠، ٢٦؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج٤، ص ٣٢١؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج٢، ص ٢٢٩.

(٤) ابن حجر، إنباء الغمر، ج٦، ص ١٠-١٢، ٢٧؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج٤، ص ٣٢٣؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج٢، ص ٢٣٠؛ السخاوي، النيل التام، ج١، ص ٤٤٨.

دولة المماليك، وعدّ ذلك مؤشراً خطيراً ينبئ بمدى تفسخ نسيج الدولة وعجز السلطان فرج عن إحكام سيطرته على أمراء المماليك، وهو ما كان له انعكاساته السلبية على السياسة الخارجية.

وظلت بلاد الشام مسرحاً للثورات المتعاقبة ضد السلطنة المملوكية في مصر، والتي لم تسلم من أضرارها نيابة حماة، حيث استمرت الأخطار تحيط بحماة من كل الجهات، خاصة وأن رؤوس الفتنة كنوروز وشيخ ودمرداش، لم يغيبوا عن الساحة السياسية في الأراضي الشامية، وعلى الرغم من محاولة السلطان فرج لإقرار الأوضاع في بلاد الشام بتعيين الأمير شيخ على طرابلس، وبكتمر جلق على دمشق، ودمرداش على حلب، إلا أن الأخير سعى لتفجير الأوضاع بين نوروز وشيخ، فاستدعى الأمير العاصي نوروز من عند التركمان واستضافه في نيابته حلب وذلك في ١٢ من جمادى الأولى سنة ٨١٢هـ/ ١٤٠٩م، ثم كاتب الأبواب السلطانية بطلب تقليد نوروز نيابة دمشق وتعيين الأمير تغري بردي الصغير نائباً على حماة، فأثار ذلك التصرف حفيظة نائب طرابلس الأمير شيخ الذي خرج نحو حماة في ٢٤ من جمادى الآخرة لمنع تقدم الأمير نوروز نحو دمشق، فحاصره فيها، وشرع في تضيق الخناق عليه، فاستجد نوروز بحليفه دمرdash الذي خرج بقواته من حلب لمساندة نوروز، فوصل حماة في ٢١ من شعبان ليفاجأ بتصدي شيخ له، أما نوروز فخشي الخروج إلى ظاهر حماة، لمساعدة حليفه دمرdash الذي كسر في نهاية المطاف^(١).

وفي تلك الأثناء تمكن الأمير شيخ من استقطاب عدد من قبائل العرب والتركمان لمساندته عسكرياً في إحكام الحصار على حماة، وخلالها شن الأمير تمرارز نائب حماة غارة عسكرية كبس فيها شيخ العرب العجل في ليلة الاثنين ٩

(١) المقرئزي، السلوك، ج٦، ص ٢٤٠، ٢٤٣؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج٦، ص ١٥٢؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج٦، ص ٢٧٤-٢٧٥؛ يعود سبب تعيين الأمير شيخ على نيابة طرابلس بعد أن كان نائباً على دمشق، إلى إنفاذ شروط الصلح الذي وقع بينه وبين السلطان الناصر إثر عدم تمكن الأخير من القبض على الأول بعد اعتصامه بصرخد في سنة ٨١٢هـ (للمزيد من التفصيل انظر ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج٦، ص ٢٧٤-٢٧٥).

من ذي الحجة فذهب منه مواشي كثيرة ودار بينهما قتال عنيف لم ينقذ العرب منه، سوى تدخل الأمير شيخ الذي أطبق الحصار على حماة قرابة ٧ أشهر^(١)، فنال طول الحصار من أهل حماة وأعيانهم شدته، فأجبر أعيانهم الأميرين نوروز ودمرداش على اتخاذ وسيط فيما بينهم وبين الأمير شيخ، فوقع اختيارهم على أمير العرب العجل، ويبدو أنهم أدركوا أن السبب الرئيس الذي دفع نائب طرابلس لحصار مدينتهم، يعود إلى تواجد الأمير نوروز، فطلبوا من العجل إقناع نوروز بالخروج من حماة، وطالبوه بأخذ الأمان لهم من الأمير شيخ، فخرج العجل إلى شيخ ليخبره بأمر نوروز، غير أن نائب طرابلس شك في أن تكون حيلة من حيل نوروز، فأرسل بعضاً من مماليكه ورجال العجل ليتحققوا من الأمر، وعندما دخلوا إلى حماة قبض عليهم، ووضعوا في المعتقل، عندها لجأ أهل حماة لاتباع سياسية فرق تسد، فأقنعوا رجال العجل بالكتابة إلى شيخهم العجل يخبرونه بوقوع صلح بين الأمير نائب طرابلس شيخ ونوروز، وأن الأخير اشترط في مقابل ذلك أن يقبض على العجل ويسلمه له، فوافق نائب طرابلس الأمير شيخ على ذلك، وأرسل كتاباً إلى العجل الذي ما أن قرأه حتى بادر بالانسحاب من معسكر شيخ خوفاً على نفسه، فلحق به شيخ ليسترضيه ويعيده، فاستغل الأميران دمرdash ونوروز الوضع وأغاروا على معسكر شيخ فذهبوا خيله ووطاقه، وعندما عاد شيخ ولم يدرك العجل بادر بالانسحاب من حمص وأرسل في طلب الصلح مع نوروز^(٢). فوافق الأخير وخرج من حماة بمن معه إلى شيخ في ظاهرها، واتفقا على تقليد نيابة حلب للأمير نوروز وحماة للأمير جانم من حسن شاه^(٣).

(١) المقريزي، السلوك، ج٦، ص٢٥١؛ والعجل بن نعيم بن حيار بن مهنا: ويقال أن اسمه يوسف ابن محمد شارك في إشعال نار الفتن الداخلية على الأراضي الشامية قتله نائب حلب غيلة في سنة ٨١٦هـ، وبموته كسرت شوكة آل مهنا (انظر ابن حجر، أنباء الغمر، ج٧، ص١٣٤).

(٢) المقريزي، السلوك، ج٦، ص٢٥٢؛ ابن حجر، أنباء الغمر، ج٦، ص١٥٩-١٦٠؛ ووطاقه: لفظ تركي بمعنى الخيمة الكبيرة أو المخيم أو الغرفة (انظر محمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، ص١٥٥).

(٣) ابن تغري بردي، المنهل، ج٦، ص٢٧٥؛ والأمير جاتم بن عبد الله من حسن شاه الظاهري، قتل سنة ٨١٤هـ (انظر ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج٤، ص٢١٦).

لم تتعم حماة بالهدوء طويلاً، حيث تعرضت للتهديد بالإغارة عليها إن لم يسلمها نائبها الجديد الأمير تغري بردي الصغير، للأميرين شيخ ونوروز في الأول من المحرم سنة ٨١٤هـ/مارس ١٤١١م، فما كان من نائبها إلا أن تحصن بها وامتنع عن تسليمها وظل مرابطاً فيها، وخلالها وصل السلطان الناصر إلى برزة^(١).

وبالرغم من وصول شيخ لسدة الحكم وتنصيبه سلطاناً على دولة المماليك في الثاني من شعبان سنة ٨١٥هـ/١٤١٢م^(٢)، إلا أن ذلك لم يوقف دولا ب حركات العصيان في بلاد الشام، إنما زاد من تسارعها؛ من ذلك ما حدث عندما أرسل السلطان الجديد المؤيد شيخ الأمير قرقماس لقتال الأمير نوروز نائب دمشق في ٢٠ من المحرم سنة ٨١٦هـ/إبريل ١٤١٣م، فانضم إلى معسكره أخوه نائب حماة الأمير تغري بردي سيدي الصغير، فساروا مع عدد من الأمراء والنواب لمهاجمة نوروز^(٣) الذي يبدو بأنه كان أخذ طريقه إلى حماة ليطرد منها الأمير المتمرد دمرداش، فبادر الأخير بالفرار من حماة إلى حلب^(٤). أما القوات التي خرجت للقبض على نوروز فلم تتمكن من الاصطدام مع نوروز، بل أثرت الانسحاب من غزة إلى الأبواب السلطانية، وبذلك لم يتمكن الأمير تغري بردي الصغير من مزاولته سلطته الإدارية على حماة، حتى قبض عليه المؤيد شيخ وسجنه إلى أن قتله في الأول من شوال من ذات العام^(٥).

وبذلك لم تعد نيابة حماة إلى تبعية الأبواب السلطانية بمصر، بل استمرت خاضعة لنفوذ نوروز طيلة سنة ٨١٦هـ/١٤١٣م، عين خلالها الأمير قمش نائباً

(١) ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج٦- ص ٢٨٠.

(٢) ابن الوكيل، تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب، ص ٦٦.

(٣) المقرئزي، السلوك، ج٦، ص ٣٤٨-٣٤٩؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج٦، ص ٢٩٠-٢٩٤؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج٧، ص ١٠١-١٠٢؛ العيني، عقد الجمان، حوادث سنة ٨١٦هـ، ص ١٦٣.

(٤) ابن حجر، إنباء الغمر، ج٧، ص ١٠١-١٠٢؛ العيني، عقد الجمان، حوادث سنة ٨١٦هـ، ص ١٦٣.

(٥) ابن تغري بردي، المنهل، ج٦، ص ٢٩٠-٢٩٤؛ العيني، عقد الجمان، حوادث سنة ٨١٦هـ، ص ١٦٣-١٦٤؛ ١٦٩، ١٧٨.

عليها، واستمر الأخير يسيّر أمورها حتى تمكن السلطان المؤيد شيخ من القبض على الأمير نوروز في ربيع الآخر سنة ٨١٧هـ/مايو ١٤١٤م^(١)، وعلى الرغم من سقوط الأمير المتمرّد في يد السلطان شيخ إلا أن إعلان السيادة السلطانية على النيابة الحموية قد تأخر بعض الوقت، و لعلّ ذلك يعود إلى انشغال السلطان بتصفية حساباته مع أتباع الأمير نوروز حتى الأول من جمادى الآخرة من ذات العام، حيث أسند السلطان نيابة حماة للأمير تنبك المحمدي^(٢)، إلا أن الوضع في نيابة حماة لم يهدأ طويلاً، حيث انسلخت حماة عن النفوذ السلطاني مرة أخرى، عندما أعلن نائب دمشق الأمير قانباي المحمدي نائب دمشق العصيان على السلطان المؤيد شيخ في جمادى الأولى من العام التالي^(٣).

قرر السلطان الخروج بنفسه للقضاء على هذه الفتنة، حيث دارت معركة بين السلطان المؤيد شيخ والأمير قانباي المحمدي نائب الشام، كان النصر فيها من نصيب السلطان، وذلك في يوم الخميس ١٤ شعبان، و بعدها دخل السلطان المؤيد حماة ليأخذ منها قاعدةً لتعقّب من فرّ من الأمراء، وكان منهم نائب حماة الأمير تنبك البجاسي الذي أعلن السلطان عزله، وعين مكانه الأمير جارقطلو فباشير النائب الجديد مهام نيابته إضافةً إلى قيامه بتقديم المساعدات للسلطان الذي استمر في تعقّب من اشترك من الأمراء في هذه الثورة^(٤).

وفي سنة ٨٤٢هـ/١٤٣٩م، أسهمت نيابة حماة في القضاء على ثورة تغري برمش نائب حلب الذي تمكن من هزيمة أتابك حلب الأقطج وعددٍ من أمراء

(١) العيني، عقد الجمان، حوادث سنة ٨١٦هـ، ص ١٦٠.

(٢) العيني، المصدر السابق، حوادث سنة ٨١٧هـ، ص ٢٠٢-٢٠٣.

(٣) العيني، المصدر السابق، حوادث سنة ٨١٨هـ، ص ٢٢٩-٢٣٠؛ وقانباي المحمدي الظاهري برقوق: ويكتب اسمه بعدة حالات منها قانباي أو قاني باي أو قنباي، تولى نيابة الشام من قبل المؤيد شيخ قتل في سنة ٨١٨هـ (ابن تغري بردي، المنهل، ج ٤، ص ١٦٨؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج ٣، ص ٤٤).

(٤) أنظر المقرئزي، السلوك، ج ٦، ص ٣٩٤-٣٩٥؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج ٧، ص ١٨٤؛ العيني، السيف المهند، ص ٣٣٦، ٣٣٧؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٤، ص ١٣٥؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج ٢، ص ٣٥١-٣٥٣؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٢، ص ٢١-٢٤.

حلب، ففرو إلى حماة في نهاية شهر شعبان للاحتماء بنائبها الأمير قانباي الحمزاوي، فكتب الأخير إلى الأبواب السلطانية يخبرهم بتفاقم أمر تغري برمش ، فردّ السلطان بإصدار قرارات نقل عدة طالت معظم نواب الشام منهم النائب الحموي نفسه، حيث صدر قرار نقله إلى نيابة طرابلس، وعين مكانه الأمير بردبك العجمي الذي كان يتقلّد حجابية حلب، فباشّر بردبك مهام نيابته على الفور بحكم تواجده فيها بعد فراره من حلب، أما الأمير تغري برمش فقد استمر خروجه على السلطنة، وتوجه إلى عينتاب فاستولى عليها من ذات العام^(١).

ولم يشكل النائب الحلبي الخطر الوحيد على حماة، فقد عمد نائب دمشق إلى التمرد على السلطنة، ولكنه لم يجاهر بذلك خوفاً من معارضة بقية النواب، فلجأ إلى الحيلة للقضاء عليهم، فجمعهم في دمشق بحجة القضاء على الأمير تغري برمش ليتسنى له القبض عليهم، وهنا يبدو أن النائب الحموي أدرك تلك المكيدة وبقي في نيابته، فنجأ مما حيّك في الخفاء، ولكنه ظل بين فكي كماشة مهدداً بالإغارة عليه من الشمال والجنوب^(٢).

ويبدو بأن نائب حماة بردبك رأى بأن الهجوم خير وسيلة للدفاع، فتوجّه إلى حلب حتى يحول دون تقدم تغري برمش إلى حماة ، وكان الأخير في تلك الأثناء قد انضم إليه جموعٌ غفيرة من التركمان والعرب وشرع في التحرك نحو حلب لاستعادتها، وعندما وصل إلى الجوهرى شرع في نصب خيامه فيها، وأمر بعضاً من قواته بضرب أحد أبواب حلب، فخرج إليه نائب حماة الأمير بردبك

(١) انظر المقرئزي، السلوك، ج٧، ص٣٩٧-٣٩٨ ؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج٩، ص٥٥-٦١؛ ابن تغري بردي، النجوم ، ج١٥، ص٢٨٨؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج٤، ص٦٨-٦٩؛ ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل، ج٢، ق٥، ص٤٨، ٦٨؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٢٠٧؛ و تغري برمش : اسمه الحقيقي حسين بن أحمد التركماني، قتل في سنة ٨٤٢هـ (ابن تغري بردي، المنهل، ج٤، ص٥٨؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص٣٥)؛ والأقطع من تماراز الظاهري برقوق: كان من أحد أمراء الطبلخاناه في القاهرة ثم رقي لأتابكية حلب، توفي سنة ٨٤٣هـ (انظر ابن تغري بردي، الدليل، ج٢، ص٥٤٤؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٦، ص٢٢٢).

(٢) انظر المقرئزي، السلوك، ج٧، ص٣٩٨؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج٩، ص٦١-٦٢؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٢٠٨.

لدفعه عن دخولها، ويبدو بأنه استبسل في ذلك بدليل كثرة القتلى بين الطرفين ، وفي اليوم التالي الجمعة ٢٥ شوال تجدد الصدام بين النائب الحموي وقوات تغري برمش عند باب النيرب، وانتهى ذلك بجرح الأمير بردبك وعددٍ من أمراء حلب، وفي يوم الخميس ٢ من ذي القعدة أخذ تغري برمش في التقدم نحو الميدان، بعد أن اشتد عوده بكثرة القوات التي انضمت إليه، الأمر الذي أدّى إلى حرج موقف الأمير بردبك، خاصة بعد أن نصب تغري برمش مجانيقه مقابل أسوار حلب، وهنا أدرك أهل حلب أن مدينتهم مهددة بالخطر، فالتفوا حول الأمير بردبك، وتمكّن بمساعدتهم من دفع قوات تغري برمش، وإجباره على الانسحاب عن حلب، وذلك في يوم الجمعة ٣ ذي القعدة من ذات العام^(١).

ولكن تلك الهزيمة لم تكن لترضي الأمير تغري برمش الذي ما إن أعاد تنظيم صفوفه، حتى بادر بالقصاص من نائب حماة، فتوجّه إليه بقواته المتنوعة الأعراق فمرّ بحلب في يوم الجمعة ٩ ذي القعدة ولم يحاول استعادتها، وإنما اكتفى بضربها، ثم رحل عنها في اليوم التالي نحو حماة بعدما وصله خبر نجدة العساكر السلطانية للنائب الحموي، فعجل سيره نحو حماة، حتى يقطع الطريق على العساكر المصرية فبلغ جبل التل بالقرب من حماة في يوم الجمعة ١٦ من ذي القعدة، ليجد العساكر الحموية والمصرية في انتظاره، فوقع بين الطرفين قتال عنيف، وانتهى بهزيمته للمرة الثانية، وفر بعدها باتجاه الجبل الأقرع، ومنه إلى الدربند، حيث أسر هناك مع عدد من أصحابه في ٢٢ من ذي القعدة، ثم سلّم بعد ذلك لنائب حماة لأمر بردبك والأمير قطج في اليوم التالي، ونفذ فيه بعد ذلك حكم القصاص بموجب الأوامر السلطانية، وأرسل رأسه إلى القاهرة، وذلك في ذي الحجة من سنة ٨٤٢هـ/١٤٣٩م^(٢).

(١) المقرئزي، السلوك، ج٧، ص٤١٩؛ انظر أيضاً ابن تغري بردي، النجوم، ج١٥، ص٢٩٣؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج٤، ص١١٢-١١٣؛ ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل، ج٢، ص٥، ص٨٥؛ وباب النيرب: من أبواب مدينة حلب يقع في جانبها الشرقي، وسمي بذلك لأنه يخرج منه إلى قرية النيرب (انظر ابن شحنة، الدر المنتخب، ص٤٣)؛ والجوهري: لم أجد له تعريفاً فيما توفر لي من مصادر اطلعت عليها.

(٢) ابن حجر، إنباء الغمر، ج٩، ص٧١-٧٥؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج٤، ص١١٨؛ ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل، ج٢، ص٥، ص٨٧؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٢١٦.

ودخلت نيابة حماة بعد ذلك في سبات طويل في علاقاتها بحركات العصيان التي قادتها بعض النيابات الشامية، ولم يوقظها غير حركة عصيان الأمير أقبردي الدودار في سنة ٩٠٣هـ/٤٩٨م، والذي رفض تنفيذ قرار عزله، ولجأ إلى نائب حلب الأمير إنيال الفقيه السلحدار، فانضوى الأخير تحت رايته وعزم على تسليم نيابته له، فثار عندها أهل حلب، لمنع تنفيذ هذا القرار، وطردوا نائبهم وضيّفه عن المدينة، وشرعوا بعدها في تحصين مدينتهم، فلاذ الأميران إلى النائب الحموي الأمير على دولات لمساعدتهما في قمع ثورة أهل حلب، فأخرج النائب الحموي قواته تلبيةً لطلب الأمير أقبردي فصحبوهم إلى حلب وضربوا الحصار عليها ٧٠ يوماً، وفي تلك الأثناء أرسل السلطان محمد بن قايتباي قواته إلى الشام لإخماد هذه الثورة، ففر أقبردي ونائب حلب والقوات الحموية إلى عينتاب، فتعقبته القوات السلطانية وأوقعت بهم، فانكسر أقبردي وحلفاؤه وقتل الكثير من أتباعهم ومنهم إني نائب حماة، وحمل رأس أحدهما إلى القاهرة ليطاف به مع رأس إنيال السلحدار، وذلك في ١٤ من شوال من ذات العام^(١).

أما الأمير على دولات فقد عاد إلى حماة بعد هذه الهزيمة، ولبس الخلعة السلطانية في ٢٣ من جمادى الآخرة سنة ٩٠٤هـ/٤٩٩م، متظاهراً بتبعيته للسلطان الظاهر قانصوه، في حين هرب الأمير أقبردي إلى قلعة البيرة^(٢). ويبدو بأن القوات السلطانية قد سكتت عنه بعد لبسه الخلعة السلطانية، وفضلت انتظار أوامر السلطان بشأنه.

(١) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ٣٨٣، ٣٨٩، ٣٩١؛ ابن الحمصي، حوادث الزمان، مج ٢، ص ٤٤-٤٥؛ وقد ذكر كل من البصري وابن طولون أحداث حركة أقبردي في سنة ٩٠٤ (انظر البصري، تاريخ البصري، ص ٢٣٤، ٢٣٩؛ ابن طولون، مفاكهة الخلان، ج ١، ق ٣، ص ١٩٤).

(٢) البصري، تاريخ البصري، ص ٢٤١؛ ابن الحمصي، حوادث الزمان، مج ٢، ص ٦٧؛ ابن طولون، أعلام الوري، ص ٩٢.

ومما لاشك فيه فقد دفعت هذه الحوادث المعقدة إدارة السلطنة في القاهرة لإبعاد الأمير على دولات عن نيابة حماة، حتى لا يعود فيدعم القوى الخارجية على السلطنة، والتي لم يُقَضَّ عليها نهائياً، فصدر أمرٌ سلطاني بنقل على دولات إلى نيابة طرابلس، وأسندت نيابة حماة للأمير يخشباي في ٧ من شهر رجب^(١).

ولم تكد تهدأ وتيرة حركات العصيان التي تزعمتها النيابات الشامية حتى اندلعت نيران حركة جديدة قادها نائب دمشق الأمير قسرويه في سنة ٩٠٥هـ/ ١٥٠٠م، أيده فيها نائب حماة الأمير يخشباي، ورد السلطان على ذلك بأن أصدر قراراً نصَّ على عزل يخشباي من منصبه، وإسناد نيابة حماة إلى نائب جديد وهو الأمير قانصوه بن سلطان جركس^(٢). إلا أن انشغال إدارة السلطنة بالقاهرة في عملية إنهاء حكم السلطان قانصوه في نهاية العام، حال دون تنفيذ ذلك القرار بعض الوقت، حيث استمرَّ الأمير يخشباي نائباً على حماة حتى نصب الأمير جان بلاط سلطاناً على الدولة، حيث بادر إلى إصدار أوامره بإرسال ثلثة من قواته إلى بلاد الشام، وفي معيَنتهم نائب حماة الجديد قانصوه بن سلطان جركس في محاولة منهم لإخماد ثورة نائب دمشق قسرويه ومن انضم إليه من نواب الشام، وفي مقدمتهم نائب حماة المعزول يخشباي، في ربيع الآخر من العام نفسه^(٣). إلا أن هذا الأمر لم يدخل حيز التنفيذ لتفاقم الأوضاع في بلاد الشام، وخروج جميع النيابات الشامية على طاعة السلطان جان، حيث قرر نواب الشام بمن فيهم نائب حماة المسير إلى الأراضي المصرية للإطاحة بحكم السلطان جان بلاط (٩٠٥هـ/ ١٤٩٩)، وتنصيب آخر مكانه، فنزلوا بالريديانية في يوم الجمعة ١٠ جمادى الآخرة، وأخذوا بتشديد الحصار على القلعة حتى تمكنوا من القبض على السلطان جان

(١) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ٤١٠؛ ابن الحمصي، حوادث الزمان، مج ٢، ص ٦٨.

(٢) تضاربت الأقوال فيمن نال شرف تقليد نيابة حماة حيث ذكر البعض بأنه قانصوه بن سلطان جركس، وذلك في ٨ ذي القعدة من ذات العام، والبعض الآخر ذكر بأن الأمير قيت الرجبي هو من أسقط في نيابة حماة، والأول هو الأرجح (انظر ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ٤٣٦-٤٣٦؛ ابن الحمصي، حوادث الزمان، ج ٢، ص ١٠٠-١٠٢؛ ابن طولون، أعلام الوري، ص ١٣٣-١٣٩).

(٣) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ٤٥١، ٤٦٩؛ ابن الحمصي، حوادث الزمان، ج ٢، ص ١١٤؛ ابن طولون، مفاكهة الخلان، ج ٢، ص ١٠٠-١٠٢؛ أعلام الوري، ص ١٣٨-١٣٩.

بلاط في يوم الجمعة ١٧ جمادى الآخرة ، ونصب الأمير طومان باي سلطاناً على دولة المماليك^(١)، وبذلك ظل الأمير يخشاي متولياً نيابة حماة حتى قبض عليه السلطان طومان باي في رجب سنة ٩٠٦هـ/ديسمبر ١٥٠٠م، وأسندت حماة للأمير سيباي على مضض منه^(٢).

ويبدو بأن النيابة الحموية التزمت بعد ذلك جانب السلطنة في مصر لشعورها بعدم جدوى المشاركة في حركات عصيان أخرى، على الرغم من حرص بعض الأمراء التأثيرين على مشاركة نواب حماة في حركات العصيان ضد السلطنة، ودفع نوابها ثمن موقفهم المعارض للعصيان غالباً مثل ما حدث سنة ٩١٠هـ/١٥٠٤م، حيث أغار على حماة نائب طرابلس الأمير دوليتاي الذي قاد حركة عصيان على السلطنة في مصر، فأجبر نائبها الأمير جانم للهرب منها إلى دمشق وترك حريمه فيها، ودخل دمشق في ليلة الخميس ٦ من جمادى الآخرة على حال يرثى لها من الخوف على نسائه اللواتي خلفهن وراءه بحماة، فأنزله نائب دمشق بالقلعة وظل مقيماً فيها حتى صدر أمر عزله واستبداله بالأمير سودن الدوداري^(٣).

وختاماً يمكن القول، إن انغماس نيابة حماة في حماة حركات العصيان التي قادها عدد من أمراء بلاد الشام ونوابها ضد السلطنة في مصر، والتي لم تفلح في انفصال بلاد الشام عن السلطنة في مصر، أو في تحقيق قدر كاف من الأطماع الشخصية لهم، قد تضافرت جميعاً في إضعاف الحالة السياسية والعسكرية لهذه الولايات، ومنها بطبيعة الحال نيابة حماة، الأمر الذي مهد السبيل لدولة إسلامية فتية هي الدولة العثمانية لضم بلاد الشام، ومنها حماة لسلطانها، كما سنرى في المبحثين اللاحقين.

(١) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ٤٥١-٤٦٢؛ ابن الحمصي، حوادث الزمان، ج٢، ص ١٠٧-١١٠.

(٢) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ٤٦٩؛ ابن الحمصي، حوادث الزمان، ج٢، ص ١١٤-١١٦؛ ابن طولون، مفاكهة الخلان، ق١، ص ٢٢٩-٣٣١.

(٣) ابن طولون، أعلام الوري، ص ١٨٢-١٨٦، ١٨٣.

تدهور العلاقات العثمانية المملوكية:

اتسمت بدايات العلاقة فيما بين المماليك والعثمانيين بطابع الود المتبادل الذي زاد بوجود عدو مشترك سعت كلا الدولتين لإيقاف زحفه نحو أملاكهما في بلاد الشام والأناضول، فوثقت بذلك عرى الصداقة فيما بينهما إبان ظهور خطر التوسع التيموري، وتتابعَت السفارات الدبلوماسية التي وفدت إلى الأبواب السلطانية من قبل السلطان بايزيد الذي خطب فيها ودَّ السلطان برقوق، ورغم وفاة الطرف الأخير وما عقبه من طمع بايزيد بملطية وزحفه إليها في أواخر سنة ٨٠١ هـ/١٣٩٩م، إلا أن تواجد الخطر المشترك وعدم تغيبه عن الساحة السياسية أعاد بايزيد إلى جادة صوابه، فأرسل سفارة عثمانية في عام ٨٠٣ هـ/١٤٠٠م، لتحذير السلطان فرج من تدافع القوات التيمورية نحو الأراضي المملوكية، وتكرر هذا التقارب في عهد مراد الثاني الذي أرسل إلى السلطان برسباي يهنئه بانتصاره على قان المغول شاه رخ في سنة ٨٢٧ هـ/١٤٢٣م^(١).

بيد أن العلاقات المملوكية العثمانية ما لبثت أن دخلت طور التنافس في حركة الجهاد لإثبات الجدارة العسكرية لرفع راية الإسلام، ويعد عهد السلطان برسباي الدليل القاطع على مدى حرص سلاطين المماليك لاستعادة دورهم الريادي في تنشيط حركة الجهاد ضد القوى الصليبية، فكانت جزر البحر المتوسط

(١) المقريزي، السلوك، ج٧، ص٩٢؛ والسلطان بايزيد بن مراد الأول بن أورخان بن أرطغرل بن عثمان، الملقب بيلدرم، ولد سنة ٧٦١ هـ، وبويع بالسلطنة بميدان حرب قوصوة عقب وفاة والده سنة ٧٩١ هـ، شهدت السلطنة العثمانية في عهده فتح عدة ميادين عسكرية، فألى جانب الفتوحات الإسلامية التي قادتها القوات العثمانية في أوروبا، عمل على تأديب إمارة بني قرمان التركمانية سنة ٧٩٣ هـ، كما واجه المد التيموري في سنة ٨٠٥ هـ، ولكنه فشل في ردعها عن التقدم مما تسبب في أسره في تلك السنة، وضباع الكثير من أملاك السلطنة العثمانية (انظر إبراهيم بك حلیم، التحفة الحليمية، ص٤٦-٤٤؛ إسماعيل سرهنك، تاريخ الدولة العثمانية، ص٢٣-٢٥؛ محمد فريد بك المحامي، الدولة العلية العثمانية، ص١٣٧-١٤٨؛ عبد اللطيف عبد الله بن دهيش، قيام الدولة العثمانية، ص٣٧-٤١؛ نبيل عبد الحي رضوان، القوة العثمانية بين البر والبحر، ص٣٣-٤٠؛ على محمد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ص٦٥-٧٢)

بتهديداتها المتتالية وقربها من السواحل المملوكية هي الميدان الذي سعى من خلالها السلطان برسباي لإثبات جدارة قواته البحرية في تحجيم خطر القوى الصليبية في هذه الجزر^(١).

ومما لاشك فيه أن بعد الميدان العسكري لدولة المماليك عن نطاق حركة الفتح العثماني التي تركّزت في شبه جزيرة البلقان، أوجد بين الدولتين هدفاً عسكرياً مشتركاً حال دون حدوث أيّ تضارب بينهما، يؤكد هذا مسارعة السلطان العثماني مراد الثاني إلى إرسال وفد من قبله سنة ٨٢٩هـ / ١٤٢٥م، لتهنئة السلطان المملوكي برسباي لانتصار أسطوله الساحق على الصليبيين، واستعادته جزيرة قبرص منهم، وتحويلها إلى نيابة مملوكية، فشهد سفراء بني عثمان احتفالات النصر في القاهرة^(٢). وعندما نجح السلطان مراد في تحقيق انتصارات متلاحقة في البلقان بادر بإرسال سفارة إلى السلطان برسباي يخبره بذلك ومعها هدية قوامها خمسين أسير وصلت القاهرة في رجب سنة ٨٣١هـ / ١٤٢٨م^(٣).

وقد زادت الصلة بين الدولتين حتى أن السلطان مراد الثاني اتخذ من السلطنة المملوكية منفى سياسياً لمنافسيه في الحكم، في حين عدّها بعض أفراد الأسرة العثمانية ملاذاً آمناً من الاستبداد الأسري العثماني، وذلك يظهر من مبادرة مملوك الأمير أورخان بك بتهريب ابن سيده الأمير سليمان إلى الأبواب السلطانية في القاهرة، فدخل إليها كلاجئ سياسي يحتمي بالسلطان المملوكي من تعسف السلطان العثماني الذي سجن والده، ولكن هذه الحقيقية سرعان ما كشفت فأدرك الأمير سليمان بن أورخان بك بأنه أصبح مقيد الحرية لدى الدولة المملوكية، فآثر

(١) عن جهود السلطان برسباي في هذا المجال (انظر سعيد عبد الفتاح عاشور، العصر المماليكي في مصر والشام، ص ١٦٩-١٧٧).

(٢) المقرئزي، السلوك، ج ٧، ص ١٤٠؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج ٨، ص ١٠٣-١٠٤؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٤، ص ٣٠٠؛ السخاوي، وجيز الكلام، ج ٢، ص ٤٨٩؛ محمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك، ص ٤٨٤.

(٣) المقرئزي، السلوك، ج ٧، ص ١٧٥-١٧٦؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٤، ص ٣١٨؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج ٣، ص ١٢٨-١٢٩؛ إبراهيم طوخان، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، ص ١٦٤-١٦٥.

الفرار مع أخته بمساعدة مملوك والده إلا أن محاولتهما باءت بالفشل فقبض عليه وعلى أخته ، ومنعا من السفر، بل إن السلطان برسباي طلب الزواج من الأميره العثمانية لنفسه ليضمن عدم عودتها إلى الأراضي العثمانية^(١)، ومن هذا يظهر مدى حرص السلطنة المملوكية على استقرار الأوضاع الداخلية في الدولة العثمانية وحفظها من الفتن والاضطراب الذي قد ينشأ نتيجة عودة الأمير العثماني وما سيجره من مطالبته بالسلطنة باعتباره وريثاً لأبيه.

كما توثقت عرى الصداقة بين الدولتين في عهد السلطان جقمق، حيث زادت مظاهر المجاملات السياسية فيما بينهما، حتى وصلت إلى حدّ قيام السلطان العثماني بشرح خط سير حملته البحرية ضد القوى الصليبية في جزر البحر المتوسط، والتي وضّحها في رسالته التي وردت منه إلى الأبواب السلطانية في يوم الاثنين ١٦ من شوال سنة ٨٤٨هـ / يناير ١٤٤٥م، وأعقبها وصول الهدايا العثمانية إلى البلاط المملوكي في يوم الثلاثاء ٢١ ذي الحجة من ذات العام، والتي كانت تضم عدداً من أسرى النصارى والجواري التي غنمها من إحدى المواقع العسكرية في أوربا^(٢).

ورغم وفاة مراد الثاني في سنة ٨٥٥هـ / ١٤٥١م، فقد استمر ابنه ووريث العرش العثماني محمد الثاني على سيرة أبيه مع السلطان جقمق، وبعدما تم فتح القسطنطينية على يده سنة ٨٥٧هـ / ١٤٥٣م، أرسل إلى جقمق يبشّره بذلك الفتح العظيم الذي بشر به نبي هذه الأمة عليه الصلاة والسلام، فبادر الأخير بإقامة الاحتفالات في القاهرة بمناسبة هذا النصر المبين ، وأرسل يهنئ السلطان الفاتح

(١) المقرئزي، السلوك، ج٧، ص٣٦٨؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج٦، ص٢٢-٢٤؛ إبراهيم طوخان، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، ص١٦٤؛ و سليمان بن أورشان بك بن محمد كرشجي بن عثمان: حكم والده بلاد الروم ، ثم قبض عليه ابن عمه مراد بك و سجنه فمات في غياهب السجون، أما سليمان فتوفي بالقاهرة سنة ٨٤١هـ (انظر المقرئزي، السلوك، ج٧، ص٣٦٨؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج٦، ص٢٢-٢٣).

(٢) ابن تغري بردي، النجوم، ج١٥، ص٣٦٦؛ حوادث الدهور، ج١، ص١١٠-١١٢؛ السخاوي، التبر المسبوك، ص ٩٩-١٠٠؛ وجيز الكلام، ج٢، ص٥٩٥؛ الصيرفي، نزهة النفوس ، ج٤، ص٣٠٨-٣١٢، ٣٠٩؛ محمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك، ص٤٨٤.

بهذا الفتح العظيم الذي نالت به الدولة العثمانية مكانة مرموقة في العالم الإسلامي بما في ذلك الدولة المملوكية نفسها^(١). حيث بلغ تقدير سلطانها الجديد إينال أنه لم يلتفت، لشكوى أحد أمراء التركمان، التي توجه بها إلى الأبواب السلطانية في القاهرة سنة ٨٥٩هـ/١٤٥٤م، والتي أظهر فيها مدى تضرره من التدخل العثماني في الإمارة القرمانية، ولكن السلطان إينال تجاهل أمر ذلك التعدي السياسي على إمارة تدين بالتبعية السياسية للدولة المملوكية، إكراماً لما حققته هذه الدولة من فتح عظيم تمثل في دق آخر مسمار في نعش دولة استمرت على مسرح الوجود أكثر من ألف عام ألا وهي الإمبراطورية البيزنطية^(٢).

وبدوام عدم تضارب المصالح السياسية فيما بين الدولتين دام الودّ السياسي بين المماليك والعثمانيين، إلى أن خرق الطوق الأمني للحدود الشمالية الغربية للبلاد الشامية من قبل العثمانيين، وبدأ الطرف الأخير في بسط نفوذه على إمارتي بني دلغادر وبني قرمان، بحجة تأمين ظهر السلطنة العثمانية، لدفع عجلة الفتوحات الإسلامية في أوربا، بل زاد تجرؤ العثمانيين على الهيبة المملوكية فأضحوا يؤون الفارين من السلطنة^(٣). مما دفع السلطان المملوكي الأشرف

(١) ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج ٢، ص ٣٤٦؛ محمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك، ص ٤٨٤؛ ومحمد الثاني الفاتح ابن مراد الثاني، ولد سنة ٨٣٣هـ، وتولى السلطنة بعد وفاة والده سنة ٨٥٥هـ، وكان عمره آنذاك ٢٢ سنة، وظل عليها مدة ٣١ سنة، تمكن خلالها من استكمال العمليات الجهادية في الميدان الأوربي، إلى جانب بعض جزر البحر المتوسط، مما أسفر عنه فتح القسطنطينية، كما تمكن من ردع الإمارات التركمانية عن حدود السلطنة العثمانية، إضافة إلى إنجازاته العسكرية فقد وضع بصمته على التنظيمات الإدارية في السلطنة، كانت وفاته سنة ٨٨٦هـ، انظر إسماعيل أحمد ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، ص ٤٨-٤٩؛ زبيدة عطا، بلاد الترك في العصور الوسطى، ١٩٤-٢٠٦؛ عبد العزيز سليمان نوار، الشعوب الإسلامية الأتراك العثمانيون الفرس مسلمو الهند، ص ٦٠؛ على محمد الصلابي، الدولة العثمانية، ٨٧-١٥٩؛ المعتصم بالله شعوط، جهاد العثمانيين ضد البيزنطيين حتى فتح القسطنطينية ٧٧٥-٨٥٧هـ/١٣٥٤-١٤٥٣؛ رسالة لنيل درجة الماجستير من جامعة الملك عبد العزيز، غير مطبوعة، ص ١٣٥-١٧٤).

(٢) إبراهيم طوخان، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، ص ١٦٥.

(٣) القرماني، اخبار الدول، مج ٢، ص ٥١٢؛ إبراهيم طليم بك، التحفة الحليمية، ص ٤٦؛ إبراهيم طوخان، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، ص ١٦٥-١٦٦؛ عبد الرحمن محمود، قايتباي المحمودي، ص ١٦٦-١٦٧؛ محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، ج ٧، ص ٨٩؛ تاج السر أحمد حران، المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام، بلاد الشام في علاقات المماليك والعثمانيين منذ النصف الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي وحتى الفتح العثماني، ص ٤١٩.

قايتباي للرد عليهم بالمثل فوافق، على استقبال الأمير جم الهارب من أخيه السلطان بايزيد الثاني يلدرم وعمل على إكرام وفادته^(١). بعدما أمر بخروج جميع أمراء ونواب المماليك للترحيب بمقدمه، في شعبان من سنة ٨٨٩هـ / أغسطس ١٤٨٤م، وظل الأمير العثماني مقيماً في كنف السلطان قرابة عام تقريباً، أدى خلالها فريضة الحج وزار مسجد الرسول ﷺ بالمدينة المنورة^(٢).

ومن المؤكد بأن موقف السلطان المملوكي إزاء ذلك النزاع الأسري العثماني، لم تتعدَّ أبعاده السياسية سوى إثبات السلطنة المملوكية بطريقة عملية بأنها ندُّ قوي يوازي الدولة العثمانية، وأنها رسالة غير مباشرة لدعوة السلطان بايزيد للكف عن التدخل في شؤون الدولة المملوكية الداخلية، أمّا على الصعيد العسكري فإن السلطان قايتباي لم يرم من وراء ذلك الحدث إشعال فتيل الحرب بينه وبين بايزيد، بدليل سعيه الحثيث فيما بعد لإحلال الصلح بين الأخوين المتنازعين وتقديمه المقترحات لإخماد الفتنة، غير أن السلطان بايزيد رفض الوساطة المملوكية و تجاهل مقترحات قايتباي^(٣)، إذ اعتبر بايزيد ذلك التدخل من قبل السلطان المملوكي تدخلاً في الشؤون الداخلية للدولة العثمانية، الأمر الذي أثار حفيظة السلطان قايتباي -على ما يبدو- فاستجاب لطلب الأمير جم وسمح له بالعودة إلى الأراضي العثمانية لمواجهة أخيه والمطالبة بحقوقه، فكان ذلك بمثابة الشرارة الأولى التي أشعلت نار الحرب بين العثمانيين والمماليك، إذ أن السلطان بايزيد اعتقد بأن خروج جم تمّ بتحريض ودعم من السلطان قايتباي^(٤)، ولعلّ مما

(١) محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص ١٨٠؛ محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، ج ٧، ص ٨٩؛ جرجي زيدان، مصر العثمانية، ص ٥٨؛ محمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك، ص ٤٨٧؛ تاج السر أحمد حران، المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام، بلاد الشام في علاقات المماليك والعثمانيين منذ النصف الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي وحتى الفتح العثماني، ص ٤٢٠-٤٢١.

(٢) محمد دهمان، العراق بين المماليك والعثمانيين الأتراك، ص ١٨١؛ القرماني، أخبار الدول، مج ٣، ص ٣٨.

(٣) إبراهيم طوخان، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، ص ١٦٧-١٦٨؛ محمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك، ص ٤٨٧-٤٨٨.

(٤) محمد دهمان، العراق بين المماليك العثمانيين الاتراك، ص ١٨١-١٨٢؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٤١٣؛ إبراهيم بك حليم، التحفة الحليمية، ص ٧٢.

زاد في شكوك بايزيد أن قايتباي رفض الطلب الذي تقدّم به بايزيد لإصلاح إحدى قنوات المياه في مكة^(١)، بل إنه لم ينكر فعلة نائبه في جدة الذي احتاط على هدايا تجار الهند التي كانوا ينوون تقديمها لبايزيد، فتعمد العبث بها، وسلب إحدى قطعها، الأمر الذي أغضب السلطان العثماني^(٢).

وقد دفعت هذه العوامل بايزيد إلى المجاهرة بمعاداة السلطان المملوكي، حيث عمد إلى تأييد أمير دلغادر على دولات التركماني ضده، فأمدّه بقوات عسكرية مكنته من انتزاع ملطية من السيادة المملوكية، ورغم أن السلطان المملوكي بادر بإرسال حملة عسكرية في محاولة منه لاسترداد ملطية، وذلك في المحرم من سنة ٨٨٩هـ/يناير ١٤٨٤ م، إلا أن قواته هزمت أمام جيوش أمير دلغادر وحلفائه، وقتل الكثير من عناصرها في ربيع الأول من ذات العام^(٣).

ولم يفت ذلك من عزيمة السلطان المملوكي، بل حاولت القوات المملوكية تتقدمها قوات نيابة حلب وتدعها قوات النيابات الشامية الأخرى ومنها حماة، للانتقام من القوات العثمانية وحليفاتها إمارة دلغادر، إلا أنها منيت أمامها بهزيمة ثانية، وذلك في شهر رمضان من العام ذاته^(٤)، وذلك قبل أن تصل القوات المصرية إلى ميدان المعركة، وبوصول هذه القوات نجحت في تحويل الهزيمة إلى نصر مستغلين الإنهاك والتعب الذي أصاب قوات التحالف العثماني التركماني جراء المنازلة في معركتين متتاليتين^(٥).

(١) إبراهيم طوخان، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، ص ١٦٨؛ محمد طقوش، تاريخ المماليك، ص ٤٨٨.

(٢) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ٢١٥؛ محمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك، ص ٤٨٨.

(٣) السخاوي، وجيز الكلام، ج ٣، ص ٩٤٩؛ البصروي، تاريخ البصري، ص ٩٤؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ٢٠٦؛ ابن الحمصي، حوادث الزمان، ج ١، ص ٢٩١؛ القرمانلي، أخبار الدول، مج ٣، ص ٣٨-٣٩؛ ابن طولون، أعلام الوري، ص ٩٣؛ عبد الرحمن محمود، قايتباي المحمودي، ص ١٦٨-١٦٩.

(٤) السخاوي، وجيز الكلام، ج ٣، ص ٩٤٩-٩٥٠؛ البصروي، تاريخ البصري، ص ٩٨؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ٢١٠؛ ابن الحمصي، حوادث الزمان، ج ١، ص ٢٩٤.

(٥) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ٢١٠؛ عبد الرحمن محمود، قايتباي المحمودي، ص ١٧٠؛ جرجي زيدان، مصر العثمانية، ص ٥٨.

ورغم الانتصار النسبي الذي حققته القوات المملوكية إلا أن الهواجس ظلت تلاحق السلطان قايتباي الذي شعر بمدى ما أضحت عليه القوة العثمانية من تمكين وصلابة موقف، فاستشار أهل الحل والعقد في دولته، فأشار عليه الأتابك أذربك إلى ضرورة اتباع سياسية مرنة مع العثمانيين، وذلك بإرسال وفدٍ محملٍ بالهدايا إلى السلطان العثماني لإيجاد مخرج لهذه الأزمة السياسية التي تفاقمت بين الطرفين حقناً لدماء المسلمين، وادخارها لحركة الجهاد ضد أعدائهم، ورأى السلطان قايتباي بأن أفضل وسيلة للضغط على السلطان العثماني بايزيد هي الاستعانة بالخليفة العباسي المتوكل على الله عبد العزيز بن يعقوب للتوسط بين الطرفين، وإيقاف هذا الصراع المسلح الذي احتدم بين الطرفين^(١).

وأخيراً غادر الأمير جاني بك حبيب أمير أخور الإسكندرية متوجهاً إلى الأراضي العثمانية عن طريق البحر في صفر سنة ٨٩٠هـ / فبراير ١٤٨٥م، يحمل هدية تقدر بعشرة آلاف دينار أو يزيد إلى جانب رسالة وتقليد من الخليفة العباسي "إلى ابن عثمان بأن يكون مقام السلطان على بلاد الروم، وما سيفتحه الله تعالى على يده من بلاد الكفرية"^(٢)، وبالرغم من تلك التنازلات إلا أن السفير لقي إعراضاً من قبل السلطان العثماني في بداية الأمر، ثم وافق على استقباله فقدم له واجب الضيافة، ثم عاد إلى دمشق في شوال من ذات العام^(٣).

ويبدو أن هذا الإجراء لم يجد نفعاً في إنهاء الأزمة السياسية بين الدولتين، فقد عبر السلطان العثماني عن رفضه لذلك بتنظيم غارة على حدود دولة المماليك

(١) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٢١٣؛ والمتوكل بالله عبد العزيز بن يعقوب: ولد سنة ٨١٩هـ، وبويع بالخلافة بعد وفاة عمه المستجد في المحرم من سنة ٨٨٤هـ، وظل على ذلك حتى توفي في سنة ٨٩٣هـ (انظر السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٤١١-٤١٣؛ محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، ج٧، ص٨٤)

(٢) محمد دهمان، العراق بين المماليك والعثمانيين الاتراك، ص١٨٤؛ محمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك، ص٤٨٩

(٣) السخاوي، وجيز الكلام، ج٣، ص٩٥٨؛ البصروي، تاريخ البصري، ص١٠٥؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٢١٥؛ ابن الحمصي، حوادث الزمان، مج١، ص٣٠٣؛ محمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك، ص٤٨٩.

الشمالية تمكّن خلالها من الاستيلاء على بعض قلاعها^(١)، فوجد السلطان المملوكي نفسه محرجاً إزاء نداءات الاستغاثة التي أطلقها النائب الحلبي، والتي استحثت فيها السلطان للتدخل لإيقاف التعديّات العثمانية؛ إما بتجهيز قوة عسكرية ثقيلة أو خروج السلطان بنفسه إلى مسرح المعارك لحسم الوضع المتردي فيها لصالح السلطنة^(٢).

فاستجاب السلطان المملوكي لهذا النداء، وأصدر أوامره بخروج حملتين عسكريتين متتاليتين أوكلت قيادتهما للأتابك أربك، تمكّنت أولاها في ذات العام من كسر القوات العثمانية، وأسر باش عساكرهم الأمير أحمد بك بن هرسك، وأما الثانية فقد تصدّت لحملة القصاص التي أخرجها السلطان العثماني للثأر لهزيمة قواته في المرة الأولى، واستطاع الأمير أربك من إنزال هزيمة ثانية بالقوات العثمانية، وزاد على ذلك بأن استولى على أذنه وبعض المدن المجاورة لها^(٣).

ورغم هاتين الكسرتين التي منيَ بها الجيش العثماني، إلا أن السلطان بايزيد لم يكف عن محاولات الثأر، فأرسل حملة ثالثة تمكّنت من السيطرة على سيس وطرسوس وغيرهما^(٤). ويبدو بأن تلك الانتصارات قد أثّجت صدره، وردّت اعتبار قواته، فبادر بإرسال من يفاوض سلطان المماليك على الصلح، وذلك في سنة ٨٩٤ هـ/١٤٨٩م، فلقى ذلك العرض قبولاً من السلطان المملوكي

(١) القلاع التي استولى عليها العثمانيون هي طرسوس وأنه والكوك والمصيصة (انظر ابن الحمصي، حوادث الزمان، مج ١، ص ٣٠٢-٣٠٣).

(٢) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ٢١٩.

(٣) البصري، تاريخ البصري، ص ١١٠-١١١؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ٢٢٦، ٢٣٥؛ ابن الحمصي، حوادث الزمان، مج ١، ص ٣٠٢-٣٠٦؛ ابن طولون، أعلام الوري، ص ٩٥، ٩٩-١٠٠؛ إبراهيم حليم بك، التحفة الحليمية، ص ٧٣؛ جرجي زيدان، مصر العثمانية، ص ٥٨-٥٩؛ تاج السر أحمد حران، المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام، بلاد الشام في علاقات المماليك والعثمانيين منذ النصف الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي وحتى الفتح العثماني، ص ٤٢١-٤٢٢؛ وياش العساكر: كلمة تركية الأصل وتعني الرئيس أو الرأس وهي تطلق على قائد العساكر (انظر، محمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، ص ٣٠).

(٤) البصري، تاريخ البصري، ص ١٢٨.

قايتباي، الذي اشترط على بايزيد إطلاق سراح ما لديه من أسرى المماليك، وتسليم مفاتيح القلاع التي استولى عليها^(١).

ورغم انعقاد محادثات السلام بين الدولتين إلا أن الصراع المسلح كان مستمراً على الساحة العسكرية ، حيث أخذت القوات العثمانية تزحف إلى قصيرية الروم، فخرج الأمير أربك على رأس حملة جديدة لإيقاف الزحف العثماني، فتمكن من إجبارهم على التراجع عن كولك، واستولى بعدها على قلعة كواره ، ثم عاد بعدها إلى القاهرة ، فوصلها في المحرم سنة ٨٩٦هـ / نوفمبر ١٤٩٠م^(٢).

ومما لاشك فيه بأن طول الصدام العسكري بين الدولتين استنفذ الطاقات العسكرية العثمانية ، وأرهق خزانة الدولة المملوكية، حتى عجزت عن سداد مرتبات الجند الأمر الذي دفع السلطان العثماني إلى المبادرة من جديد باتخاذ خطوة عملية للحد من توتر العلاقات بين الدولتين، وذلك بإرسال وفد ترأسه قاضي بروصة مع الأمير مامي الخاصكي للتفاوض، مع السلطان المملوكي، وقد لقي ذلك قبولاً كبيراً من أمراء المماليك في الشام، فقد تزينت دمشق لاستقبالهم وذلك في يوم السبت ١٥ جمادى الأولى سنة ٨٩٦هـ / مارس ١٤٩١م^(٣)، حيث دخلها مبعوث السلطان العثماني في يوم الاثنين ٢٢ من الشهر يحمل مفاتيح القلاع التي أخذت من المماليك^(٤)، وبعد أن أمضى في دمشق بعض الوقت غادر مع بقية الوفد إلى الأبواب السلطانية بالقاهرة، فاستقبلهم السلطان المملوكي، وتسلم منهم مفاتيح القلاع منهم، في جمادى الآخرة، وأطلق من كان بحوزته من الأسرى^(٥)، وبعدها عاد قاضي بروصة إلى بلاده ومعه رسول السلطان المملوكي الأمير جان

(١) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٢٦٦؛ إبراهيم طوخان، مصر في عصر المماليك الجراكسة، ص١٧١.

(٢) البصري، تاريخ البصري، ص١٢٩؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٢٧٥؛ إبراهيم طوخان، مصر في عصر المماليك الجراكسة، ص١٧٢؛ وكولك، تلم أجد تعريف لها فيما توفر لي من مصادر اطلعت عليها؛ وكواره لعلها كوارا التي ورد تعريفها سابقاً.

(٣) ابن طولون، مفاكهة الخلان، مج١، ق١، ص١٣٨-١٣٩.

(٤) ابن الحمصي، حوادث الزمان، ج١، ص٣٢٥.

(٥) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٢٨١-٢٨٢.

بلاط لإتمام الصلح بين الطرفين، وعندما وصل القاضي دمشق دخلها مرتدياً الخلعة السلطانية المملوكية في ١٧ من رمضان/ يولييه، وأما المبعوث المملوكي فقد تأخر وصوله حتى يوم الاثنين ٢٥ من رمضان، ولعل السبب يعود إلى الهدايا التي كان يحملها^(١)، وانطلق بعدها السفيران العثماني والمملوكي نحو بلاد الدولة العثمانية، وفي العام التالي عاد الأمير جان بلاط إلى دمشق فدخلها مرتدياً الخلعة العثمانية بعد أن أقر الصلح مع العثمانيين، فدخلها في يوم الثلاثاء ثاني ربيع الأول ومعه الهدايا من ممالك وجوارٍ وجمال وقماش وذهب وغيره، وبذلك ساد الهدوء العلاقات العثمانية المملوكية، وعادت المراسلات والهدايا تتبادل بين الدولتين، ولكن إلى حين^(٢).

التوسع العثماني في بلاد الشام وسقوط نيابة حماة:

خدم الهدوء النسبي الذي ساد العلاقات العثمانية المملوكية، العثمانيين لكشف عدد من الأخطار الداخلية التي أخذت تتخر في جسد الدولة العثمانية، والتي كان من أهمها تفاقم خطر المذهب الشيعي الذي أخذ في الانتشار شرقي الأناضول بين التركمان بدعم من الدولة الصفوية في إيران^(٣)، فأقلق هذا الوضع والي طرابزون الأمير سليم بن بايزيد، ومما حدا به لمراسلة والده محذراً إياه من تفاقم الخطر الشيعي، ومغبة خروج الأمور عن السيطرة إن لم يجتثوا مروجي الفكر الشيعي من المنطقة، ولكن السلطان بايزيد لم يلتفت إلى تنبيهات نائبه لانشغاله

(١) البصري، تاريخ البصري، ص ١٤٧-١٤٨؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ٢٣٢؛ ابن الحمصي، حوادث الزمان، مج ١، ص ٣٢٦-٣٢٨؛ انظر أيضاً على محمد الصلابي، الدولة العثمانية، ص ١٦٤.

(٢) ابن الحمصي، حوادث الزمان، مج ١، ص ٣١١؛ ابن طولون، مفاكهة الخلان، ج ١، ق ١، ص ١٤٧-١٤٨؛ وعن الهدايا التي تم تبادلها انظر ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ٢٢٩، ج ٤، ص ٤٦-٤٧، ٥٥، ٦٣.

(٣) عبد العزيز المنشاوي، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج ١، ص ١٨-١٩؛ عن قيام الدولة الصفوية في إيران (انظر ببيع جمعه وأحمد الخولي، تاريخ الصفويين وحضارتهم، ج ١، ص ٤٩ وما بعدها؛ على محمد الصلابي، الدولة العثمانية، ص ١٧٧-١٧٩؛ كيلفورد - أ- بوزورث، الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ص ٢٣٦-٢٣٩).

بالجبهة الأوربية، فظل الوضع على ما هو عليه حتى توفي^(١)، وتسلم مقاليد السلطنة العثمانية ابنه سليم الأول الذي بدأ عهده بتصفية شاملة لمنافسيه على السلطة فخلق أخاه أحمد وابنه قورقود^(٢). ولم ينج من بطشه سوى أميرين من البيت العثماني الأول علاء الدين، وقد فر إلى السلطان الغوري^(٣). والثاني مراد الذي تمكن من الهرب نحو الدولة الصفوية، فاستقبله الشاه إسماعيل الصفوي، وأكرم وفادته، وأنزله منزل الأمراء، وعينه حاكماً على أجزاء من فارس، فلم يرض ذلك للجوء السياسي السلطان سليم الأول وبعث بسفرائه إلى الشاه إسماعيل

(١) أحمد متولي، الفتح العثماني لمصر والشام ومقدماته من واقع الوثائق والمصادر التركية والعربية، ص ٧٣-٧٤؛ إسماعيل أحمد ياغي، الدولة العثمانية، ص ٥٦؛ عبد العزيز سليمان نوار، الشعوب الإسلامية، ص ٧٢؛ عمر بابكر، حزام الأمن العثماني حول الحرمين الشريفين في القرن العاشر الهجري، رسالة لنيل درجة الماجستير من جامعة أم القرى، غير مطبوعة، ص ١٢٧-١٢٨؛ وطرايزون: ميناء يطل على البحر الأسود يقع في الطرف الشمال شرقي آسيا الصغرى من أسمائه طرابزonde (انظر أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ٣٩٢؛ محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، خريطة ص ١٤٢؛ كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص ١٦٨؛ فائز نجيب إسكندر، دراسة لاتفاقية تجارية بين طرابيزون والبندقية سنة ١٣٦٤م، ص ٩)؛ وسليم بن بايزيد بن محمد بن مراد بن محمد بن بايزيد بن مراد بن أورخان بن عثمان الغازي ولد سنة ٨٧٢هـ، وكان يلقب بـ"ياوز" أي القاطع، تولى السلطنة بعد خلع أبيه سنة ٨١٩هـ، وكان عمره آنذاك ٤٦ سنة، أنصف بقوة بطشه بأعدائه، وإثاقه عدة لغات، تمكن من تحجيم نفوذ الصفويين ثم أسقط السلطنة المملوكية سنة ٩٢٣هـ، كانت وفاته سنة ٩٢٦هـ (انظر الأسحاقى، أخبار الأول، ص ١٤١-١٤٣؛ الشوكاني، البدر الطالع، ج ١، ص ٦٥-٢٦٦؛ الغزي، الكواكب السائرة، ج ١، ص ٢٠٩-٢١٢؛ إبراهيم بك حليم، التحفة الحليمية، ص ٧٩-٨٥؛ محمد فريد بك المحامي، ص ١١٨-١٩٧؛ جرجي زيدان، مصر العثمانية، ص ٦٧-٦٨).

(٢) إبراهيم حليم بك، التحفة الحليمية، ص ٧٩؛ إسماعيل سرهنك، تاريخ الدولة العثمانية، ص ٦٥؛ ابن الوكيل، تحفة الأحباب، ص ٨٤؛ وأحمد بن بايزيد: ولاء والده أماسيا وبعد وفاته طالب بالسلطنة ورفض مبايعة أخيه سليم الأول الأمر الذي أودى بحياته سنة ٩١٩هـ (انظر إبراهيم حليم بك، التحفة الحليمية، ص ٧٦-٧٩؛ محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص ١٨٨)؛ وقورقود بن بايزيد: هو أبو الخير محمد نشأ في أستانبول وتلقى علومه فيها، ناب عن والده أثناء انشغاله بالقضاء على الأمير جم، قيل بأنه لم يتقلد مناصب إدارية أو عسكرية لزهده في السلطة وانصرافه للعبادة و تحصيل العلم، ولكن ذلك الحال لم يرض بايزيد فأخذ في الضغط عليه لتقلد الوظائف مما حدا بقورقود للجوء إلى السلطان المملوكي قايتباي، الذي لم يكن يرغب في إفساد علاقته بالعثمانيين بسببه، فعمل على إقناعه بالعودة إلى كنف والده بعد أن استضافه شهراً بمصر، وقيل بأن سبب فراره يعود لتوليه إمارة صاروخان دون إذن أبيه ولعل لجوءه لسلطان مصر كان سبباً لإقدام السلطان سليم الأول على قتله خوفاً من أن يلجأ مرة أخرى لسلطان مصر، فتم قتله بيد قابيجي سنان بك في سنة ١٥١٣م (انظر جرجي زيدان، مصر العثمانية، ص ٦٨-٦٩؛ حسين مجيب المصري، معجم الدولة العثمانية، ص ٣٠٣-٣٠٥).

(٣) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٥، ص ٤٩؛ ابن طولون، مفاكهة الخلان، ج ١، ق ٢، ص ٢١؛ إبراهيم حليم بك، التحفة الحليمية، ص ٧٩؛ إسماعيل سرهنك، تاريخ الدولة العثمانية، ص ٦٥؛ والأمير علاء الدين: هو قاسم بن أحمد بك بن بايزيد بن عثمان، دخل حلب هارباً من عمه السلطان سليم الأول في جمادى الأولى سنة ٩٢٢هـ (انظر ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٥، ص ٤٩)

يطالبه تسليم أخيه مراد، ولكن الأخير رفض وغالى في ترجمة رفضه بقتل سفراء السلطان العثماني^(١).

فكان لحادثة قتل السفراء، أبعادها السياسية والعسكرية الخطيرة على العلاقات الصفوية والعثمانية، فعلى إثرها قرر السلطان سليم الأول ضرورة الحد من تطاول الشاه الصفوي، فافتتح مشروعه العسكري بحركة تطهير شاملة للجبهة الداخلية في الأناضول ممن ينتسبون للمذهب الشيعي، وذلك في سنة ٩١٨هـ/ ١٥١٢م^(٢)، عندها سعى الشاه الصفوي إلى إقامة حلف عسكري مشترك لمواجهة نوايا السلطان العثماني، واختار لعضويته من شكلت دولهم حاجزاً سياسياً يحول دون تقدم القوات العثمانية، فكانت دولة المماليك وإمارة بني دلغادر التابعة لها الخيار الأمثل^(٣).

وبصرف النظر عن وافق على الدخول في هذا الحلف من القوى المجاورة فإن السلطان سليم الأول لم يبال بهذا الإجراء الذي اتخذته الشاه إسماعيل الصفوي، بل عمد إلى إعلان النفير العام للجهاد ضد الصفويين الشيعة في المحرم من سنة ٩٢٠هـ/ مارس ١٥١٤م، وبعدها عمل على جمع محاور متفرقة من الحلفاء المتاخمين لحدود الدولة الصفوية، والذين كانوا يشاطرون الدولة العثمانية في عداوتها للشاه إسماعيل، إما لثأر قديم أو لتضارب مصالح مشتركة، فاتسعت

(١) بديع جمعة، تاريخ الصفويين وحضارتهم، ج١، ص ٧٧؛ أما مراد فهو ابن أحمد بن بايزيد مرض في كاشان أثناء توجهه نحو مقر سلطته الجديد في الدولة الصفوية، وعندما بلغ أصفهان وافاه الأجل فدفعه إسماعيل الصفوي بجوار ضريح الشيخ على سهل الاصفهاني (انظر إبراهيم حليم بك، التحفة الحليمية، ص ٧٩؛ بديع جمعة، تاريخ الصفويين وحضارتهم، ج١، ص ٧٧)؛ والشاه: كلمة فارسية تعني ملك وسيد، وتطلق على ملوك الفرس (انظر حسن الباشا، الألقاب الإسلامية، ص ٣٥٢)؛ وإسماعيل الصفوي: ابن حيدر بن جندب بن الشيخ صفي الدين الأردبيلي، وقد اشتهر بالصفوي نسبة لإقامة والده في جبل الصوف المتاخم لأنطاكية، ويُعد إسماعيل هذا مؤسس الدولة الصفوية الفارسية، وعندما استولى على أذربيجان سنة ٩٠٥هـ، اتخذ لنفسه لقب (شاه)، وقد دام حكمه ٢٤ سنة وكانت وفاته سنة ٩٣٠هـ (انظر القرماني، أخبار الدول، ج٣، ص ١١٦-١١٧؛ ابن الغزي، الكواكب السائرة، ج٣، ص ١٢١).

(٢) إسماعيل سرهنك، تاريخ الدولة العثمانية، ص ٦٦؛ إسماعيل أحمد ياغي، الدولة العثمانية، ص ٥٦؛ عبد العزيز سليمان نوار، الشعوب الإسلامية، ص ٧٢-٧٣؛ عصام محمد شباور، السلاطين في المشرق العربي، ص ١١٣.

(٣) بديع جمعة وآخر، تاريخ الصفويين وحضارتهم، ج١، ص ٧٧-٧٨.

دائرة الصراع حيث انضم إلى الحلف الذي يتزعمه السلطان العثماني قائد الأذربك، إضافةً إلى أسرة آق قوينلو، كما لم ينس السلطان العثماني بأن يدعو المماليك للانضمام إلي حلفه^(١).

والواقع أن إقحام دولة المماليك في الصراع العثماني الصفوي كان نذير شؤم عليهما، حيث وجد السلطان قايتباي نفسه بين شقي رحي؛ إما مساعدة الصفويين أو التعاون مع العثمانيين، ويبدو بأنه أدرك أنه في كلا الحالتين، سيفتح باب العداء مع العثمانيين على مصراعيه، إذ إن القضاء على الصفويين يعني تفرده على الساحة السياسية مع بني عثمان، وحتمية الصدام فيما بين الطرفين لسبب أو لآخر وارد، و إذا ساعد الصفويين فيزيد من تدهور العلاقات مع العثمانيين، فضلاً عن أنه سيحدث انقسام في وحدة صف المجتمع المملوكي، إذ إن البعض لم يكن راضياً عن نصره الشيعة على السنة، ولهذا ظهر التذبذب في سياسية السلطان المملوكي إزاء الصراع الصفوي العثماني، وفي نهاية الأمر عمد إلى انتهاج سياسة الحياد إزاء الصراع العثماني الصفوي^(٢)، بيد أنه لم يهمل حفظ حدود بلاده الشمالية من أي أخطار محتملة، حيث حرص على حشد أعداد كبيرة من قواته بها^(٣)، والذي يجدر تأكيده هنا هو أن نيابات الشام الشمالية، وخاصة حلب وحماة، قد اضطلعتا بهذه المهمة لقربها من مواطن الخطر العثماني الذي بدأت نذره تلوح في الأفق بعد انتهاج السلطان قايتباي لسياسة الحياد تجاه الصراع العثماني الصفوي، وهو ما لم يكن يتوقعه العثمانيون لما بين الدولتين من توافق في العرق والمذهب.

(١) عباس إسماعيل صباغ، تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية، ص ١٢٨-١٢٩؛ بدیع جمعة، تاريخ الصفويين وحضارتهم، ج ١، ص ٧٩.

(٢) عبد العزيز سليمان نوار، الشعوب الإسلامية، ص ٧٣-٧٥؛ محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، ج ٧، ص ٩٠؛ عمر بابكور، حزام الأمن العثماني حول الحرمين الشريفين في القرن العاشر الهجري، ص ١٣٣؛ هنالك من أرجع سبب الصراع بين الدولتين الصفوية والعثمانية إلى رغبة الأخيرة في السيطرة على طريق الحرير "وموئله في فارس" (انظر روبرت دبليو. أولسن، حصار الموصل والعلاقات العثمانية الفارسية (١٧١٨م-١٧٤٣) دراسة عن الثورة في العاصمة والحرب في اقاليم الامبرطورية العثمانية، ص ٥٩).

(٣) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٤، ص ٣٧٦، ٣٨٢؛ ابن طولون، متعة الأذهان، ج ١، ص ٣٢٣.

وعلى كل حال فقد شرعت القوات العثمانية في اكتساح الأراضي الصفوية، حيث اصطدمت مع قوات الشاه إسماعيل في موقعة جالدايران سنة ٩٢٠هـ/ ١٥١٤م، وتمكنت من إلحاق هزيمة شنيعة به وقواته، بحيث لم يتمكن بعدها من مقاومة زحف العثمانيين نحو تبريز فدخلوها في ١٤ رجب من ذات العام، وقد رغب السلطان سليم الأول في الإقامة فيها حتى ينقضي الشتاء ليتعقب الشاه وقلوب جيوشه المنهزمة^(١)، غير أنه لاحظ تناقص وصول الميرة إلى قواته، فخاف من أن تحجب الثلوج خط الرجعة إذا ما قطعت الميرة عن الجند، ويقع عندها فريسة لهجوم مضاد من قبل الشاه وجنوده، ففضل الانسحاب إلى مقر سلطنته^(٢)، وهناك أخذ يبحث في أسباب عدم وصول الإمدادات الغذائية بانتظام إلى قواته، ووجهت أصابع الاتهام إلى وحدات من القوات المملوكية بأنها قامت بقطع الطريق على قوافل الإمدادات العثمانية التي كانت في طريقها إلى ميدان المعارك مع الصفويين^(٣)، كما اتهم السلطان المملوكي بأنه قد اتصل بالشاه وأوعز إليه بتوزيع قواته على طرق قوافل الإمدادات لمنعها من الوصول إلى تبريز^(٤).

وعندئذ رأى السلطان سليم الأول ضرورة الردّ على ذلك التطاول المملوكي، والعمل على تأديب إمارة بني دلغادر التركمانية لرفضها الوقوف إلى الجانب العثماني وتفضيلها التزام الجانب المملوكي المحايد، وقد أدت الأوضاع

(١) عن سير معركة جالدايران (انظر الديار بكري، تاريخ الخميس، ج ٢، ص ٣٩٠؛ إبراهيم بك حليم، التحفة الحليمية، ص ٨١-٨٢؛ إسماعيل سرهنك، تاريخ الدولة العثمانية، ص ٦٧-٦٨؛ محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص ١٩٠؛ جرجي زيدان، مصر العثمانية، ص ٦٩؛ عباس إسماعيل صباغ، تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية، ص ١٢٩-١٣٠)؛ وجالدايران: سهل يقع في الشمال الغربي من تبريز (انظر حسين مجيب المصري، معجم الدولة العثمانية، ص ٦٢).

(٢) الأسحاقي، أخبار الأول، ص ١٤٢؛ إسماعيل أحمد ياغي، الدولة العثمانية، ص ٥٦-٥٧؛ عبد العزيز سليمان أنوار، الشعوب الإسلامية، ص ٧٥.

(٣) الأسحاقي، أخبار الأول، ص ١٤٢.

(٤) الدويهي، تاريخ الأزمنة، ص ٣٩١؛ خلف الوثيناني، ولاية جان بردي الغزالي على الشام (٩٢٣-٩٢٧هـ/ ١٥١٧-١٥٢٠م)، ص ٤٨٣-٤٨٤؛ وتبريز: بلدة شهيرة بأذربيجان ساقها المقدسي ضمن المدن التابعة لإقليم الرحاب، وكان بها كرسي بيت هولكو، وهي تقع في الشمال الغربي من إيران (انظر، أحسن التقاسيم، ص ٢٩٠؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ٤٠٠؛ الفلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٣٥٧؛ محمد فريد بك المحامي، الدولة العلية العثمانية، ص ١٨٩، حاشية ١).

السياسية المضطربة التي مرت بها إمارة بني دلغادر بسبب النزاع الذي احتدم بين أبناء شاه سوار ومتولي الإمارة من قبل السلطنة المملوكية، حيث استتجد الطرف الأول بالسلطان العثماني سليم إلى إتاحة الفرصة له لفرض السيطرة العثمانية على الإمارة التركمانية، ونزع تبعيتها من حظيرة السلطنة المملوكية، الأمر الذي زاد من حدة الخلاف بين الدولتين، خاصة بعدما تسلم السلطان قانصوه الغوري في يوم الخميس الأول من محرم سنة ٩٢١هـ/فبراير ١٥١٥م، طلباً صريحاً من قبل السلطان العثماني لإعادة عرش شاه سوار السليبي إلى ابنه وتقليده إمارة أبيه، ثم أعقبها ورود خبر تمكن ابن سوار من استعادة الحكم بمساعدة عسكرية من السلطان العثماني^(١).

وقد أثار هذا الخبر مخاوف السلطان الغوري الذي عمل على إرسال الكشافة من قبله إلى الأراضي المتاخمة لإمارة بني دلغادر ليتقصّى نوايا السلطان سليم الأول، لمعرفة إن كان قد عقد العزم على مهاجمة الأراضي الشامية، وفي الوقت ذاته أصدر أوامره إلى كافة وحداته العسكرية في الشام للتصدي لأي اعتداء قد يشنه السلطان العثماني على أراضي السلطنة المملوكية، فأصدر لأجل ذلك أوامره الصارمة بجباية الأموال من عامة الأراضي الشامية، ومن ضمنها الأراضي التابعة لنيابة حماة، حيث أسهمت بنصيب وافر في تجييش القوات المملوكية، فحصل لسكانها من الفلاحين بالغ الضرر من جراء التعسف الذي اتبعه نائبها جان بردي الغزالي عند تنفيذ الأوامر^(٢).

وبينما هم على ذلك، كان الشاه إسماعيل الصفوي يبحث عن حليف جديد يساعده للتأثر من العثمانيين، فلم يجد من يعادل قوتهم العسكرية سوى البرتغاليين الذين انتشروا في البحار الجنوبية للجزيرة العربية بعد اكتشافهم رأس الرجاء الصالح في سنة ٨٩٢هـ/١٤٨٧م، فأرسل الصفوي مبعوثه للقائد البرتغالي الفونسو البوكيرك الذي كان يتركز آنذاك بهرمز، ليبرم معه معاهدة تعاون

(١) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٤، ص٤٣٥-٤٣٦؛ ابن طولون، متعة الأذهان، ج١، ص٣٢٣؛ انظر أيضاً إسماعيل سرهنك، تاريخ الدولة العثمانية، ص٦٨، ٧٠؛ محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، ج٧، ص٩٠-٩١.

(٢) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٤، ص٤٤٥، ٤٦٦.

عسكري مشترك فيما بين الدولتين ضد العثمانيين ، وتمّ ذلك في سنة ٩٢١هـ / ١٥١٥م^(١).

والحقيقة أن هذه المعاهدة تُعدُّ آخر مسمار دق في نعش الدولتين الصفوية والمملوكية، إذ بدأ منذ هذا التاريخ قائد الأسطول البرتغالي البوكيرك مرحلة السيطرة على مداخل البحار الجنوبية بشبه الجزيرة العربية، من أجل فرض حصار اقتصادي على دولة المماليك من هذه الناحية، فضلاً عن عزمه تهديد الأماكن المقدسة في الحجاز، وسعيه لتحقيق الحلم الصليبي بإتمام مشروع الحلف الصليبي المشترك بين ملكي البرتغال والحبشة ومحاولة العودة مرة أخرى للسيطرة على الأماكن المقدسة للصليبيين في فلسطين، فضلاً عن طعن الأمة الإسلامية في أقدس بقاعها مكة المكرمة والمدينة المنورة^(٢). عندها وجدت السلطنة

(١) بديع جمعة، تاريخ الصفويين وحضارتهم، ج ١، ص ٩٧؛ جمال زكريا، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر (إمارات الخليج العربي في عصر التوسع الأوربي الأول (١٥٠٧-١٨٤٠م)، ص ٦١-٦٣؛ تفنانت كولونيل ويلسون، تاريخ الخليج العربي، ص ٧٧؛ عمر بابكور، حزام الأمن العثماني حول الحرمين الشريفين في القرن العاشر الهجري، ص ٦٣؛ نبيل عبد الحي رضوان، جهود العثمانيين لاسترداد الأندلس، ص ١٦٥؛ نوال حمزة الصيرفي، النفوذ البرتغالي في الخليج العربي القرن ١٠هـ / ١٦م، ص ١٥٤؛ و هرمز : ميناء ساحلي ساعد موقعها على مدخل الخليج العربي، لاستقبال المراكب التجارية القادمة من بحر الهند) انظر القلقشندي ، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٣٤٩؛ والبوكيرك: من رواد مؤسس حركة الاستعمار البرتغالي على الطريق البحري بين الهند ورأس الرجاء الصالح عينه ملك البرتغال في سنة ٩١٢هـ، نائباً للملك في الهند ، وياشر بعدها بتنفيذ خطته العسكرية لسد منافذ التجارة الإسلامية في كلٍّ من الخليج العربي والبحر الأحمر، توفي سنة ٩٢١هـ / ١٥٠٦، وعن منجزاته العسكرية (انظر غسان الرمال، صراع المسلمين مع البرتغاليين، ص ٩٦-١٠٢؛ نوال حمزة الصيرفي، النفوذ البرتغالي، ص ١١٧-١٢٨).

(٢) محمد حسن العبدروس، دراسات في الخليج العربي، ص ٢٥-٥٥؛ عمر بابكور، حزام الأمن العثماني حول الحرمين الشريفين في القرن العاشر الهجري ، ص ٣٥-٤٢؛ نوال حمزة الصيرفي، النفوذ البرتغالي، ص ١٧٤؛ تمكن الأسطول البرتغالي من تسديد عدة ضربات قاصمة للأسطول المملوكي التجاري ومن بعده العسكري، استمرت من سنة ٩٠٧-٩١٥هـ / ١٥٠١-١٥٠٩م، كان لها بالغ الأثر على دولة المماليك وخاصة في المجال الاقتصادي، بعد فشلها في الحفاظ على طرق التجارة مع الهند، ناهيك عن محاولات البرتغاليين لإقامة تحالف مع الأحباش، والذي كان من ضمن مخططاته ضد المماليك تحويل مجرى النيل لضرب النشاط الزراعي في مصر والقضاء على أبرز مقومات الاقتصاد المملوكي (للمزيد انظر نعيم زكي فهمي، طرق التجارة الدولية ومحطاتها، ص ١٤٤؛ أحمد فؤاد متولي، البحرية العثمانية والبرتغالية في القرن العاشر الهجري " السادس عشر الميلادي" على ضوء الوثائق التركية، مجلة كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ع ٤، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م، ص ٣٨٢-٣٨٤؛ حسن أحمد محمود، التهديد البرتغالي لسواحل جزيرة العرب ومصادر دراسته، مجلة العرب، ج ٧، ص ١٢ محرم وصفر ١٣٩٨ هـ / ك ٢ شباط (يناير/فبراير ١٩٧٨م، ص ٥٩٨-٦٠٧؛ حسنين ربيع، بحر الحجاز في العصور الوسطى، مجلة كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ع ١، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، ص ٤٠٨-٤٠٩)

العثمانية نفسها مسؤولة عن حماية الأماكن المقدسة من مؤامرات الصليبيين خاصة بعدما أثبتت الحوادث العسكرية مدى عجز السلطنة المملوكية عن حماية تجارتها من الغارات الصليبية، بل وضح عجز السلطان المملوكي قانصوه الغوري مادياً لتغطية تكاليف بناء أسطوله البحري في سنة ٩١٦هـ/١٥١١م، من أجل استكمال مهمة دفع البرتغاليين عن البحر الأحمر، فأرسل في حينها مستجداً بالسلطان العثماني بايزيد لإمداده بالأسلحة والخامات الطبيعية لبناء السفن، فلبى السلطان العثماني طلبه، وأرسل سفينة محملة بالأخشاب والحديد والمراسي والبارود وغيرها من مواد صناعة الأسطول، فوصلت السواحل المملوكية في مصر، في شوال من ذات العام^(١).

بيد أن البرتغاليين كانوا أسرع تحركاً من المماليك فتمكنوا من دخول البحر الأحمر في سنة ٩١٧هـ/١٥٥١م، وبعد عامين تمكنوا من الاستيلاء على جزيرة كمران وشرعوا في متابعة خرقهم لمياه البحر الأحمر من أجل الوصول إلى ينبع للإغارة على المدينة المنورة ونش قبر الرسول عليه الصلاة والسلام، ولكن الله وَعَلَّمَ أَفْشَلُ مَسَاعِيهِمْ بإرسال ريح عاتية أجبرتهم على التراجع إلى جزيرة كمران^(٢).

(١) ابن إياس، بدائع لزهور، ج٤، ص٢٠١؛ أحمد فؤاد متولي، البحرية العثمانية والبرتغالية في القرن العاشر الهجري " السادس عشر الميلادي" على ضوء الوثائق التركية، ص٣٨٣؛ حسن أحمد محمود، التهديد البرتغالي لسواحل جزيرة العرب ومصادر دراسته، ص٦٠٦؛ والبارود: من الأسلحة الحربية، التي نال شرف اختراعها المسلمون، الذين ركبوها من مادة النظرون، فكان أول استخدام لها من قبل المماليك بمصر، ثم أخذت في الانتشار إلى بقية أصقاع العالم (انظر عبد المنعم ماجد، طومان باي آخر سلاطين المماليك، ص١٢٨؛ نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر، ج١، ص١٧٢؛ عبد الله سعيد الغامدي، جهاد المماليك ضد المغول والصليبيين، ص٣٢١، حاشية ١).

(٢) أحمد الدراج، المماليك والفرنج، ص١٣٧؛ نعيم زكي فهمي، طرق التجارة الدولية، ص١٤٥؛ إبراهيم حسن سعيد، البحرية في عصر سلاطين المماليك، ص١٨٢-١٨٥؛ حسنين ربيع، بحر الحجاز في العصور الوسطى، ص٤٠٨؛ وينبع: ميناء ساحلي يطل على البحر الأحمر ويقع بين مكة والمدينة لها حصن منيع تشتهر بكثرة النخيل والزرع (انظر المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٨٣؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٥، ص٤٥٠)؛ وجزيرة كمران: قبالة زبيد باليمن بها حصن لملك اليمن اتخذ حبساً للسجناء (المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٩٧؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٢، ص١٣٩).

وبالرغم من تدارك السلطنة المملوكية للخطر المحدق بالأراضي المقدسة في مكة والمدينة، ونجاحهم في تطهير مداخل البحر الأحمر من الوجود البرتغالي بجهود قائد الأسطول المملوكي الأمير حسين الكردي سنة ٩٢٠هـ/١٥١٤م، إلا أنها فشلت في إعادة سيطرتها على طريق التجاري البحري المؤدي إلى الهند^(١).

وقد أدى تسارع الحوادث بعد ذلك إلى دفع السلطان العثماني للتحرك السريع لمواجهة الخطر، الذي بات يهدد المنطقة بعد أن وقع الصفويون في العام التالي معاهدة تحالف عسكري مشترك مع البرتغاليين - كما سبق أن أشرنا - إضافة إلى ميل السلطان المملوكي لدعم موقف الشاه إسماعيل الصفوي ونصرته على بني عثمان، بالرغم من عدم مجاهرته بذلك، إلا أن السلطان سليم الأول كان يدرك مدى عمق الصداقة القائمة بين الدولتين، وأن السلطان الغوري لن يستمر في ارتداء قناع الحياد طويلاً، كما أنه لم يكن يستبعد من قوات المماليك التي تجرأت في المرة الأولى على قطع طرق الإمدادات العثمانية، في الوقت الذي ادعى فيه سلطانهم محايدة موقفه من الصراع العثماني الصفوي، أن تكرر هذا العمل مرة أخرى.

وهذا ما حدث فعلاً حيث شرع السلطان الغوري في استنفار قواته للسفر نحو الأراضي الشامية بحجة إصلاح ذات البين فيما بين الصفويين والعثمانيين،

(١) ابن طولون، متعة الأذهان، ج ١، ص ٣٢١-٣٢٢؛ أحمد الدراج، المماليك والفرنج، ص ١٣٧؛ نعيم زكي فهمي، طرق التجارة الدولية، ص ١٤٥-١٤٦؛ غسان الرمال، صراع المسلمين والبرتغاليين، ص ١٠١-١٠٢؛ حسن أحمد محمود، التهديد البرتغالي لسواحل جزيرة العرب ومصادر دراسته، ص ٦٠٤-٦٠٨؛ حسين ربيع، بحر الحجاز في العصور الوسطى، ص ٤٠٩؛ حسين الكردي: تولى مهمة العمليات الجهادية في البحر الأحمر والمحيط الهندي فقاد ثلاث حملات بحرية، كما أوكل إليه تحصين الثغور الساحلية المطلة على البحر الأحمر، وفي مقدمتها جدة التي كانت من الأولويات التي تعهد بتحسينها، فبدأ الأعمال في بناء منشأتها العسكرية سنة ٩١١هـ، وزيد عليها في سنة ٩١٧هـ (انظر غسان الرمال، صراع المسلمين مع البرتغاليين، ص ١٠٠-١٠٢).

وليظهر حسن نواياه ويموه عن خطته العسكرية الرامية إلى إيقاع القوات العثمانية بين فكي كماشنة الصفويين من جهة والمماليك من جهة أخرى، ولكي يسبغ على حملته هذه صفة شرعية، فقد حرص على اصطحاب الخليفة العباسي المستمسك بالله يعقوب بن عبد العزيز للخروج معه إلى الشام^(١)، لكي يبين للناس هناك مدى صدق نواياه، إضافة إلى أنه أراد بهذا الإجراء أن يؤكد للطرفين المتخاصمين بأنه صاحب الشرعية الكاملة في حكم البلاد، إذ إنه الحاكم الوحيد حتى ذلك الوقت يحظى بتأييد ودعم الخلافة العباسية الشرعية في ذلك.

وكان النائب الحموي جان بردي الغزالي، أول من بادر بالإعداد لاستقبال السلطان الغوري في مقر نيابته، رغم معارضة نائب الشام الأمير سيباي، ونائب حلب الأمير خايربك، لفكرة خروج السلطان الغوري على رأس فلول من قواته نحو بلاد الشام، ومحاولتهما إثناؤه عن الخروج بتهوين أمر العثمانيين، وإبداء تخوفهما من حدوث ضائقة اقتصادية في البلاد الشام، نتيجة قلة الأقوات التي اصطحبتهما هذه الجموع الغفيرة من القوات القادمة من مصر، غير أن مساعيهما فشلت في تغيير رأي السلطان الغوري^(٢)، كما فشلت رسالة السلطان العثماني سليم التي بعث بها إلى السلطان المملوكي في ربيع الآخر من ذات العام، في إثناؤه عن موقفه هذا رغم ما تضمنته من تودد ورقة في الخطاب، إضافة إلى إبداء استعداده للتنازل عن الإمارة التركمانية، وإعادتها للتبعية المملوكية^(٣).

(١) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٥، ص ٢٦؛ ابن طولون، متعة الأذهان، ج ١، ص ٣٢٤؛ ابن زنبيل، آخرة المماليك، ص ٩٢؛ ابن الغزي، الكواكب السائرة، ج ١، ص ٢٩٦-٢٩٧؛ عمر بابكور، حزام الأمن العثماني حول الحرمين الشريفين في القرن العاشر الهجري، ص ١٣٦؛ والمستمسك بالله يعقوب بن عبد العزيز بن يعقوب بن محمد، ببيع بالخلافة بعهد من أبيه عام ٨٩٣، وقد شهد عهده سقوط السلطنة المملوكية، تنازل عن الخلافة لابنه محمد سنة ٩١٤ هـ، وظل في القاهرة حتى وفاته سنة ٩٢٧ هـ (انظر محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، ج ٧، ص ٨٥-٨٦).

(٢) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٥، ص ٢٦، ٢٢؛ أحمد متولي، الفتح العثماني، ص ١٢١؛ وخير بك : تقلد نيابة حلب في عهد السلطان الغوري، وبعد زوال الدولة المملوكية عينه السلطان سليم الأول نائباً على مصر سنة ٩٢٣ هـ، فظل عليها قائماً حتى توفي سنة ٩٢٧ هـ (انظر ابن الحمصي، حوادث الزمان، ج ٣، ص ٤٥؛ ابن زنبيل، آخرة المماليك، ص ٢٨٣؛ عبد المنعم ماجد، طومان باي آخر سلاطين المماليك في مصر، ص ٢١٦-٢١٧).

(٣) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٥، ص ٤٥.

خرج السلطان المملوكي مع قواته نحو دمشق ومنها إلى حلب فوافاه النائب الحموي عند القطيفة^(١)، ويبدو بأنه كان على قناعة تامة بهذا التحرك نحو الشام، بدليل حجم الاستعدادات التي بذلها في حفل استقبال السلطان الغوري بحماية بعيد منتصف جمادى الآخرة سنة ٩٢٢هـ/يوليه ١٥١٦م، حيث وصفت المدة التي قضاهما للإعداد لهذه المناسبة بأنها (مدة حافلة أعظم من مدة نائب الشام)، ومن المؤكد بأن هذا الاستقبال كان له وقع في نفس السلطان ظهرت آثاره فيما بعد، وبانتهاء حفل الاستقبال استخلف السلطان الغوري بحماية الأمير قاسم بك العثماني، في حين بدأ هو ومن معه من النواب بمن فيهم نائب حماة جان بردي الغزالي في التحرك نحو حلب^(٢).

وهناك استقبل رسولي السلطان سليم الأول، حيث أخبراه بوصول السلطان سليم الأول على رأس قواته إلى قيسارية من أجل قتال الشاه الصفوي، فأكرمهما السلطان الغوري، وعرض عليهما الإصلاح بين السلطان العثماني والصفويين، وأرسل معهما وفد سلطاني لإتمام الصلح جعل عليه الأمير مغلباي دودار^(٣).

ورغم تكرار السلطان العثماني لإرسال سفاراته من أجل تهدئة مخاوف السلطان الغوري، إلا أن خيبرته كانت كبيرة عندما قبض جنوده سنة ٩٢٢هـ / ١٥١٦م ، على رسول السلطان الغوري متوجهاً إلى الشاه إسماعيل الصفوي ليسلمه رسالة يطلب فيها التعاون المشترك لحرب السلطان العثماني^(٤). فاثارت

(١) ابن الحمصي، حوادث الزمان، ج٢، ص٢٨٤؛ والقطيفة: قرية في طرف البرية من ناحية حمص دون ثنية العقاب للمتوجه إلى دمشق(انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج ٤، ص٣٧٨).

(٢) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٥، ص٥٤.

(٣) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٥، ص٦٠-٦١؛ ابن الحمصي، حوادث الزمان، ج٢، ص٢٨٥؛ ابن زنبيل، آخرة الممالك، ص٩١-٩٢؛ ابن طولون، متعة الأذهان، ج١، ص٣٢٤؛ القرمانلي، أخبار الدول، ج٢، ص٣٢٥-٣٢٦؛ الغزي، الكواكب السائرة، ج١، ص٢٩٦؛ إبراهيم حليم بك، التحفة الحليمة، ص٨٣؛ خلف الوذنياني، ولاية جان بردي الغزالي، ص٤٨٥؛ والأمير مغلباي الدودار: لم أجد له ترجمة فيما توفر لي من مصادر اطلعت عليها.

(٤) ابن طولون، مفاكهة الخلان، ج١، ق٢، ص٢٣؛ ابن الغزي، الكواكب السائرة، ج١، ص٢٩٧؛ انظر أيضاً عبدالعزيز سليمان نوار، الشعوب الإسلامية، ص٨٦؛ عمر بابكور، حزام الأمن العثماني حول الحرمين الشريفين في القرن العاشر الهجري، ص١٣٦؛ خلف الوذنياني، ولاية جان بردي الغزالي، ص٤٨٥.

هذه الرسالة حفيظة السلطان العثماني، فصبَّ جام غضبه على المبعوث المملوكي مغلباي الذي وصل إلى المعسكر العثماني بكامل حلته مع أصحابه ، فازداد السلطان غضباً إذ شعر بأنها رسالة عسكرية لا يراد منها السلم لأن مبعوثهما ينتمي للسلك العسكري، وأن الغوري رمى من ورائها ترهيب الجيش العثماني من القوات المملوكية، فكاشف الأمير مغلباي بذلك، ثم ختم حديثه قائلاً: "ولكن أنا أكيد بمكيده أعظم من مكيدته" (١).

وأمر السلطان العثماني بعدها بقتل جميع أعضاء الوفد المملوكي بما فيهم رئيس الوفد ، بيد أن تدخل وزيره يونس باشا حال دون قتل الأمير مغلباي، ولكنه لم يحل دون الإهانة التي أصابته على يد السلطان سليم الأول، الذي أمر بحلق ذقنه وإلباسه طرطور وإعادته إلى السلطان الغوري على حمار أعرج يحمل رسالة شفوية جاء فيها " قل لأستاذك يلاقيني على مرج دابق" (٢).

وما أن وصل الأمير مغلباي على تلك الحالة إلى حلب حتى أصدر السلطان الغوري أمره بالاستعداد للرحيل إلى مرج دابق لصدّ النّقْم العثماني، وأثناء تحرك القوات نشب خلاف بين نائب دمشق وحلب على أثر ت وسيط نائب عينتاب الذي ظهرت خيانتته وميله للسلطان العثماني، فاتهم عندها الأمير سيباي بخيانة نائب حلب وطالب السلطان الغوري بقتله، وكاد أن يكون ما أراد لولا تدخل نائب حماة الأمير جان بردي الغزالي الذي ذكر السلطان الغوري بالعدو المتربص بهم الدوائر فقال: " يا مولانا السلطان لا تقفن العسكر وتبدأ في قتال بعضهم بعضاً، وتذهب أخباركم إلى عدوكم، ويزداد طمعه فيكم، وتضعف شوكتكم والرأى

(١) ابن زنبيل، آخرة المماليك، ص ٩٣.

(٢) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٥، ص ٦٨؛ ذكرت بعض المصادر أن سليم الأول نعت الغوري بـ(الخارجي)، انظر القرماني، أخبار الدول، ج ٢، ص ٣٢٦؛ ابن الغزي، الكواكب السائرة، ج ١، ص ٢٩٧؛ انظر أيضاً خلف الوذيان، ولاية جان بردي الغزالي، ص ٤٨٥؛ ويونس باشا كان ممن تقلد عدة وظائف في الدولة العثمانية، والتي منها ترأس الإنكشارية في عهد السلطان بايزيد الأول، والوزارة على عهد السلطان سليم الأول ثم تولى منصب الصدر الأعظم سنة ٩٢٣هـ، ولكنه لم يهنأ بها طويلاً حيث قتله السلطان سليم بعد خروجه من مصر من ذات العام (انظر ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٥، ص ٢١٠؛ ابن زنبيل، آخرة المماليك، ص ٢٦٩؛ حسين مجيب المصري، معجم الدولة العثمانية، ص ٢٥٤-٢٥٥).

لكم" ^(١)). ولعل هذا الموقف الذي أبداه النائب الحموي كان سبباً لاتهام بعض المؤرخين له بالخيانة والتواطؤ مع النائب الحلبي والسلطان سليم الأول ^(٢).

وفي اعتقادي بأن أمر الخيانة لم يكن وارداً من قبل جان بردي حتى ذلك الحين، حيث لم تُظهر الحوادث التاريخية أنه على اتصال بالسلطان العثماني قبل ذلك التاريخ، أو أنه تصرف بما يثير الريبة في نفس السلطان المملوكي، ولو كان خائناً كنائب حلب لخشي الغوري على الأمير العثماني قاسم بك من إقامته في حماة ولأبعده عنها، بل لما سمع منه -الغوري- وأبقى على خايربك.

ولكن هذا لا يمنع بأن تكون الريبة قد أُثيرت في صدر الغوري من جانب جان بردي عقب مداخلته السابقة، ولذا عزم على تقديم القوات الحموية والحلبية على العسكر السلطاني حتى يتخلص منهما دفعة واحدة ^(٣)، ويبدو أن هذه هي الثغرة التي مكنت النائب الحلبي من استدراج الغزالي إلى المعسكر العثماني، وبعدما تأكد من موقفه المناصر للسلطان العثماني بعث كلاهما إلى السلطان سليم الأول يطلبان منه الأمان، وأن "لا يقتلها بل يكرمهما وينعم عليهما فأرسل السلطان سليم الأول لهما الأمان وعهد لهما بأن يطيب خاطرهما وإن يعطي خير بك مصر والغزالي الشام فقبلا منه" ^(٤). فكان هذا التصرف من قبل السلطان سبباً قوياً دفع الغزالي للاستمرار في نصرة السلطان العثماني، وبذلك تكون نية النائب الحموي قد انعقدت على الخيانة طيلة مدة إقامته في مرج دابق مع العسكر الغوري، حتى كان يوم السبت ٢٤ رجب، حيث وصل الجيش العثماني إلى تل جيش وبدأ كلا الفريقين إعادة تنظيم فرقهما العسكرية، وتقسيم المهام على الأمراء،

(١) ابن زنبل، آخرة الممالك، ص ٩٦.

(٢) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٥، ص ٦٩.

(٣) خلف الوندباني، ولاية جان بردي الغزالي، ص ٤٨٦-٤٨٧.

(٤) الأسحاقي، أخبار الأول، ص ١٤٢؛ انظر أيضاً ابن طولون، متعة الأذهان، ج ١، ص ٣٥٤؛ الدويهي، تاريخ الأزمنة، ص ٣٩١؛ ابن الحنبلي، شذرات الذهب، مج ٨، ص ١٩١؛ انظر أيضاً خلف الوندباني، ولاية جان بردي الغزالي، ص ٤٨٧.

فجعل السلطان المملوكي النائب الدمشقي على الميمنة ومعه نائب حماة وعساكره، وعلى الميسرة النائب الحلبي وقواته، وفي القلب الأمير سودون العجمي ومن بعده السلطان^(١).

أما القوات العثمانية فكان على ميمنتها الصدر الأعظم سنان باشا وعدد من نواب الإمارات التركمانية، وعلى الميسرة الوزير يونس باشا وأمير ديار بكر، وفي القلب عدد من البكوات والأغاوات وعساكر الأنكشارية يتقدمهم السلطان سليم الأول^(٢).

وفي صبيحة يوم الأحد ٢٥ رجب من سنة ٩٢٢هـ/١٥١٦م، شن السلطان سليم الأول هجوماً مباغتاً على المعسكر المملوكي، استهدف من ورائه استدراج جيش المماليك إلى ساحة المعركة التي اختارها، وبالفعل نجحت هذه الغارة في استدراج الغوري وقواته نحو زغزغن وتل الغار، وهناك شرع السلطان يرتب العسكر والأمرأء على النحو السابق، وبعد اكتمال تنظيم الجيش بدأ المماليك المعركة بهجوم خاطف اشترك فيه الأمير الغزالي بغرض التمويه عن خيانتة، إلى

(١) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٥، ص ٦٩؛ الإسحاق، أخبار الأول، ص ١٤٢؛ سودن العجمي: تقلد عدة مناصب عسكرية في عهد السلطان الغوري منها أمير مجلس سنة ٩١٦هـ، ثم أصبح أمير كبير في سنة ٩١٨هـ (انظر ابن الحمصي، حوادث الزمان، ج ٢، ص ١٩١-٢٣٠)؛ وتل جيش: لم أجد تعريف له فيما توفر لي من مصادر اطلعت عليها.

(٢) أحمد متولي، الفتح العثماني، ص ١٥٨؛ والصدر الأعظم: أعلى منصب إداري في الدولة العثمانية يلي السلطان في المكانة، ويمكن أن يعد بمنزلة رئيس الحكومة (انظر حسين مجيب المصري، معجم الدولة العثمانية، ص ١١٨)؛ وسنان باشا: وقيل اسمه (يوسف)، قتل في معركة الريدانية بمصر سنة ٩٢٣هـ (انظر ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٥، ص ١٤٥؛ الإسحاق، أخبار الأول، ص ١٤٣؛ ابن الغزي، الكواكب السائرة، ج ١، ص ٢١٠؛ الدويهي، تاريخ الأزمنة، ص ٣٩٣)؛ والبكوات: جمع (بك) كلمة تركية بمعنى الكبير، وهو لقب من ألقاب التشريف في الدولة العثمانية يطلق على ممن ينتسب لسلالة الملوك أو يلتحق بأعلى الهرم الوظيفي في الدولة (انظر حسن الباشا، الألقاب الإسلامية، ص ٢٢٥؛ حسين مجيب المصري، معجم الدولة العثمانية، ص ٤٧)؛ الأغوات: جمع (أغا) وقد اختلف في أصلها فمنهم من أعدها تركية المورد وتعني الأخ الكبير، وآخرون قالوا بأنها فارسية الأصل وتعني السيد وكلا الفئتين أجمع على أنها تطلق على الضباط العسكريين (محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص ١٧٧؛ جرجي زيدان، مصر العثمانية، ص ٦٤؛ محمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، ص ١٨)؛ الأنكشارية: جيش المشاة الذي أنشأه السلطان أورخان العثماني، ويتألف من أبناء النصاري الذين ربوا على التعاليم والآداب الإسلامية، وقد أباده السلطان محمود الثاني سنة ١٨٢٦م (نبيل عبد الحي رضوان، القوة العثمانية بين البر والبحر، ص ٢٧-٢٨؛ محمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، ص ٢٥).

أن احتدم القتال وكاد أن يكسر العثمانيين، عندها سرت شائعة بين عساكر المماليك بأن السلطان يريد التخلص من المماليك القرانصة، ولذلك أمر جلبانه من المماليك بأن لا يقاتلوا^(١)، فجاءت تلك الإشاعة التي لا يستبعد أن يكون مصدرها الغزالي وخاير بك، أقوى وأنجع سلاح استخدم ضد السلطان الغوري وقواته حيث أدت إلى أضعاف الروح المعنوية للمماليك القرانصة، الأمر الذي مكن العثمانيين من اختراق صفوف المماليك، وقتل سيباي وسودون العجمي، عندها كشف الغزالي ما أضمرته سريرته من غدر فتراجع بقواته مع النائب الحلبي إلى وطاق السلطان الغوري و"نادوا بأعلى أصواتهم" الفرار، الفرار، فان السلطان سليما أحاط بكم، وقتل الغوري، والكسرة علينا^(٢). فولت العساكر المملوكية هاربة، باستثناء عدد قليل من الأمراء والجند، فلما رأى الغوري الكسر لم يتمكن من الهرب فقتل تحت حوافر الخيل^(٣).

أما الأمير جانبردي الغزالي فقد فرّ بمن معه إلى دمشق فدخلها في يوم الاثنين ٤ من شعبان/ أغسطس، وفي اليوم التالي نصبه الأمراء نائباً على دمشق مؤقتاً إلى أن يُعاد تنظيم هيكل الدولة بتوزيع المناصب الإدارية على الأمراء، وأملاً في تقلد السلطنة من بعد الغوري، ولكن المماليك عارضوا ذلك ورأوا بأن يخلف السلطان ابنه على عرش السلطنة، وأن يتم تنصيبه في حاضرة الدولة المملوكية القاهرة^(٤). ويبدو أنه في تلك الأثناء، وتحديداً في يوم الأحد ١٧ شعبان

(١) ذكر ابن إياس بأن أسما تل الفار، بدائع الزهور، ج ٥، ص ٦٨-٦٩؛ ابن طولون، مفاهكة الخلان، ج ١، ق ٢، ص ٢٣؛ و زغرغين: لم أجد لها تعريف فيما توفر لي من المصادر اطلعت عليها؛ وتل الفار: هو مرج لطيف فوق أرض مرج دابق، أما الفار: بلدة من نواحي أرمينية (انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٢٥؛ ابن طولون، مفاهكة الخلان، ج ١، ق ٢، ص ٢٣-٢٤)؛ والمماليك القرانصة: ويسمون بالأوغاد "هم قديمو الهجرة الموصولون بالديوان، أصحاب الأرزاق الكبيرة المتعينون إلى الإمرة، ويكونون في منزلة أمراء الخمسوات، وكانت عدتهم مائة نفس" (انظر ابن زنبيل، آخره المماليك، ص ١٠٠، حاشية ★)؛ والجلبان: هم المماليك الذين جلبوا حديثاً (انظر محمد دهمان، معجم الالفاظ التاريخية، ص ٥٣)

(٢) ابن زنبيل، آخره المماليك، ص ١٠١؛ ابن طولون، متعة الأذهان، ج ١، ص ٣٥٤؛ الدويهي، تاريخ الأرمنة، ص ٣٩١؛ ابن الحنبلي، شذرات الذهب، مج ٨، ص ١٩١.

(٣) الديار بكري، تاريخ الخميس، ج ٢، ص ٣٩٠؛ خلف الوثنياني، ولاية جان بردي الغزالي، ص ٤٨٨.

(٤) ابن طولون، أعلام الوري، ص ٢٣٠؛ خلف الوثنياني، ولاية جان بردي الغزالي، ص ٤٨٩-٤٩٠.

ولى على نيابة حماة شخص لم تذكر المصادر اسمه، وأرسله ليتسلم زمام أمر نيابته، بيد أن النائب الجديد لم يمكن من دخول حماة، فرجع في ذات الشهر منهزماً إلى دمشق، ليخبر من بها بأن حماة أضحت ضمن ممتلكات الدولة العثمانية بعد أن دخلها السلطان سليم الأول مع قواته، وعين عليها متسلماً من جهته^(١)، ويبدو بأنها لم تبد أي مقاومة تذكر، بل بادر أهلها -على ما يبدو- إلى إعلان التبعية للعثمانيين كما فعل أهل حلب^(٢)، ودخلت بذلك حماة مرحلة جديدة من تاريخها. باتت تأتمر فيها بأمر السلطان العثماني.

(١) ابن طولون، مفاكهة الخلان، ج ١، ق ٢، ص ٢٦؛ "أما حماة فقد ربطت حينئذ بولاية طرابلس حيث كان الأمير منصور بن عساف والياً عليها، وقد انبسطت رقعتها من نهر الكلب في لبنان إلى حمص فحماة، وغدا من يدبر شؤون حماة يعرف بالمتسلم" (انظر مؤيد الكيلاني، محافظة حماة، ص ٢٢).

(٢) الدوبهسي، تاريخ الأرمنه، ص ٣٩٢؛ إبراهيم حليم بك، التحفة الحليمة، ص ٨٣؛ محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص ١٩٢؛ محمد أنيس، الدولة العثمانية والشرق العربي، ص ١١١؛ ناج السر أحمد حران، المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام، بلاد الشام في علاقات المماليك والعثمانيين منذ النصف الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي وحتى الفتح العثماني، ص ٤٢٧.



الفصل الرابع

أهم مظاهر التطور الحضاري

في بداية حياة



☆ المظاهر العمرانية ➤ (التخطيط العمراني - المرافق العامة - البنية التحتية)

(البنية التحتية)

☆ الحياة الاقتصادية ➤ (الزراعة - الصناعة - التجارة)

☆ الحالة الاجتماعية ➤ (الأسرة - المجتمع - التعليم)

(التعليم) - دور المرأة في الحياة - (البنية التحتية) - (البنية التحتية)

(البنية التحتية)

☆ الحياة العلمية ➤ (العلوم - الفنون - الرياضة)

(البنية التحتية)

المظاهر العمرانية:

التحصينات الحربية:

حظيت حماة بكثير من التحصينات الطبيعية التي زادت من منعتها، تمثلت في تلك السلاسل الجبلية التي تحمي جهاتها الشمالية والغربية، أما الجهة الشرقية فهي عبارة عن صحراء مكشوفة يسهل مراقبة العدو من خلالها، وحفظها نهر العاصي من الجهة الجنوبية، ومما زاد من حصانة حماة أنها تقع على وَهْدَةٍ من الأرض^(١)، اتصفت بالعرض والاستطالة والعمق السحيق-حتى إن ابن جبير شبهها بـ"خندق عميق"^(٢) يخترقها نهر العاصي الأمر الذي وفر لها مخزوناً مائياً ساعدها على المقاومة والصمود في فترات الحصار الطويلة، وإلى جانب هذه الحصانة الطبيعية التي حظيت بها حماة وغيرها من أعمال النياحة، فقد سعى حكام هذه المدينة على مر التاريخ إلى إقامة التحصينات المختلفة لحمايتها، والمتمثلة في الأسوار والقلاع والأبراج وغيرها، وتأتي في طليعة هذه التحصينات قلعة حماة الشهيرة والتي يعود بنائها إلى العهد السلوقي الذي يرجع إليه الفضل في بناء عددٍ من القلاع على الأراضي الشامية، وتعود قصة بنائها إلى أن الملك سلوقس رأى ببصيرته النافذة بأن أحد الجبال المطلة على حماة ونهر العاصي يصلح أن تكون قاعدة تبني عليها قلعة حصينة تكون على غرار قلعة حلب، فأمر عندها رجاله بتسوية الجبل على شكل مستدير، ومن ثم الشروع في بناء القلعة^(٣)، فجاءت مستديرة الشكل^(٤)، وقد دلت التنقيبات الأثرية التي أجرتها بعثة كشف دانمركية بين سنتي ١٣٥٠-١٣٥٨هـ / ١٩٣١-١٩٣٨م، بأنها سُكِنَتْ منذ الألف الخامس ق. م، وتعاقب بعد ذلك الملوك عليها، فأخذوا في الاعتناء بالنواحي الجمالية فيها، حيث

(١) العمري، مسالك الأبصار، ج٤، ص١٩٥؛ ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص٢٠٧؛ ذكر ابن الشحنة اسمها (وحدة)، ويبدو أنه قصد وهدّة، انظر الدر المنتخب، ص٢٦٧؛ والوَهْدَةُ: الهوة تكون في الأرض، وتطلق على الأرض المنخفضة، وهي النفرة المنقّرة في الأرض، وتكون أشد دخولاً في الأرض ليس لها حرف وعرضها رحمان وثلاثة لا تبين شيئاً (أنظر ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص٤٧١؛ المنجد في الأعلام، ص٩٢٠).

(٢) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص٢٠٧.

(٣) أحمد الصابوني، تاريخ حماة، ص١٤؛ وانظر أيضاً ول ديوارنت، قصة الحضارة ج٨، م٢، ص٤٤.

(٤) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص٢٠٧؛ انظر الملحق لوحة رقم (١).

عكف بعضهم على تحسين مداخلها، فزادوا عليها تماثيل على شكل أسود لإرهاب الجيوش المعادية^(١)، ولزيادة تحصيناتها حُفِرَ خندق مستدير الشكل يحيط بالقلعة من جميع جوانبها^(٢)، ويصل عمقه إلى حوالي ١٠٠ ذراع^(٣)، كما زودت بقناة مائية تنتهي عند محلة باب الجسر في مكان يسمى جسر الهوى حيث يتصل بنهر العاصي، ويعلو الخندق من جهة القلعة حجارة مرصوفة من الحجر الأملس موصول أعلاها بسور القلعة، ووظيفة تلك الحجارة إعاقَة تقدم العدو والحيلولة بينه وبين تسلق سورها، ويعلو منتصف الخندق خمسة جسور مرتفعة عليها مشمخرة مبني بحجارة عظيمة متصلة ببوابة القلعة^(٤) ثم يدخل إلى منعطفات الأبراج فيرى البلد من النواذ المفتوحة للحراسة الواسعة من الداخل والضيقة من الخارج ومن فوقها النواذ الواسعة التي سدت بشبك من الحديد عظيم وبعد قطع المدخل بنايات عظيمة من دار الحكومة ومحل الذخائر وبيوت السكن يحيط بها سور عظيم مرتفع^(٥).

وقد اهتم الأيوبيون بقلعة حماة وأولوها العناية الخاصة بسبب حركة الجهاد العسكرية التي شنوها ضد الوجود الصليبي في المنطقة، فعمل حكام الأسرة النقوية على زيادة تحصين سورها بهدم ما كان مبني من اللبن واستبداله بالحجر والجس، كما عملوا على تعميق خندقها وتوسيعه، مما أكسب القلعة متانة ومنعة^(٦)، وهي على ذلك كما وصفها ياقوت الحموي بأنها "قلعة عظيمة عجيبة في حصنها وإتقان عمارتها"^(٧)، ملونة الحجارة - حسب تعبير العمري^(٨).

(١) محمد أبو الفرج العشي، آثارنا في سورية العربية، ص ٩٩، حاشية ١.

(٢) صفي الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، ج ١، ص ٤٢٤.

(٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج ٢، ص ٣٠٠.

(٤) أحمد الصابوني، تاريخ حماة، ص ١٥؛ ويبدو من وصف النواذ الأولى بأنها وفرت حماية للجنود المتحصنين فيها من سهام العدو وقذائفهم، وأنها أعطت فسحة للقناصة الحمويين لضرب العدو الذي يحاصرهم دون عناء، وأما النواذ الأخرى ذات الحجم الواسع، فكانت وظيفتها توفير التهوية والإنارة لمن في داخل الأبراج مع مراعاة شروط السلامة والأمن بسد تلك النواذ بشبك من الحديد لمنع تسلل العدو؛ ومشمخرة: لم أجد لها تعريف فيما توفر لي من مصادر اطلعت عليها؛ ومحلة باب الجسر: يقصد بها المدينة السفلى، وسميت بذلك لإطلالتها على الجسر الكبير، وهي ذات أسواق عامرة (انظر أحمد الصابوني، المرجع السابق، ص ٥٨، حاشية ١).

(٥) ابن العديم، بغية الطلب، ج ١، ص ١٤٩؛ متعب القنّامي، مملكة حماة في العصر الأيوبي، ص ٤٤٤.

(٦) ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج ٢، ص ٣٠٠.

(٧) العمري، مسالك الأبصار، ج ٤، ص ١٩٦؛ انظر القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ١٤٠.

وعلى الرغم من منعة أسوار قلعة حماة، فقد تعرضت للخراب بسبب الزلزال الذي ضرب المدينة سنة ٧٠٢هـ/١٣٠٣م^(١)، ومما لاشك فيه بأن نائب حماة قد تكفل بترميم وإصلاح ما هدم منها خاصة، وأن البلاد كانت تمر في تلك الفترة بمرحلة حرجية من المواجهات العسكرية مع القوى المغولية، ويبدو بأن من تعاقب عليها من نواب لم يهتموا العناية بها بدليل تمكنها من الصمود في وجه القوى التيمورية، وعدم تمكنهم من دخولها حتى بعد سقوط المدينة، وظلت صامدة إلى أن استسلم رجالها لتيمورلنك حقناً لدمائهم، ومن المؤكد بأن حصانتها تلك دعت تيمورلنك لدكها، فحرمت الأجيال اللاحقة من التعرف على طرز العمارة المختلفة للحضارات التي تأثرت بها، فضلاً عن أنها حجبت عنهم قراءة صفحات للتاريخ الحي على سطور جدران تلك القلعة المهيبة، ومن المؤسف عدم محاولة من تقلد نيابة حماة بعد ذلك الغزو إعادة إعمارها، ويبدو أن الأسباب قد تعددت لمنع ذلك، منها انعدام الاستقرار الوظيفي للنائب الحموي، إضافة إلى تورط نائب حماة في عدد من حركات العصيان التي عصفت بالبلاد الشامية، كما أن الضعف الذي أصاب الدولة التيمورية كان له أثره في إهمال النواب لعملية إعادة إعمار قلعة حماة.

أما بالنسبة لأسوار مدينة حماة، فيبدو من خلال الحديث عنها أن المدينة كانت مقسمة إلى قسمين، قسم عُرف بالمدينة العليا ويحيط به سور أطلق عليه سور المدينة العليا، وهو على الجانب الآخر من القلعة، ويطوف حول المدينة المتصلة بسفح تل العريصة وأعلى نقطة فيه توجد على رأس ذلك التل^(٢)، فأضفى ذلك الموقع أهمية استراتيجية له حيث مكن القوات الحموية من كشف موقع العدو وتحركاته الهجومية وعدته وعتاده، وبناء على تلك المعلومات مكنت من بداخله

(١) ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج ٢، ص ٢٤٤.

(٢) ويبدو أن ذلك التل من التلال المرتفعة في المنطقة ولذا وصفه ابن جبير بالجبل (انظر رحلة ابن جبير، ص ٢٠٧؛ وأنظر أيضاً صفي الدين البغدادي، مرصد الإطلاع، ج ١، ص ٤٢٣؛ غرس الدين الظاهري، كشف زبدة المسالك، ص ٤٨؛ أحمد الصابوني، تاريخ حماة، ص ٥٧، حاشية ٢).

من تحديد المدة الزمنية التي سيفرض عليهم فيها الحصار، وبالتالي أخذ الاحتياطات اللازمة للصمود والمقاومة، الأمر الذي حال دون فرض الحصار الكامل والطويل على المدينة. أما صفة ذلك السور فكان مبنياً بحجارة بيضاء اللون، وله عدة أبواب منها الباب القبلي، والباب الغربي، وباب العميان، وباب النهر، وباب المغار، وباب النصر^(١).

أما القسم الثاني من المدينة فيعرف بالجزء السفلي، ويحيط به سور كان يعرف بسور المدينة السفلى، وهو مختلف عن سابقه الذي كان يأخذ شكل الاستدارة والإحاطة بالمدينة من جميع الجهات، أما هذا السور، فقد أحاط بالمدينة السفلى من ثلاث جهات فقط، أما الرابعة فهي محمية بنهر العاصي الذي شكل حاجزاً طبيعياً يحول دون تقدم العدو نحوها^(٢)، وقد أشار صفي الدين البغدادي إلى وجود قلعة في هذا الجزء من المدينة، وهذا ما لم يذكره معظم المؤرخين الذين اكتفوا بالحديث عن قلعة حماة سالفة الذكر^(٣)، ولعل البغدادي قصد بهذه القلعة قصور ملوك بني أيوب التي كانت تشرف على نهر العاصي، أو القلعة القابعة على قمة الجبل والمشرفة على المدينتين العليا والسفلى.

التحصينات العسكرية في بارين:

قلعة بارين

وهي من مخلفات الاحتلال الصليبي على الأراضي الشامية التي تم بناؤها في سنة ٥٠٩هـ/١١١٥م^(٤)، وقد زودت بسور محكم البناء مستقل عن

(١) أحمد الصابوني، المرجع السابق، ص ٥٧؛ باب المغار: وتعرف حالياً بمحلة الجرامة ولعلها سميت بذلك لوقعها على تل كبير نحتت فيها البيوت للسكنى (انظر أحمد الصابوني، المرجع السابق، ص ٦٥، حاشية ١)؛ وباب العميان والنصر: لم أجد لهما تعريف فيما توفر لي من مصادر اطلعت عليها .

(٢) صفي الدين البغدادي، مرصد الإطلاع، ج ١، ص ٤٢٣؛ ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص ٢٠٧؛ وانظر أيضاً ابن العديم، بغية الطلب، ج ١، ص ١٤٩.

(٣) صفي الدين البغدادي، مرصد الإطلاع، ج ١، ص ٤٢٤.

(٤) فولفغانغ مولر - فينز، القلاع، ص ١٥.

قلعتها^(١)، وقد استمرت تؤدي وظائفها الدفاعية منذ ذلك التاريخ^(٢)، إلى أن خربت بيد المسلمين بعد استرجاعهم لها من يد الصليبيين بمدة، وفقاً لما ذكره أبو الفداء، الأمر الذي يعني بأنها قد توقفت عن مهامها الدفاعية قبل إحياء الملكية النقوية بحماة في سنة ٧١٥هـ/١٣١٥م^(٣).

قلعة الرمنية:

استخدمها الصليبيون في مرحلة الصراع المسلح مع المسلمين باعتبارها قاعدةً عسكرية لضرب القوى الإسلامية المجاورة لها^(٤)، ويبدو أنها استمرت تؤدي مهامها العسكرية مدة من الزمن، ثم أهملت حيث لم يشر أبو الفداء إليها باعتبارها منشأة عسكرية، وإنما اكتفى بالحديث عن الآثار التي انتشرت على أراضيها^(٥).

وإلى جانب التحصينات العسكرية سالفة الذكر فقد اشتهرت نيابة حماة بعدد من المرافق العامة الأخرى، ويأتي في طليعتها المساجد، ومنها ما يلي:

١- الجامع الكبير^(٦):

كان يسمى بالجامع الأعلى نسبة إلى موقعه في المدينة العليا^(٧)، ويقع في وسط مدينة حماة، أنشأه الرومان معبداً يمارسون فيه طقوسهم الدينية، ثم حوله البيزنطيون إلى كنسية، وظل على ذلك رديحاً من الزمن حتى تحول إلى مسجد جامع بموجب المصالحة التي تمت بين أهل حماة وقائد القوات الإسلامية أبو عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه، وقد ترتب على هذا التعاقب اختلاف طرز البناء، حيث تظهر أثراً رومانية على الجدار الخارجي الشرقي في الرضام الأسفل والدعامات والمحاريب الصغيرة، وفي باحة الجامع وعلى وجه التحديد في تيجان الأعمدة،

(١) الصابوني، تاريخ حماة، ص ٢٥، حاشية ١.

(٢) شيخ الربوة الأنصاري، نخبة الدهر، ص ٢٧٤.

(٣) أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ٢٥٨-٢٥٩.

(٤) فولفغانغ مولر- فينز، القلاع، ص ١٥.

(٥) أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ٢٥٨-٢٥٩.

(٦) انظر الملحق للوحة رقم (٢).

(٧) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص ٢٠٧؛ أحمد الصابوني، تاريخ حماة، ص ٦٨، ٥٧؛ حماد السالمي، أوراق الأوراق عجائب وغرائب، من تراثنا حلب وحمص وحماة، ص ٢٧.

إضافةً إلى أجزاء من قبة الخزانة، التي تقع في الجنوب الغربي من الصحن، وقد بنيت على ثمانية أعمدة أسطوانية لها تيجان كورنثية ذات نقوش فنية، أما العهد البيزنطي فتظهر آثاره في الجدار والباب وزخارفه الفنية^(١)، كما تألف هذا الجامع من صحن ينقسم إلى ثلاثة أقسام، اثنان منها مصليان صيفيان، ولحرم الجامع مخطط مستطيل أبعاده ٥، ٣١، ٩٠، ٢٠م، مسقوف بخمس قباب كبيرة إلى جانب عقود متصالبة^(٢)، وبفضل الجهود التي بذلها المسلمون للمحافظة على ذلك الجامع فقد تمكّن من الصمود لفترة طويلة من الزمن، حيث سجلت المصادر الإسلامية أحداث إصلاحات وتجديدات له في عهد الخليفة المهدي العباسي ١٥٨-١٦٩هـ/ ٧٧٤-٧٨٥م^(٣).

ثم شيد له مئذنة في الجهة الجنوبية، وذلك في العهد السلجوقي سنة ٥٢٩ هـ/ ١١٢٤م، وقد أبرزت تلك المئذنة تميز العمارة الإسلامية في تلك المرحلة حيث جاءت مربعة الشكل، ومحلاة بالزخارف الإسلامية ومرصعة بكتابات بالخط الكوفي. كما حظي هذا الجامع بعناية فائقة من قبل السلطنة المملوكية خاصة في عهد الأمير زين الدين كتبغا الذي أمر بصنع منبراً له من الخشب المزين بزخارف هندسية بارزة مطعمه بالعاج في سنة ٧٠١هـ/ ١٣٠١م، كما زود الجامع في سنة ٨٢٥هـ/ ١٤٢١م، بمئذنة بنيت في شماليه تتوالت فيها الزخارف والنقوش، وزين القسم الأوسط من بدنها بثمانية محاريب ذات أقواس منحنية^(٤)، وفي سنة ٨٣٢هـ/ ١٤٢٨م، عمل على توسيع الجامع ببناء حرم صغير في الجهة الشرقية، كما زود برواق جديد^(٥).

(١) أحمد فائز الحمصي، روائع العمارة العربية والإسلامية في سورية، ص ٢٨؛ محمد أبو الفرج العشي، آثارنا في سورية، ص ١٠٠؛ والرّضام: صخور عظام يرضم بعضها فوق بعض في الأبنية (أنظر ابن منظور، لسان العرب، ج ١٢، ص ٢٤٣).

(٢) أحمد فائز الحمصي، روائع العمارة العربية والإسلامية في سورية، ص ٢٨.

(٣) أحمد الصابوني، تاريخ حماة، ص ٦٧؛ حماد السالمي، أوراق الأوراق عجائب وغرائب، من تراثنا حلب وحمص وحماة، ص ٢٧.

(٤) أحمد فائز الحمصي، روائع العمارة العربية والإسلامية في سورية، ص ٢٩.

(٥) أحمد الصابوني، تاريخ حماة، ص ٦٨، حاشية ١؛ والرواق: هي الأجنحة التي تحاذي جنبات المسجد وتكون عادة تحت قبة مرفوعة على أعمدة عالية، حتى ولو كانت هذه الأجنحة تشكل جزءاً فعلياً مما يسمى "بيت الصلاة" أو الحرم الداخلي للمسجد (المزيد انظر طه الولي، المسجد في الإسلام، ص ٣٠٤-٣٠٥).

٢- جامع القلعة:

يقع في قلعة حماة مقابل جامع أبي الفداء، وعرف بمنارته الشامخة^(١)، ويبدو أنه ظل يؤدي وظيفته الدينية إلى أن هدمت القلعة على يد تيمورلنك^(٢).

٣- جامع نور الدين زنكي^(٣):

يقع في محلة باب الناعورة^(٤)، والتي تعرف اليوم باسم حي الكيلانية^(٥). بناه نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي سنة ٥٥٨هـ/١١٦٢م^(٦)، فجعل له بابين أحدهما من جهة الشرق والآخر في الغرب والذي امتاز بارتفاع بنائه^(٧). والبناء بأكمله من الحجر، وصحنه يميل إلى الاستطالة، وبه مiazza تتوسطه وتأخذ في الامتداد نحو الغرب، وهي تميل للاستطالة أيضاً، وتحيط بصحن الجامع ثلاثة أروقة إلى جانب بيت الصلاة المبني في الجهة الجنوبية للجامع، وتطل تلك الأروقة على الصحن بعقود خموسة البناء مختلفة العرض، تقوم على أعمدة مبنية من الحجر وهي غير متساوية الحجم، يبلغ إجمالها تسعة أعمدة وثلاثة عشر عقداً، ستة من تلك العقود في الرواق الشمالي وثلاثة منها في الرواق الغربي، والباقي في الرواق الشرقي الذي اختلف عن غيره من أروقة الجامع بسقفه ذي القبتين، قامت الأولى منها على ثلاثة عقود خمسة من ضمنها عقد الواجهة المطل على صحن الجامع، والقبّة الثانية قامت على عقدين مدبيين، أما وجهتها المطل على الصحن فتتقسم إلى عقدين خمسين يقومان على عامود من رخام، يلي تلك القبّة قباء طويل قائم على ثلاثة عقود خمسة، امتاز عقد واجهته المطل على

(١) أحمد الصابوني، المرجع السابق، ص ١٥.

(٢) ذكر ابن العماد الحنبلي عدداً ممن تولوا الخطابة في ذلك الجامع، انظر شذرات الذهب، ج ٧، ص ٦٢، ١٨٧.

(٣) انظر الملحق للوحة رقم (٣).

(٤) أحمد الصابوني، تاريخ حماة، ص ٧٠؛ محلة باب الناعورة: يطلق عليها حالياً جسر بيت الشيخ (انظر أحمد الصابوني، المرجع السابق، ص ٧٠، حاشية ٤).

(٥) أحمد فائز الحمصي، روائع العمارة العربية الإسلامية في سورية، ص ٤٣.

(٦) ابن واصل مفرج الكروب، ج ١، ص ٢٨٣.

(٧) أحمد الصابوني، تاريخ حماة، ص ٧٠.

صحن الجامع بعرضه، وقد اشتركت تلك العناصر المعمارية في ارتكازها على جدار الجامع الخارجي من ناحية الشرق، وأما بيت الصلاة فيفصله عن الصحن ثلاثة أبواب يعلو الباب الأوسط منها فتحة على شكل محراب مبني من الرخام الأبيض والأسود، ويتوسط الباب الأوسط والغربي نافذة تطل على بيت الصلاة من الداخل والصحن من الخارج، في حين يتوسط الباب الشرقي والأوسط محراب مبني من الرخام الأبيض، ويعلو جدار بيت الصلاة المطل على الصحن فتحات للتهوية والإنارة، وعلى الرغم من أن سقف بيت الصلاة متواضع البناء في مجمله^(١)، إلا أن طرفه الشرقي تعلوه قبة قائمة على عقود مدببة، وهذا القسم من بيت الصلاة يفصله عن الرواق الشرقي باب من الخشب، وكذلك الحال في الرواق الغربي الذي يفصله عن بيت الصلاة باب آخر^(٢).

وقد زود نور الدين محمود هذا الجامع بمنبر مصنوع من خشب الأبنوس مزين بزخارف إسلامية متنوعة الأشكال الهندسية والنباتية والكتابية^(٣)، وضعه على يمين المحراب الذي يكتفه عامودين رخامين نُحِتَت قاعدتهما على شكل زخارف نباتية يعلوها نقش كتابي، ويليهما نحت بزخارف هندسية يعلوها نقش كتابي آخر ضم معلومات عن هوية الباني والبناء، يليه البدن تاجين تزينهما زخارف نباتية^(٤).

وأهم ما يميز جدار الجامع الشمالي وجود الكتابات الأثرية، نقشت "أولها باليونانية تتحدث عن إباء أهل حماة ضد الرمان، وثانيها بالعربية، وتشير إلى الباني، وثالثها أيضاً بالعربية وتتحدث عن إقامة مركز في الجامع للطلاب المنقطعين لدراسة العلم على نفقة الأوقاف الإسلامية"^(٥).

(١) انظر الملحق اللوحة رقم (٥)؛ والقبة: نوع من البناء الحدوب الذي له شكل كرة مشطورة عند وسطها كما قد تكون القبة في شكل بيضاوي أو مخروطي أو حلزوني (للمزيد انظر طه الولي، المسجد في الإسلام، ص ٢٧٤)؛ وميضأة: هي المكان المخصص في كل مسجد لعملية الوضوء (انظر طه الولي، المرجع السابق، ص ٣١٠).

(٢) انظر الملحق اللوحة رقم (٦).

(٣) أحمد فائز الحمصي، روائع العمارة العربية الإسلامية في سورية، ص ٤٣؛ محمد أبو الفرج العشي، آثارنا في سورية، ص ١٠٠.

(٤) انظر الملحق اللوحة رقم (٤).

(٥) رفاه محمد كامل، حماة مدينة الآثار، ص ١٤.

وخصّ نور الدين محمود زنكي الجامع بأوقاف عقارية كثيرة من بساتين ودكاكين موزعة في حماة والقرى المجاورة لها^(١)، ثم زاد عليها النائب الحموي كمشعبغا في سنة ٧٠٨هـ/١٣٠٨م، فبلغ حصيلة تلك الزيادة ١٥٠٠ درهم، وفي سنة ٨٢٣هـ/١٤٢٠م، بنيت له مئذنة^(٢) في جهتها الشمالية الغربية، وتألفت من عدة أبراج أعلاها برج السقف العلوي، ولكل برج ميزة زخرفية، فيه أربع نوافذ من جهاتها الأربعة متساوية، ونوافذ البرج الأوسط تختلف عن بقية النوافذ إذ إنها جاءت دائرية الشكل^(٣).

٤- جامع ابن ياروق:

ويقع على كتف العاصي عند باب حمص من محلة الباشورة قرب بستان الجبل، بناه الأمير نجم الدين التوتان بن ياروق سنة ٥٨٤هـ/١١٨٨م، بجوار المدرسة العسرونية، وهو ما جاء ضمن رسم كتابي عليه "بسم الله الرحمن الرحيم أمر بعمل هذا المسجد المبارك العمري الأمير الأجل الكبير الفقير إلى الله تعالى النجم التوتان ابن ياروق وذلك في سنة ٥٨٤ أربع وثمانين وخمسمائة"^(٤). ورغم أن المصادر والمراجع التي تسنّى لي الاطلاع عليها لم تشر إلى التطورات المعمارية لهذا الجامع. إلا أنه قد حظي - على ما يبدو - بعناية مملوكية خاصة شأنه في ذلك شأن بقية جوامع النيابة.

(١) أحمد الصابوني، تاريخ حماة، ص ٧٠، حاشية ٥.

(٢) أحمد فائز الحمصي، روائع العمارة العربية الإسلامية في سورية، ص ٤٣.

(٣) انظر الملحق للوحة رقم (٧).

(٤) أحمد الصابوني، تاريخ حماة، ٧٤، حاشية ٢؛ انظر أيضاً متعب القنّامي، مملكة حماة في العصر الأيوبي، ص ٣٧٨؛ نجم الدين التوتان ابن ياروق: لم أقف على ترجمة له فيما توفر لي من مصادر اطلعت عليها؛ وباب حمص: أحد أبواب سور المدينة السفلى (انظر أحمد الصابوني، تاريخ حماة، ٥٧)؛ ومحلة الباشورة: تقع على مدخل قلعة حماة على تل مشرف على البلد (أحمد الصابوني، المرجع السابق، ص ٦٤، حاشية ٥).

٥-جامع العزي(١):

بناه محمد بن حمزة العزي سنة ٦٢٣هـ/١٢٢٦م، في محلة باب الجسر على طريق الحلوانية، وقد خصص له العديد من الأوقاف التي قدرت بـ"١٥" ألف درهم في كل سنة(٢)، والجامع صغير يتكون من إيوانين متقابلين تعلوها قبة محمولة على أسطوانة بها نوافذ(٣).

٦-جامع أبي الفداء(٤):

يقع في محلة باب الجسر، وهو من بناء الملك المؤيد أبي الفداء سنة ٧٢٧هـ/١٣٢٦م، وقد عرف بأسماء أخرى منها جامع الدهيشة أو الدهشة(٥)، وجامع الحيات نسبة لوجود عمود كبير من الرخام على شكل أفاعي ملتقية بين شباكيه الكبيرين في حرم الجامع من جهة الشرق، وعمل له في الغرب شباكين مثل ما في الشرق(٦)، ويأخذ شكل المستطيل وفيه أربعة مداخل، وتزين جدران بيت الصلاة نقوش كتابية مختلفة إضافة إلى زخارف من الذهب والفسيفساء والرخام الملون(٧)، أما محرابه فجاءت واجهة جداره أعرق من الجدارين اللذين على جانبيه، وزينت حنية المحراب بالرخام الملون والمحمول على رخام أبيض،

(١) انظر الملحق اللوحة رقم(٨-٩).

(٢) أحمد الصابوني، تاريخ حماة، ص ٧١.

(٣) انظر الملحق اللوحة رقم(١٠-١١)؛ لا زال النقش واضحاً على الجامع ويحمل اسم بانيه(بسم الله الرحمن الرحيم انشا هذا المسجد المبارك العبد الفقير الى رحمة الله محمد بن حمزة العزي سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة) انظر الملحق اللوحة رقم(١٢).

(٤) انظر الملحق اللوحة رقم(١٤).

(٥) أحمد الصابوني، تاريخ حماة، ص ٦٩، حاشية ١؛ أحمد غسان سبانو، مملكة حماة الأيوبية، ص ١٨٢؛ ويبدو أنه أستمد تلك التسمية من محلة بحماة (انظر ابن طولون، القلائد الجوهريّة، ج ١، ص ١٢٧، حاشية ١)؛ وأورد السيوطي أسماء بعض من تولوا الخطابة في هذا الجامع، انظر بغية الوعاة، ج ١، ص ٣٨٩.

(٦) انظر الملحق اللوحة رقم(١٣).

(٧) أحمد غسان سبانو، مملكة حماة الأيوبية، ص ١٢٩-١٣٠، ١٨٢؛ انظر أيضاً أحمد الصابوني، تاريخ حماة، ص ٦٩؛ أحمد فائز الحمصي، روائع العمارة الإسلامية في سورية، ص ٤٨؛ ذكر محمد أبو الفرج العشي بأن التسمية تعود (من أجل وجود زخرفة بالحيات على بابه)، وهذا مخالف إذ إن تلك الزخرفة جعلت بين شباكين في حرم الجامع وليس على بابه، انظر آثارنا في سورية، ص ١٠٠؛ وانظر كذلك الملحق اللوحة رقم(١٦).

وتعلوه لوحة مرصعة بقطع من الفسيفساء والرخام الصغير الملون تحيط به مزررات من الرخام الملون، وزُخرف قلب المحراب بقطع الرخام الملون المستطيل وتعلوه خمسة أقواس زُيِّنَتْ بالرخام الملون الصغير الحجم وهي أشبه بالمحاريب الصغيرة، وتلا ذلك شريط من الزخارف الهندسية المذهبة التي أحاطت بحدود المحراب الكروي من الداخل، ويقع عن يمين ويسار المحراب شباكمان جعلت عضاتهما من الرخام الأبيض وعلتهما لوحة مربعة من الزخارف الرخامية الملونة والفسيفساء والذهب، وعلت واجهة المحراب شريط من النقش الكتابي ثم علاه شباك مزين بالأربسك، وقد بني فوق إيوان القبلة قبة مرفوعة على أسطوانة فيها اثنتا عشرة نافذة حملت على أكتاف مثلثة قائمة على ثلاثة عقود مرتكزة على عامودين مبنيين من الحجر تفصل بلاطة القبلة عن بلاطة المدخل^(١)، والأخيرة تعلوها ثلاثة عقود مخموسة، ويفصل بيت الصلاة عن الصحن بابان يعلوهما عقدان مدبيين^(٢)، وقد زينت جدران بيت الصلاة الخارجية المطلية على نهر العاصي بحجارة ملونة اعتمدت في توزيعها على شكل هندسي معروف بالمعينات^(٣).

٧- جامع السلطان:

يقع في محلة الدباغة، بناه السلطان بدر الدين حسن شقيق أبي الفداء، وقد حرص على أن يكون على غرار جامع أبي الفداء^(٤).

٨- جامع ابن الولي:

أمر بينائه زين الدين عبد الرحمن بن علي بن إسماعيل ابن البارزي المتوفى سنة ٧٣٣هـ^(٥).

(١) انظر الملحق للوحة رقم (١٦)؛ والْحَيْثُ: القوس (انظر ابن منظور، لسان العرب، ج ١٤، ص ٢٠٣).

(٢) انظر الملحق للوحة رقم (١٥).

(٣) انظر الملحق للوحة رقم (١٤).

(٤) أحمد الصابوني، تاريخ حماة، ص ٦٩؛ محلة الدباغة: يقع بالقرب من تل صفرون، وقد سميت بذلك لوجود مدبغة لدباغة الجلود فيها (أحمد الصابوني، المرجع السابق، ص ٦٤، حاشية ٦).

(٥) أبو الفداء، المختصر، ج ٤، ص ١٠٩؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج ٢، ص ٢٩٣؛ ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج ٢، ص ٢٤٥.

٩- الجامع العمري:

ويقع في باب المغار بمحلة المدينة العليا، وقد جدد بناؤه في سنة ٩١٩ هـ/١٥١٣م^(١)، وذلك على ما يبدو في عهد النائب الحموي جان بردي الغزالي.

١٠- الجامع الكبير بالمعرة:

وهو من المساجد التي اشتهرت خارج نطاق مدينة حماة ويتوسط المعرة من الجنوب والشمال، وكان في الأصل معبداً وثنياً للرومان، ثم تحول إلى كنيسة كبيرة في العهد البيزنطي، وبعد الفتح الإسلامي أعيد تخطيطه من جديد وحول إلى مسجد، ويبدو أن ذلك بموجب مصالححة أبرمت مع أهل المعرة كما هو الحال بالنسبة للجامع الكبير في حماة، ونتيجة للظروف السياسية التي مرت بها المنطقة خلال الحروب الصليبية، وما أعقبها من زلازل وحرائق، فقد تعرض الجامع لشيء من الخراب والدمار، ولذلك حظي بجهود كبيرة لإعمارهِ وترميمهِ، وهو عبارة عن صحن به مزولة تقوم على ستة أعمدة تعلوها قبة متوسطة الحجم، ويتوسط الصحن مiazza تقوم على عشرة أعمدة فوقها سقف بمثابة قبة نصف كروية، وحرَم الجامع مستطيل الشكل تبلغ أطواله ٥١، ٥ x ١١، ٥ م، مسقوف بست قباب تقوم على عقد مصلب يقوم على إحدى عشرة دعامة مربعة، ومئذنته مبنية في العهد الأيوبي، وهي مربعة الشكل مقسمة إلى ستة أبراج مختلفة الزخرفة، في كل واحدة منها أربعة نوافذ تفتح كل واحد منها على جهة من الجهات الأربعة، ويعلو البرج السادس برج آخر يعرف السقف العلوي^(٢).

ومن المساجد التي بنيت في العهد المملوكي بمدينة المعرة مسجد صارم الدين أربك المنصوري، وقد بني في شرقي المعرة^(٣).

(١) أحمد الصابوني، تاريخ حماة، ص ٧٢-٧٣، حاشية ٣.

(٢) أحمد فائز الحمصي، روائع العمارة العربية والإسلامية في سورية، ص ٣٧-٣٨.

(٣) أبو الفداء، المختصر، ج ٤، ص ١١٩؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج ٢، ص ٣٠٤.

ومن المرافق العمرانية التي شهدتها نيابة حماة الأسبلة: وهي الأماكن المخصصة لإرواء عطش المارة، وتوزع في طريق المارة أو الأماكن العامة أو ملحقة بمنشأة دينية من مساجد أو كتاتيب^(١)، ومن الأسبلة التي عرفت في نيابة حماة تلك التي كانت ملحقة بمسجد سبيل الأمير صارم الدين أربك المنصوري في شرقي معرة النعمان^(٢).

ومن هذه المرافق أيضاً البيمارستان، وقد عرفت نيابة حماة وجود بيمارستان واحد يقصده السكان طلباً للعلاج من الأسقام التي تصيبهم، وهو البيمارستان النوري نسبة إلى الذي شيده وهو الملك العادل نور الدين محمود زنكي، ويقع جنوبي الجامع النوري، وهو ملاصق لجدار قبلته، وتطل واجهته الشرقية على ضفة نهر العاصي^(٣)، كما يحوي عدداً من القاعات والغرف التي دثر بعضها^(٤)، ولم يبق منها سوى غرف القسم الجنوبي وغرف القسم الشمالي، والتي تطل على قاعة متسعة^(٥).

أما عن التقسيم الفني للبيمارستان النوري في حماة فكان كغيره من البيمارستانات التي عرفت في ذلك العصر، حيث قسم إلى قسمين منفصلين إحداهما للذكور والآخر للإناث، وفي كل قسم منهما قاعات تخصص لمعالجة عدد من الأمراض، فكان هنالك قاعة للأمراض الباطنية وأخرى للجراحة وثالثة للكحالة ورابعة للتجبير، وقد خضع كل قسم منها لرئيس يشرف على علاج

(١) أبو صالح الألفي، الفن الإسلامي، ص ١٢٤؛ محمود وصفي محمد، دراسات في الفنون والعمارة العربية والإسلامية، ص ٢٠٧؛ للمزيد من التفصيل عن الأسبلة بنائها ووظيفتها والأدوات المستخدمة فيها (انظر سعاد ماهر محمد، العمارة الإسلامية على مر العصور، ج ٢، ص ٢٠٧-٢١١).

(٢) أبو الفداء، المختصر، ج ٤، ص ١١٩؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج ٢، ص ٣٠٤؛ والذي يجدر ذكره هنا أن السبيل كان يتكون من ثلاث طبقات الأولى الصهريج، وهو في باطن الأرض لتخزين المياه، والثانية أعلى من مستوى سطح الأرض وبها المزملة ولصدها سلسبيل يقوم بتوزيع المياه على أحواض الشبائيك، في حين خصصت الطبقة الثالثة مكتباً أو كتاباً (انظر أبو الحمد محمود مزغلي، الدليل الموجز لأهم الآثار الإسلامية والقبطية في القاهرة، ص ٣٧).

(٣) انظر الملحق للوحة رقم (٣).

(٤) أحمد الصابوني، تاريخ حماة، ص ٧٦.

(٥) انظر الملحق للوحة رقم (١٧).

المرضى، كما شمل هذا التقسيم وجود صيدلية سميت بالشرابخانة ، وكان لها رئيس يسمى "شيخ صيدلي"، وكان الجميع يعمل تحت رئاسة الساعور^(١)، وكان نظر البيمارستان مناط بأسرة بني قرناص^(٢). ويبدو أن هذا المنصب كان محط نظر الكثير الذين سعوا لنيله بدفع مبالغ مالية كما فعل أبو السعود ابن قاضي الحنيفة بحلب جمال الدين يوسف بن اسكندر الحنفي، الذي قدّم مائة دينار وتعهّد بلبس الكسوة الرومية من أجل توليته على البيمارستان^(٣).

كما شهدت نيابة حماة عدداً من الأضرحة، وهي عبارة عن طراز معماري استحدثه سلاطين السلاجقة لحفظ رفاتهم، ونقلت معهم باعتبارها طرازاً معمارياً إلى بلاد الشام، وكان محور ارتكاز تلك المنشأة يقوم على قاعة الضريح التي توجد بها رفاة الشخص المتوفى، وهي عبارة عن بهو تقوم عليه قبة القبر^(٤)، كما عرفت أيضاً بالتربة^(٥).

وفي العصر الأيوبي ارتبط الضريح ببناء المدرسة أو المسجد، وزاد المماليك من بعدهم في الاهتمام بالأضرحة وزخرفتها، والعناية بالقباب، فظهرت ابتكارات معمارية دلت على عظمة ومهارة هندسية للمعماريين المسلمين، كما تنوعت التراكيب التي وضعت فوق القبر، والتي يمكن تشبيهها بالتواييت، فجاء بعضها من الخشب المنقوش أو الحجر أو الرخام أو الجص^(٦). وغالباً ما كانت

(١) أحمد عيسى، تاريخ البيمارستانات في الإسلام، ص ١٨-٢٠؛ انظر أيضاً أحمد رمضان، المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، ص ١٥٩؛ سعاد ماهر محمد، العمارة الإسلامية، ج ٢، ص ١٧٠-١٧١، والشرابخانة: كلمة من لفظين شراب وخانة ويقصد منها بيت الشراب (انظر محمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، ص ٩٧).

(٢) أحمد الصابوني، تاريخ حماة، ص ٤٩، حاشية ٤٩.

(٣) الحنبلي، تاريخ أعيان حلب، ورقة ١٢٢/ب؛ أبو السعود ابن قاضي الحنيفة بحلب جمال الدين يوسف بن اسكندر الحنفي، سبط الأمير الكبير رمضان بن صاورخان أحد أمراء حلب، كانت وفاته في سنة ٨٤٩هـ (انظر المصدر السابق، ورقة ١٢٢/ب).

(٤) أرنت كويل، الفن الإسلامي، ص ٦٠.

(٥) محمود وصفي محمد، دراسات في الفنون والعمارة العربية الإسلامية، ص ٣٩.

(٦) أبو صالح الألفي، الفن الإسلامي، ص ١٢٣؛ أحمد فائز الحمصي، روائع من العمارة العربية والإسلامية في سورية، ص ١١٩-١٢٠؛ محمد محمد الكحلوي، آثار مصر الإسلامية، ص ١١٩؛ محمود وصفي محمد، دراسات في الفنون والعمارة العربية الإسلامية، ص ٣٩؛ والذي يجدر ذكره هنا أن تجصيص القبور أو ترتيبها أو بناء القباب عليها يعد مخالفة عقيدة، يحذر منها الشرع الإسلامي الحنيف (انظر عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، فتح المجيد شرح كاب التوحيد، ص ١٨٧، ١٨٨).

تغطي بقباب ذات أشكال مختلفة منها النصف كروي والمدبب، وكان سطحها الخارجي أملس أو ذات تضليعات مستقيمة أو منحنية، وأحياناً كانت رقبة القبة تزين بزخارف من الخارج ، ثم تطورت زخرفة القباب من الخارج، بحيث أخذت تكسو سطح القبة كلها^(١).

ومن التراب التي أنشئت بحماة في العصر المملوكي، تربة الأمير قبجق المنصوري^(٢)، وأما أشهر الأضرحة بحماة فهو ضريح الملك المؤيد عماد الدين أبي الفداء إسماعيل، والذي يقع في الجانب الأيمن لمدخل جامعته الشهير، ويتكون البناء من بهو القبر الذي يعلوه قبة قائمة على أسطوانة بها ثمانى نوافذ قائمة على أربعة مثلثات كروية وأربعة عقود، وله شباك يطل على صحن الجامع^(٣)، وتابوت الملك أبي الفداء يتكوّن من قطعتين قاعدة رخامية منحوت عليها نقش كتابي مذهب ورأس التابوت من الخشب المحفور بزخارف هندسية بديعة، وباب الضريح من الخشب وبه أشرطة من النحاس في أعلاه وأسفله^(٤)، وعلى الجدار الشمالي الخارجي من الضريح يوجد لوحة رخامية ذات إطار مزخرف ومنقوش عليها

" هذا

مرقد العالم الكبير

اسماعيل أبي الفداء

ملك حماة سنة ٧٢٧" ^(٥).

أما عن الطرز المعمارية للدور السكنية في نيابة حماة فهي متشابهة في أقسامها الرئيسية التي تكونت من القسم الخارجي، ويحوي غرفاً للحارس والخدم الرجال، وقسماً لاستقبال الرجال ويسمى "المقعد"^(٦)، وقد حظي بأهمية بالغة لأنه

(١) أبو الحمد محمود فرغلي، الدليل الموجز لأهم الآثار الإسلامية، ص ٤١.

(٢) ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي، ج ٢، ص ٢٥١.

(٣) انظر الملحق اللوحة رقم (١٩).

(٤) انظر الملحق اللوحة رقم (٢٠).

(٥) هذا ما وقفت عليه بنفسى؛ انظر الملحق اللوحة رقم (١٨).

(٦) أحمد رمضان ، المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، ص ١٥٧.

مخصص لاستقبال الضيوف والزوار، فبني على مساحة واسعة، وروعي فيه الناحية الجمالية بتزويده بالزخارف الفنية الخشبية والرخامية، والقسم الثالث خاص بالحريم، وهو مخصص للحياة العائلية، وكان يقابل إيوان الرجال، وإذا كانت الدار ضيقة فإن إيوان النساء يعلو إيوان الرجال، أي إن المنزل يكون من طابقين، ووفقاً لهذه الأقسام فقد جاء المخطط العام للدور السكنية كالاتي: دهليز طويل يفتح على صحن الدار، وهو فسحة سماوية مزينة بالأشجار والورود، ويتوسطها بركة ماء تعمل على ترطيب وتبريد الصحن الذي يطل عليه إيوان محاط بثلاثة جدران، ووظيفتها أشبه بوظيفة غرف المعيشة في عصرنا الحاضر حيث يجتمع فيه أهل الدار، كما تضم الدار قاعتين إحداها صيفية والأخرى شتوية^(١).

ومن الدور التي اشتهرت في نيابة حماة دار الضيافة: وتقع شرقي الجامع النوري وكان يطلق عليها أيضاً " الطيارة الحمراء "؛ ودار السعادة: التي أنشأها الملك المظفر محمود غرب العاصي جانب حمام السلطان، والتي يبدو بأنها استمرت مقراً للحكم في ظل النظام النيابي بدليل سكنى أبي الفداء لها بُعيد إحيائه للمملكة التقوية سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م، وكذلك من دور حماة قصر الدهيشة أو الدهشة، والذي يعرف أيضاً بالمنزل المربع، وهو قصر خصص للسكنى في فصل الربيع باعتبارها مصيفاً للبيت الملكي التقوي، ولتلك الميزة فقد عُمل على انتقاء موقعه بدقه من قبل بانيه أبي الفداء حيث شيده في منطقة تجمع النهر والنواير، وتوفر الغطاء النباتي، وألحق به قبة أشار البعض بأنها قد تكون ضمت لذات البناء أو أنها شيدت بالمقربة منه، وكان تاريخ بناء هذه المجموعة في سنة ٧٢٠هـ/١٣٢٠م^(٢)، وقد كانت هذه المنشأة محط إعجاب السلطان الملك الصالح أبي إسماعيل ابن الملك الناصر محمد، الذي أمر بأن تكون التجديدات في قلعة

(١) أحمد فائز الحمصي، روائع من العمارة العربية الإسلامية في بلاد الشام، ص ١٠٠؛ انظر متعب الفتامي، مملكة حماة في العصر الأيوبي، ص ٤٤٦؛ أحمد رمضان، المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، ص ١٥٧؛ للمزيد من التفصيل عن إيجابيات وجود صحن الدار (انظر مجدي محمد عبدالرحمن حريري، المسكن في العمارة الإسلامية صحن الدار والتطلع إلى السماء، ص ٣٢-٥١).

(٢) أحمد غسان سبائو، مملكة حماة الأيوبية، ص ١٢٨-١٢٩، ١٩٨.

القاهرة على غرار الدهيشة بحماة، وذلك في رجب سنة ٧٤٣هـ/ ١٣٤٢م، فخرج شاد العماير مع أحد المهندسين المعماريين البارعين إلى حماة لمعاينة طرز البناء والزخرفة فيها، وبإتمام مهمتهما كتب السلطان إلى حلب بطلب ألفي حجر أبيض، وألفي حجر أحمر من دمشق، ويُعد حجم المبالغ التي أنفقها الملك الصالح على تلك التجديدات، والتي حددها المقرئزي بقوله: "فبلغت أجرة الحجر منها ثمانية دراهم من دمشق واثنى عشر درهماً من حلب. ووقع الاهتمام في العمل، فكان المصروف في العمارة كل يوم عشرة آلاف درهم"^(١)، دليلاً على مدى تطور العمارة في حماة، والتي حاول سلطان المماليك نقلها إلى القاهرة، كما عرفت نيابة حماة دار النيابة وتقع في المدينة السفلى وتطل على نهر العاصي^(٢).

كما اشتهرت نيابة حماة بحماماتها، والتي لا تختلف عن حمامات بقية المدن الشامية في تخطيطها العام، حيث انقسمت إلى ثلاثة أقسام تحكمت درجة حرارة المياه في كل قسم منها، أطلق على القسم الأول القسم البارد، ويتكوّن من قاعة للاستقبال وغرف لخلع الملابس، وتكون درجة حرارته فاترة بعض الشيء، يليها القسم المعتدل وتكون فيه درجة الحرارة معتدلة، ووظيفتها التدرج في نقل الجسم البشري من البرودة إلى السخونة أو العكس، وهي بذلك تعمل للمحافظة عليه من التعرض للأمراض التي قد تصيبه إن لم يتوخ الحذر، والقسم الثالث يعرف بالقسم الحار، وتكون درجة حرارة المياه والغرفة فيها مرتفعه^(٣)، و كانت عملية تسخين مياهها تتم في قبو البناء حيث تشعل النار تحت قدر من النحاس

(١) المقرئزي، السلوك، ج ٣، ص ٣٨٧؛ وشاد العماير: هو المسؤول عن إحداث وتجديد العماير السلطانية من قصور ومنازل وأسوار يختارها السلطان (انظر القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٢٢).

(٢) ابن الشحنة، الدر المنتخب، ص ٢٦٨.

(٣) ابن الأخوة، معالم القرية في أحكام الحسبة، ص ٢٤٠؛ أحمد رمضان، المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، ص ١٥٧؛ أحمد فائز الحمصي، روائع من العمارة العربية الإسلامية، ص ٩٢؛ محمود وصفي محمد، دراسات في الفنون والعمارة الإسلامية، ص ٤٠؛ يوسف درويش غوانمه، تاريخ نيابة بيت المقدس، ص ١٣٧؛ والحمام من المنشأة الرومانية، التي تمكن المعمار المسلم الاستفادة منها وتطويرها وتطويعها لخدمة الواجبات الدينية، فأخرج بذلك لفن العمارة الإسلامية ما عرف باسم الحمام العربي الذي ظهر في عهد الدولة الأموية، وظل محط عناية الدول الإسلامية اللاحقة (انظر توفيق عبد الجواد، تاريخ العمارة، ص ٣٣٤).

مملوء بالماء، ثم تتقل في أنابيب فخارية داخل الجدار، و تصب من فتحات فيها إلى أحواض وزعت في أطراف القاعات^(١). وكان سقف غرفة المياه الساخنة يغطي بقبة مرتفعة، أما سقف الحمام فعادة ما كان يغطي بقباب ضحلة أو أقباء متقاطعة^(٢). وقد خضع الحمام لإشراف مباشر من قبل المحتسب المخول له مراقبة ما يجري فيه سواء كان على الصعيد الأخلاقي أو المهني المتعلق بتأدية المسؤولين عنه من قومة وموظفين لمهامهم الوظيفية المتخصصة بخدمة الزوار وتنظيف الحمام كل يوم^(٣).

ومن الحمامات التي اشتهرت بها نيابة حماة حمام الذهب: ويقع في محلة المدينة، ويبدو أنه بناء قديم وقد جرى تطويره في العهد المملوكي، وحمام الشيخ أو السلطان بنه الملك المنصور الثاني واتخذ حماماً خاصاً له، ويقع جنوبي الجامع النوري، وحمام العرايس: وهو بمحلة العليليات السفلى، وحمام الزهور الواقع في طريق رحى العونية بمحلة الجسر، وحمام الحسام: بمنطقة باب الجسر، وحمام القاضي: بناه القاضي سراج الدين مغلي في محلة جورة حوا، وهو الحمام الذي يمكن أن يكون قد تم بناؤه في ظل وجود النظام النيابي بحماة^(٤).

كما عرفت حماة في هذا العصر عدداً من الخانات، ومفردها خان وهي كلمة فارسية الأصل تطلق على المنشأة المخصصة لإقامة المسافرين والقوافل التجارية، وهي أشبه بالمجمعات التجارية السكنية الضخمة في يومنا الحاضر، وتخطيطها العام يضم مجموعة من الحوانيت الكبيرة والصغيرة ومستودعات

(١) ابن الأخوة، معالم القرية في أحكام الحسبة، ص ٢٤٠؛ أبو صالح الألفي، الفن الإسلامي، ص ١٢٤-١٢٥؛ محمد وصفي محمد، دراسات في الفنون والعمارة العربية الإسلامية، ص ٤٠؛ يوسف درويش غوانمة، تاريخ نيابة بيت المقدس، ص ١٣٧.

(٢) أحمد رمضان، المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، ص ١٥٧.

(٣) ابن الأخوة، معالم القرية في أحكام الحسبة، ص ٢٤١؛ يوسف درويش غوانمة، تاريخ نيابة بيت المقدس، ص ١٣٧.

(٤) أحمد الصابوني، تاريخ حماة، ص ٧٧-٧٨؛ متعب القناني، مملكة حماة في العصر الأيوبي، ص ٤٤٨؛ ومحلة المدنية: هي ماكانت تعرف بالمدينة العليا (انظر أحمد الصابوني، تاريخ حماة، ص ٦٤، حاشية ٧، ص ٥٧)؛ ومحلة جورة حوا: كانت تسمى محلة الصفصافة (أحمد الصابوني، المرجع السابق، ص ٦٥، حاشية ٦).

للبضائع وصحن يتوسط البناء تربط فيه الدواب، كما حوى على مداخل ضخمة، وأدوار عليا بها غرف للسكنى والإقامة^(١).

أما المهام التي كانت تؤديها فهي توفير أماكن لإقامة التجار وحفظ أموالهم ودوابهم وبضائعهم، كما كان بها أقسام للبيع بالجملة وأخرى بالتجزئة، وتتكفل بتوزيع ما يرد إليها من بضائع^(٢)، ومن الخانات التي عرفت في نيابة حماة خان معرة النعمان، والذي بناه الأمير صارم الدين أربك المنصوري في شرقها^(٣)، كما أشارت بعض كتب الآثار إلى وجود خان شمالي المعرة، يعود تاريخ بنائه إلى سنة ٧٣٣هـ / ١٣٧٢م، ويظهر من وصف بوابته التي امتازت بالحصانة وعلته آثار روشن دفاعي على مدى ما تمتع به الخان من متانة وإتقان^(٤).

أما عن تخطيط المدارس وعمارتها في نيابة حماة فإنها لا تختلف عن مثيلاتها من مدارس موزعه على المدن الشامية، حيث اشتركت جميعاً تقريباً في وجود المصلى والميضاة وقاعات التدريس وحجرات المعلمين والطلاب وإيوانات للتدريس الصيفي، بيد أن الاختلاف جاء في أساليب الزخرفة المستخدمة^(٥)، ولا تمدنا المصادر بتفاصيل التنظيمات التي كانت تحكم هذه المؤسسة التعليمية ولكن من المرجح بأنها لا تخرج عما كان شائعاً في المدارس الإسلامية من أنظمة وشروط وقوانين تطبق على الملتحقين بها من طلاب ومدرسين وقد وفرت للمغتربين منهم أماكن للسكنى ضمن نطاق هذه المنشأة، كما تولت مهمة صرف

(١) أبو صالح الألفي، الفن الإسلامي، ص ١٤٢؛ محمد محمد الكحلوي، آثار مصر الإسلامية، ص ١٤٣؛ عادل بن محمد خضر عبد الهادي، عسقلان، ص ٣٧٠.

(٢) المقرئزي، المواعظ والاعتبار، ج ٢، ص ٩٣؛ نعيم زكي فهمي، طرق التجارة الدولية، ص ٢٨٧.

(٣) أبو الفداء، المختصر، ج ٤، ص ١١٩؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج ٢، ص ٢٠٤.

(٤) أحمد غسان سبانو، مملكة حماة الأيوبية، ص ١٩٨؛ والروشن: كلمة فارسية الأصل، تطلق على الفتحة أو النافذة أو الكوة للإضاءة أو المشربيات، وقد يقصد بها الخراجات في العماير (انظر سعيد عبد الفتاح عاشور، العصر المماليكي، ص ٤٤٣؛ محمد دهمان، معجم الالفاظ التاريخية، ص ٨٤).

(٥) المقرئزي، المواعظ والاعتبار، ج ٢، ص ٣٦٣؛ توفيق عبد الجواد تاريخ العمارة، ص ٣٢٨-٣٢٩؛ طه الوالي، المسجد في الإسلام، ص ٨٤؛ محمود وصفي محمد، دراسات في الفنون والعمارة العربية الإسلامية، ص ٤١؛ نعمت إسماعيل علام، فنون الشرق الأوسط في الإسلام، ص ١١٧؛ أرنست كونل، الفن الإسلامي، ص ٦٣-٦٥.

المرتبات والجرايات عليهم، والتي كان يتم تمويلها من قبل الأوقاف التي خصصت لها^(١).

ومن المدارس التي اشتهرت بها مدينة حماة، ما يرجع بناؤها إلى عهد الدولة الزنكية المدرسة النورية الحنيفية والتي أنشأها نور الدين زنكي، في بستان النوريات الواقع غرب الجامع النوري، وقد مرّ بها الرحالة ابن جبير في سنة ٥٨٠هـ^(٢). كما أنشأ المدرسة النورية الشافعية و ذكر بأنها كانت بالقرب من جامع نور الدين^(٣)، مما يعني وقوعها في حي الكيلانية والتي كانت تعرف سابقاً باسم محلة باب الناعورة، وأيضاً شيد المدرسة العسرونية إكراماً للعالم الجليل أبي عسرون ليتولى التدريس فيها^(٤)، وكانت عند باب حمص من محلة الباشورة^(٥) على كتف العاصي قرب بستان الجبل، وقد أضاف لها الأمير نجم الدين التوتان ابن ياروق داراً في سنة ٥٨٤هـ/١١٨٨م. ويبدو أن شهرتها في تعليم القرآن، وزيادة عدد طلابها، كانت سبباً في قيام الشيخ محمد بن محمد بن أبي بكر الشافعي على تزويدها بدارٍ أخرى في سنة ٧٢٥هـ/١٣٢٥م، وقد ضمت تلك الدار بياناً بعدد شيوخها والمادة التي تدرس بها، وشروطاً لالتحاق بها، كتبت على حجر ووضعت على جدار الدار، وجاء على ذلك الرقيم ما نصه:

"أمر بعمل هذه الدار المباركة السيد الفقير إلى الله تعالى محمد بن محمد بن أبي بكر الشافعي خلا قبلها وما استثنى جعلها دار قرآن ووقف لها أوقافاً كثيرة لتسكن في هذه الدار من فقراء المسلمين الغراب((الغرباء)) مقيمين بها ليلاً ونهاراً يتلون كتاب الله ويتذكرونه بينهم ويدعون للواقف ولوالديه وللمسلمين وقرر بها

(١) أبو صالح الألفي، الفن الإسلامي، ص ١٢٢؛ أحمد فائز الحمصي، روائع العمارة العربية والإسلامية، ص ٦٠.

(٢) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص ٢٠٧؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج ١، ص ٢٨٢؛ أحمد غسان سبانو، مملكة حماة الأيوبية، ص ١٨١.

(٣) أحمد الصابوني، تاريخ حماة، ص ٧٥.

(٤) النعمي، الدارس، ج ١، ص ٤٠١.

(٥) أحمد غسان سبانو، مملكة حماة الأيوبية، ص ١٨١.

شيخين يعلمونهم القرآن الكريم ويكون مقام كل فقير بها مدة خمس سنين فان ختم القرآن او مضت المدة المعينة فيكسى ثوبا اوجبة وتبرره عوضه ان وجد فان لم يوجد فيستمر جعلها الله خالصة لوجهه الكريم في شوال سنة خمس وعشر وسبعماية^(١).

وهناك مدارس تم بناؤها في عهد الدولة الأيوبية واستمرت على ما يبدو تؤدي دورها في العهد المملوكي منها المدرسة المظفرية التي بناها الملك المظفر تقي الدين عمر في محلة المدينة بجوار الجامع الكبير من جهة الغربية وكانت ذات شأن عظيم، وخصص لها أوقافاً كثيرة من قرية الدجاجية^(٢). والمدرسة المنصورية وأنشأها الملك المنصور محمد بظاهر حماة، وكانت تضم رفاة والده الملك المظفر تقي الدين^(٣)، ويبدو بأنه لذلك سميت بمدرسة التربة^(٤)، وقد أنشأ المنصور مدرسة أخرى بالقرب من باب الجسر، وهو الباب الشمالي لحماة^(٥)، ومنها أيضاً المدرسة الطواشية والتي تنسب إلى مؤسسها الطواشي مرشد عتيق الملك المظفر الثاني محمود، وتقع في محلة المدينة شمالي الجامع الكبير بجانب حمام الذهب الشرقي، وقد كان لها أوقاف كثيرة، وظلت تؤدي وظيفتها التعليمية إلى ما بعد الألف للهجرة، ثم هدمت بعدها، ولم يبق منها إلا آثار الجدران في أحد البساتين^(٦). وكذلك مدرسة العزي والتي بناها محمد بن حمزة العزي في محلة باب الجسر بجوار الجامع العزي من جهة الشرق، وذلك بعد بناء الجامع بأربع سنين في سنة ٦٢٧هـ/١٢٢٩م، وقيل بأنها كانت متسعة البناء، ولكنه لم يبق منها

(١) أحمد الصابوني، تاريخ حماة، ص ٧٤، حاشية ٢؛ متعب القنّامي، مملكة حماة في العصر الأيوبي، ص ٣٧٨-٣٧٩.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٢، ص ٨٧٩؛ النعمي، الدارس، ج ١، ص ٢١٦؛ أحمد الصابوني، تاريخ حماة، ص ٧٥-٧٦؛ أحمد غسان سبانو، مملكة حماة الأيوبية، ص ١٨١؛ متعب القنّامي، مملكة حماة في العصر الأيوبي، ص ٣٧٧؛ والدجاجية: قرية قريبة من حماة تقع على كتف نهر العاصي (أحمد الصابوني، تاريخ حماة، ص ٦٠).

(٣) ابن واصل، مفرج الكروب، ج ٤، ص ٨٠؛ متعب القنّامي، مملكة حماة في العصر الأيوبي، ص ٣٧٧.

(٤) أحمد غسان سبانو، مملكة حماة الأيوبية، ص ١٨١.

(٥) ابن واصل، مفرج الكروب، ج ٤، ص ٧٨؛ متعب القنّامي، مملكة حماة في العصر الأيوبي، ص ٣٧٧؛ أحمد غسان سبانو، مملكة حماة الأيوبية، ص ١٨١.

(٦) اليونيلي، ذيل مرآة الزمان، ج ٢، ص ٤٦٦؛ العيني، عقد الجمان، ج ٢، ص ٨٨؛ أحمد الصابوني، تاريخ حماة، ص ٧٣-٧٤؛ أحمد غسان سبانو، مملكة حماة الأيوبية، ص ١٨٢؛ متعب القنّامي، مملكة حماة في العصر الأيوبي، ص ٣٧٩.

في الوقت الحاضر إلا ما هو مرسوم على الجدار، والتي توضح اسم البناء وتاريخ الإنشاء^(١).

ومن المدارس التي شُيّدت في العصر المملوكي، وتحديدًا إبان إحياء النظام الملكي على يد الملك أبي الفداء إسماعيل سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م، المدرسة الخاتونية: نسبة إلى مؤسسها مؤنسة خاتون بنت الملك المظفر محمود، وعمة أبي الفداء، وكانت تقع في محلة المدينة، ثم تحولت إلى بستان عرف باسم بستان الخاتونية، وهي شرقي أول مدخل محلة الجراجمة، وعينت لها العديد من الأوقاف، وذلك في عهد الملك أبي الفداء^(٢). والمدرسة المؤيدية: أنشأها الملك المؤيد عماد الدين أبي الفداء إسماعيل، واشتهرت باسم المدرسة الخطيبة، كما عمل المؤيد إسماعيل على بناء القطعة الشرقية الملاصقة لحرم جامع نور الدين وتحويلها إلى مدرسة ألحقت بالجامع، وكان الشكل العام للبناء على هيئة مستطيل أبعاده ١٥،٥ × ١٠م، وهو ذو بلاطتين متلاصقتين يرتفع فوقهما قباب متباينة في الشكل والهندسة، أربعة في النصف الأول، وثلاثة في النصف الثاني، وجعل للمدرسة محراباً تقوم واجهته على عامودين نقش على تاج أحدهما (أمر بعمارة هذا الروشن المبارك مولانا السلطان الملك المؤيد)، وعلى التاج الآخر (عماد الدين والدين بن مولانا الملك الأفضل صاحب حماة خلد الله ملكه)^(٣)، وقد ألحق بالبناء حوض ماء سبيل، كما أوقف عليها العديد من الأوقاف التي بلغ عائدها ١٥ ألف درهم^(٤). وكذلك المدرسة البارزية وكانت متخصصة لتدريس الفقه الشافعي، ومنها أيضاً المدرسة الشيخية بناها القاضي نجم الدين عبد الظاهر السفاح الحلبي في الموقف، وقد أوقف حولها أوقافاً كثيرة عنيت نريته من بعده بإرسال وكيل منهم

(١) أحمد الصابوني، تاريخ حماة، ص ٧٥؛ أحمد غسان سبانو، مملكة حماة الأيوبية، ص ١٨٢؛ متعب القناني، مملكة حماة في العصر الأيوبي، ص ٣٨٠.

(٢) أبو الفداء، المختصر، ج ٣، ص ١٤٤؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج ٢، ص ٢٤٥؛ الزبيدي، ترويح القلوب، ص ٧٩؛ أحمد الصابوني، تاريخ حماة، ص ٧٣؛ أحمد غسان سبانو، مملكة حماة الأيوبية، ص ١٨٢؛ ومحلة الجراجمة: نسبة إلى من سكنها من قرية جرجومة، وقد كان يطلق عليها سابقاً باب المغار (أحمد الصابوني، تاريخ حماة، ص ٦٥، حاشية ١).

(٣) انظر الملحق اللوحة رقم (٣-٢١).

(٤) أحمد غسان سبانو، مملكة حماة الأيوبية، ص ١٣٠، ١٨٢.

يخرج من حلب لتحصيل إيجار عقاراتها في كل سنة، وعرفت أيضاً بالزاوية السفاحية^(١).

أما الطراز المعماري للمكتبات فقد انقسم إلى قسمين أولهما المكتبات العامة التي في العادة ما كانت تلحق بمنشأة تعليمية نظامية سواء أكانت مسجداً أو مدرسة، مثل مكتبة المدرسة الخاتونية و مكتبة الروشن التي كانت في مدرسة أبي الفداء القائمة في الجناح الشرقي للجامع النوري ، والتي كانت تحوي ٧٠٠٠ كتاب، والثانية المكتبات الخاصة مثل مكتبة قاضي حماة ابن البارزي والتي قدر ثمنها بمائة ألف درهم^(٢). ويبدو أن هذا النوع من المكتبات قد انقسم بدوره إلى قسمين، الأول ما كان على شكل حوانيت في الأسواق أو بجوار المساجد والمدارس لبيع الكتب على مريديها، والثاني ما كان داخل الدور، وخاصة دور الأسر الثرية التي كانت تحرص في ذلك على التنافس فيما بينها على اقتناء الكتب، فضلاً عن أن العلماء أنفسهم كانوا يحرصون على اقتناء الكتب داخل منازلهم لتكون في متناول أيديهم في كل الأوقات، فضلاً عن إتاحة الفرصة لتلاميذهم للإطلاع عليها عند زيارتهم لهم.

(١) أحمد الصابوني، تاريخ حماة، ص ٧٤-٧٥؛ والزواية: جمعها زوايا، وزاوية البيت ركنه، وهي الأماكن التي ينزوي فيه أشخاص معينين طلباً للعبادة، وتكون لهم حرية استقبال من يريدون، وهي بذلك المنظور تمثل مركزاً تصوفياً لمن يرغب في الانصراف للعبادة والزهد والانقطاع عن المجتمع، وغالباً ما كان اسمها يرتبط بشخصيات دينية معروفة بالفضيلة والخير والصلاح ومشهورة بالفقه، وقد اتخذها البعض منهم للوعظ وتدريس طلابهم ومريديهم، فكانت كخاليه مصغرة لترويج الأفكار والتيارات الدينية الخاصة، ومن الزوايا التي عرفت بها حماة زاوية السعدية، وتقع في محلة جورة حرا، وعمل على تجديد بنائها في سنة ٩١٩هـ / ١٥١٣م، وكذلك الزاوية الكيلانية وتتسب إلى مشيدها من بني الكيلاني الذين سكنوا حماة في حدود القرن السابع الهجري، وأيضاً الزاوية الحريرية شيدها الأمير طرباي الشريفي في حدود القرن الثامن الهجري، وهي تابعة للحريريين، ومن اشتهر في الاعتكاف بالزوايا نجم الدين عبد الرحمن بن حسين اللخمي، وأيضاً الزاوية القادرية (انظر عماد الدين الحنبلي، شذرات الذهب، ج ٦، ص ٢٧٦؛ أحمد الصابوني، تاريخ حماة، ص ٧٣؛ حياة ناصر الحجي، صور من الحضارات العربية الإسلامية، ص ١٦٢-١٦٣؛ انظر أيضاً أحمد رمضان، المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، ص ١٥٥؛ أحمد فايز الحمصي، روائع من العمارة العربية والإسلامية في سورية، ص ٧٦؛ متعب القمامي، مملكة حماة في العصر الأيوبي، ص ٤٤٦).

(٢) أحمد غسان سبانو ، مملكة حماة الأيوبية، ص ١٨٣.

الحياة الاقتصادية:

الزراعة:

شكلت الزراعة عماد الحياة الاقتصادية في نيابة حماة، وقد دعم ذلك عاملان أولاهما جغرافي تمثل في طبيعة أراضي حماة التي حباها المولى ﷺ قدراً كبيراً من خصوبة التربة واعتدال في المناخ، فضلاً عن التباين الواضح في تضاريسها، حيث تحيط بها عدد من الجبال العالية التي تتساقط عليها الثلوج في فصل الشتاء، ثم تذوب بسرعة عند اعتدال الجو فتعمل على ري الأراضي الزراعية^(١)، الأمر الذي ساعد أهلها على استصلاح الكثير من أراضيها الجبلية، واستغلال مواسم الأمطار وزراعة المحاصيل المتنوعة وفقاً للظروف المناخية المختلفة^(٢)، وثانيها بشري ظهرت مقدماته في العصر الروماني إبان وعي أهلها بطبيعة أراضي حماة المرتفعة عن مستوى نهر العاصي، والذي كان يمر في بعض الأوقات بمرحلة انخفاض لمستوى المياه فيه، فكان عليهم التدخل لحل هذه المعضلة التي كادت تؤدي بالمحاصيل الزراعية، وبما أن الحاجة هي أم الاختراع فقد تمكن الرومان من صنع ما عرف بالنواعير التي عرفها البعض بأنها "أداة لرفع الماء من نهر العاصي إلى مناطق أعلا من مستوى النهر تقع على ضفتيه لإرواء حقولها وبساتينها التي تسمى بالازوار"^(٣)، ومن هذا التعريف يظهر حاجة

(١) العمري، مسالك الأبصار، ج٤، ص١٩٧؛ ابن شحنة، الدر المنتخب، ص٢٦٩.

(٢) أشعار جل من تحدث عن حماة إلى كثرة بساتينها ومزارعها وغيطانها (انظر شيخ الربوة الأنصاري، نخبة الدهر، ص٢٧٤؛ العمري، مسالك الأبصار، ج٤، ص١٩٦؛ ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج١، ص٨٥؛ الحميري، الروض المعطار، ص١٩٩).

(٣) ممدوح الزوابي، نواعير حماة أو ابد تشهد على ازدهار هذه المدينة، ص٢٦؛ ذكر ابن العديم أن أهل حماة في ذلك الوقت كانوا يسمونها "الحنانات" ومنها الحنانة المعروفة نام حسن (انظر بغية الطلب، ج١، ص١٤٩)؛ وقد ذكر سهيل زكار في تعليقه عليها، بأن هذه الحنانة أو الناعورة مازالت حتى اليوم لم يتبدل موقعها وتعرف بناعورة الجسر (انظر المصدر نفسه، حاشية ٢)؛ والازوار تجمع (زور) أو (زاره) وهي الأجمة ذات الماء والحلفاء والقصب، وتكثر على أطراف الفرات (انظر محمد دهمان، معجم الالفاظ التاريخية، ص١٤).

حماة لتوفير نظام للري وشبكة من القنوات تساعد في عملية نقل المياه، فجاءت عبارة عن أحواض مقامة فوق السواري المبنية بجانب النواير، والتي تتصل بقنوات تمتد من أول السواري إلى ضفة النهر، ومنها تتساب نحو قنوات توزع مياه العاصي على المزارع والمرافق العسكرية والمدنية^(١)، وقد استمرت النواير منذ ذلك التاريخ تؤدي مهامها لتوفير قدر كاف من المياه المتدفقة طوال العام.

ونظراً لأهمية هذه النواير فقد أولاه الممالك عناية فائقة بالعمل على صيانتها وحفظها، وشرعوا في زيادة عددها حيث سجلت الدراسات الأثرية وجود ناعورتين تمّ بناؤهما على يد نواب حماة، إحداهما عرفت بالناعورة المحمدية والتي يبدو بأنها استمدت تسميتها من اسم السلطان المملوكي محمد بن المظفر حاجي، الذي تمّ في عهده وضع حجر أساس مشروع بناء الناعورة المذكورة، غير أنه لم يتمكن من حصاد ثمار ذلك المشروع لخلعه من الحكم سنة ٧٦٢هـ/١٣٦٠م، فتمّ افتتاحها تحت إشراف نائب حماة الأمير أيمن الشبيخي في سنة ٧٦٣هـ/١٣٦١م، وبلغ طول قطر الناعورة ٢١م، فكانت أكبر نواير حماة، ولم تكن تلك هي الناعورة الوحيدة التي بناها الممالك في حماة بل قام أحد أمراء حماة ويدعى الأمير الحاج بلباك بإنشاء ناعورة أخرى عرفت باسم المأمورية بلغ قطرها ٢٠م، وتمّ بناؤها في شهر جمادى الأولى سنة ٨٥٧هـ/١٤٥٣م^(٢).

ولم يقف اهتمام الممالك بنظام الري في حماة على النواير فقط، بل تعداه إلى تجديد القناطر التي كانت تتوزع بين حمص وحماة، والتي كُلف بها الأمير جقمق الظاهري^(٣)، أما المعرفة فقد انحصرت مقومات الزراعة فيها على الآبار ومنسوب مياه الأمطار، ولهذا فقد لجأ أهلها لتخزين مياه الأمطار في صهاريج، ونظراً لشحّ مصادر المياه بها، فقد اتبع أهلها أسلوباً لترشيد استهلاك

(١) أحمد الصابوني، تاريخ حماة، ص ٦٢، حاشية ٣، ١٢؛ انظر الملحق اللوحة رقم (٢٢).

(٢) أحمد الصابوني، تاريخ حماة، ص ٦٢، حاشية ٣، ١٢؛ مصطفى أطلس، المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري ج ٣، ص ١٢٨-١٢٩؛ ممدوح الزواوي، نواير حماة أو ابد تشهد على ازدهار هذه المدينة، ص ٢٦.

(٣) السخاوي، الضوء اللامع، ج ٣، ص ٧١-٧٣.

مياه الأمطار تمثل في التخزين والرش المدروس في سقي بعض المزروعات، وكذلك سقي أشجار بسايتينها الغناء^(١).

أما عن المحاصيل الزراعية التي اشتهرت بها حقول هذه النياية، فهي القمح، والحمص، والشعير، والذرة بنوعيهما الأصفر والأبيض، والبطيخ، بنوعيه الأصفر، والأخضر، كما اشتهرت بزراعة أشجار التين والفسق والزيتون والرومان والتفاح، وغير ذلك من الفواكه والخضراوات^(٢).

ومن أسماء تلك المحاصيل السابقة، والخصائص التي امتازت بها يمكن أن نتوصل إلى مواسم وطرق زراعتها، حيث إن بعضها يستهلك كميات من المياه في زراعتها ولهذا فهي لا تزرع إلا في مواسم الشتاء، مثل القمح والشعير والحمص والفل، في حين أن البعض الآخر امتاز بتحمل الجفاف وعدم احتياجه لكميات كبيرة من المياه عند الري، مع حاجته الماسة لأجواء دافئة عند الزراعة، ولذا اقتصر زراعته على مواسم الصيف و يسقى بمياه الري، مثل الذرة بنوعيهما والخضراوات والقطن والبطاطا والبصل والطماطم^(٣).

أما عن مستوى الإنتاج الزراعي في حماة فلم يكن مستقراً، لتدخل عدة عوامل منها الأثر السلبي للأوضاع السياسية لدولة المماليك، وهذا يظهر جلياً بعيد كل طرق مغولي لبلاد الشام والذي يتسبب في خراب الأراضي الزراعية لانعدام الأيدي العاملة لحرثها وزراعتها، إضافة إلى نفوق الثروات الحيوانية^(٤)، ناهيك عن إطلاق بعض القادة المغول أيديهم في حصاد القمح وسائر أنواع الحبوب

(١) شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص ٢٧٢؛ انظر أيضاً ياقوت الحموي، المشترك وضعاً، ص ٤٠١؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ٢٦٤-٢٦٥؛ ابن كنان، المواكب الإسلامية، ج ٢، ص ١١٠-١١١.

(٢) انظر شيخ الربوة الأنصاري، نخبة الدهر، ص ٢٧٢، ٢٧٤؛ العمري، مسالك الأبصار، ج ٤، ص ١٩٦؛ ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج ١، ص ٨٥؛ الحميري، الروض المعطار، ص ١٩٩؛ أحمد الصابوني، تاريخ حماة، ص ٨١؛ أحمد سبانو، مملكة حماة الأيوبية، ص ١٧٠؛ علي موسى، محمد حربه، محافظة حماة، ص ٣٢٤-٣٣٢؛ متعب الفتامي، مملكة حماة في العصر الأيوبي، ص ٤٤٨.

(٣) علي موسى، محمد حربه، محافظة حماة، ص ٣١٤-٣٢١.

(٤) ابن الفوطي، التجارب النافعة، ص ٥٤٥؛ بيبس المنصوري، التحفة المملوكية، ص ١٦٠؛ أبو الفداء، ج ٤، ص ٤٥؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٣١، ص ٤١٥؛ ابن أبيك، كنز الدرر، مج ٩، ص ٤٦-٤٧؛ المقرئ، السلوك، ج ٢، ص ٣٣٧؛ العيني، عقد الجمان، ج ٤، ص ١٢٨.

والشعير والتبن وجمع الأخشاب والمؤن الأخرى لسد احتياجات الجيش^(١)، فكانت النتيجة النهائية انعدام الموارد الغذائية، وارتفاع أسعارها، الأمر الذي اضطر معه الأهالي أحياناً لصيد الجراد وبيعه^(٢).

كما كان للكوارث الطبيعية أثر بالغ في تدهور الإنتاج الزراعي بنيابة حماة، ويأتي في طليعة ذلك تأخر هطول الأمطار، مثلما حدث في السنة الحمرا ٧٢٣هـ / ١٣٢٣م^(٣)، أو زيادة منسوبها عند هطول الأمطار الغزيرة المصحوبة بزخات البرد المتنوعة الحجم، والتي غالباً ما تؤدي إلى حدوث فيضانات تدمر المحاصيل الزراعية^(٤)، كما حدث في سنة ٧٤١هـ / ١٣٤٠م، عندما ضربت نيابة حماة موجة برد شديدة مصحوبة بأمطار غزيرة خلفت وراءها أضراراً بالغة على المحاصيل^(٥)، كما كان لزيادة منسوب نهر العاصي عن معدله، وفيضانه في سنة ٧٤٥هـ / ١٣٤٤م، ضرره البالغ على الأراضي الزراعية بشكل عام والمحاصيل بشكل خاص^(٦)، ففي سنة ٨٩٠هـ / ١٤٨٥م، أدت موجة برد مماثلة لطرح محصول المشمش الحموي قبل أوانه، أما في سنة ٨٩٦هـ / ١٣٩١م، فقد تعرضت نيابة حماة لموجة برد أعنف من سابقتها حيث أدت إلى تدمير أشجار الزيتون^(٧)، إضافة إلى تعرضها للزلازل بين آونة وأخرى^(٨)، كما أدى اجتياح الجراد لبلاد الشام ومنها حماة في سنة ٨٠٣هـ / ١٤٠٠م، إلى إتلاف كثير من المحاصيل الزراعية^(٩).

(١) أحمد عبد الكريم، تيمورلنك ودولة المماليك الجراكسة، ص ١٣.

(٢) ابن حجر، إنباء الغمر، ج ٤، ص ٢٠٩؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج ٢، ص ٩٣.

(٣) أبو الفداء، المختصر، ج ٤، ص ٩٢.

(٤) النويري، نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ١٣، ٢٣١؛ ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج ١، ص ٢٣٩.

(٥) المقرئ، السلوك، ج ٧، ص ٣٥٢؛ انظر أيضاً الصيرفي، نزهة النفوس، ج ٣، ص ٤٠١.

(٦) ابن حبيب، درة الأسلاك، ج ٢، ورقة ٢٨٨.

(٧) ابن طولون، مفاهمة الخلان، ج ١، ق ١، ص ٦٨، ١٣٤-١٣٥.

(٨) ابن الوردي، تاريخ بن الوردي، ج ٢، ص ٢٤٤؛ المقرئ، السلوك، ج ٢، ص ٤٠٥.

(٩) المقرئ، السلوك، ج ٦، ص ٦٣؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج ٤، ص ٢٠٨؛ ابن عريشاه، عجائب المقثور، ص ٢٩٥-

٢٩٦؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٢، ص ٢٥٣.

ونظراً لوفرة أماكن الرعي في حماة التي اشتهرت ببرها ذي المروج الخضراء، فقد نشطت بها تربية الماشية^(١)، ولقد أشار المؤرخ المعاصر أبو الفداء إلى أن حماة وأعمالها امتازت بالمحافظة على بعض فصائل الخيول التي تعرضت للفناء في بعض الفترات بسبب الأوبئة كما حدث في سنة ٧٠٣هـ/٠٣-١٣٠٤م، عندما هلكت غالبيتها في حماة حتى خلت غالب أسطبلات الأمراء والجند^(٢)، وكما تعرضت نيابة حماة مع غيرها من نيابات الشام الأخرى لانخفاض معدل الإنتاج الحيواني في سنة ٨٣١هـ/٢٧-١٣٢٨م، وكذلك سنة ٨٤١هـ/٣٧-١٤٣٨م، وذلك لتفشي وباء خطير أدى إلى نفوق أعداد كبيرة من دوابها^(٣)، ومن المرجح بأن يؤدي اختراق نهر العاصي لحماة إلى فرضية وجود ثروة سمكية به.

الصناعة:

ترتب على ثروة حماة الزراعية قيام عدد من الصناعات التقليدية منها صناعة تجفيف الفواكه من تين ومشمش وعنب، وصناعة خل العنب والتفاح، وصناعة النسيج، وتعد المنتجات القطنية من أجود ما قدمته حماة على ساحة السوق المحلية، والتي عرفت باسم البياض، وهو يشمل الشراشف والمناشف وغيرها، تليها المنسوجات الحريرية كالصايات الملونة والبيضاء، وهي خامات جيدة

(١) العمري، مسالك الأبصار، ج٤، ص١٩٧.

(٢) أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص٥١.

(٣) المقرئ، السلوك، ج٧، ص١٧٠، ٣٥٢.

لصناعة الألبسة^(١)، كما لا يمكن إهمال صناعة عصر الزيوت خاصة وأن المعرفة كانت مشهورة بزراعة أشجار الزيتون^(٢).

ومن الصناعات التي اشتهرت بها نيابة حماة وذاع صيتها في بلاد الشام صناعة الورق، وقد استخدمت أجود منتجاتها في ديوان الإنشاء في النيابات الشامية، فعرف باسم قطع نصف الحموي، ويبلغ عرض درجه عرض نصف الطومار الحموي وطوله بطول الطومار^(٣).

كما اشتغل سكان هذه النيابة بعمل المصنوعات الخشبية وقد تصدرت قائمتها صناعة النواير التي ارتكز بناء هيكلها العام على القطع الخشبية، فكان من المفترض أن تمرّ تلك النواير بمراحل من الترميم والصيانة المستمرة حتى تتمكن من تأدية وظائفها دون أن يصيبها العطل أو التلف، وبناءً عليه كان لابد من وجود أمكنة خاصة وصناع مهرة تخصصوا في صيانة المنشأة المائية، وأيضاً من المصنوعات الخشبية التي برعت بها البلاد الشامية قاطبة والتي لا يمكن أن تخلو منها حماة، صناعة النحت على الخشب والتي ظهرت جلياً في اللمسات الجمالية في الزخرفة وتزيين القصور والدور، والأدوات المستخدمة في المساجد مثل المنابر والمحاريب، وكذلك الأثاث المنزلي من خزائن لحفظ الألبسة والأطعمة

(١) أحمد الصابوني، تاريخ حماة، ص ٨٢؛ أحمد سبانو، مملكة حماة الأيوبية، ص ١٧٠؛ متعب القثامي، مملكة حماة في العصر الأيوبي، ص ٤٣٩؛ والصايات: مفردتها الصاية، وهي لفظة تركية تطلق على الزي المصنوع من الجوخ الخشن (انظر محمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، ص ١٠١)

(٢) شيخ الربوه الأنصاري، نخبة الدهر، ص ٢٧٢.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٦، ص ١٩٢؛ يعود تاريخ صناعة الورق في حماة إلى عهد الدولة الأموية التي عملت على نقل ونشر هذه الصناعة في كافة البلاد الشامية بما فيها حماة (انظر زكي النقاش، العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والإفرنج خلال الحروب الصليبية، ص ٩٧)؛ والطومار: الورقة الكاملة المعبر عنها في زمن القلقشندي، بالفرخة (انظر القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٦، ص ١٨٩، ١٩٢).

ومقاعد للجلوس^(١). وممن عمل في صناعة الخرط محمد بن سلمان الحراني الحموي المتوفى في سنة ٨٠٦هـ / ١٤٠٤-٠٣^(٢).

ونظراً لوفرة الثروات الحيوانية في نيابة حماة فقد نشطت بها صناعة الجلود وخاصة الأحذية والتي كانت تعرف باسم الإسكافة، وكذلك من الصناعات التي لا يمكن تجاهل وجودها في ذلك العصر الحدادة^(٣)، وصناعة الأسلحة الخفيفة من سيوف وخناجر وأقواس وسهام ورماح وغيرها، والتي كانت تستخدم على الصعيد العسكري والترفيهي للقيام برحلات الصيد^(٤).

وقد مرت الصناعة الحموية بهزة عنيفة إبان الغزو التيموري لبلاد الشام ٨٠٣هـ / ١٤٠٠م، وذلك بسبب اقتياد تيمورلنك كثيراً من الحرفيين والصناع إلى حاضرة دولته سمرقند^(٥)، مما يعني انخفاض الإنتاج الصناعي وتدني الجودة الحرفية في السوق المحلية.

التجارة:

رغم أن الصناعات التي عرفت نيابة حماة تُعدّ تقليديه وبسيطة إلى حدّ ما، إلا أن التُّجار في هذه النياية تمكّنوا من استغلال موقعها القابع في قلب البلاد الشامية والقريب من أهم الموانئ البحرية (طرابلس)، والبرية (دمشق وحلب)، لتنشيط ودفع حركة التبادل التجاري فيما بينها^(٦).

(١) عن الزخارف التي برع فيها صناع دولة المماليك (انظر توفيق أحمد عبد الجواد، تاريخ العمارة، ج ٢، ص ٢٥٢-٢٥٤؛ أرنست كونل، الفن الإسلامي، ص ١١٤-١١٥).

(٢) ابن حجر، إنباء الغمر، ج ٥، ص ١٨٦-١٨٧.

(٣) الذهبي، نيل تاريخ الإسلام، ص ٤٢٧؛ أحمد الصابوني، تاريخ حماة، ص ٨٢.

(٤) الذهبي، نيل تاريخ الإسلام، ص ٤٢٧.

(٥) الصيرفي، نزهة النفوس، ج ٢، ص ٩٢؛ أحمد عبد الكريم سليمان، تيمورلنك ودولة الجراكسة، ص ٤١، حاشية ٦٧؛ السير ولیم، تاريخ دولة المماليك في مصر ١٣٥؛ وسمرقند: من مدن بلاد ما وراء النهر، تقع جنوبي وادي الصغد (انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٤٦-٢٤٧).

(٦) أحمد غسان سبانو، مملكة حماة الأيوبية، ص ١٧١.

ومن المرجح استمرار أسواق نيابة حماة في أداء وظيفتها في العصر المملوكي كما كان عليه الحال في العصر الأيوبي، فقد أشار ابن جبير إلى كثرة الأسواق التي شهدها حماة في مدينتيها السفلى والعليا وتميز الأخيرة حيث قال: "وأسواق المدينة العليا أحفل وأجمل من أسواق المدينة السفلى، وهي جامعة لجميع الصناعات والتجارات"^(١).

ومما يؤيد ما وصلت إليه حماة من نماء تجاري وتطور حضاري، وجود أسواق متخصصة بها منها:

- سوق القطن.
- سوق الطحين.
- سوق الخيل.
- سوق الحطب.
- سوق الدق.
- سوق الحدادين.
- سوق الأقوسة.
- سوق الاسكافة.

كما عرفت أيضاً أسواقاً مركزية مثل سوق المنصورية، وكان تنظيم المحلات فيه وفقاً لحرفة كل بائع، وسوق ابن قريع وهو بالقرب من جامع السحور، وسوق حميد في المدينة العليا قرب الجامع الأعلى، وسوق العدل وسوق المتولي قرب جامع السلطان^(٢).

(١) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص ٢٠٦-٢٠٧.

(٢) أحمد غسان سبانو، مملكة حماة الأيوبية، ص ١٧٢؛ متعب القناني، مملكة حماة في العصر الأيوبي، ص ٤٤٢؛ وسوق الدق: يحتمل أنه سوق للطحانيين أو بائعي البهارات، والدق مصدر قولك دقت الدواء، والدقاقة ما اندق من الشيء، والدقاق كل شيء دق، أهل مكة يطلقون على توابل القدر دقة (البهار) (انظر عواطف محمد يوسف نواب، الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين دراسة تحليلية مقارنة، ص ٢٤٥).

وقد أورد الذهبي إرهابات تؤيد استمرار التخصص التجاري للأسواق تحت ظل الحكم النيابي، حيث أشار إلى وجود بعض الأسواق في حماة في سنة ٧٣٤هـ/١٣٣٤م، منها:

سوق متخصص لبيع السلع الخاصة بالنساء وعرف باسم سوق التجار.
سوق العطارين.
سوق الغزل.
سوق الكتانين
سوق الحريرين^(١).

وقد شهدت تلك الأسواق رواجاً لتجارة المنتجات المحلية من المنسوجات الحريرية والقطنية كالأعبئة والكوفيات والزنانير والملاءات والشراشف و البرانس والطاليسة والمبازرة والبرقع والأزر والجلابيب والقطائف، إضافةً إلى المنتجات الإقليمية من مصنوعات زجاجية وأدوات وأوان وأسلحة مصنوعة من المعدن والخشب ومصوغات ذهبية مطعمة بالجواهر، وكذلك السجاد والبسط والحصر، والمصنوعات الجلدية^(٢)، فضلاً عن البضائع الخارجية من عطور وبخور وتوابل ومنسوجات وعقاقير طبية^(٣)، ومما لا شك فيه أن التجار الحمويين كثيراً ما

(١) الذهبي، ذيل تاريخ الإسلام، ص ٤٢٧.

(٢) أحمد رمضان المجتمع الإسلامي في بلاد الشام، ص ١٢٢-١٢٨؛ والطيلاسة: جمع طيلسان: وهو لباس يوضع على الكتف والرأس فوق العمامة شكله مربع يغطي به أكثر الوجه ثم يلف طرفاه من تحت الحنك إلى أن يحيط بالرقبة ثم يلتقيان على الكتفين ويتدلى طرفاه الآخرا على الظهر ويعتبر في العادة من الملابس الخاصة بالقضاة والفقهاء (انظر صلاح الدين حسين العبيدي، الملابس العربية الإسلامية في العصر العباسي الثاني، ص ٢٦٩؛ ل.أ.ماير، الملابس المملوكية، ص ٩٤)؛ والزنانير: تجمع زنار وهو حزام أو وشاح تميز بلبسه أهل الذمة في العصور الوسطى (سعيد عبد الفتاح عاشور، العصر المماليكي، ص ٤٤٦)؛ وأما البرانس والمبازرة والقطائف: فلم أجد لهم تعريف فيما توفر لي من مصادر اطلعت عليها.

(٣) أحمد رمضان، المرجع السابق، ص ١٢١؛ نعيم زكي فهمي، طرق التجارة الدولية، ص ١٩١.

استغلوا المناسبات المتنوعة لترويج بعض البضائع المصنوعة محلياً مثل الحلوى، والأقراص، والكعك، والمشاعل، والشموع، والنفط، والبارود، وتأجير الخيام والمراكب^(١).

والجدير بالذكر أن السلطنة المملوكية لم تهمل العمل على تيسر أمور التجارة في نيابة حماة، فسعت إلى توفير السيولة النقدية للتجار، وذلك عن طريق سك النقود بها، والتي عرفت بالدرهم الحموية، والتي طغت على العملات الأخرى في سوق الصرافة المحلية بدليل الأضرار البالغة التي خلفتها في سنة ٧٨١هـ/١٣٧٩م، بعد تعرضها للغش والزيف في عملية سكها فكانت سبباً لكثرة "تعت الناس منها"^(٢).

أما عن الأوزان والصنوج والمقاييس والمعاملات التي استعملت في نيابة حماة، فقد وضع القلقشندي بياناً وافياً عنها، حيث قال: "أما معاملاتها فعلى ما تقدم في غيرها من الممالك الشامية من المعاملة بالدينار والدرهم؛ وصنّجتها كصنّجة دمشق وحلب وطرابلس، تنقص عن الصنّجة المصرية كل مائة مثقال مثقالاً وربع، وكل درهم درهم وربع؛ ورطلها سبعمائة وعشرون درهما بصنّجتها؛ ومكيلاتها معتبرة بالمكوك كما في حلب وبلادها، ومكوكها مقدّر كل مكوكين وربع مكوك غرارة بالدمشقي؛ وقياس قماشها بذراع، وقياس أرضها بذراع العمل المعروف"^(٣).

(١) شيخ الرتبة، نخبة الدهر، ص ٣٦٨-٣٦٩.

(٢) الأب أنستاس الكرمل، النقود العربية والإسلامية، ص ٦٧، ١٦١؛ أحمد غسان سبانو، مملكة حماة الأيوبية، ص ١٦٩.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٢٣٦-٢٣٧؛ والصنوج: مفرداً صنجة، بالصاد أو سنجة بالسين، وأصلها فارسي محرفة من كلمة سنكة، أي الحجر، ويراد به في الاصطلاح العيار، والصنجة بزنة مائة من حب الخردل (انظر الأب أنستاس الكرمل، النقود العربية والإسلامية، ص ٣٤، حاشية ١)؛ والمكوك: جمعه مكايك، وهو مكيال للحبوب يسع صاعاً ونصف، والصاع قدر وية، والوية ثلاث كيلات (انظر محمد قنديل البقلي، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص ٣٢٥)؛ والغرارة: "مكيال أهل الشام، يتألف من ١٢ كيلاً و ٧٢ مداً" (انظر ضيف الله الزهراني، وعادل غباشي، تاريخ مكة المكرمة التجاري، ص ١٢٢)؛ وذراع العمل: طوله ثلاثة أشبار بشبر الرجل المعتدل (انظر القلقشندي، صبح الأعشى، ص ٤٤٢).

ويلحظ أن هذا الرخاء لم يدم طويلاً لتعرض نيابة حماة والطرق المؤدية إليها للمخاطر، حيث تعرضت لهزة عنيفة عندما هاجم خان المغول غازان بلاد الشام في سنة ٧٠٠هـ/١٣٠٠م، إضافة إلى تعرض أسواق حماة في سنة ٧٣٤هـ/١٣٣٤م، لحريق كبير قضى على أسواق الكتان والغزل والحريير وسوق التجار وسوق العطارين، حيث شمل ما بين ٢٣٥ إلى ٢٥٠ دكاناً بما فيها من بضائع وبيع^(١)، كما أدى هجوم تيمورلنك على بلاد الشام إلى تناقص حركة التبادل التجاري في المنطقة وأصبحت طرق التجارة الداخلية بالشلل، وطال النهب الأسواق والخانات التجارية^(٢). وعلى هذا فمن غير المتوقع أن تزدهر التجارة في حماة، بيد أن تدمير المغول طريق التجارة البرية الذي كان يربط أوروبا بأواسط آسيا، ساعد في تنشيط حركة التبادل التجاري في الغرب الأوربي وخاصة مع البندقية، فأضحت حماة من أهم المدن الداخلية الخمس في بلاد الشام المستفيدة من عودة الحركة التجارية مع الغرب^(٣). غير أن الاحتكار الذي فرضه بعض سلاطين المماليك على بعض السلع التجارية، كان له أثره السلبي الواضح على حركة التبادل التجاري، كما حدث في سنة ٨٣٢هـ/١٤٢٩م، عندما احتكر السلطان الأشرف برسبای الثياب المنسوجة من القطن التي جلبت من الموصل

(١) ابن الجزري، تاريخ الجليل، ص ٢٤٠؛ وردت قصة الحريق الكبير في حماة عند الذهبي في موضعين مختلفين أحدهما ذكر بأنها كانت في سنة ٧٣٤هـ، وفي الموضع الآخر ذكر بأنها كانت في سنة ٧٣٥هـ (انظر، ذيل تاريخ الإسلام، ص ٤٢٧؛ ذيل العبر، ج ٤، ص ١٠٠).

(٢) محمد سالم بكر باعامر، صلة الدولة التيمورية، ص ٣٧٧.

(٣) ف.هايد، التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ج ٢، ص ٢٩٦-٢٩٧؛ وانظر أيضاً، غاف سيد صبره، العلاقات بين الشرق والغرب، علاقة البندقية بمصر والشام، ص ٢٤٢؛ وعن تدمير المغول لطرق التجارة (انظر محمود سعيد عمران، المغول، ص ٧٣؛ جون. ل. لامونت، الحروب الصليبية والجهاد، بحث منشور ضمن كتاب دراسات إسلامية، ص ١٣٥)؛ أما عن طريق التجارة البري، فهو أحد أهم طرق التجارة العالمية التي عرفت في العصور الوسطى، وكان يعرف بطريق الحرير وهو يصل الشرق الأقصى ببخارى ومنها يتفرع إلى فرعين، الأول يتجه إلى بحر قزوين ونهر الفلجا وبلاد البلغار، والثاني يتجه إلى البحر الأسود وموانئه ثم القسطنطينية وأوروبا وتخرج منه فروع جانبية إلى حلب وساحل البحر المتوسط وآخر على بغداد وديار بكر، وقد كان جل طرق التجارة العالمية تتحكم فيها الدول الإسلامية، كان منها دولة المماليك التي عُدَّت مفتاحاً لإحدى تلك الطرق وهو الطريق البحري الذي يصل الشرق الأقصى بالبحر الأحمر، للمزيد من التفصيل عن طرق التجارة العالمية (انظر نعيم زكي فهمي، طرق التجارة الدولية، ص ١١٧-١٦٢؛ محمود سعيد عمران، المغول وأوروبا، ص ٧٣؛ أرشيبالد ر. لويس، القوى البحرية التجارية في حوض البحر المتوسط، ص ٥٢، ٦٤).

وحماة ودمشق إلى القاهرة، فالزم السماسرة بعدم بيعها إلا للسلطان، فأضر ذلك بالتجارة الحموية حتى أن ذلك العمل وُصِفَ بأنه من إحدى المفاسد^(١)، كما مارس السلطان المملوكي قايتباي العنف ضدّ تجار حماة حين أمر بنفي جماعة منهم، غير أن تدخل الأهالي وبعض الأمراء أثني السلطان المملوكي عن قراره في المحرم سنة ٨٩٥هـ/١٤٨٩م^(٢)، وقد تأثرت نيابة حماة كغيرها من المدن الشامية بحركة الحصار الاقتصادي الذي فرضته سفن الأسطول القبرصية على الموانئ الشامية عن طريق عمليات القرصنة المتتالية، وذلك في أواخر القرن ٨هـ/١٤م، كما انعكس على أسواقها آثار الركود الاقتصادي الذي أصاب كافة مدن السلطنة المملوكية في مصر والشام، نتيجة لتحويل طريق التجارة الأوربية إلى رأس الرجاء الصالح، إضافةً إلى الحصار الاقتصادي الذي فرضته السفن البرتغالية على طرق التجارة البحرية القديمة، ومما لا شكّ فيه بأنها لم تكن بأفضل حالاً من باقي أسواق السلطنة^(٣).

ومن أبرز تجار حماة ابن معشوق محمد بن ناصر الدين الحموي والمتوفى في سنة ٨٥١هـ/١٤٤٧م، وابن المغيزل محمد بن محمد العبدى المتوفى في سنة ٨٦٧هـ/٦٢-١٤٦٣م، وابن الصواف الحسن بن علي بن محمد الحموي الذي ينحدر من أسرة ذات خبرة بالإبل وأنواعها وأسعارها فورث عنهم المهنة وكانت وفاته في سنة ٨٦٨هـ/٦٣-١٤٦٤م^(٤).

(١) المقرئزي، السلوك، ج٧، ص١٨٥-١٨٦؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج٣، ص١٤٦.

(٢) ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل، ج٢، ق٨، ص١٧٢.

(٣) ف.هايد، التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ج٢، ص٢٩٥.

(٤) السخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص١١٣، ج٧، ص١٢٧، ج٩، ص٢٤٨؛ التبر المسبوك، ص١٩٦.

الحالة الاجتماعية:

عناصر السكان:

منذ أن نجح المسلمون في فتح حماة لم يعرف المجتمع الحموي سوى سيادة العنصر العربي الذي شكلت قبيلة قيس المضربية غالبية السواد الأعظم فيها، والتي ظلت تنعم بالاستقرار الداخلي، وانعدام المشاحنات فيها ربحاً من الزمن، وذلك لعدم مجاورتها لقبيلة يمنية، إلى أن احتل الأكراد المراكز السياسية فيها في ظل الحكم الأيوبي^(١)، وداموا على ذلك حتى بعد إنهاء الحكم الأيوبي فيها، حيث استمر بعض أفراد الأسرة النقيية يتقلّدون مراكز سياسية مرموقة، في حين أن زمام السلطة العليا سلّم لنواب الدولة المملوكية الذين سعوا إلى تعزيز الوجود التركي فيها إلى جانب الجركسي، وذلك عن طريق ضخّ أفواج من المماليك إليها سواء كان بهدف التوظيف أو العقاب، حيث فتحت حماة أبوابها للأمرء المنفيين إليها^(٢)، وبذلك يمكن تحديد التنوع العرقي الذي شهدته حماة في ظل الوجود المملوكي، إلى أربعة أعراق عرب، وأكراد، وترك، وجراكسة.

وقد شهدت نيابة حماة تدفق دماء جديدة، حيث استوطنتها أسر من الشمال الأفريقي مثل أسرة شعيب بن محمد بن جعفر بن محمد التونسي والذي توفي بها في سنة ٧٧٠هـ/١٣٦٨م^(٣)، وكذلك بعض الأسر الأندلسية مثل أسرة القاضي سري الدين أبي الوليد إسماعيل بن محمد اللخمي الغرناطي الأندلسي والذي توفي بالقاهرة سنة ٧٧١هـ/١٣٦٩م^(٤)، وشهاب الدين أبي العباس أحمد بن عبد الله بن مهاجر الأندلسي، والذي كانت وفاته في سنة ٧٣٩هـ/١٣٦٧م^(٥)، وشمس الدين

(١) أحمد غسان سبانو، مملكة حماة الأيوبية، ص ١٥٧.

(٢) ممن نفي إلى حماة الأمير موسى بن الأركشي والأمير أرغون ططر الناصري والأمير ملكتمر بن عبدالله السعدي (انظر المقرئ، السلوك، ج ٤، ص ٢٦١؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٠، ص ٣٣٢، ج ١١، ص ٦٢؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ٢، ص ١١٦).

(٣) ابن القاضي، درة الحجال، ج ٣، ص ٣١٦؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج ٦، ص ٤١٦.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٧٥١؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ١، ص ٤٠٦؛ ابن حبيب، تذكرة النبوة، ج ٣، ص ٣٣٠؛ المقرئ، السلوك، ج ٤، ص ٣٣٧؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ١، ص ٤٠٦؛ السخاوي، الذيل التام، ج ٢٤٤؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ٢، ص ٩٨؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج ٦، ص ٤١٩.

(٥) ابن حبيب، درة الأسلاك، ج ٢، ورقة ٢٦٢ب؛ تذكرة النبوة، ج ٢، ص ٣٠٦.

أبي عبد الله محمد بن محمد الحكمي المتوفى في سنة ٨٤٠هـ/١٤٣٧م^(١)، وسكنها كذلك بعض الأسر الدمشقية مثل القاضي أمين الدين عبد الوهاب بن وهبان الدمشقي، الذي توفي بحماة في ذي الحجة سنة ٧٦٨هـ/١٣٦٧م^(٢)، وعلم الدين محمد بن محمد الدمشقي، الذي توفي في سنة ٨٠٥هـ/١٤٠٥م^(٣)، والقاضي نجم الدين عمر بن حجي بن موسى الحسباني، والذي توفي في سنة ٨٣٠هـ/١٤٢٧م^(٤)، وكذلك سكنها بعض الأسر المصرية مثل بيت محمود بن محمد الفيومي الهمداني المتوفى سنة ٨٣٤هـ/١٤٣٠م^(٥).

ووفقاً لتصنيف ابن خلدون للمجتمع الإسلامي إلى حضر وبدو^(٦)، فإن من الأعراق العربية والكردية والتركمانية مَنْ فَضَّلَ حياة البداوة على الاستقرار في المدينة، وممارسة حرفة الزراعة، فكان اعتمادهم لتأمين قوت حياتهم اليومية، إمّا عن طرق مشروعة مثل ممارسة الرعي، والتجارة، وحماية القوافل التجارية، ومراقبة تحركات القوى المعادية لصالح السلطنة، أو عن ممارسة طرق غير مشروعة من سلب، ونهب، وإغارة على القوافل التجارية، وتتبع فلول القوات المنهزمة، ولذلك فكثيراً ما يلجأ الحكام إلى مهادنتهم وكسب ودهم ببعض الامتيازات والهبات^(٧)، ومن أهم القبائل التي سكنت براري نيابة حماة آل عيسى

(١) ابن حجر، إنباء الغمر، مج ٨، ص ٤٤٧؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج ١٠، ص ٢٦؛ وجيز الكلام، ج ٢، ص ٥٤٩؛ الذيل التام، ج ١، ص ٦٠٣.

(٢) انظر ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج ٣، ص ٣٠٣؛ ابن العراقي، ذيل العبر، ج ١، ص ٢٣٢؛ المقرئ، السلوك، ج ٤، ص ٣٠٨؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٣، ص ٣٧؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ١١، ص ٩٢؛ الدليل الشافي، ج ١، ص ٤٣١؛ السخاوي، الذيل التام، ج ١، ص ٢٢٢؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ٢، ص ٦٣؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج ٦، ص ٤٠٩.

(٣) انظر ابن حجر، إنباء الغمر، ج ٥، ص ١٢٢-١٢٣؛ ابن طولون، قضاء دمشق، ص ٢٤٩-٢٥٠.

(٤) انظر ابن حجر، إنباء الغمر، ج ٨، ص ١٣٠؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٥، ص ١٤٤؛ الدليل، ج ١، ص ٤٩٦؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج ٦، ص ٧٨؛ ابن طولون، قضاء دمشق، ص ١٤٣-١٤٤.

(٥) انظر ابن حجر، إنباء الغمر، ج ٨، ص ٢٤٩؛ ابن تغري بردي، الدليل، ج ٢، ص ٧٢١؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج ١٠، ص ١٢٩-١٣٠؛ الذيل التام، ج ١، ص ٥٧٠؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج ٧، ص ٣٤٢.

(٦) ابن خلدون، المقدمة، ج ٢، ص ٤٦٧ وما بعدها.

(٧) أحمد رمضان، مجتمع الشام، ص ١٨٤-١٨٥.

الذين امتدت مساكنهم من براري سلمية إلى حماة وتدمر، وقد خص السلطان قلاوون إمارة عرب الشام في أبنائها من آل مهنا، وقد فجر وفاة شيخهم الأمير حسام الدين مهنا بن عيسى سنة ٧٣٥هـ / ٣٤-١٣٣٥م، نزاعاً عنيفاً بين أبناء آل مهنا وأبناء آل فضل حول الإمارة، تأثرت من جرائه نيابة حماة، فطالت معاركهما المتوالية تخريب القرى والمزارع حول المعرة وحماة، وكان أعنفها سنة ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م، ولم يهدأ الوضع بين أبناء العمومة إلا بعد أن تمكن آل مهنا من طرد آل فضل، وقد نشأ من آل مهنا فرع جديد عرف بآل حيار نسبة إلى حيار بن مهنا الذي سكن معرة النعمان، وتقلد إمارة عرب الشام، فخلف من بعده فيها ابنه محمد الملقب بنعير، وذلك في سنة ٧٧٧هـ / ١٣٧٥م، فدام عليها حتى ثار على السلطنة المملوكية سنة ٧٩٤هـ / ١٣٩٢م، ثم أعيد إليها عقب وفاة السلطان برقوق، وكان مقتله في سنة ٨٠٨هـ / ١٤٠٦م، وتقلد إمارة عرب الشام من بعده ابنه العجل إلى أن قتل هو الآخر بسبب عصيانه في سنة ٨١٦هـ / ١٤١٣م، فكسرت بمقتله شوكة آل مهنا^(١)، أما آل فضل فلم يكونوا بأقل منزلة من أبناء عمومتهم عند سلاطين المماليك، فقد وصل تكريم البعض منهم مثل السلطان الناصر محمد بن قلاوون إلى درجة إقطاعهم ضياعاً واسعة في حماة، في سبيل الحصول على بعض من خيولهم الأصيلة، بل وزاد السلطان الناصر محمد في إكرامهم بتلبية طلب بعضهم بإعطائهم إقطاعات بعض أمراء حماة^(٢).

أما عن التقسيم الطبقي الذي شهدته البنية السكانية لنيابة حماة، فقد جاء مطابقاً لما في المدن الشامية الأخرى، حيث اشتمل على عدة طبقات، أعلاها الطبقة الحاكمة، وكان يمثلها نواب المماليك، ثم تليهم طبقة أصحاب الإقطاعات، وهم

(١) انظر ابن حجر، أنباء الغمر، ج ٥، ص ٣٤٩، ج ٧، ص ١٣٤، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٢، ص ١٦٩، أحمد وصفي زكريا، عشائر الشام، ص ٩٤-٩٦؛ وحيار بن مهنا: كان شديد الخوف من الناصر محمد الذي طلبه مراراً إلى القاهرة ولكنه لم يفعل حتى توفي الناصر فقدم إليها في عهد السلطان الكامل شعبان فأكرمه وذلك في سنة ٧٤٧هـ، وعقب وفاة أخيه أحمد بن مهنا تقلد إمارة عرب الشام وظل عليها حتى وفاته في سنة ٧٧٦هـ (انظر ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٢، ص ١٦٩).

(٢) أحمد رمضان، مجتمع الشام، ص ١٨٤-١٨٥، ١٨٧.

الأمراء والأجناد وأصحاب الامتيازات في النيابة، ويأتي بعدهم طبقة العلماء والقضاة والذي ينحدر أكثرهم من بيوتات حموية أصيلة، وتليهم طبقة التجار، ثم طبقة الحرف والصناعات والعوام، وأخيراً طبقة الفلاحين الذين شكلوا السواد الأعظم^(١).

كما شهدت نيابة حماة تعدداً في الطوائف الدينية حيث وجد النصاري بها، وكان لهم دير في نواحي المعرة عرف باسم دير سمعان^(٢)، فضلاً عن أن حماة كانت مقصداً لجميع نصاري النيابات الشامية لقضاء بعض الأعياد الخاصة بهم فيها^(٣)، كما وجد في نيابة حماة بعض الفرق الصوفية من أهمها فرقة القادرية الذين اتخذوا لهم زاوية في حماة^(٤)، وقد فرض قرب النيابة من بلاد الإسماعيلية، وجود تعاملات متنوعة معهم.

ومن أشهر بيوتات حماة بيت بني البارزي الذين ينتسبون إلى قبيلة جهينة العربية، وكانت مساكنهم في محلة سوق الشجرة^(٥)، ولمع منها أسماء كثيرة في مجالات عدة، منهم زين الدين عبد الرحمن بن علي بن إسماعيل البارزي المعروف بابن الولي، والذي توفي في سنة ٧٣٣هـ/ ١٣٣٣م^(٦)، وشرف الدين هبة الله بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن هبة الله قاضي حماة والمتوفى سنة ٧٣٨هـ/

(١) أحمد غسان سبانو، مملكة حماة الأيوبية، ص ١٥٧-١٥٨.

(٢) الحميري، الروض المعطار، ص ٥٥٥.

(٣) شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص ٣٦٩.

(٤) السخاوي، الذيل التام، مج ٣، ص ٣٩٦-٣٩٧؛ والقادرية: من طرق الصوفية التي ترجح بأنها أول طريقة منظمة لأهداف الصوفية، أنشأها عبد القادر الجيلاني المتوفى سنة ٥٦١هـ، ويبدو أن أبناء هذا البيت توارثوا مشيخة هذه الطريقة، واتخذوا لهم زاوية في حماة غدت أشبه بمؤسسة تعليمية موجهة لأفكار الصوفية، ألبيت خريجها ما عرف بالخرق القادرية، ومن أشهر شيوخ القادرية عبد الرزاق بن محمد بن حسن المحيوي القادري، والذي كانت وفاته في سنة ٩٠١هـ، للتعرف على تلك الطريقة عن كثب (انظر الحلبي، تاريخ أعيان حلب، ورقة ٩٦ب/ ١١٠؛ عبد القادر الجيلاني الحسني، الغنية لطالب طريق الحق في الأخلاق و التصوف و الأداب الإسلامية؛ السفينة القادرية شرح الصلاة مع شرح حزب الوسيلة؛ والأوراد القادرية؛ والفتح الرباني والفيض الرحمان؛ صابر طعيمة، دراسات في الفرق الشيعية، النصيرية، الباطنية، الصوفية، الخوارج، ص ١١٤، السخاوي، الذيل التام، مج ٣، ص ٣٩٦-٣٩٧؛ طه الولي، المسجد في الإسلام، ص ٩٦-٩٧).

(٥) أحمد الصابوني، تاريخ حماة، ص ١١٣.

(٦) ابن حبيب، درة الأسلاك، ج ٢، ورقة ٢٣٧ب؛ أبو الفداء، المختصر، ج ٤، ص ١٠٩؛ ابن حبيب، تذكرة النبوة، ج ٢، ص ٢٤٥؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٢، ص ٤٤٦.

١٣٣٨م^(١)، وشهاب الدين البارزي الذي كان وزيراً للمؤيد إسماعيل، وكانت وفاته في سنة ٧٥٥هـ/١٣٥٤م^(٢)، و نجم الدين عبد الرحمن بن إبراهيم البارزي المتوفى في سنة ٧٦٥هـ/١٣٦٤م^(٣)، و ناصر الدين هبة الله بن عمر بن إبراهيم بن هبة الله البارزي كانت وفاته على الأرجح سنة ٧٧٥هـ/١٣٧٣م^(٤)، و صدر الدين محمد بن محمد البارزي^(٥)، وكمال الدين محمد بن محمد بن عثمان البارزي المتوفى في سنة ٧٨٦هـ/١٣٨٤م^(٦). وناصر الدين محمد ابن البارزي ولد بحماة في شوال سنة ٧٦٩هـ/١٣٦٨م، تولى القضاء بها سنة ٧٩٦هـ / ١٣٩٣م، ثم كتابة السر بها، توفي سنة ٨٢٣هـ/١٤٢٠م^(٧)، وقد نال ابنه كمال الدين محمد مكانة ورفعه في عهد صهره السلطان جقمق حيث قلّده كتابة السر في القاهرة وكانت وفاته في سنة ٨٥٦هـ/١٣٥٥م^(٨)، و صدر الدين محمد بن هبة الله بن عمر البارزي ولد بحماة سنة ٨٠٧هـ/١٤٠٥م، وُلّي قضاء بلده سنة ٨٤٢هـ/١٤٣٨م، ثم كتابة السر، وانفصل عن القضاء وظل على كتابة السر إلى أن نقل إلى حلب ليتقلد كتابة السر بها، توفي سنة ٨٧٥هـ/١٤٧٠م^(٩)، ومن أبنائه

(١) الذهبى، العبر، ج٤، ص ١١٠؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص ٣٠٩.

(٢) أنظر ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١، ص ٣٥٧-٣٥٨، السخاوي، وجيز الكلام، ج١، ص ٧٩.

(٣) أنظر ابن حبيب، تذكرة النبیه، ج٣، ص ٢٧٨؛ ابن العراقي، ذيل العبر، ج١، ص ١١٧-١١٨؛ المقرئ، السلوك، ج٤، ص ٢٧٥؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢، ص ٤٦٢؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج٧، ص ٢٤١؛ النجوم، ج ١١، ص ٨٤؛ الدليل، ج ١، ص ٤٠٩؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ٢، ص ١٣-١٤.

(٤) السخاوي، الضوء الآم، ج ١٠، ص ٦٩.

(٥) السخاوي، الضوء اللامع، ج ١٠، ص ٢٤؛ وجيز الكلام، ج ٢، ص ٨٢٦.

(٦) ابن الكاتب الموصلي، البرد الموشى، ص ٢٢١.

(٧) ابن حجر، إنباء الغمر، ج ٦، ص ٩٤؛ المقرئ، السلوك، ج ٧، ص ٢٢؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٤، ص ١٦١؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٢، ص ١٤١؛ أنظر ابن حسن الكاتب، البرد الموشى، ص ٢١٥-٢١٦؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج ٧، ص ٢٩٢.

(٨) ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٦، ص ١٣-١٧؛ حوادث الدهور، ج ٢، ص ٣٨٦-٣٨٨؛ ابن إياس بدائع الزهور، ج ٢، ص ٢٩٣-٢٩٤.

(٩) السخاوي، الضوء اللامع، ج ١٠، ص ٢٤؛ وجيز الكلام، ج ٢، ص ٨٢٦؛ أنظر ابن حسن الكاتب، البرد الموشى، ص ٢٧٧-٢٧٨؛ البقاعي، إظهار العصر، ق ١، ص ٢٢١-٢٢٢؛ ابن الحمصي، حوادث الزمان، مج ١، ص ١٩٥.

سراج الدين عمر الذي خلف أبيه صدر الدين محمد البارزي في كتابة السر بحماة^(١).

ومنها أيضاً بيت بني جماعة، وينحدر نسبهم إلى قبيلة كنانة التي سكنت حماة، في محلة الباشورة^(٢)، ومن مشاهير هذا البيت عبد الرحمن بن إبراهيم بن سعد الله والذي كانت وفاته في سنة ٧٠٠هـ/١٣٠٠م^(٣)، ومحمد بن إبراهيم بن سعد الله ابن جماعة المتوفى سنة ٧٢٨هـ/١٣٣٣م^(٤)، وكذلك الشيخ بدر الدين محمد بن إبراهيم ابن جماعة، المتوفى سنة ٧٣٣هـ/١٣٢٨م^(٥)، وعبد الرحمن ابن محمد بن إبراهيم بن سعد الله ابن جماعة، توفي سنة ٧٣٩هـ^(٦)، وعبد العزيز ابن محمد بن إبراهيم المتوفى سنة ٧٦٧هـ/١٣٦٦م^(٧)، وغيرهم.

وبيت بني السابق ومن مشاهير ذلك البيت صلاح الدين خليل بن محمد الشافعي والذي كانت وفاته سنة ٨٥٩هـ/١٤٥٥م^(٨)، الزين فرج ابن السابق الحموي، المتوفى سنة ٨٩٦هـ/١٤٩١م^(٩).

وأيضاً قطنتها أسرة أبني جراد العقيلي، التي اشتهرت باسم ابن العديم، مثل القاضي ابن العديم عز الدين عبد العزيز بن أبي جراد العقيلي الذي توفي

(١) السخاوي، الضوء اللامع، ج ٦، ص ١٣١، ج ١٠، ص ٢٤.

(٢) أحمد الصابوني، تاريخ حماة، ص ١٠٨.

(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة ٧٠٠هـ، ص ٤٨٠.

(٤) الصفدي، الوافي، ج ٢، ص ١٨.

(٥) ابن حبيب، درة الإسلام، ج ٢، ورقة ٢٣٦ب؛ الذهبي، العبر، ج ٤، ص ٩٦؛ نيل تاريخ الإسلام، ص ٣٦٦؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٥٨٢-٥٨٣؛ العبادي، نيل طبقات الفقهاء الشافعيين، ج ٣، ص ٢٠٠-٢٠١.

(٦) ابن تغري بردي، النجوم، ج ٨، ص ٣١٨-٣١٩.

(٧) السيوطي، نيل طبقات الحفاظ للذهبي، ص ٢٤٠؛ وعبد العزيز بن محمد بن إبراهيم: ولد في المحرم من سنة ٦٩٤ هـ، تلقى علومه الشرعية على يد عدد من كبار العلماء، ولي قضاء الديار المصرية، ثم جاور في مكة المكرمة حتى توفي سنة ٧٦٧هـ (انظر السيوطي، المصدر السابق، ٢٤٠).

(٨) انظر ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٦، ص ١٧٨؛ حوادث الدهور، ج ٢، ص ٥٥٩؛ السخاوي، النيل التام، مج ٢، ص ١٠٦؛ وجيز الكلام، ج ٢، ص ٦٩٣.

(٩) السخاوي، الضوء اللامع، ج ٦، ص ١٦٩؛ التبر المسبوك، ص ٣٠٨، الضوء اللامع، ج ٦، ص ١٦٩؛ النيل التام، مج ٢، ص ٦٢٠.

سنة ٧١١هـ/١٣١١م^(١)، والقاضي ناصر الدين محمد بن أبي جرادة العقيلي والمتوفى سنة ٧٥٢هـ/١٣٥١م^(٢)، و نجم الدين عمر بن محمد بن أبي جرادة العقيلي الذي توفى في سنة ٧٣٤هـ/١٣٣٤م^(٣)، وجمال الدين عبد الله بن عمر ابن العديم توفى سنة ٧٨٣هـ/١٤٣٠م^(٤).

وبيت بني المغيزل الذي اشتهر منهم يوسف بن محمد بن عبد اللطيف بن محمد بن محمد بن نصر الله خطيب حماة وفتيها المتوفى سنة ٧١٩هـ/١٣١٩م^(٥)، وأبي بكر بن عبد اللطيف بن محمد بن محمد بن المغيزل، المتوفى سنة ٧٢٤هـ/١٣٢٤م^(٦).

وبيت بني العطاروهم من قبيلة تنوخ، تقلد أفرادها مناصب إدارية وعسكرية جليلة في حماة وخارجها، ومنهم محمد بن أحمد بن يوسف بن عبد الله بن عبد الرحمن بن إبراهيم التنوخي عمل والده إستانداراً في حماة وانتقل إلى الكرك مع مأمور القلمطاوي، وعقب وفاة والده قلده الظاهر برقوق الحجوبية بحماة، ثم انتقل للعمل دواداراً بدمشق، إلى أن أقره المؤيد شيخ نائباً على الإسكندرية، وأخيراً ناظراً على القدس، وكانت وفاته سنة ٨٢٨هـ/١٤٢٥م^(٧)، وقد أعطي ابنه أحمد

(١) انظر ابن حبيب ، درة الأسلاك ، ج ١، ورقة ١٨٠؛ الذهبي ، نيل تاريخ الإسلام ، ص ١٢٨-١٢٩؛ ابن حبيب ، تذكرة النبيه، ج ٢، ص ٤١؛ ابن حجر ، الدرر الكامنة، ج ٢، ص ٤٩٢؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج ٦، ص ١٠٧.
(٢) انظر ابن حبيب ، درة الأسلاك ، ج ٢، ورقة ١٩٠؛ ابن حبيب ، تذكرة النبيه ، ج ٢، ص ٥٠، ج ٣، ص ١٥١-١٥٢؛ ابن حجر ، الدرر الكامنة، ج ٤، ص ٢٢٤؛ ابن تغري بردي ، النجوم، ج ١، ص ٢٥١؛ الدليل ، ج ٢، ص ٦٦٧.
(٣) انظر ابن حبيب، درة الأسلاك ، ج ٢، ورقة ١٩٠؛ الصفي، أعوان النصر ، ج ٣، ص ٦٥٣-٦٥٤؛ ابن حجر الدرر الكامنة ، ج ٣، ص ٢٦٥؛ ابن حبيب ، تذكرة النبيه ، ج ٢، ص ١١٥، ٢٥٤-٢٥٥؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٠، ص ٣٠٢.

(٤) انظر ابن حبيب ، تذكرة النبيه ، ج ٣، ص ٣٠٢-٣٠٣؛ المقرئ، السلوك، ج ٤، ص ٢٩٧؛ ابن تغري بردي ، المنهل، ج ٧، ص ١١٠؛ الدليل ، ج ١، ص ٣٨٨.

(٥) ابن حبيب، درة الأسلاك ، ج ٢، ورقة ١٨٥؛ ابن حجر ، الدرر الكامنة، ج ٥، ص ٢٤٥؛ العبادي، نيل طبقات الفقهاء الشافعيين ج ٣، ص ١٩٥-١٩٦.

(٦) ابن حبيب، درة الأسلاك، ج ٢، ورقة ٢٠١؛ الذهبي، دول الإسلام، ج ٢، ص ٢٨٤؛ ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج ٢، ص ١٤٩؛ العبادي، نيل طبقات الفقهاء الشافعيين ج ٣، ص ١٩٨-١٩٩.

(٧) المقرئ، السلوك، ج ٧، ص ١٢٥-١٢٦؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٥، ص ١٣١؛ المنهل، ج ٥، ص ٥٩٦؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج ٧، ص ٣٢؛ ابن اياس، بدائع الزهور، ج ٢، ص ١٠١؛ تقلد نيابة الأسكندرية سنة ٨٢١هـ/١٤١٩م (انظر آمال رمضان ، الحياة العلمية في الإسكندرية في العصر المملوكي، ص ٥٧٦).

الدوادرية وظل عليها إلى أن توفي في سنة ٨٤٥هـ/١٤٤١م^(١)، وكذلك على بن شمس الدين محمد بن العطار الذي كانت وفاته في سنة ٩٠٠هـ/٩٤-١٤٩٥^(٢).

ومن ذلك بيت ابن الرسام وممن لمع منهم أحمد بن أبي بكر بن أحمد بن على بن إسماعيل الحموي المتوفى في سنة ٨٤٤هـ/١٤٤١م^(٣)، وابنه عبد القادر المتوفى في سنة ٨٦٠هـ/١٤٥٦م^(٤)، وحفيده عبد الكافي بن عبد القادر والمتوفى في سنة ٨٨٤هـ/١٤٧٩م^(٥).

وبيت ابن قرناص وهم من قبيلة خزاعة العربية وكانوا قد نالوا منزلة رفيعة عند حكام حماة^(٦)، وكانت لهم أملاك كثيرة وبساتين تنسب إليهم وتعرف بالقرناصيات نسبة إليهم، وامتدت مساكنهم من البيمارستان النوري إلى باب حمص عند رحي المسرودة، كما سكنوا محلة الباشورة^(٧)، ونزل بعض أفرادها في حلب واستقروا بها مثل على بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن قرناص الذي توفي في سنة ٧٨٧هـ/١٣٨٥م^(٨).

وبيت ابن حجة وكانت لهم مدافن في باب الجسر^(٩)، وقد لمع منهم أبو بكر بن على بن عبد الله التقي الحموي الحنفي الأزرازي المتوفى في سنة ٨٣٧هـ/١٤٣٤م^(١٠).

(١) ابن تغري بردي، المنهل، ج٢، ص ١٧٥؛ السخاوي، التبر المسبوك، ص ٢٥؛ الضوء اللامع، ج٢، ص ٨٢-٨٣.

(٢) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٨، ص ٢٩.

(٣) المقرئ، درر العقود الفريدة، ج٢، ص ١٣١-١٣٢؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج١، ص ٢٤٩.

(٤) السخاوي، المصدر السابق، ج٤، ص ٢٦٢.

(٥) السخاوي، الذيل التام، مج٢، ص ٣٢٤؛ الضوء اللامع، ج٤، ص ٣٠٣.

(٦) ابن واصل، مفرج الكروب، ج٥، ص ٢٢٧؛ متعب القمامي، مملكة حماة في العصر الأيوبي، ص ٤١٦.

(٧) أحمد الصابوني، تاريخ حماة، ص ٤٩، حاشية ١.

(٨) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٣، ص ١٩١.

(٩) أحمد الصابوني، تاريخ حماة، ص ١٣٤.

(١٠) ذكر المقرئ بأن وفاته كانت في سنة ٨٣٩هـ، وهو مخالف لما أجمع عليه بعض المؤرخين بأن وفاته كانت في سنة ٨٣٧هـ (انظر العقود الفريدة، ج٢، ص ١٩٥-١٩٦؛ السلوك، ج٧، ص ٢٧٣؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج٨، ص ٣١٠؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج٣، ص ٢٩٥؛ السخاوي، الذيل التام، ج١، ص ٨٥٧؛ الشوكاني، البدر الطالع، ج١، ص ١٦٤).

وبيت بني البهراني نسبة إلى القاضي حمزة البهراني المتوفى سنة ٦٦٣ هـ/١٢٦٥-٦٤^(١)، وممن اشتهر من نسله عبد الله بن عبد الوهاب بن حمزة بن محمد بن الحسين المتوفى سنة ٧١٥ هـ/١٤٢١ م^(٢).

وبيت ابن خطيب المنصورية والذين ينسبون إلى الحسن بن محمد بن الحسن بن مسعود بن علي بن عبد الله الحموي، ومن نسله يوسف، المتوفى في سنة ٨٠٩ هـ/١٤٠٦ م^(٣)، ومن أسباطه محمد بن صلاح بن يوسف الشمس بن الصلاح الحموي، المتوفى سنة ٨٥٣ هـ/١٤٤٩ م^(٤).

وبيت ابن خطيب الدهشة، ويعدون من بقايا الأيوبيين في حماة وكانت لهم كلمة نافذة، وأوقاف كثيرة بحماة^(٥)، وكذلك بيت الشيخ علوان بن علي بن عطية، وكانت مساكنهم في محلة باب الجسر، ثم انتقل بعض منهم إلى محلة العليليات^(٦).

والذي يجدر ذكره أن الطرُق المغولي لبلاد الشام أدى إلى تهجير عددٍ من بيوتات حماة، من ذلك ما حدث مع موفق الدين محمد بن أبي المعالي المعروف بخطيب جامع حماة، والذي قدم دمشق هرباً من التتار في سنة ٦٩٩ هـ/١٢٩٩ م^(٧)، وكذلك القاضي شمس الدين محمد بن أحمد بن مبارك الحموي الذي خرج من حماة عشية مقدم تيمورلنك إلى بلاد الشام، فاستقر في مصر قاضياً على

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات ٦٦٣ هـ، ص ١٤٥-١٤٦؛ العيني، عقد الجمان، ج ١، ص ٤١٢.

(٢) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٢، ص ٢٧٨.

(٣) ابن حجر، إنباء الغمر، ج ٦، ص ٥١-٥٢؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج ١٠، ص ٣٠٨-٣٠٩؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج ٧، ص ٢١٢-٢١٣؛ الشوكاني، البدر الطالع، ج ٢، ص ٣٥٢.

(٤) السخاوي، الضوء اللامع، ج ٧، ص ٢٧٣.

(٥) أحمد الصابوني، تاريخ حماة، ص ١٣٢، حاشية ١.

(٦) ابن الغزي، الكواكب السائرة، ج ٢، ص ٢٠٤؛ أحمد الصابوني، تاريخ حماة، ص ١٣٧؛ و علوان بن عطية بن علوان الحموي: من العلماء الذين عرف عنهم التصوف بحماة، تلقى علوم الشريعة بها، وأخذ التصوف عن علي بن ميمون المغربي، له عدة مؤلفات في الفقه والأصول والتصوف، وكان مقصداً لطلاب العلم، صاهره الشيخ حسين بن عمر بن محمد ابن النصيبي، وكانت وفاته بحماة في جمادى الأولى سنة ٩٣٦ هـ (للمزيد انظر الحلبي، تاريخ أعيان حلب، ورقة ١٩٧/ب، ابن الغزي، الكواكب السائرة، ج ٢، ص ٢٠٤-٢١١؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج ٨، ص ٢٦٣-٢٦٤).

(٧) الصفدي، الوافي، ج ١، ص ٢٨٤-٢٨٥.

الحنفية^(١)، وكذلك أسرة الأدمي عبد الرحيم بن أبي بكر بن محمود الحموي الذي ترك بلاد الشام كلياً إلى القاهرة إبان الهجوم التيموري، وظل بها إلى أن توفي سنة ٨٤٨هـ / ١٤٤٤م^(٢). وقد تعدت آثار الغزو التيموري ذلك لتطال البنية السكانية، حيث قضى جند تيمورلنك على بعض أهالي المدن والقرى إما بالأسر، أو القتل، أو الحرق^(٣)، أو "من الجوع والعري والبرد"^(٤)، فلم يبق غير من سببت له الحرب الإعاقة والعجز والفاقة^(٥)، حتى إنه "لم يحج أحد من طريق الشام ولا من العراق بسبب تخريب تمرلنك بلادهما"^(٦)، "ودام انقطاع الحجاج الشاميين في هذا الطريق سنين ثم حجوا"^(٧).

وإلى جانب هذا فقد هجرت بعض الأسر نيابة حماة إلى أماكن أخرى طلباً للرزق وسعياً لتحسين موقعها الإداري، مثل أحمد بن عبد الرحمن بن رواحة الأنصاري الحموي الذي انتقل إلى نيابة طرابلس ليتولى كتابة الإنشاء فيها، وظل مقيماً بها حتى سنة ٧٠١هـ، حيث عاد إلى حماة وعين مكانه نور الدين ابن المغيزل الحموي الذي انتقل هو أيضاً إلى طرابلس^(٨)، وكذلك شهاب الدين أحمد ابن عمر بن محمد الشهير بابن الرضا الذي انتقل إلى حلب في سنة بضع وسبعين وسبعمائة، وتقلد القضاء فيها ثلاث مرات، وكانت وفاته في سنة ٧٩١هـ / ١٣٨٨م^(٩)، وأيضاً القاضي عبد اللطيف بن أيوب الحموي الذي ولي قضاء طرابلس، في سنة ٧٤٧هـ / ١٣٤٦م، ثم انتقل إلى حلب، حيث توفي بها سنة ٧٧٦

(١) الصيرفي، نزهة النفوس، ج٤، ص٢٦٨؛ النعيمي، الدارس، ج١، ص٥٥٣-٥٥٤؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج١٠، ص٣١١.

(٢) السخاوي، التبر المسبوك، ص٨٤٨؛ الضوء اللامع، ج٤، ص١٧٠، ج١٠، ص١٣٧.

(٣) القلقشندي، مآثر الأتافة، ج٢، ص١٩٢-١٩٣؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج١، ص٤٨، ج٤، ص١٢٥؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص٤٨.

(٤) الصيرفي، نزهة النفوس، ج٢، ص٩٣.

(٥) أحمد عبد الكريم سليمان، تيمورلنك ودولة المماليك الجراكسة، ص٣٣-٣٤.

(٦) الصيرفي، نزهة النفوس، ج٢، ص١١٩؛ وكذلك كان الحال عند غزو غازان لبلاد الشام، بشهادة ابن فهد الذي نفى وفود الحجيج من بلاد الشام في سنتي ٦٩٩هـ - ٧٠٠هـ (انظر إتحاف الوري بأخبار أم القرى، ج٣، ص١٣١-١٣٢).

(٧) ابن فهد، المصدر السابق، ج٣، ص٤٢٣.

(٨) الصفدي، الوافي، ج٧، ص٥٦-٦٧.

(٩) ابن تغري بردي، المنهل، ج٢، ص٤٠-٤٢؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٧، ص٦٢.

هـ/١٣٧٤م^(١). وكذلك شمس الدين محمد الحموي الذي ارتحل إلى القدس ليتولى نظر القدس الشريف، ومات وهو على هذه الوظيفة في سنة ٨٥٣هـ/١٤٤٩م^(٢)، وأيضاً أبو بكر بن عثمان بن محمد الحموي، الذي انتقل إلى القاهرة في عهد السلطان المؤيد شيخ ليتولى "إفتاء دار"، وكانت وفاته في سنة ٨١٩هـ/١٤١٦م^(٣). وقد سعى بعض أفراد الأسر الحموية ممن نالوا منزلة رفيعة في الدولة المملوكية، إلى نقل المقربين منهم لمناصب إدارية رفيعة، كما فعل البارزي الذي نقل ابن العيار محمد شمس الحموي إلى دمشق بعد أن رتب له وظيفة في إحدى جوامعها، وكانت وفاته في سنة ٨٢٨هـ/١٤٢٥م، كما سعى البارزي لتعيين محمد النتوخي نائباً على الإسكندرية في عهد صهره السلطان المؤيد شيخ^(٤). في حين فضل البعض الآخر مجاورة الأماكن المقدسة في مكة المكرمة أو المدينة المنورة أو بيت المقدس مثل إبراهيم بن عبد الرحيم بن محمد بن سعد الله ابن جماعة، والذي انقطع في بيت المقدس وكانت وفاته في سنة ٧٩٠هـ/١٣٨٨م^(٥)، وكذلك الشيخ إبراهيم بن عبد الرحمن بن سعد الله بن جماعة، الذي جاور في المساجد الثلاثة وكانت وفاته في سنة ٧٦٤هـ/١٣٦٣م^(٦)، وأخيراً كان للرحلات العلمية دور كبير في نقل بعض البيوت الحموية عن حماة.

دور المرأة في نيابة حماة:

برغم قلة ما جاء عن المرأة الحموية في المصادر والمراجع، إلا أنه يبدو واضحاً بأنها نالت قسطاً وافراً من الاحترام في عهد الدولة المملوكية وعلى وجه

(١) أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص١٤٦؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج١، ص١٠٦.

(٢) ابن تغري بردي، حوائث الدهور، ج١، ص٤٢٠.

(٣) المقريزي، درر العقود الفريدة، ج١، ص١٦٦-١٦٧؛ وإفتاء دار: لم أجد له تعريف فيما توفر لدي من مصادر اطلعت عليها.

(٤) السخاوي، الضوء اللامع، ج١٠، ص١٠٥، ج٧، ص٣٢.

(٥) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١، ص٣٩؛ إنباء الغمر، ج٢، ص٢٩٢-٢٩٣؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج١، ص١٧٩؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص١٧٩.

(٦) الذهبي، ذيل العبر، ج٤، ص٢٠٢؛ العراقي، الذيل على العبر، ج١، ص١٤٣؛ الفاسي، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، ج٣، ص٢٣٠.

التحديد في ظل الحكم النيابي، بدليل الألقاب التي خصصت لنساء الطبقة الحاكمة مثل خاتون، وخوند^(١)، كما حظيت المرأة بين سائر طبقات المجتمع بنعوت التقدير والتبجيل مثل الجليلة وغيرها^(٢)، غير أنها مع ذلك الموقع المرموق لم يكن لها أثر في الحياة السياسية، إنما اقتصر نشاطها في العمل على مكافحة الجهل والفقر برعاية المؤسسات التعليمية من مدارس ومكتبات، وتخصيص أوقاف كثيرة لها لضمان استمرارية باكورة العمل فيها إلى ما بعد وفاتها ومن تلك الشخصيات البارزة في هذا المجال مؤسسة خاتون ذات اليد البيضاء في فتح مراكز تعليمية بحماة^(٣)، وكذلك عمل بعضهن على إعالة الفقراء والمساكين مثل فاطمة خاتون التي عُرف عنها كثرة الإحسان إلى ذوي الحاجة^(٤)، كما كان للمرأة الحموية مشاركة فاعلة في رعاية العلوم الشرعية، ويسجل التاريخ أسماء كثيرات ممن اشتغلن بالعلوم الدينية ليس في حماة فقط بل امتد إلى أمهات المدن الشامية وقاعدة الدولة المملوكية في القاهرة، مثل فاطمة بنت النفسى التي حدثت في القاهرة وطرابلس^(٥)، ومنهن أيضاً خديجة بنت عمر بن أحمد بن العديم^(٦)، وهديّة بنت خميس^(٧)، ونخوة بنت محمد بن النصيبى^(٨)، أيضاً عائشة بنت الخطيب عبد

(١) أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص٥١، ٩٠؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج٢، ص١٧٦، ج٤، ص٣١١؛ وخوند: وهي تعني في الفارسية السيد العظيم أو الأمير، وقد أصبح في العصر المملوكي لقباً خاصاً يطلق على زوجات السلاطين. (انظر غرس الدين الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص١٢١؛ محمد دهمان، معجم الألقاب التاريخية، ص٧٠).

(٢) الذهبي، العبر، ج٤، ص١٩.

(٣) أبو الفداء، المختصر، ج٣، ص١٤٤؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٢٤٥؛ الزبيدي، ترويح القلوب، ص٧٨. (٤) فاطمة خاتون بنت الملك المنصور صاحب حماة توفيت في مستهل جمادى الأولى سنة ٧٢١هـ (انظر أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص٩٠).

(٥) انظر الذهبي، العبر، ج٤، ص٤٥؛ اليافعي، مراة الجنان، ج٤، ص٢٥٥؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٦، ص١٨٧، و فاطمة بنت النفسى محمد بن الحسين بن رواحة توفيت في سنة ٧١٦هـ (انظر الذهبي، العبر، ج٤، ص٤٥؛ نيل تاريخ الإسلام، ص١٦٨؛ اليافعي، مراة الجنان، ج٤، ص٢٥٥؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٦، ص١٨٧).

(٦) الذهبي، العبر، ج٤، ص١٩؛ خديجة بنت عمر بن أحمد بن العديم وتعرف بأُم عمر روت عن الركن إبراهيم وتوفيت في سنة ٧٠٨هـ (انظر الذهبي، المصدر السابق، ج٤، ص١٩).

(٧) لم أجد لها ترجمة سوى أن القاضي عز الدين عبد العزيز بن محمد بن العديم قد سمع منها (انظر الذهبي، نيل تاريخ الإسلام، ص١٢٨-١٢٩).

(٨) الذهبي، العبر، ج٤، ص٥٤؛ تاريخ الإسلام، ص١٩٢؛ ونخوة بنت محمد بن عبد القاهر بن النصيبى، روت عن يوسف بن خليل وكانت وفاتها في سنة ٧١٩هـ (انظر الذهبي، العبر، ج٤، ص٥٤).

الرحيم ابن جماعة^(١)، ومن المرجح بأنهن اتخذن من بيوتهن مقراً للتدريس، أما عن مشاهير النساء الحمويات اللواتي وردت أسمائهن في كتب التراجم، فمنهن حليلة بنت محمود الحموي والتي جاورت في مكة وزارت القاهرة^(٢)، وسارة بنت عمر بن عبد العزيز بن سعد الله^(٣).

ورغم عدم مشاركة المرأة الحموية في الأمور السياسية غير أنها لم تهمل واجبها في مساعدة بني جلدتها في العمل على تسلم بعض الوظائف الهامة، كما فعلت الخوند مغل بنت ناصر الدين البارزي، التي سعت لتوظيف أحمد بن محمد ابن العطار دوداراً في الدولة المملوكية^(٤).

السلوك الاجتماعي العام:

الأعياد والاحتفالات^(٥):

شهدت نيابة حماة كغيرها من النيابات الشامية احتفالات متعددة المناسبات منها الاحتفال بالعيدين الفطر والأضحى، وأخرى مبتدعة مثل الاحتفال برأس السنة الهجرية والذي كان يتم في أول ليلة من ليالي المحرم، وذلك بخروج موكب النائب ومن معه من الأمراء بزيهم الفاخر، إضافة إلى تقديم مطبخ النائب الحموي للعديد من أنواع الطعام والحلوى، وتوزيعها على عامة الأهالي^(٦)، وأيضاً

(١) ابن حجر، إنباء الغمر، ج ٢، ص ٢٤٠؛ وعائشة بنت الخطيب عبد الرحيم بن بدر الدين بن جماعة، أخت القاضي برهان الدين، توفيت في سنة ٧٨٨هـ (انظر ابن حجر، المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٤٠).

(٢) السخاوي، الذيل السام، مج ٢، ص ٦٣٨؛ الضوء اللامع، ج ١٢، ص ٢٢؛ وحليمة بنت محمود بن عبد الرحيم الحموي شقيقة الشيخ إبراهيم، توفيت في سنة ٨٩٦هـ (انظر السخاوي، الذيل السام، مج ٢، ص ٦٣٨؛ الضوء اللامع، ج ١٢، ص ٢٢).

(٣) السخاوي، التبر المسبوك، ص ٣٥٩؛ وسارة بنت عمر بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن سعد الله، تعرف باسم أم محمد، توفيت في سنة ٨٥٥هـ (انظر السخاوي، المصدر السابق، ص ٣٥٩).

(٤) ابن تغري بردي، المنهل، ج ٢، ص ١٧٦؛ وخوند مغل بنت ناصر الدين البارزي، تزوجها الأتابك جقمق، وظلت معه حتى تسلمت فغدت الخوند الكبرى، وصاحبة القاعة، إلى أن طلقها في سنة ٧٥٢هـ، فنزلت القاهرة، وقد أنجبت للسلطان جقمق بنتاً تزوجها الأمير أربك بن ططخ الظاهري (انظر ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج ٤، ص ٣١١-٣١٢).

(٥) الذي يجب تأكيده هنا أن هذه الاحتفالات، وخاصة ما يتعلق منها بالأعياد لا أساس له في الشرع الإسلامي الحنيف، باستثناء مناسباتي عيدي الفطر والأضحى.

(٦) أحمد رمضان، المجتمع الإسلامي في بلاد الشام، ص ٢٣٩-٢٤٠.

الاحتفال بيوم عاشوراء، والذي أحياه المسلمون بمظاهر من البهجة والسرور نكاية بالشيعية الذين اتخذوا منه يوم حزن تعطل فيه الأسواق، وبحكم أن الشيعة الإسماعيلية كانوا مجاورين لحماة وبارين في كل من مصياف وحصن الأكراد وغيرهما، فكان من البدهي أن يعبر الحمويون عن سرورهم في هذا اليوم أشد وضوحاً بصنع الحلوى، وتوزيعها، واتخاذ الأواني الجديدة، والاكتحال وإعمار الحمامات بمرتاديه^(١). كما احتفل الناس بحماة بالمولد النبوي في الثالث عشر من ربيع الأول، والذي تبدأ مراسيمه باستهلال شهر ربيع الأول ويستمر إلى آخر الشهر، وكذلك من الاحتفالات المبتدعة ليالي الوقود التي يعود تاريخ ابتدائها إلى عهد الدولة الفاطمية، وقد استمرت تقام بحماة باعتبارها نوعاً من الاستعدادات المقامة للترحيب بشهر رمضان، حيث زودت المساجد والجوامع بالوقود، ووضعت القناديل والشمع حول صحنها، كما يحرق البخور في مجامر الذهب والفضة، في ليالي الوقود الأربعة، وهي ليلة مستهل رجب، وليلة نصفه، وليلة مستهل شعبان، وليلة نصفه، وكان يتم إحياء تلك الليالي بالأناشيد، وتقدم خلالها سلال الحلوى، والطعام على الحاضرين^(٢).

وإلى جانب هذا فقد كان للنصارى احتفالاتهم وأعيادهم الخاصة، من ذلك عيد الفصح، والذي كان يدوم الاحتفال به في حماة مدة ستة أيام، يبدأ من يوم الخميس، وينتهي بيوم الثلاثاء، وكانت تقام فيه مظاهر احتفالية متميزة، من إعداد أنواع خاصة من الحلوى تعرف الأقراص والكعك، والعمل على صباغة البيض بعد سلقه بالألوان المختلفة، كما كان للنساء طريقتهم في الاحتفال حيث كنّ ينتقشن بالحناء، ويلبسن الكساوي الفاخرة ابتهاجاً بهذه المناسبة، أما الرجال فكانوا يخرجون إلى ضفاف نهر العاصي لإعداد المراكب ونصب الخيام استعداداً لاستقبال المحتفلين القادمين ليس من حماة وأعمالها فحسب بل من جميع النيابات الشامية من حلب وأعمالها وبعض أعمال دمشق وبعض أعمال طرابلس،

(١) عن مظاهر الاحتفال الذي كان يمارسه المسلمون في هذا اليوم (انظر المقرئزي، المواعظ والاعتبار، ج ١ ص ٤٩٠؛ أحمد رمضان، المجتمع الإسلامي في بلاد الشام، ص ٢٤٠).

(٢) أحمد رمضان، المرجع السابق، ص ٢٤١.

وبوصولهم تبدأ ألوان من الأغاني تصدح على ضفاف العاصي وتمتلئ المراكب بالرجال والنساء للرقص، إلى أن يسدل الليل ستاره فينزلون في الخيام للمبيت، ويظلون هكذا حتى تتقضي الأيام الستة، وإضافة إلى ذلك اليوم فقد كانت حماة تعطل في يوم نزول الشمس برج الحمل ابتهاجاً بهذا اليوم، ومن أعياد النصارى التي احتفل بها أهل حماة عيد الميلاد، الذي يحيي فيه أهل حماة على مختلف أعمارهم وطبقاتهم عشية الأحد ليلة ميلاد المسيح، بإيقاد القناديل فوق الأسطحة، كما كانت توقد البارود النفط ليلتها، وهي أشبه بالألعاب النارية في يومنا الحاضر، وتكون أعظم شأنًا في عيد الختان، أو الميلاد الصغير، وأيضاً من أعياد النصارى الكبيرة عيد الغطاس، وهناك من الأعياد الصغيرة مثل عيد الهيكل، وعيد النور، وأحد الأحود، وعيد التجلي، وعيد الصليب وغيرها من الأعياد^(١).

(١) ومما تجدر الإشارة إليه أن سكوت أهل حماة ونواحيها عن بعض السلوكيات الخاطئة التي تضمنتها أعياد النصارى من اختلاط النساء مع الرجال، كانت مشجعه لأهالي الأقاليم المجاورة لارتياح حماة لإحياء مثل تلك المناسبات (انظر شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص ٣٦٨-٣٦٩؛ عيد الفصح: اسم عبري لمعنى عبور، ويعرف عند اليهود بعيد الفطير، أنشئ في مصر تنكراً لخروج بني إسرائيل وخلصهم من فرعون مصر، أما عند النصارى فيعرف بعيد القيامة، وهو من أعظم أعيادهم، يزعمون أن فيه كانت قيامة المسيح من قبره من بين الأموات في اليوم الثالث من بعد صلبه في يوم الجمعة، ويكون الاحتفال به في يوم الأحد، الذي بعد البدر الأول من الربيع (انظر المقرئزي، تاريخ الأقباط المعروف بالقول الإبريزي، ص ٤٠-٢٣٣)؛ عيد الميلاد: وهو اليوم الذي ولد فيه المسيح، يزعمون أنه ولد يوم الاثنين، ويحتفلون عشية الأحد ليلة الميلاد (انظر شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص ٣٦٨)؛ عيد الختان: يقام في سادس شهر "بئونه" يزعمون أن المسيح عليه السلام ختن في هذا اليوم، هو الثامن من الميلاد (انظر المقرئزي، تاريخ الأقباط المعروف بالقول الإبريزي، ص ٢٣٩)؛ عيد الغطاس: ويقام بمصر في الحادي عشر من شهر "طوبه" أصله عند النصارى أن يحيى بن زكريا عليهما السلام، المعروف عندهم بيوحنا المعمدان عم المسيح أي غسله في بحيرة الأردن "طبرية" وعندما خرج المسيح عليه السلام من الماء اتصل به روح القدس، فصار النصارى يغمسون أولادهم في الماء وينزلون بهم بأنفسهم، ولا يكون ذلك إلا في شدة البرد ويسمونه يوم الغطاس، وعيد الهيكل: ويسمى عيد الأربعين، يقام في ثامن شهر "أمشير" يزعمون أن سمعان الكاهن دخل بالمسيح مع أمه بالهيكل وبارك عليه، وعيد السنور: ويسمى بسبت النور، ويقام قبل الفصح بيوم يزعمون فيه أن النور يظهر على قبر المسيح في هذا اليوم في كنيسة القيامة فتشتعل مصابيح الكنيسة كلها، ويقام غالباً يوم السبت، وأحد الأحود: ويقام بعد الفصح بثمانية أيام، فيعمل أول أحد بعد الفطر لأن الأحاد قبله مشغولة بالصوم، وفيه يجددون الآلات والأثاث واللباس ويأخذون في المعاملات والأمور الدنيوية والمعاش، وعيد التجلي: ويقام في ثالث عشر شهر "مسرى" يزعمون فيه أن المسيح تجلى لتلاميذه بعدما رُفِع وتمنوا عليه أن يحضر لهم إيليا (إلياء النبي)، وموسى عليهما السلام، فأحضرهما إليهم بمصلى بيت المقدس، ثم صعد إلى السماء وتركهم، وعيد الصليب: ويكون في سابع عشر من شهر "توت" وهو من الأعياد المحدثه، وسببه ظهور الصليب - بزعمهم - على يد هيلانه أم قسطنطين (انظر شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص ٣٦٨-٣٦٩؛ المقرئزي، تاريخ الأقباط المعروف بالقول الإبريزي، ص ٢٣٧، ٢٣٩-٢٤٢).

وإضافةً إلى تلك الاحتفالات فقد شهدت حماة المناسبات الاجتماعية التي كانت تقام في دار للأفراح وهو عبارة عن وقف من العصر الأيوبي عند محلة باب الجسر لمثل تلك المناسبات، ويتكون من ٣٥ غرفة، فمن أراد الزواج يأخذ مفتاحها من متوليها مدة ثلاثة أيام يعمل فيها ما يريد^(١).

وهناك من الاحتفالات ما يتعلق بالمناسبات السياسية مثل الاستقبالات الرسمية للشخصيات السياسية الهامة والتي على رأسها السلطان ثم النائب الحموي، يليه بقية النواب الشاميين والوفود، وقد جرت العادة عند استقبال السلطان المملوكي خروج النائب الحموي إلى دمشق للترحيب به، ثم مصاحبته فيما تبقى من الطريق إلى حماة للقيام بخدمته إلى أن يصل إلى الرستن، عندها يتوقف السلطان للراحة في حين يكمل النائب الحموي سيره إلى حماة للإشراف على مجرى الاستعدادات بها من تزيين المدينة، وإعداد السماط والموائد، وعند قرب السلطان من حماة يخرج النائب الحموي وفي معيته كبار موظفي النيابة وأعيان البلد والوجهاء ثانية لاستقبال السلطان والترحيب به في حماة، أما إذا كان السلطان راجعاً من حلب إلى دمشق فإن استقبال النائب الحموي له يكون من عند سمرمين، فإذا ما وصل المعرة مدّ السماط على شرف السلطان ومن معه من كبار أمراء السلطنة^(٢)، وأما الأهالي فيكونون في انتظار السلطان المملوكي للفرجة على الموكب السلطاني عند دخوله حماة، حيث يدخل إليها وعلى رأسه القبة^(٣)، وقد يعامل بعض كبار القادة العسكريين عند دخولهم حماة بنفس مظاهر الاحتفال التي يقابل بها السلطان، كما حدث مع الأمير الصارمي إبراهيم ابن السلطان المؤيد شيخ، في سنة ٨٢٢هـ/١٤١٩م^(٤)، والأمير يشبك البجاسي في سنة ٨٧٥

(١) أحمد غسان سبانو، مملكة حماة الأيوبية، ص ١٦٢-١٦٣.

(٢) ابن الجيعان، القول المستطرف في سفر الملك الأشرف، ص ٧٥-٧٧؛ انظر أيضاً ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل، ج ١، ق ٤، ص ٣٢٨.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٥، ص ١١.

(٤) المقرئزي، السلوك، ج ٦، ص ٤٩١؛ العيني، عقد الجمان، حوادث سنة ٨٢٢هـ، ص ٣٤٤؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٤، ص ٧٧؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج ٢، ص ٤٣٨.

هـ/٤٧١م^(١)، أما استقبال النائب الحموي وبقية النواب الشاميين، فكانت تتم عند الرستن، ولم يقتصر نصب الزينة على استقبال الشخصيات الهامة، إنما شملت الانتصارات العسكرية التي كانت تحققها القوات المملوكية على أعدائها في الخارج أو على الخارجين على السلطان في الداخل^(٢).

الألبسة:

على الرغم من الأثر الذي خلفه التمايز الطبقي، وتعدد الفرق الدينية والمذهبية، في إثراء مجال الألبسة بالأراضي الشامية قاطبة، والتي أشادت بها بعض المصادر الإسلامية، إلا أن الحديث عن الشكل العام لألبسة الناس في نيابة حماة قد شابه نوع من الشحّ والندرة، ولعلّ ذلك يعود إلى التشابه الكبير فيما بين الألبسة في معظم المدن الشامية، وعدم حاجة تلك المصادر لتكرار وصفها، بيد أن ما فرضته السلطنة على موظفيها من توحيد اللباس الرسمي للبعض، وتخصيصه للبعض الآخر خدم الدراسة في التعرف على الألبسة التي اختصت بها طبقة ذوي السيوف، وطبقة القضاة والعلماء، والتي جاءت على النحو التالي: يكون لباس الرأس لأرباب السيوف الكلوات ذات الحجم الصغير والمنسوجة من الصوف المصبوغ بالأحمر، ومن فوقها عمام صغار^(٣)، وفقاً لأوامر السلطان خليل، وقد استمروا على ذلك حتى حلق السلطان محمد رأسه بعد أدائه فريضة الحج في أواخر دولته، فحلّقوا رؤسهم اقتداءً به، وفي عهد السلطان شعبان بن حسين زِيَدَ في حجم العمام عن ما كانت عليه في السابق، وقد اختلفت عمام القضاة والعلماء عنهم، حيث تكونت من الشاشات الكبيرة الحجم، كما اختص بعضهم بوضع طرح تستر العمامة وتسدل على الظهر^(٤)، ولم يقتصر وضع العمام على تلك الطبقات، وإنما ارتداها عامة الأهالي مع اختلاف ألوانها وتنوع خامة صنعها، وقد فرضت

(١) محمد دهمان، العراق بين المماليك والعثمانيين الاتراك، ص ٧٩.

(٢) أحمد غسان سبائو، مملكة حماة الأيوبية، ص ١٦٢.

(٣) العمري، مسالك الأبصار، ج ٤، ص ٩٩.

(٤) القلقشندي، صبح الاعشى، ج ٤، ص ٤٠، ٤٢؛ والشاشات: مفردا شاش وهو ما يلف حول غطاء الرأس من قماش رقيق (انظر سعيد عبد الفتاح عاشور، العصر المماليكي في مصر والشام، ص ٤٤٩).

السلطنة المملوكية لوناً موحداً لعمائم النصارى في سنة ٧٠٠هـ/ ١٣٠١م، فخصص لهم العمام الصفراء^(١)، وفي سنة ٧٥٢هـ/ ١٣٥١م، منعوا من وضع العمام فوق العشرة الأذرع، كما قرر عليهم لبس أزرق زرقاء اللون، وأن يكون الخف لونين مختلفين كما فرض عليهم وضع الصليب على رقابهم إذا ما دخلوا الحمام^(٢).

أما لباس البدن الخارجي للرجال فقد كان مؤلفاً عند أرباب السيوف من ثلاث قطع أولها الأقبية النترية، وتأتي فوقها التكلوات ثم يضع عليها القباء الإسلامي، الذي يُشدُّ بالمنطقة والسيوف من جهة اليسار، والصولق والكرلك من جهة اليمين، وقد زيد للأمرء والمقدمون وأعيان الجند عليه لبس أقبية فوق السابقة تكون أكمامها أقصر وأوسع من القباء الداخلي^(٣)، وقد لبس القضاة والعلماء فوق ثيابهم دلقاً متسع الأكمام، والطويل منها تكون مفتوحة فوق كتفيه بغير تفريج سائلاً على قدمه، والبعض الآخر يلبس بدل الدلق فرجية مفرجة من قدامه مزررة بالأزرار من أعلاها إلى أسفلها، كما كانوا يضعون على أكتافهم ذؤابة طويلة تلحق قربوس سرجه إذا ركب، أو يستبدلون بها بالطيلسان، ومما تجدر الإشارة إليه بأنهم اختصوا عن غيرهم بلبس اللون الأبيض حتى إن أرديتهم الشتوية الفوقانية نسجت من الصوف الأبيض، وهم لا يرتدون الملون إلا في بيوتهم^(٤).

(١) أبو الفداء، المختصر، ج ٤، ص ٤٦.

(٢) القرمانى، أخبار الدول، مج ٢، ص ٢٨٧.

(٣) العمري، مسالك الأبصار، ج ٤، ص ٩٩؛ التكلوات: نوع من الملابس التي كان يرتديها الأمراء المماليك ليعرف وصفها بالضبط (انظر سعيد عبد الفتاح عاشور، العصر المماليكي في مصر والشام، ص ٤٢٤)؛ القباء: نوع من الملابس المملوكية، وهي قفطان ضيق الأكمام مثل العباءة والبرنس (انظر محمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، ص ١٢١)؛ والصولق: الجمع صوالق، وهي عبارة عن حقيبة كبيرة يعلقها المملوك في الجانب الأيمن من حياصته التي يشدها على وسطه ويثبت فيها منديلاً (انظر محمد قنديل البقلي، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص ٤٤٤)؛ عبد المنعم، نظم دولة المماليك، ج ١، ص ١٦٢-١٦٣)؛ والكرلك: لم أجد لها تعريف فيما توفر لي من مصادر اطلعت عليها.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٤٢؛ الدلق: لفظ فارسي معرب، دويبة تقرب من السمور (انظر محمد قنديل البقلي، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص ١٣٧)؛ وقربوس: لم أجد لها تعريف فيما توفر لي من مصادر اطلعت عليها.

الأمن الداخلي:

حرص سلاطين المماليك منذ مولد النظام النيابي بحماية على توفير الاستقرار الداخلي فيها، وهذا ما أثبتته الدراسة في مطلع فصلها الثالث، حيث أشارت إلى محاولات السلطنة الجادة للحدّ من عسف وظلم النواب، فضلاً عن أن تعيينهم للقضاة على المذاهب الأربعة، شكل دليلاً آخر على سعي سلاطين المماليك لنشر العدل بين الأهالي، بإعطائهم الحرية للاحتكام تبعاً لمذهبهم، وعلى الجانب الآخر فقد حرص أولئك القضاة على القيام بواجبهم الوظيفي والضرب بيد من حديد على كل من تسول له نفسه زعزعة أمن واستقرار النيابة، وهذا ما برهنت عليه أحداث سنة ٧٣٧هـ/١٣٣٦م، حيث حكم على الحموي الحجار، بالقتل بعد أن ثبتت تهمة الزندقة عليه، وقيامه بنشرها بين الأهالي، فانضم إليه عدد منهم، فضلّ وأضل^(١).

وقد تعدّى حرص القضاة على نشر العدل بين الناس وحفظ دمائهم وأموالهم وأعراضهم وأفكارهم، إلى تسجيل الغرائب من الأمور التي تعرّضت لها نيابة حماة، وإثبات ذلك بأقوال شهود العيان الذين حضروا الواقعة، من ذلك ما حدث في ربيع الأول سنة ٧٠١هـ/١٣٠١م، عندما أثبت محضر بارين حادثة وقوع برد كبير الحجم جاء على هيئة صور حيوانات مفترسة وطيور وزواحف، فأخطر بذلك قاضي حماة الذي بدوره أرسل إلى القاهرة بكتاب يبين الواقعة^(٢)، وكذلك الحادثة التي تعرضت لها بارين ذاتها في شعبان سنة ٧٠٦هـ/١٣٠٧م، والتي

(١) الذهبي، العبر، ج٤، ص١٠٦؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٢، ص٢٨٥.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص٤٢٦؛ ورغم أن طابع الأسطورة يغلف هذه المعلومة، إلا أن نكر ابن كثير لها - وهو المفسر قبل أن يكون مؤرخاً - جعلتنا نشبّتها هنا، كما يبدو من هذا مدى اهتمام الناس في نيابة حماة بهذه الأمور الغريبة، والتي غالباً ما تتم عن شعورهم بأن هذا قد يكون نذير غضب من الله جراء ارتكاب بعض المخالفات الشرعية، وحرصهم على محاسبة النفس.

أوردت صوراً لتغير شكل التضاريس بها دون إحداث أضرار مادية^(١)، ولعل المغزى من ذلك العمل التوثيقي حفظ نيابة حماة من نشر الأكاذيب التي تخدم المنتفعين من تلك الظواهر، وحماية أهلها من استغلال الدجالين، بالإضافة إلى إضفاء المصدقية القضائية لنقل صور قدرة الله ﷻ في صنعه دون زيف أو تلفيق.

ومن مساعي دولة المماليك الحثيثة لنشر الأمن والاستقرار في جنابات نيابة حماة العمل على محاربة الفساد الخلقي الذي انتشر فيها، والذي يوحى بأن الدولة قد أقرته رسمياً، وذلك بأخذ ضمان مادي عليها، غير أن الإدارة المملوكية عملت على إبطال ذلك الضمان، مما يعني حجب إقرار الدولة الرسمي لممارسة تلك الأعمال في نيابة حماة، وذلك ما برهنت عليه بعض المراسيم التي صدرت في ذي الحجة من سنة ٧٨٢هـ/مارس ١٤٧٨م، والتي تضمنت أوامر من الأمير برقوق لإبطال ضمان المغاني بحماة^(٢).

الصحة والنظافة العامة:

وصف الرحالة ابن بطوطة جمال مدينة حماة وعناية أهلها بها بأنها "أحدى أمهات الشام الرفيعة، ومداينها البديعة، ذات الحسن الرائق، والجمال الفائق، تحفها البساتين والجنات"^(٣)، وقد زاد ابن الجيعان على ذلك عند زيارة السلطان الأشرف قايتباي لها بأن "أرضها مرصفة بالحجر الأسود"^(٤)، مما يدل على العناية التي خصصت لشوارعها وطرقاتها، أما غرس الدين الظاهري فقد عبر عن نظافتها بقوله: "وهي مدينة حسنة الى الغاية"^(٥)، ودعم ابن الشحنة رأي سابقه بأن "حماة مدينة حسنة كثيرة الخيرات نزهة الحنيئات"^(٦).

(١) النويري، نهاية الأرب، ج ٣٢، ص ١٢٢-١٢٣؛ انظر أيضاً ابن حبيب، تذكرة النبوة، ج ٢، ص ٢٧٤؛ المقرئ، السلوك، ج ٢، ص ٤٠٥.

(٢) المقرئ، المصدر السابق، ج ٥، ص ٩٧؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج ٢، ص ١٦.

(٣) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج ١، ص ٨٥.

(٤) ابن الجيعان، القول المستطرف في سفر الملك الأشرف، ص ٧٧.

(٥) غرس الدين الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص ٤٨.

(٦) ابن الشحنة، الدر المنتخب، ص ٢٦٨؛ والحنيئات: لم أجد لها تعريف فيما توفر لي من مصادر اطلعت عليها.

وقد تعدّى اهتمام أهل حماة بالنظافة العامة لمدينتهم إلى العناية بتنسيق حدائقها وبساتينها، وهذا ما عبّر عنه العمري بقوله: "وفي بساتينها الأشجار والغرسُ المفنّنُ الأفنان" ^(١)، وشاطره القلقشندي في الرأي وزاد عليه فقال: "وفي بساتينها الغراسُ الفائق والثمار الغريبة" ^(٢)، كما حظيت أعمال حماة بذات العناية، فهذا غرس الدين الظاهري يشيد بنظافة المعرة في عصره قائلاً: "وهي الآن لطيفة" ^(٣)، وإن كانت حماة رصفت بالحجارة السوداء فقد فرشت أرض المعرة بالرمل ^(٤)، ولعل ذلك يعود لكثرة بساتينها، ونظافتها فلم تكن بحاجة لرصفها بالحجر.

وعلى الرغم من النظافة التي تميزت بها حماة إلا أن موقعها في وهدة من الأرض أثر على جوها العام، حيث أصبحت عرضه للارتفاع في درجات الحرارة مع توقف للتيارات الهوائية في فصل الصيف، أما في فصل الخريف فكان يصيبها الـوَخْمُ ^(٥)، الأمر الذي ترتّب عليه ظهور بعض الأمراض، ناهيك على أنها كانت سبباً مباشراً في طول بقاء الأوبئة بحماة، ومن الأمراض التي ظهرت بها والتي كانت سبباً في هلاك بعض من أهلها مرض السل ^(٦)، كما عرفت حماة الحميات والأوبئة والتي كان أشدها في خريف سنة ٧٩٤هـ/ ١٣٩٢م ^(٧)، وكذلك الطاعون الذي أصاب حماة في سنة ٨١٢هـ/ ١٤١٠-١٤٠٩م، فمات على أثره العديد من الناس ^(٨)، كما انتشر السعال والنزلات والطاعون في حماة في سنة ٨١٦هـ/

(١) العمري، مسالك الأبصار، ج٤، ص١٩٦.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١٤٠.

(٣) غرس الدين الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص٤٩.

(٤) الحميري، الروض المعطار، ص٥٥٥.

(٥) العمري، مسالك الأبصار، ج٤، ص١٩٧؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١٤٠؛ ابن الشحنة، الدر المنتخب، ص٢٦٨؛ والوَخْمُ: داء كالباثور (انظر ابن منظور، لسان العرب، ج١٢، ص٦٣٢).

(٦) أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص٩٤.

(٧) أبو الفداء، المصدر السابق، ج٤، ص١٥٢؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٣٣٩؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٠، ص٢٠٣.

(٨) المقرئ، السلوك، ج٦، ص٢٣٠؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج٦، ص١٦١.

١٤١٣م^(١)، غير أن وباء سنة ٨٢٥هـ/٤٢٢م^(٢)، كان له أثره في القضاء على كثير من الأطفال لأنهم أضعف مناعة، كما تأثرت حماة بالوباء الذي أصابها خلال سنتي ٨٣١هـ/٤٢٧م، و سنة ٨٣٣هـ/٢٩-٤٣٠م، والذي أدى إلى هلاك عدد كبير من الأهالي^(٣).

ولم يرد بعد ذلك خبر عن هذا الوباء مما يعطي فرضية جلائه، لبعض الوقت بيد أنه -على ما يبدو- سرعان ما عاد بطريقة أعنف من سابقه فأصاب الأطفال ومن ثم العبيد ومن بعدهم الأهالي، فكان سبباً لهلاك عدد كبير من أهل حماة في ربيع الأول سنة ٨٤١هـ/٤٣٧م، فقد تجاوز عدد من يموت في كل يوم مائة وخمسين إنساناً^(٤)، و زادت حدة الوباء في جمادى الأولى حتى تجاوز عدة من يموت بها على الثلاثمائة إنسان، وما عهد قبل ذلك بحماة في الموت من هذه الأزمدة^(٥).

والواقع أن وجود اليمارستان النوري بحماة، والذي حرص سلاطين الأيوبيين ومن بعدهم المماليك على تطويره، قد ساهم بشكل واضح في علاج المرضى ومواجهة الأوبئة التي تعرضت لها حماة، وذلك بتطبيب المصابين وإرشاد الناس إلى تفادي حدوث الأوبئة أو الإصابة ببعض الأمراض التي عادة ما تنتشر بين سكان النياحة، ويظهر ذلك جلياً من خلال عمل النواب باعتبارهم مراقبين لعملية تنظيم صرف إيرادات أوقاف اليمارستان في الأوجه المستحقة لها، ومنع التلاعب في تلك الإيرادات، وهذا ما حدث في سنة ٧٠٥هـ/١٣٠٥م، عندما أمر النائب الحموي الأمير يخشباي بإبطال ما كان يؤخذ من اليمارستان بغير طريقة، وأن وقفه يصرف على ما وقفه الواقف على السكر والأشربة وذلك بأمر السيفي^(٦)، كما كان للسلطة العليا في حماة لفعة كريمة بالتبرع لليمارستان النوري

(١) ابن حجر، المصدر السابق، ج ٧، ص ١١٤.

(٢) المقرئزي، السلوك، ج ٧، ص ٥٧؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج ٣، ص ٢٥-٢٦.

(٣) المقرئزي، السلوك، ج ٧، ص ١٧٠، ٢٠٨، ٢١٣.

(٤) المقرئزي، السلوك، ج ٧، ص ٣٤٣؛ انظر أيضاً الصيرفي، نزهة النفوس، ج ٣، ص ٣٩٨، ٤٠٣.

(٥) ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل، ج ٢، ق ٥، ص ١٦.

في محاولة منها -على ما يبدو- لتخفيف العبء المادي عن البيمارستان، والشاهد على ذلك الحجارة الموجودة بالجانب الغربي من أعلى البنيان للبيمارستان النوري والمكتوب فيها" لما كان بتاريخ الشهر المحرم سنة ثلاث وثمانمائة حضر الجنب العالي السيفي المارستان النوري بحماة المحروسة داود بن المقر السيفي درداس الخاصكي كافل المملكة الحموية أعز الله أنصاره وتبرع بمعلومه على الضعفاء المقيمين به وهو في كل شهر مائة درهم لاغتنام الأجر والدعاء اهـ" (١).

ومن الجدير بالذكر أن على كثرة الأوبئة التي أصابت حماة فإن المعرفة كانت في مأمن منها وهذا ما أشادت به بعض المصادر الإسلامية (٢)، وهو يعطي انطباعاً عاماً عن النظافة التي تميزت بها تلك البلدة، إضافةً لتوفر عوامل أخرى من عوامل الوقاية من العدوى، ألا وهي تخصيص استخدام مصادر المياه لكل أسرته باعتمادهم على الصهاريج التي تجمع فيه مياه الأمطار، على خلاف حماة التي شكّل مرور نهر العاصي بها سبباً آخر لنشر الأمراض فيها، كما ساعد فرش أرض المعرة بالرمل في امتصاص مياه الأمطار، فحماها من تكوين المستنقعات المائية وتجمع بؤر للبعوض.

الحياة العلمية:

العلوم الشرعية:

شهدت نيابة حماة نشاطاً علمياً واسع النطاق في جميع فروع الشريعة الإسلامية، وذلك نتاج الدور الذي لعبته المؤسسات التعليمية في نشر علوم الشريعة الإسلامية، والشغف الذي أولته الأسر الحموية لتدريس أبنائها القرآن الكريم وما يعقبه من تدرج في التحصيل العلمي في بقية العلوم الشرعية، والحوافز التي يترتب عليها التخصص في تلك العلوم، من الحصول على وضع اجتماعي مرموق

(١) محمد كرد علي، خطط الشام، ج ٦، ص ١٦١-١٦٢.

(٢) أبو الفداء، المختصر، ج ٤، ص ١٥٢؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج ٢، ص ٣٣٩؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٠، ص ١٩٧.

وتعدد المجالات الوظيفية لعلماء الشريعة في الدولة المملوكية، إضافةً إلى ذلك فإن فتح النيابة أبوابها لاستقبال العلماء الواقفين إليها، عمل على إثراء الجانب العلمي في حماة. غير أن سيطرة بعض الطرق الصوفية وعلى وجه التحديد الطريقة القادرية على الناحية العلمية، كانت لها نتائجها السلبية، حيث غدا لبس الخرقة القادرية أعلى شهادة علمية يحصل عليها طالب العلم، وهذا ما برهنت عليه العناية الخاصة التي أولها بعض المؤرخين لمن يتم إلياسهم تلك الخرق ويبد من مشايخ الطريقة^(١).

أما عن علماء حماة الذين فضلهم الله ﷻ بهذا العلم فمنهم:

- عماد الدين أحمد بن شمس الدين محمد بن مفلح المقدسي الصالحي:

الذي ولد سنة ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م، وسمع من عدد من الشيوخ، فأجازوا له، وحدّث في الحجاز وحماة ودمشق، عرف بالمسند، وكانت وفاته المحرم سنة ٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م^(٢).

- عز الدين عبد العزيز بن محي الدين محمد الحموي الشهير بابن

القديم:

أحد المحدثين البارزين بحماة، أسندت إليه مهام قضائها، وكانت وفاته بحماة في ربيع الأول سنة ٧١١هـ/ ١٣١١م^(٣).

- كمال الدين إسماعيل بن محمد بن سعد الله السعدي ابن الفقاعي الحموي:

فقيه حموي، ولد في رجب سنة ٦٤٢هـ/ ١٢٤٤م، واشتهر بمعرفته بالقراءات وحسن الأداء في القراءة وخبرته بالتجويد، عمل خطيباً بحصن صهيون، كانت وفاته في جمادى الأولى سنة ٧١٥هـ/ ١٣١٥م^(٤).

(١) الحنبلي، تاريخ أعيان حلب، ورقة ١٤٦/أ-ب، ١٥٨/ب.

(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة ٧٠٠هـ، ص ٤٦٨-٤٦٩؛ الصفي، أعيان النصر، ج ١، ص ٣٢٦-٣٢٧؛ ابن

تغري بردي، المنهل، ج ٢، ص ٨٤؛ العيني، عقد الجمان، ج ٤، ص ١٤٨-١٤٩.

(٣) الذهبي، العبر، ج ٤، ص ٢٨؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج ٦، ص ١٧٠.

(٤) تقي الدين بن عبد القادر التميمي الداري، الطبقات السنية، ج ٢، ص ٢٠٤-٢٠٥؛ السيوطي، بغية الوعاة، ج ١، ص ٤٥٤.

صلاح الدين بن عز الدين محمد بن بدر الدين عبد اللطيف العبدى

الحموي الشهير بابن المغيزل:

ولد سنة ٦٧٨هـ/١٢٧٩م، سمع من عدد من الشيوخ، فاق أقرانه في الفقه،
أفتى ودرس واشتغل في التصنيف، عمل خطيباً بجامع حماة، كانت وفاته في
جمادى الآخرة سنة ٧١٩هـ/١٣١٩م^(١).

- معين الدين أبو بكر بن بدر الدين محمد بن عبد الطيف ابن المغيزل:

ولد في حماة سنة ٦٥٠هـ/١٢٥٣م، وتلقى بها العلوم الشرعية على يد
علمائها، عمل خطيباً بجامع حماة، كما درس وروى، ثم رحل إلى الديار
المصرية، فأقام بها مدة، ثم عاد إلى دمشق لياشر التدريس بالمدرسة التقوية،
وصفه ابن حبيب بأنه "كان إماماً عالماً فاضلاً، حسن الهيئة جليل القدر؛ فصيحاً
بليغاً، رئيساً كبيراً، رحل وحصل"^(٢)، كانت وفاته بدمشق سنة ٧٢٤هـ/١٣٢٤م^(٣).

- فخر الدين عثمان بن كمال الدين محمد بن عبد الرحيم ابن البارزي:

ولد في ذي الحجة سنة ٦٦٨هـ/١٢٧٠م، أخذ العلوم الشرعية عن جده،
وعدد من علماء بلده، ناب في قضائها، تولى قضاء حمص، ثم خطابة جامع حماة
، وأخيراً قضاء حلب، حج عدة مرات، شرح الحاوي في ستة مجلدات، وحدث
بمسند الشافعي، توفي بحلب في صفر سنة ٧٣٠هـ/١٣٢٩م^(٤).

(١) ذكر البعض أن ولادة الشيخ يوسف كانت سنة ٦٦٨هـ، ولعل الراجح ما ذكر في المتن لكون البعض الآخر حدد
عمر الشيخ عند وفاته بإحدى وأربعين سنة (انظر ابن حبيب، درة الأسلاك، ج٢، ورقة ١٨٥/ب، ابن حجر، الدر الكامنة
، ج٥، ص٢٤٥؛ ابن حبيب، تذكرة النبي، ج٢، ص١٠٥؛ العبادي، ذيل طبقات الفقهاء الشافعيين، ج٣، ص١٩٥-١٩٦).

(٢) ابن حبيب، تذكرة النبي، ج٢، ص١٤٨.

(٣) ابن حبيب، درة الأسلاك، ج٢، ورقة ٢٠١/ب.

(٤) أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص١٠٠؛ انظر أيضاً النويري، نهاية الأرب، ج٣٣، ص٣١٧؛ ابن الوردي، تاريخ ابن
الوردي، ج٢، ص٢٨٣؛ العبادي، ذيل طبقات فقهاء الشافعيين، ج٣، ص١٨٣؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج
٦، ص٢٥٧.

- زين الدين يوسف بن محمد النصيبي الحلبي:

ولد في رمضان سنة ٦٤٥هـ/ ١٢٤٧م، سمع من عدة شيوخ بحماة، من تلامذته عبد القادر المقرئ، وعبد الرحمن بن محمد العبلي، كانت وفاة في ربيع الآخر سنة ٧٣١هـ/ ١٣٣١م^(١).

- يوسف بن محمد بن مظفر بن هبة الله التنوخي الحموي:

برع في العلوم الشرعية من الفقه والأصول، واللغة العربية من النحو ونظم الشعر، عمل مفتياً بحماة وخطيباً بجامعة الكبير^(٢).

- بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله الكناني الحموي الشهير بابن

جماعة:

ولد بحماة سنة ٦٣٩/ ١٢٤١م^(٣)، تتلمذ على يد عدد من علمائها، ثم انتقل إلى دمشق ومنها إلى القاهرة لتحصيل العلم، أجاز له عدد كبير من العلماء بعد أن شهدوا براعته في العلوم الشرعية واللغة العربية^(٤)، تقلد عدة وظائف حكومية^(٥)، ثم عكف على التدريس في آخر عمره بعد أن عمي^(٦)، كانت وفاته بمصر في جمادى الأولى سنة ٧٣٣هـ/ ١٣٣٣م^(٧)، ومن نظمه:

(١) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٥، ص ٢٤٨.

(٢) يُعد من العلماء الذين تضارب الأقوال حول تاريخ ولادتهم ووفاتهم، حيث ذكر ابن حجر بأنه ولد في سنة ٦٦٧هـ/ ١٢٦٩م، وتوفي في سنة ٧٣٢هـ/ ١٣٣٢م، في حين أورد العبادي بأنه ولد في سنة ٦٦٩هـ/ ١٢٧١م، وأن وفاته كانت في سنة ٧٣٦هـ/ ١٣٣٦م (انظر ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٥، ص ٢٤٩؛ العبادي، ذيل طبقات فقهاء الشافعية، ج ٣، ص ١٧٦).

(٣) العبادي، ذيل طبقات الفقهاء الشافعيين، ج ٣، ص ٢٠٠-٢٠١؛ الأسنوي، طبقات الشافعية، ج ١، ص ٣٨٦؛ ابن فهد المكي، لحظ الألفاظ بنيل الحفاظ، ص ٧٣-٧٤.

(٤) ابن حبيب، درة الأسلاك، ج ٢، ورقة ٢٣٦ب؛ الذهبي، العبر، ج ٤، ص ٩٦؛ ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج ٢، ص ٢٣٦.

(٥) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٥٨٢-٥٨٣؛ العبادي، ذيل طبقات الفقهاء الشافعيين، ج ٣، ص ٢٠١؛ الأسنوي، طبقات الشافعية، ج ١، ص ٣٨٦-٣٨٧.

(٦) الذهبي، العبر، ج ٤، ص ٩٦؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج ٦، ص ٢٧٣-٢٧٤.

(٧) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ٢، ص ١٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٥٨٣؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج ٦، ص ٢٧٣-٢٧٤؛ ابن فهد المكي، لحظ الألفاظ بنيل طبقات الحفاظ، ص ٧٤.

لم أطلب العلمَ للندىا التي اتفقتُ
من المناصبِ أو للجاءِ والحالِ
لكنْ متابعة الأسلافِ فيه كما
كانوا فقدر ما قد كان من الحالِ^(١).

- تاج الدين أحمد بن المحدث إدريس بن محمد بن مريزالتنوشي الحموي
سمع من عدة علماء في حماة ودمشق، وأجاز له البعض، كانت وفاته في
سنة ٧٣٣هـ/١٣٣٣م^(٢).

- ناصر الدين محمد بن طغريل بن عبد الله الصيرفي الخوارزمي:
سمع من علماء حماة، وحدث فيها^(٣)، كانت له رحلات عدّة إلى البلاد
الشمالية للتدريس^(٤)، توفي بحماة في ربيع الأول سنة ٧٣٧هـ/١٣٣٦م^(٥).

- بدر الدين محمد بن قاضي بارين الشافعي:
تتلمذ على يد شرف الدين القاضي ابن البارزي، عمل بالإفتاء، وسافر إلى
اليمن، كانت وفاته في شوال سنة ٧٣٨هـ/١٣٣٨م^(٦).

- سري الدين هبة الله بن عبد الرحيم بن إبراهيم ابن البارزي:
عمل في قضاء حماه حتى كف بصره، فتفرغ عندها للعلوم والكتابة، من
مصنفاته (توثيق عرى الإيمان في تفضل حبيب الرحمن)، (السرعة في قراءات
السبعة)، (الدراية لأحكام الرعاية للمحاسبي)، كما كتب في التفسير مصنفاً يتألف
من اثني عشر مجلداً أسماه (روضات جنان المحبيين)، ومصنف آخر يتألف من
مجلدين أسماه (البستان في تفسير القرآن)، وله كذلك في الحديث عدة مصنفات

(١) ابن حبيب، تذكرة النبیه، ج٢، ص٢٣٦.

(٢) ابن حبيب، درة الأسلاك، ج٢، ورقة ٢٣٧/ب؛ الذهبي، العبر، ج٤، ص٩٧.

(٣) الذهبي، العبر، ج٤، ص١٠٧.

(٤) تقي الدين السلامي، الوفيات، ج١، ص١٤٢.

(٥) الذهبي، العبر، ج٤، ص١٠٧؛ تقي الدين السلامي، الوفيات، ج١، ص١٤٢.

(٦) ابن الوري، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٣٠٨.

منها) الوفا في أحاديث المصطفى)، و (المجتبى مختصر جامع الأصول)،
و (المجرد من المسند)، وغيرها من التصنيفات^(١)، كانت وفاته في ذي القعدة سنة
٧٣٨هـ/١٣٣٨م^(٢).

- إبراهيم بن عيسى بن عبد السلام :

من علماء المعرفة، برع في بعض فروع العلوم الشرعية كالقراءات
والتفسير، ويبدو أنه كان مولعاً بجمع الكتب التي أوقفها على الزوايا، وبعض
الأماكن، اشتهر بالزهد وكثرة العبادة، كانت وفاته في شهر رجب سنة ٧٣٩هـ/
١٣٣٩م^(٣).

- زين الدين عبد الرحمن بن هبة الله المعري:

عالم من علماء المعرفة، برع في علوم الشريعة كالقراءات والفقه والحديث،
وكان يعرف بإمام الزجاجية، توفي في ذي القعدة سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٩م^(٤).

- شهاب الدين أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم البارزي الحموي:

ولد في شوال سنة ٦٧٤هـ/١٢٧٦م، تقلد عدة وظائف حكومية منها وزارة
حماة، ونظر الأوقاف بدمشق، كانت وفاته في شوال سنة ٧٥٥هـ/١٣٥٤م^(٥).

- الشيخ شرف الدين يوسف بن عثمان بن محمد الأعزازي:

سكن بارين، ويعد من علمائها البارزين، تتلمذ على يديه عدد من طلاب
العلم، وكانت وفاته في سنة ٧٦٠هـ/١٣٥٩م^(٦).

(١) ابن الوردي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٠٩-٣١٠.

(٢) الذهبي، العبر، ج ٤، ص ١١٠؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج ٢، ص ٣١٠.

(٣) أبو الفداء، المختصر، ج ٤، ص ١٢٩؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج ٢، ص ٣١٤.

(٤) أبو الفداء، المختصر، ج ٤، ص ١٥٤.

(٥) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ١، ص ١٩٠؛ تقي الدين السلمي، الوفيات، ج ٢، ص ١٧٤-١٧٥.

(٦) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٥، ص ٢٤٠.

- زين الدين عمر بن عيسى بن عمر الباريني الشافعي:

ولد ببارين سنة ٧٠١هـ/٠١-١٣٠٢م، تلقى العلوم الشرعية بحماة على يد علمائها، ثم انتقل إلى حلب في سعيه لنشر العلم خارج نطاق بلده، درّس في عدد من المدارس، وله مصنفات في الفرائض والعربية، كانت وفاته في شوال سنة ٧٦٤هـ/١٣٦٣م^(١).

- عبد الوهاب بن أحمد بن وهبان الدمشقي الحنفي :

نابغ في العلوم الشرعية واللغة العربية، درّس بحماة، وولي قضاءها توفي في ذي الحجة سنة ٧٦٨هـ/١٣٦٧م^(٢).

- أمين الدين عبد الوهاب بن أحمد بن وهبان الدمشقي الحنفي:

ولد بحماة قبيل ٧٣٠هـ/١٣٢٩م، وتلقى العلوم الشرعية والعربية فيها، فبرع في الفقه والأصول والقراءات وفي اللغة العربية والأدب، درّس وأفتى بها، ثم تقلد قضاء حماة أكثر من مرة^(٣)، من مصنفاته (شرح درر البحار)، و نظم في الفقه قصيدة رائية تشتمل على ألف بيت أطلق عليها "الشرائد"^(٤).

- أحمد بن محمد الفيومي الحموي:

قطن حماة، وعمل خطيباً في جامع الدهشة، برع في الفقه واللغة العربية، من مصنفاته (المصباح المنير في غريب الشرح الكبير)، توفي سنة نيف وسبعين وسبعمائة^(٥).

(١) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٦، ص٣٩٥.

(٢) السيوطي، بغية الوعاة، ج٢، ص١٢٣.

(٣) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٧ ص٣٧٨؛ ابن القاضي، درة الحجال، ج٣، ص١٥١؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٦، ص٤٠٩.

(٤) أبو الفداء زين الدين، تاج التراجم، ص١٩٨-١٩٩.

(٥) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١، ص٣١٤؛ ابن القاضي، درة الحجال، ج١، ص٣٨٩؛ السيوطي، بغية الوعاة، ج١، ص٣٨٩.

- زين الدين عمر بن علي بن أبي بكر خطيب طرابلس:

من علماء الحديث الذين كان لهم عناية بضبط الرجال، كانت وفاته بحماة في المحرم سنة ٧٨٤هـ/١٣٨٢م^(١).

- أحمد بن عبد الرحمن المرداوي الحموي:

ولد بمردا سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م، وأخذ علومه من دمشق، ثم حدث بها، ولي قضاء حماة، وباشّر الإفتاء والتدريس، كانت له محاولات جادة في نظم الشعر والنثر، توفي في سنة ٧٨٧هـ/١٣٨٥م^(٢).

- علاء الدين علي بن محمود بن أبي بكر بن المغلي السليماني الحنبلي:

ولد بحماة في سنة ٧٧١هـ/١٣٧٠م^(٣)، نشأ بها وأتم حفظ القرآن الكريم وهو ابن تسع سنين، أخذ علوم الشريعة الإسلامية واللغة العربية من علماء حماة ودمشق، فبرع في الحديث والفقه والنحو، اشتهر بسرعة حفظه ونبوغه، تقلد قضاء عدد من المدن منها حماة وحلب والقاهرة، توفي في الأخيرة في المحرم سنة ٨٢٨هـ/١٤٢٤م^(٤).

- نور الدين محمود بن أحمد بن محمد الهمذاني الفيومي الشافعي:

ولد بحماة سنة ٧٥٠هـ/١٣٤٩م، بعد أن استوطنها والده، نشأ بها وحفظ القرآن الكريم، واستقى العلوم الشرعية واللغة العربية من علمائها، فبرع في الفقه والأصول واللغة العربية، أفتى ودرّس بحماة، وكانت له تصانيف عدة، منها ما جاء في مجلدات مثل (مختصر القوت للذرعي) المكون من أربعة مجلدات،

(١) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٧، ص٢٥.

(٢) المقرئزي، درر العقود الفريدة، ج٢، ص٣٧٠؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١، ص١٧٩؛ ومردا: قرية قرب نابلس (انظر: قوت الحموي، معجم البلدان، مج٥، ص١٠٤).

(٣) ابن تغري بردي، النجوم، ج١٥، ص١٢٦-١٢٧؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٦، ص٢٤.

(٤) المقرئزي، السلوك، ج٧، ص١٢٤؛ انظر أيضاً ابن تغري بردي، النجوم، ج١٥، ص١٢٧-١٢٨؛ السخاوي، ذيل رفع الأصر، ص١٩٠؛ الضوء اللامع، ج٦، ص٣٤-٣٦؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٩٦؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٧، ص٣١٦.

و(تكملة شرح منهاج النووي) في ثلاثة عشر مجلداً، كما صنف في النحو(تحرير الحاشية في شرح الكافية لابن مالك)، وفي اللغة(تهذيب الطالع)، توفي بحماة في شوال سنة ٨٣٤هـ / ١٤٣١م^(١).

- ناصر الدين محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن مجاهد الحموي
الدمشقي:

ولد بدمشق في المحرم سنة ٧٧٧هـ / ١٣٧٥م، ونشأ بها وأخذ علوم الشريعة الإسلامية من علمائها، فبرع في القراءات والحديث، ثم شرع في طلب العلم من عدة مدن، منها بعلبك وحلب ومكة المكرمة، له عدة مصنفات، منها ما جُعِلَ على أسفار مثل(جامع الآثار في مولد المختار) ويتألف من ثلاثة أسفار، وكذلك(توضيح المشتبه في أسماء الرجال)، ومنها ما جعل على كراسة مثل(المورد الصادي في مولد الهادي)، و(اللفظ الرائق في مولد خير الخلائق) في أقل من كراسة، ومن مصنفاته (منهاج الأصول في معراج الرسول)، و(مجلس فضل يوم عرفة)، و(افتتاح القارئ لصحيح البخاري)، كما كانت له عدة أراجيز منها(عقود الدرر في علم الأثر)، وأخرى في الحفاظ، كانت وفاته في ربيع الثاني سنة ٨٤٢هـ / ١٤٣٨م^(٢).

- أحمد بن أبي بكر بن أحمد ابن الرسام الحموي:

ولد بحماة واستقى علوم الشريعة واللغة العربية من علمائها، ثم انتقل إلى القاهرة ليسمع من علمائها فأجاز له عدد منهم، من مصنفاته (عقد الدرر اللالي في فضل الشهور والأيام والليالي) ويتألف من أربعة مجلدات، و(المتباينات)، و(تحفة العابد في فضل بناء المساجد)^(٣)، تقلد القضاء في عدة نيابات شامية أولها حماة ثم طرابلس ثم حلب، كانت وفاته في ذي القعدة سنة ٨٤٤هـ / ١٤٤١م^(٤).

(١) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٧، ص٣٤٢.

(٢) الشوكاني، البدر الطالع، ج٢، ص١٩٨-١٩٩.

(٣) عبد الله بن محمد الطريقي، معجم مصنفات الحنابلة، ج٤، ص٣١٩-٣٢٠.

(٤) السخاوي، الضوء اللامع، ج١، ص٢٤٩-٢٥٠.

- عبد الرحيم بن أبي بكر بن محمود الحموي الشافعي الشهير بابن الآدمي:
ولد بحماة في سنة ٧٦٢هـ / ١٣٦١م، استقى العلم من علمائها، ثم
انتقل إلى دمشق للسمع من علمائها ومن بعدها إلى القاهرة، تقلّد عدة وظائف منها
خطابة المسجد الأقصى، ثم عكف على الوعظ بالأزهر، فذاع اسمه، كانت وفاته
في ذي القعدة سنة ٨٤٨هـ / ١٤٤٥م^(١).

- ناصر الدين محمد بن أحمد الحموي المشهور بابن المعشوق:
ولد في حماة سنة ٧٦٨هـ / ١٣٦٧م، حفظ القرآن الكريم فيها، وأخذ علوم
الشريعة الإسلامية واللغة العربية من علمائها، كانت وفاته في رجب سنة ٨٥١
هـ / ١٤٤٧م^(٢).

- إبراهيم بن عمر بن إبراهيم السوبني الحموي:
ولد بقرية سوبين من قرى حماة، تلقى علوم الشريعة اللغة العربية من
علماء حماة، زار القاهرة عدة مرات، تقلّد قضاء عدة مدن منها مكة المكرمة
وحلب ودمشق له عدة تصانيف، كانت وفاته في دمشق سنة ٨٥٨هـ /
١٤٥٤م^(٣).

- محمد بن محمد بن مرضي الحموي الشهير بابن المغيزل :
تردّد على القاهرة لتحصيل العلوم والمعارف، كانت وفاته في سنة ٨٦٧
هـ / ١٤٦٣م، اشتهر عنه بأنه "كان عظيم الهمة في تحصيل الفوائد والعلم مثابراً
على ذلك"^(٤).

(١) السخاوي، وجيز الكلام، ج٢، ص ٥٩٧؛ الضوء اللامع، ج٤، ص ١٧٠؛ التبر المسبوك، ص ١٠٦؛ ابن العماد
الحنبلي، شذرات الذهب، ج٧، ص ٢٦٢.

(٢) السخاوي، الضوء اللامع، ج٧، ص ١٢٧.

(٣) السخاوي، وجيز الكلام، ج٢، ص ٦٨٣ - ٦٨٤؛ الضوء اللامع، ج١، ص ١٠٠ - ١٠١.

(٤) السخاوي، المصدر السابق، ج٩، ص ٢٤٨.

- بدر الدين الحسن بن على بن محمد بن أحمد الحصني الحموي

المعروف بابن الصواف:

ولد بحصن الأكراد في سنة ٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م، ونشأ بحماة امتهن التجارة مع حرصه لتحصيل علوم الشريعة الإسلامية من علماء حماة، تردد على القاهرة لسماع علمائها، كانت وفاته في المحرم سنة ٨٦٨هـ/ ١٤٦٣م^(١).

- سراج الدين عمر بن محمد العيني الحموي النجار:

ولد بحماة في شعبان سنة ٨١٥هـ/ ١٤١٢م، ونشأ بها حفظ القرآن الكريم ، وتتلّمذ على يد علمائها سكن في بيت المقدس ثم القاهرة لمدة ثلاثة سنوات، ثم أنتقل لمجاورة البيت الحرام بمكة المكرمة، برع في القراءات فعد من أحد مشايخ الإقراء والقراءات^(٢).

- ناصر الدين محمد بن محمد الجمال المعروف بابن السابق:

ولد في المعرة في ذي القعدة سنة ٨١١هـ/ ١٤٠٩م، ونشأ بحماة فتتلّمذ على يد علمائها في فروع الشريعة واللغة العربية ، ثم انتقل إلى القاهرة، كانت وفاته في رمضان سنة ٨٧٧هـ/ ١٤٧٣م، وصفه السخاوي بأنه "ممن تميّز في الفضائل، مع لطف العشرة، وحسن المُحَاضَرة، ومزيد التودّد، والتواضع مع أحبّابه، والرياسة، والكياسة، والكرم، والفتوة، وكثرة الأدب والبهجة، والمتانة لما يحفظه من التاريخ والأدب الذي هو أغزر معارفه، والمحاسن الجمّة، وهو من خواصّ أحبّابنا"^(٣).

(١) السخاوي، وجيز الكلام، ج٢، ص٧٦١؛ الضوء اللامع، ج٣، ص١١٣؛ نيل رفع الأصر، ص١٢٣.

(٢) السخاوي، الضوء اللامع، ج٦، ص١٢٤.

(٣) ذكر السخاوي في وجيز الكلام بأنه مغربي المولد ولعل ذلك خطأ مطبعي لأنه ولد في المعرة (انظر وجيز الكلام، ج٢، ص٨٤٣؛ الضوء اللامع، ج٩، ص٣٠٥).

- عبد الرحمن بن الكازروي الحنبلي:

كانت وفاته في سنة ٨٩٥هـ/١٤٩٠م، وصفه ابن العماد الحنبلي بأنه "الامام العلامة المقرئ المحدث كان من أهل ومشايخ القراءة وله سند في الحديث الشريف"^(١).

اللغة العربية:

كان لفروع اللغة العربية نصيبٌ وافر من العناية والاهتمام من قبل أهل حماة، الذين حرصوا على تعليم أبنائهم منذ نعومة أظفارهم أصول اللغة العربية مفتاح فهم كتاب الله الكريم وسنة نبيه عليه أفضل الصلاة والتسليم، فنبغ منهم العلماء في اللغة والأدباء والشعراء.

ومما تجدر الإشارة إليه تدخل بعض العوامل التي ساعدت في تخريج حماة لتلك الأعداد من علماء اللغة، فكان منها الجهود المحلية لعلماء حماة في دفع عجلة تعليم اللغة العربية، ودور حركة التوظيف في نقل عدد من علماء اللغة العربية إلى حماة مما كان له أثره الإيجابي على هذا المجال العلمي، كما استقطبت أوابد حماة ونواحيها ألباب الشعراء الذين تغنوا بجمالها وتنافسوا في وصف مفااتها حتى أصبحت في موضع تنافس فيه دمشق، فكان مما قيل في ذلك:

والله إن حماة شامة شامكم	وعروسها بمحاسن متزايدة
ودمشقكم بعدارها الثلج فقد	ولت شبيبته وامست بارده ^(٢) .

ومن علماء حماة في اللغة العربية:

(١) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج ٨، ص ١٩.

(٢) ابن شحنة، الدر المنتخب، ص ٢٧٠.

- محمد بن مرشد بن هبة الله المعروف بابن بارين:

ولد بحماة في سنة ٦١٣هـ/١٢١٦م، كانت له مشاركات شعرية، توفي في ربيع الأول سنة ٧٠٢هـ/١٣٠٢م^(١).

- سراج الدين عمر بن مسعود الحلبي المعروف بالمحار:

من العلماء المتخصصين في الأدب، كان يطلق عليه صاحب الموشحات المشهورة، كانت وفاته في سنة ٧١١هـ/١٣١١م، ومن نظمه :

لَمَّا تَأَلَّقَ بَارِقُ مِنْ ثَغْرَةٍ جَاءَتْ جُفُونِي بِالسَّحَابِ الْمُطَرِّ
فَكَأَنَّ عَقْدَ الدَّمْعِ حُلَّ قَلَائِدُ الْـ عِقْبَانٍ مِنْهُ عَلَى صِحَاحِ الْجَوْهَرِيِّ^(٢).

- نور الدين أحمد بن عبد الرحمن بن رواحة الأنصاري الحموي:

ممن كان له مشاركات شعرية، توفي بحماة في سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م^(٣).

- جمال الدين محمد ابن نباته:

من الشعراء الذين سكنوا حماة طلباً لعطاء الملك المؤيد أبي الفداء إسماعيل، وبعد وفاته حافظ وريثه الملك الأفضل محمد على استمرار جمال الدين محمد في منزلته المرموقة كما كان فرتب له الأفضل عطاءً ثابتاً، كانت وفاته في سنة ٧١٥هـ/١٣١٥م، وقد وصفه الصفدي بـ "الأديب الناظر النائر"^(٤).

- نجم الدين موسى بن علي بن محمد الشهير بابن البصيص:

ولد بحماة سنة ٦٥١هـ/١٢٥٣م، تلقى علومه الشرعية واللغة العربية فيها، كانت له مشاركات شعرية، توفي في ذي القعدة سنة ٧١٦هـ/١٣١٧م^(٥).

(١) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٥، ص ٢٣.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم، ج ٩، ص ٢٢١.

(٣) الصفدي، الوافي، ج ٧، ص ٥٦-٥٧؛ للتعرف على مشاركاته الشعرية (انظر ابن القاضي، درة الحجال، ج ١، ص ٢٧-٢٨).

(٤) الصفدي، الوافي، ج ١، ص ٣١١-٣١٢.

(٥) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٥، ص ١٤٧.

- فخر الدين عثمان بن محمد بن عبد الرحيم البارزي الحموي:

ولد سنة ٦٦٨هـ/ ١٢٧٠م، تلقى العلم على يد جده وعمه وعدد من علماء حماة، تقلد مناصب حكومية عدة منها قضاء حمص وخطابة حماة وقضاء حلب، كما عمل مدرساً للعربية، كانت وفاته في صفر سنة ٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م^(١).

- جمال الدين يوسف بن محمد بن مظفر بن هبة الله الحموي :

ممن كانت له مشاركات في نظم الشعر وكتابة النثر، توفي عن نيف وستين سنة بحماة، وذلك سنة ٧٣٢هـ/ ١٣٣٢م^(٢).

- نجم الدين عمر بن كمال الدين العقيلي الشهير بابن العديم:

ممن اشتهر في معرفة فروع اللغة العربية من خط وأدب وشعر، من نظمه:
قد كان نجم الدين شمساً أشرقتُ بحماةً للداني بها و القاصي
عَدِمَتْ ضياءَ ابنِ العديمِ فأنشَدَتْ ماتَ المطيعُ فيا هلاكَ العاصي^(٣).

- شهاب الدين أحمد بن عبد الله الشهير بابن المهاجر الحنفي:

ممن برع في فروع اللغة العربية من نحو وعروض وغيرهما، كما كانت له مشاركات شعرية متخصصة^(٤)، وصفه ابن حبيب بأنه "إماماً عالماً فاضلاً بارعاً في العربية والأدب، مجيداً في النظم، ديناً صيناً متوضعاً، حسن الأخلاق والمحاضر، متصدياً لإفادة الطلبة"^(٥)، كانت وفاته بحماة سنة ٧٣٩هـ/ ١٣٩٩م^(٦).

(١) ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج ٢، ص ٢٨٣؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٣، ص ٦٣.

(٢) ابن حبيب، درة الأسلاك، ج ٢، ورقة ٢٣٣/ أ- ب.

(٣) ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج ٢، ص ٢٩٤-٢٩٥.

(٤) أبو الفداء، المختصر، ج ٤، ص ١٢٩؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج ٢، ص ٣١٤-٣١٥.

(٥) ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج ٢، ص ٣٠٦.

(٦) ابن حبيب، درة الأسلاك، ج ٢، ورقة ٢٦٣/ أ؛ أبو الفداء، المختصر، ج ٤، ص ١٢٩.

- شمس الدين محمد بن علي بن محمد المعروف بابن أبي طرطور:
استوطن حماة بعد دمشق، ذاع صيته في مدح الأكابر والأعيان، كانت
وفاته في سنة ٧٦٢هـ/١٣٦١م، ومن نظمه في مدح شخص يدعى يعقوب أشهر
بجماله قوله:

يا مليحاً حازَ وجهاً حسناً أوردتَ الصبَّ البكا والحزنا
غلطوا في اسمِكَ إذ نادوا به يوسفُ أنتَ ويعقوبُ أنا^(١).

- رضي الدين شعيب بن محمد بن جعفر بن محمد التونسي:
ولد في شعبان سنة ٧٢٧هـ/١٣٢٧م، نشأ بحماة، وتلمذ على يد علمائها
في علوم الشريعة واللغة العربية، والحساب، والمنطق، زار القاهرة سنة ٧٥٧هـ/
١٣٥٦م، ثم عاد إلى حماة، عدَّ من النحويين البارزين بها، كانت وفاته سنة
٧٧٠هـ/١٣٦٨م^(٢).

- شهاب الدين أحمد بن يوسف المارديني المعروف بابن خطيب الموصل:
ممن برع في الأدب، توفي بحماة عن عمر يناهز الستين في سنة ٧٧١هـ/١٣٦٩م^(٣)، من نظمه:

لِيَهْنِكَ مَا نَلْتُ مِنْ مَنْصِبٍ شريفٍ له كنتَ مُستوجِباً
وما حسنٌ أنْ تهني بهِ ولكن نهى بك المنصب^(٤)

- سري الدين إسماعيل بن محمد بن هاني اللخمي الأندلسي:
ممن برز في علم النحو، سكن حماة مدة لتدريس طلبة العلم فيها، ثم انتقل
إلى دمشق لتسلم قضاء المالكية بها، ثم عاد إلى حماة ليباشِر القضاء فيها، سكن
القاهرة بعد عزله، وكانت وفاته في ربيع الآخر سنة ٧٧١هـ/١٣٦٩م^(٥).

(١) ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٠، ص ٩.

(٢) ابن القاضي، درة الحجال، ج ٣، ص ٣١٦؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج ٦، ص ٤١٦.

(٣) المقرئ، درة العقود الفريدة، ج ٢، ص ١٥٧؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج ٢، ص ٢٧٣.

(٤) ابن تغري بردي، النجوم، ج ١١، ص ١١٠.

(٥) المقرئ، درر العقود الفريدة، ج ٢، ص ٢٦٥-٢٦٦.

- يحيى بن محمد بن زكريا بن الخباز العامري الحموي:
كانت وفاته في سنة ٧٧٤هـ/١٣٧٢م، وصفه ابن إياس بأنه " من فحول
الشعراء"^(١).

- جمال الدين يوسف بن الحسن بن محمد بن الحسن ابن الخطيب
المنصوري الحموي:

ولد سنة ٧٣٧هـ/١٣٣٧م، درس علوم الشريعة الإسلامية واللغة العربية
في مدارس حماة ودمشق، حتى "فاق أقرانه في العربية وغيرها من العلوم"^(٢)،
وغدا مقصداً لطلاب العلم من شتى الأقطار ، كانت وفاته بحماة في شوال سنة
٨٠٩هـ/١٤٠٧م^(٣).

- أبو بكر بن عثمان بن محمد الجببتي الحموي:
كانت وفاته في ربيع الأول سنة ٨١٩هـ/١٤١٦م، وصفه ابن حجر بأنه
"أحد فضلاء أهل حماة عارف بالعربية حسن المحاضرة"^(٤).

- محمد بن محمد بن سلمان بن عبد الله المروزي الحموي ابن الخراط:
تتلمذ على يد والده ، فنبغ بالشعر وأجاده ، توفي بالطاعون سنة ٨٢٣هـ/
١٤٣٥م^(٥)، من نظمه:

شكونا للمؤيد سوء حال	وأجرينا الدموع فما تأثر
فأضحكنا بكنا إذ بكينا	وأنزلنا على كختنا وكركر ^(٦)

(١) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ٢، ص ١١٠.

(٢) ابن حجر، إنباء الغمر، ج ٦، ص ٥١.

(٣) ابن حجر، المصدر السابق، ج ٦، ص ٥١؛ انظر أيضاً ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج ٧، ص ٢١٢-٢١٣.

(٤) ابن حجر، أنباء الغمر، ج ٧، ص ٢٣١.

(٥) ابن حجر، نيل الدرر الكامنة، ص ١٤٩-٢٧٥؛ السخاوي، الضوء اللامع، ص ٩، ص ٨٤؛ ابن العماد الحنبلي،

شذرات الذهب، ج ٧، ص ٢٩٢.

(٦) السخاوي، الضوء اللامع، ج ٩، ص ٨٣-٨٤.

- محمد بن الشمس الحموي المشهور بابن العيار:

ممن مهر في اللغة العربية، فكانت له مشاركات شعرية، توفي في ذي القعدة سنة ٨٢٨هـ/١٤٢٥م^(١).

- أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراري المشهور بابن حجة:

ولد بحماة سنة ٧٦٧هـ/١٣٦٦م، نشأ بها وحفظ القرآن الكريم، وطلب العلم بها^(٢)، دخل مجال اللغة العربية بنظم الأزجال، ثم تحول إلى الأدب، ونثر ونظم الشعر، فمدح كبار الأعيان في الدولة المملوكية والأمراء^(٣)، من مصنفاته "الحجة في سرقات ابن حجة"^(٤)، توفي بحماة في سنة ٨٣٧هـ/١٤٣٤م^(٥)، من نظمه:

سِرْنَا وَلَيْلَ شَعْرُهُ يَنْسَدِلُ وَقَدْ غَدَا بِنَوْمَنَا مُسْفِرَا
فَقَالَ صَبَحَ ثَغْرُهُ مُبْتَسِمًا عِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السُّرَى^(٦).

وكذلك:

ناشدتك الله يا شيخَ القريضِ وَمَنْ شَاعَتْ مَنَاقِبُهُ فِي الْعَجَمِ وَالْعَرَبِ
مُحَمَّدٌ وَأَبُو بَكْرٍ إِذْ اجْتَمَعَا مِنْ الْمَقْدَمِ فِي عِلْمٍ وَأَدَبٍ^(٧)

(١) السخاوي، المصدر السابق، ج ١٠، ص ١٠٥.

(٢) المقرئزي، السلوك، ج ٧، ص ٢٧٣؛ درر العقود الفريدة، ج ٢، ص ١٩٥؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج ٨، ص ٣١٠؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج ٣، ص ٢٩٥؛ السخاوي، الذيل التام، ج ١، ص ٥٨٧؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج ٧، ص ٣٥٣؛ الشوكاني، البدر الطالع، ج ١، ص ١٦٤.

(٣) ابن حجر، إنباء الغمر، ج ٨، ص ٣١٠؛ السخاوي، الضوء اللامع، مج ٦، ص ٥٣؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج ٧، ص ٣٥٣.

(٤) الصيرفي، نزهة النفوس، ج ٣، ص ٢٩٦؛ الشوكاني، البدر الطالع، ج ١، ص ١٦٥.

(٥) المقرئزي، السلوك، ج ٧، ص ٢٧٣؛ درر العقود الفريدة، ج ٢، ص ١٩٥؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج ٨، ص ٣١١؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج ٣، ص ٢٩٦؛ السخاوي، الذيل التام، ج ١، ص ٥٨٧؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج ٧، ص ٣٥٤؛ الشوكاني، البدر الطالع، ج ١، ص ١٦٥.

(٦) ابن حجر، إنباء الغمر، ج ٨، ص ٣١٠.

(٧) الصيرفي، نزهة النفوس، ج ٣، ص ٢٩٥.

- تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله المشهور بابن حجة:

ولد بحماة في سنة ٧٦٧هـ/٦٤-١٣٦٥، تلقى العلوم الشريعة ببلده، برع في نظم الشعر وكتابة النثر، توفي في شعبان سنة ٨٣٧هـ/٤٣٤م^(١)، وصف بأنه كان "فاضلاً في فنون الأدب والإنشاء"^(٢)، من نظمه:

في سُوَيْدًا مَقِيلَةَ الْحَبِّ نَادَى جَفْنُهُ وَهُوَ يَقْنَصُ الْأَسَدَ صَيْدَا
لَا تَقُولُوا مَا فِي السُّوَيْدَا رَجَالٌ فَأَنَا الْيَوْمَ مِنْ رَجَالِ السُّوَيْدَا^(٣).

- عبد الرحمن بن محمد بن سليمان بن عبد الله المروزي بابن الخراط:

ولد بحماة سنة ٧٧٧هـ/١٣٧٥م، نشأ بطلب، وأخذ من والده وغيره من علماء حلب علوم الشريعة واللغة العربية، اشتهر عنه كثرة مدحه لأعيان حلب، تقلّد عدة وظائف منها كتابة السر بطرابلس، وكتابة الإنشاء بالديار المصرية^(٤)، من نظمه:

من قال أنا فقيه بشر لقد فسر عندي جلود بلا ورق
كتب عتق من درسها قلبي احترق بنار فكر^(٥).

كما نظم قصيدة يمدح فيها السلطان برسباي بُعيد نجاحه في السيطرة على جزيرة قبرص، وأسره لملكها جانوس، كانت وفاته في المحرم سنة ٨٤٠ هـ/٤٢٦م^(٦).

(١) ابن حجر، إنباء الغمر، ج ٨، ص ٣١٠؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج ٢، ص ٨١٨؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج ١١، ص ٥٣.

(٢) ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل، ج ٢، ق ٤، ص ٣٥٤-٣٥٥.

(٣) السخاوي، وجيز الكلام، ج ٢، ص ٥٣٣؛ والسويدا: لعل المقصود بها قرية بحوران من ضواحي دمشق (انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج ٣، ص ٢٨٦).

(٤) ابن حجر، إنباء الغمر، ج ٨، ص ٤٣٨؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج ٤، ص ١٣٠؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج ٧، ص ٣٦٩.

(٥) السخاوي، الضوء اللامع، ج ٤، ص ١٣٠.

(٦) السخاوي، الضوء اللامع، ج ٤، ص ١٣١؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج ٧، ص ٣٦٩.

- كمال الدين محمد بن محمد بن عثمان الشهير بابن البارزي:

ولد بحماة في سنة ٧٩٦هـ/١٣٩٤م، ونشأ في كنف والده فحفظ القرآن الكريم، وتلقى علوم الشريعة واللغة العربية بها، ثم انتقل إلى الديار المصرية مع والده سنة ٨٠٩هـ/١٤٠٦م، ولم يطل مقامه بها حيث عاد إلى حماة ليكمل تحصيله العلمي، وفي سنة ٨١٥هـ/١٤١٢م، توجه مع والده مرة أخرى إلى الديار المصرية، فتلمذ على يد علمائها، وبرع في الفقه والأصول والبيان والمعاني وغيرها من فروع اللغة العربية، تقلد عدة وظائف حكومية في مصر وبلاد الشام^(١)، وصفه ابن تغري بردي بأنه "كان من محاسن الدنيا علماً وفضلاً وكرماً وسؤدداً وسياسية وتواضعاً وحلماً"^(٢)، وأشاد به في موضع آخر فقال: "وهو أعظم من رأينا وأدركنا والله الحمد والمنة على إدراكنا لمثل هذا الرجل الذي مات ولم يخلف بعده مثله"^(٣)، كانت وفاته في سنة ٨٥٦هـ/١٤٥٢م^(٤).

وإذا ما انتقلنا إلى الحديث عن العلوم الاجتماعية، فإن الأمر يكاد ينصب على مؤرخ حماة وجغرافيتها الملك المؤيد أبو الفداء إسماعيل النقوي الذي يمكن أن يقال عنه بأن موسوعة حماة في ذلك الوقت، حيث وصفه البعض بأنه "كان جامعاً لأشتات العلوم أعجوبة من أعاجيب الدنيا ماهراً في الفقه والتفسير والأصليين والنحو وعلم اليقين والفلسفة والمنطق والطب والعروض والتاريخ وغير ذلك من العلوم شاعراً ماهراً كريماً إلى الغاية، صنف في كل علم تصنيفاً أو تصانيف"^(٥).

(١) ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج٢، ص٣٨٦-٣٨٧؛ النجوم، ج١٦، ص١٣-١٧؛ انظر أيضاً السخاوي، الضوء اللامع، ج٩، ص٢٣٦-٢٣٧؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٧، ص٤٢٥.

(٢) ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج٢، ص٣٨٨.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم، ج١٦، ص١٧.

(٤) ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج٢، ص٣٨٨؛ النجوم، ج١٦، ص١٧؛ انظر أيضاً السخاوي، الضوء اللامع، ج٩، ص٢٣٧؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٧، ص٤٢٥.

(٥) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٦، ص٢٦٤؛ للوقوف على أقوال العلماء عنه (انظر ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١، ص٣٩٨؛ الكتبي، فوات الوفيات، ج١، ص٢٨).

من مصنفاته في الجغرافيا كتاب تقويم البلدان^(١)، والعروض والأطوال على البلدان^(٢)، في مجلد واحد، وفي التاريخ^(٣) كتاب المختصر في أخبار البشر، وغيرها من المصنفات.

وممن برع في مجال العلوم الاجتماعية:

- فرج بن محمد بن الزين بن الأمير ناصر الدين الحموي ابن السابق:

ولد بحماة في شوال سنة ٨١٣هـ / ١٤١١م، وتلقى بها علوم الشريعة واللغة العربية فيها، بعد أن حفظ القرآن الكريم، تقلد عدة وظائف حكومية منها كتابة سر حماة وقضاء الشافعية، وكانت له زيارات متكررة للقاهرة، من مصنفاته في التاريخ كتاب بلوغ الطالب مناه من أخبار حماة، وعمل كذلك ذيلًا لتاريخ المؤيد صاحب حماة، كانت وفاته في ربيع الأول سنة ٨٩٦هـ / ١٤٦٤م، وقد وصفه السخاوي بأنه "إنسان سليم الفطرة محب في الحديث وأهله راغب في مطالعة التاريخ والأدبيات"^(٤).

العلوم التطبيقية:

أولى أهل حماة العلوم التطبيقية عناية فائقة في شتى فروعها غير أن تركيزهم في ذلك المجال بدا واضحاً في الطب والصيدلة، وذلك يعود إلى وجود أحد أكبر مراكز العلاج في بلاد الشام بها، وهو اليمارستان النوري الذي شهد تطوراً ملحوظاً خلال العصر الأيوبي، ثم المملوكي حتى غدا منشأة معمارية متميزة في حماة، والذي لم يقتصر دوره على التطبيب بل تعداه إلى أن أصبح مركزاً لتعليم الطب بحماة خاصة وبلاد الشام عامة، وكانت الدراسة فيه تقوم على أساس تقسيم الطلبة إلى فرق، تختص كل فرقة منها بمجال طبي معين، فمنها ما

(١) الذهبي، العبر، ج٤، ص٩٢؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٢٨٧؛ الكتبي، فوات الوفيات، ج١، ص٢٩.

(٢) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٦، ص٢٦٤.

(٣) الكتبي، فوات الوفيات، ج١، ص٢٩؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٦، ص٢٦٤.

(٤) السخاوي، الضوء اللامع، ج٦، ص١٧٠.

كان يركز على دراسة الأمراض الطبائية (الباطنية)، وأخرى تخصصها التجبير (العظام)، وثالثة تعرف بالكحالة (علاج أمراض العيون)، ورابعة تدرس مجال الجراحة، كما كانت هنالك فرقة مختصة بتعلم الصيدلة، حيث عنيت بكيفية تحضير العقاقير وطبخها وعمل المراهم والمعاجين وغيرها من الأدوية التي عرفت في ذلك العصر^(١)، ومن المؤسف بأن المعلومات المتعلقة بمن تولوا مهمة التدريس والتطبيب في ذلك الليمارستان كانت قليلة أو شبه معدومة فيما توفر للدراسة من مصادر.

أما عن أبرز العلماء الذين اشتهروا في مجال العلوم التطبيقية إضافة للملك المؤيد أبي الفداء، فمنهم:

- أمين الدين عبد الرحمن بن عمر بن محمد السيواس المعروف بالابهرى:

من العلماء الذين حازوا منزلة رفيعة بحماة في عهد الملك المؤيد إسماعيل، فأثرى المكتبة الحموية بمصنفاته، غير أنه انتقل إلى حلب بعد وفاة ملك حماة فظل بها إلى أن عاجلته المنية عن ثمان وأربعين سنة في عام ٧٣٣هـ/١٣٣٣م، وصفه ابن حبيب بأنه "في الرياضيات ماهر في الطب والفلكيات بارع في المساحة والحساب مزيد"^(٢).

- شهاب الدين أحمد بن عمر بن محمد الحموي الشهير بابن أبي الرضا:

تلقى علومه الشرعية بحماة، ثم انتقل للسمع من علماء دمشق والقاهرة جمع إلى جانب براعته في العلوم الشرعية وكتابة عدة مصنفات بها، معرفة بالطب وطرق العلاج أو ما يمكن أن يسمى بالصيدلة، كانت وفاته في حلب، ثم نقل جثمانه إلى حماة، حيث دفن في ذي القعدة سنة ٧٩١هـ/١٣٨٩م^(٣).

(١) غرس الدين الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص ٤٥؛ يوسف درويش غوانمه، تاريخ نيابة القدس، ص ١٣٢.

(٢) ابن حبيب، درة الأسلاك، ج ٢، ورقة ٢٣٨ب/ - ٢٣٩أ.

(٣) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج ٧، ص ٦٢.



الْحَمْدُ
لِلَّهِ

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ



بحمد الله وتوفيقه، انتهى موضوع البحث الذي قام بدراسة شاملة **لنيابة حماة في عصر سلاطين المماليك** منذ نهاية القرن السابع حتى النصف الأول من القرن العاشر الهجري (**دراسة تاريخية حضارية**)، وقد أوضحت الدراسة الكثير من الحقائق أهمها دور نيابة حماة في قلب موازين القوى داخل وخارج السلطنة المملوكية، وأن كونها نيابة داخلية لم يحل دون تسييرها لدفة الحوادث، وحسمها للكثير من الوقائع السياسية والعسكرية لصالح دولة المماليك أو العكس، كما أفادت الدراسة من خلال وضع الإطار العام لطبيعة التقسيمات الإدارية التي شهدتها البلاد الشامية في عهد سلطنة المماليك انضمام نيابة بيت المقدس لهيئة التقسيمات الإدارية، فغدا ترتيب النيابات كالتالي نيابة دمشق ثم حلب ثم حماة ثم صفد ثم طرابلس ثم الكرك ثم غزة، وأخيراً نيابة بيت المقدس.

وقد حددت الدراسة المهام السياسية والعسكرية التي خطتها السلطنة المملوكية لحماية بقصد الحفاظ على الأمن الإقليمي لبلاد الشام، إضافة إلى مشاركتها العسكرية في العمليات الجهادية التي خاضتها السلطنة في شتى الميادين سواءً البحرية أو البرية، ومن أجل ذلك فقد حرص بعض سلاطين المماليك على عدم المساس بنظامها الملكي التقوي، غير أن عجز الكيان الملكي المتداعي في حماة عن الوفاء بالتزاماته السياسية والعسكرية للسلطنة بسبب الصراعات الأسرية على عرش المملكة التقوية، وانعكاس ذلك على أمن المنطقة دفع دولة المماليك إلى تحويل الحكم الملكي في حماة إلى نظام نيابي، يخضع بشكل مباشر لسلطة الأبواب السلطانية في القاهرة.

كما أثبتت الدراسة من خلال تعامل الملك التقوي مع السلطان المملوكي بأن الملكية التي وهبت لأبي الفداء إسماعيل كانت صورية الشكل لا تمتّ لحرية التصرف واستقلالية الحكم بصله، وكانت الأدلة على ذلك كثيرة منها عدم قدرته على استخدام الصلاحيات العسكرية والإدارية التي أعطيت له دون مراجعة

السلطان المملوكي وأخذ الأذن منه، شأنه في ذلك شأن بقية النواب في بلاد الشام، وكذلك التقاديم التي كان عليه دفعها كل سنة للأبواب السلطانية في القاهرة، وإضافةً إلى التزامه العسكري لمشاركة القوات الحموية في العمليات العسكرية، وعدم انفصالها عن القوات المملوكية إلا بإذن مسبق من السلطان، ناهيك عن كونها ملكية مدعومة بسلطة الناصر محمد بدليل أنها لم تتمكن من الصمود عشية وفاته، حيث تحولت إلى نيابة، أثبت اقتصار أعمالها على معرة النعمان وبارين، دون إلحاق سلمية ومصيف لها.

وقد أثبتت الدراسة إدراك سلاطين المماليك للدور المهم الذي لعبه موقع نيابة حماة في استراتيجيات الدفاع عن الأراضي الشامية، ومن أجل ذلك عملوا على تعزيز قوة حماة العسكرية عند اشتعال نار الأزمات السياسية بين السلطنة وإيلخانات فارس والعراق، وذلك بتقليدها لشخصيات عسكرية رائدة في المجال الحربي، وقد أثبتت نيابة حماة بتلك الكفاءات العسكرية جدارتها في الصمود أمام القوات المغولية، فضلاً عن كونها وفّرت غطاءً عسكرياً وملاذاً آمناً للقوات الحلبية عند عجزها عن صدّ هجمات المغول عليها.

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المجال، أنّ القرار الغازاني الذي أعلن عقب انتصار القان المغولي غازان على المماليك سنة ٦٩٩هـ/١٢٩٩م، والقاضي بتعيين الأمير بكتمر السلحدار نائباً على حماة، كان صورياً متمماً لبهجة الانتصار المغولي، بدليل أن المصادر التاريخية لم تسجل دخول حامية مغولية لحماة في تلك المرحلة، وجاء على النقيض تدوين بعض المصادر للاضطرابات التي مرت بها نيابة حماة من تغلب عثمان السبيتاري على القلعة وإعلان تملكه لحماة وتلقبه بالملك الرحيم، فكان ذلك مؤيداً لعدم سيطرة الأمير بكتمر السلحدار النائب المعين من قبل دولة إيلخانات فارس والعراق على المناطق الداخلية لبلاد الشام والتي شملت حماة.

كما أثبتت الدراسة نجاح الجهود العسكرية التي بذلتها نيابة حماة، لإضعاف قوة مملكة أرمينية الصغرى، وتجريدها من أهم مواقعها العسكرية، وقد توجت تلك الجهود بسقوط المملكة الصليبية على يد نائب حلب، وكذلك أفادت بحتمية ضخ نيابة حماة لأعداد من العساكر والمتطوعين المجاهدين إنفاذاً للأوامر السلطانية لاسترداد جزر البحر المتوسط كأرواد وقبرص ورودس، وفيما يتعلق بالحملة التأديبية التي شنتها السلطنة المملوكية ضد الإمارات التركمانية، فقد أثبتت الدراسة الدور البارز لنيابة حماة في تلك العمليات العسكرية، والتي بدا واضحاً فيها الارتباط الوثيق بين تنامي قوة تلك الإمارات وضعف السلطنة المملوكية، كما تمكنت الدراسة من التوصل للأسباب الخفية التي كانت وراء شن المماليك لتلك الحملات التأديبية، والتي في الغالب ما تبدأ بُعيد ظهور تدخل من قبل تلك الإمارات في سياسة السلطنة الداخلية، أو قيامهم بمحاولات لنشر الفوضى على الحدود الشمالية لنيابة حلب، إلى جانب تذبذب بعض تلك الإمارات بين التبعية المملوكية، أو الخضوع لسلطة بعض الدول المنافسة للمماليك من مغول وعثمانيين، كما أوضحت الدراسة جهود عساكر حماة وأهالها في صد الهجمات التيمورية، وإعمالهم للعقل من أجل إبطاء تقدّم التيموريين نحو دمشق، ودفعهم ثمن ذلك غالباً معنوياً ومادياً.

وبيّنت الدراسة أنّ حركات العصيان الداخلية في نيابة حماة التي ترجع أسبابها في الغالب إلى ظلم النواب واستبدادهم وسوء استخدامهم لصلاحياتهم الإدارية، أسهمت بشكل مباشر في إضعاف نيابة حماة، ومن ثمّ سقوطها في نهاية المطاف، كما أثبتت الدراسة النتائج التي تمخّضت عن انضمام نائب حماة لنصرة قادة حركات العصيان العامة في بلاد الشام، للإطاحة بحكم السلاطين و تنصيب غيرهم مكانهم، أو قلب النظام الإداري في القاهرة بتغيير مواقع كبار الموظفين العسكريين في الدولة المملوكية، وقد لا حظنا من خلال تتبع دور نيابة حماة في إنكاء نار بعض الثورات، أو القضاء على البعض الآخر، بأن تلك الثورات كانت

معول هدم أضعفت الدولة المملوكية، ومكّنت أعداءها من التعدي على حرمة أراضيها.

وقد أثبتت الدراسة دور نيابة حماة في حسم العمليات العسكرية لصالح دولة المماليك في بدايات صدامها المسلح مع السلطنة العثمانية، الذي نشب بسبب تضارب مصالحهم السياسية حول فرض الوصاية على إمارتي بني دلغادر وبني قرمان التركمانية، كما كشفت الدراسة النقاب عن حقيقة خيانة نائب حماة الأمير جان بردي الغزالي لدولة المماليك، والأسباب الخفية من مادية ومعنوية وراء دعمه توجّه العثمانيين نحو الشام، وكشفت دوره في إنجاح العمليات العسكرية العثمانية على الأراضي الشامية.

كما أثبتت الدراسة التطور الحضاري الذي شهدته نيابة حماة وأهم المنجزات التي خلّفتها من منشآت معمارية في المجال العسكري أو المدني، ووضحت الوضع العام للحالة الاقتصادية في نيابة حماة، وما شهدته من رخاء وازدهار في فترة من الفترات نتيجة لاهتمام النواب بتطوير المنشآت المائية بها مما أدى إلى زيادة المحاصيل الزراعية التي وفرت بالإضافة للموارد الطبيعية خامات للصناعات الحموية، فضلاً عن تشجيع المماليك وتنظيمهم لحركة التبادل التجاري داخل حماة، والذي ظهر في بناء الخانات والحوانيت وحفظ الطرق التجارية، وبينت الدراسة الأسباب التي أدت إلى انتكاس السوق المحلية في حماة من أثر اضطراب علاقة دولة المماليك مع جيرانها، إلى جانب احتكار بعض سلاطين المماليك لأنواع من السلع طمعاً في الثروة المالية التي تضخها تلك المنتجات على التجار الحمويين، وتأثر نيابة حماة سلباً بالركود الاقتصادي الذي أصاب دولة المماليك إبان اكتشاف رأس الرجاء الصالح، كما أثبتت الدراسة أثر التركيبة السكانية في حماة سلباً وإيجاباً على الموروثات الاجتماعية، والدوافع التي كانت وراء هجرة بعض الأسر الحموية من مسقط رأسها، من تكرار الطرق المغولي للبلاد الشامية، وسعي البعض منهم لتحسين موقعهم الإداري في الدولة،

ورغبة البعض الآخر لمجاورة الأماكن المقدسة في مكة المكرمة، أو المدينة المنورة، أو بيت المقدس، إضافةً إلى دور الرحلات العلمية في نقل بعض البيوتات الحموية عن حماة. كما أثبتت الدراسة دور المرأة الفاعل في دفع عجلة التعليم داخل حماة وخارجها سواء على صعيد إنشاء المؤسسات التعليمية أو تدريس العلوم الشرعية، وأخيراً أشادت الدراسة بالنتاج العلمي الذي طرحه رواد الفكر من أبناء نيابة حماة.

والكلمة الأخيرة التي يجب أن تُطرح من منظور كون دراستنا للتاريخ الإسلامي لاستخلاص العبر والعظات، فإن العبرة من هذه الدراسة التاريخية لنيابة حماة، هي ضرورة العمل على نبذ الفرقة والعصية وتوحيد الجبهة الإسلامية، لمواجهة الأخطار والتحديات التي تحدق بالأمة من قبل أعدائها من صليبيين وصهاينة متربصين لفتك بالإسلام وأهله، وذلك لا يكون إلا بصحوة إسلامية، وعودة سريعة لحكام المسلمين لتحكيم الشريعة الإسلامية في حسم الخلافات، ولملمة الشتات المبعثر في دوامة المصالح الفردية والرغبات الدنيوية، والسمو عن ذلك كله بتقديم مصلحة الأمة الإسلامية، على المصالح الشخصية، وعدم الركون إلى أعداء الأمة الذين يخفون في صدورهم حقداً على كل ما هو إسلامي وهذا ما أكدّه الحق تبارك بقوله ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنَّ آتِبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾



الملحق



الملحق رقم (١)

نواب حماة (٦٩٨-٩٢٢هـ/١٢٩٩-١٥١٦م)

اسم النائب	تاريخ التولية	تاريخ العزل
(١) الأمير قراسنقر	٦٩٨هـ/١٢٩٩م	٦٩٩هـ/١٢٩٩م
(٢) العادل كتبغا	٦٩٩هـ/١٢٩٩م	٧٠٢هـ/١٣٠٤م
(٣) الأمير قبجق	٧٠٢هـ/١٣٠٤م	٧٠٩هـ/١٣١٠م
(٤) الأمير الحاج بهادر الظاهري	٧٠٩هـ/١٣١٠م	غير محدد
(٥) الأمير أسندمر الكرجي	٧٠٩هـ/١٣١٠م	٧١٠هـ/١٣١٠م
(٦) الأمير أبو الفداء إسماعيل	٧١٠هـ/١٣١٠م	٧١٢هـ/١٣١٢م

تحولت نيابة حماة إلى ملكية تقوية من سنة ٧١٢-٧٤٢هـ/١٣١٢-١٣٤١م
حكمها الملك أبو الفداء إسماعيل من سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م، إلى ٧٣٢هـ/١٣٣١م
ثم أبناه الملك الأفضل محمد من سنة ٧٣٢هـ/١٣٣١م ، إلى ٧٤٢هـ/١٣٤١م، حيث
أعيد إحياء النظام النيابي في حماة.

(٧) الأمير طقزدمر	١٣٤١هـ/١٣٤٣م	١٣٤٣هـ/١٣٤٣م
تم خلالها تعيين الأمير الحاج آل ملك ١٣٤٢هـ/١٣٤٣م، غير أن قرار التعيين لم ينفذ.		
(٨) الأمير سنجر الجاولي	١٣٤٣هـ/١٣٤٣م	في ذات العام
(٩) الأمير الطنبغا المارداني	١٣٤٣هـ/١٣٤٣م	في ذات العام
(١٠) الأمير يلبغا اليحياوي	١٣٤٣هـ/١٣٤٣م	١٣٤٤هـ/١٣٤٤م
(١١) الأمير طقتمر الأحمدى	١٣٤٤هـ/١٣٤٤م	١٣٤٦هـ/١٣٤٦م
(١٢) الأمير أسندمر العمري	١٣٤٦هـ/١٣٤٦م	في ذات العام.
(١٣) الأمير طيبغا المحمدى	١٣٤٧هـ/١٣٤٧م	في ذات العام.
(١٤) الأمير قطيلجا	١٣٤٧هـ/١٣٤٧م	١٣٤٧هـ/١٣٤٧م
(١٥) الأمير أسندمر العمري(٢)	١٣٤٧هـ/١٣٤٧م	في ذات العام.
(١٦) الأمير طنبرق	١٣٤٧هـ/١٣٤٧م	١٣٥٠هـ/١٣٥٠م
(١٧) الأمير أصلان	١٣٥١هـ/١٣٥١م	في ذات العام
(١٨) الأمير أحمد الساقى	١٣٥١هـ/١٣٥١م	١٣٥٢هـ/١٣٥٢م
(١٩) الأمير طنبرق (٢)	١٣٥٢هـ/١٣٥٢م	غير محدد
(٢٠) الأمير أيدمر الشىخي	١٣٥٤هـ/١٣٥٤م	١٣٦١هـ/١٣٦١م
(٢١) الأمير عمر شاه الركنى	١٣٦٣هـ/١٣٦٣م	١٣٦٧هـ/١٣٦٧م
(٢٢) الأمير طيبغا الطويل	١٣٦٧هـ/١٣٦٧م	في ذات العام
(٢٣) الأمير عمر شاه(٢)	١٣٦٧هـ/١٣٦٧م	١٣٦٧هـ/١٣٦٧م
(٢٤) الأمير أيدمر الشىخي(٢)	١٣٦٧هـ/١٣٦٧م	١٣٧٠هـ/١٣٧٠م
(٢٥) الأمير كنجكلى	١٣٧٠هـ/١٣٧٠م	غير محدد
(٢٦) الأمير تمرآز الطازى	١٣٧٧هـ/١٣٧٧م	في ذات العام.
(٢٧) الأمير منكلى بىغا الأحمدى	١٣٧٧هـ/١٣٧٧م	في ذات العام.
(٢٨) الأمير أرغون الأسعدى	١٣٧٧هـ/١٣٧٧م	

اختلاف المؤرخين حول من تسلم مقاليد نيابة حماة من بعده الأمير كمشبغا الحموي

أو حطط اليلبغاوي

(٢٩) الأمير كمشبغا الحموي	١٣٧٨هـ/١٣٧٨م	في ذات العام
(٣٠) الأمير تمرباي الدمرداشى	١٣٧٨هـ/١٣٧٨م	في ذات العام
(٣١) الأمير جنتمر	١٣٧٨هـ/١٣٧٨م	١٣٧٩هـ/١٣٧٩م
(٣٢) الأمير حطط اليلبغاوي	١٣٧٩هـ/١٣٧٩م	في ذات العام
(٣٣) الأمير طشتمر خازندار يلبغا	١٣٧٩هـ/١٣٧٩م	توفي ١٣٨١هـ/١٣٨١م

١٣٨١هـ/١٣٨١م	١٣٨١هـ/١٣٨١م	(٣٤) الأمير مأمور القلمطاوي
غير محدد	١٣٨١هـ/١٣٨١م	(٣٥) الأمير طشتمر العلاني
١٣٨٥هـ/١٣٨٥م	١٣٨٥هـ/١٣٨٥م	(٣٦) الأمير صنجق الحسيني اليلبغاوي
في ذات العام	١٣٨٥هـ/١٣٨٥م	(٣٧) الأمير سودون المظفري
قتل ١٣٨٦هـ/١٣٨٦م	١٣٨٥هـ/١٣٨٥م	(٣٨) الأمير سودون العلاني
في ذات العام	١٣٨٧هـ/١٣٨٧م	(٣٩) الأمير سودون العثماني
١٣٨٨هـ/١٣٨٨م	١٣٨٧هـ/١٣٨٧م	(٤٠) الأمير علي ابن المهمندار
في ذات العام	١٣٨٨هـ/١٣٨٨م	(٤١) الأمير كشلي القلمطاوي
١٣٨٨هـ/١٣٨٨م	١٣٨٨هـ/١٣٨٨م	(٤٢) الأمير سودون العثماني(٢)
في ذات العام	١٣٨٨هـ/١٣٨٨م	(٤٣) الأمير أحمد المهمندار
في ذات العام	١٣٨٨هـ/١٣٨٨م	(٤٤) الأمير طغتمر القبلاوي
١٣٨٩هـ/١٣٨٩م	١٣٨٨هـ/١٣٨٨م	(٤٥) الأمير تتكز الأعور
قتل في ذات العام	١٣٨٩هـ/١٣٨٩م	(٤٦) الأمير مأمور القلمطاوي
١٣٩٥هـ/١٣٩٥م	١٣٩٥هـ/١٣٩٥م	(٤٧) الأمير دمرداش المحمدي
غير محدد	١٣٩٥هـ/١٣٩٥م	(٤٨) الأمير أقبغا السلطاني
١٤٠٠هـ/١٤٠٠م	١٣٩٩هـ/١٣٩٩م	(٤٩) الأمير دمرداش المحمدي(٢)
أسر في ذات العام	١٤٠٠هـ/١٤٠٠م	(٥٠) الأمير دقماق المحمدي
١٤٠١هـ/١٤٠١م	١٤٠١هـ/١٤٠١م	(٥١) الأمير عمر الهذباني
١٤٠٢هـ/١٤٠٢م	١٤٠١هـ/١٤٠١م	(٥٢) الأمير يونس الحافظي
في ذات العام	١٤٠٢هـ/١٤٠٢م	(٥٣) الأمير قانباي الحسيني
في ذات العام	١٤٠٢هـ/١٤٠٢م	(٥٤) الأمير يونس الحافظي(٢)
١٤٠٤هـ/١٤٠٤م	١٤٠٣هـ/١٤٠٣م	(٥٥) الأمير علان جلق
قتل ١٤٠٥هـ/١٤٠٥م	١٤٠٤هـ/١٤٠٤م	(٥٦) الأمير دقماق المحمدي(٢)
١٤٠٦هـ/١٤٠٦م	١٤٠٥هـ/١٤٠٥م	(٥٧) الأمير دمرداش المحمدي(٣)
١٤٠٧هـ/١٤٠٧م	١٤٠٦هـ/١٤٠٦م	(٥٨) الأمير يونس الحافظي(٣)
في ذات العام	١٤٠٧هـ/١٤٠٧م	(٥٩) الأمير عمر الهذباني(٢)
١٤٠٩هـ/١٤٠٩م	١٤٠٧هـ/١٤٠٧م	(٦٠) الأمير يشبك أزدمر
في ذات العام	١٤٠٩هـ/١٤٠٩م	(٦١) الأمير جانم حسن
غير محدد	١٤٠٩هـ/١٤٠٩م	(٦٢) الأمير بريدك الجكمي
١٤١٣هـ/١٤١٣م	١٤١٢هـ/١٤١٢م	(٦٣) الأمير قمش

١٤١٥هـ/١٨١٨م	١٤١٣هـ/١٨١٦م	(٦٤) الأمير تنبك البجاسي
١٤١٧هـ/١٨٢٠م	١٤١٥هـ/١٨١٨م	(٦٥) الأمير جارقطلو
١٤١٨هـ/١٨٢١م	١٤١٧هـ/١٨٢٠م	(٦٦) الأمير نكباي
١٤٢٠هـ/١٨٢٣م	١٤١٨هـ/١٨٢١م	(٦٧) الأمير شاهين الزردكاش
١٤٢١هـ/١٨٢٤م	١٤٢٠هـ/١٨٢٣م	(٦٨) الأمير إنيال الأرغزي
في ذات العام	١٤٢١هـ/١٨٢٤م	(٦٩) الأمير أق بلاط التمرداسي
١٤٣٣هـ/١٨٢٦م	١٤٢١هـ/١٨٢٤م	(٧٠) الأمير جارقطلو(٢)
١٤٣٥هـ/١٨٣٨م	١٤٣٣هـ/١٨٢٦م	(٧١) الأمير جلبان المؤيدي
١٤٣٩هـ/١٨٤٢م	١٤٣٥هـ/١٨٣٨م	(٧٢) الأمير قانباي الحمزاوي
١٤٤٤هـ/١٨٤٧م	١٤٣٩هـ/١٨٤٢م	(٧٣) الأمير بردك الجكمي(٢)
لم يباشر مهام النيابة	١٤٤٤هـ/١٨٤٨م	(٧٤) الأمير قاقبردي
في ذات العام	١٤٤٤هـ/١٨٤٨م	(٧٥) الأمير قانباي الأبو بكر البهلوان
١٤٤٦هـ/١٨٥٠م	١٤٤٥هـ/١٨٤٩م	(٧٦) الأمير شادبك الجكمي
١٤٤٧هـ/١٨٥١م	١٤٤٦هـ/١٨٥٠م	(٧٧) الأمير يشبك الصوفي
في ذات العام	١٤٤٧هـ/١٨٥١م	(٧٨) الأمير تتم من عبد الرزاق
١٤٥١هـ/١٨٥٥م	١٤٤٧هـ/١٨٥١م	(٧٩) الأمير بيغوٹ الأعرج
١٤٥٣هـ/١٨٥٦م	١٤٥١هـ/١٨٥٥م	(٨٠) الأمير سودون الأبو بكر المؤيدي
١٤٥٤هـ/١٨٥٩م	١٤٥٣هـ/١٨٥٦م	(٨١) الأمير حاج إنيال الیشبكي
١٤٥٩هـ/١٨٦٣م	١٤٥٤هـ/١٨٥٩م	(٨٢) الأمير إياس المحمدي الطويل
١٤٦٢هـ/١٨٦٦م	١٤٥٩هـ/١٨٦٣م	(٨٣) الأمير جانبك التاجي
١٤٦٤هـ/١٨٦٨م	١٤٦٢هـ/١٨٦٦م	(٨٤) الأمير جانبك الناصري
في ذات العام	١٤٦٤هـ/١٨٦٨م	(٨٥) الأمير بلاط
١٤٦٥هـ/١٨٦٩م	١٤٦٤هـ/١٨٦٨م	(٨٦) الأمير سودن الأفرم
١٤٦٦هـ/١٨٧١م	١٤٦٥هـ/١٨٦٩م	(٨٧) الأمير يشبك البجاسي
١٤٦٧هـ/١٨٧٢م	١٤٦٦هـ/١٨٧١م	(٨٨) الأمير تتم الحسيني
في ذات العام	١٤٦٧هـ/١٨٧٢م	(٨٩) الأمير محمد المبارك
في ذات العام	١٤٦٧هـ/١٨٧٢م	(٩٩) الأمير إنيال الأشقر الظاهري
في ذات العام	١٤٦٧هـ/١٨٧٢م	(١٠٠) الأمير محمد بن المبارك(٢)
١٤٦٩هـ/١٨٧٤م	١٤٦٧هـ/١٨٧٢م	(١٠١) الأمير يشبك البجاسي(٢)
١٤٧٥هـ/١٨٧٥م	١٤٦٩هـ/١٨٧٤م	(١٠٢) الأمير بلاط الیشبكي

توفي قبل المباشرة	١٤٧٥هـ/١٤٧٠م	(١٠٣) الأمير خير بك القروي
١٤٧٣هـ/١٤٧٨م	١٤٧٥هـ/١٤٧٠م	(١٠٤) الأمير بلاط اليشبيكي (٢)
١٤٧٩هـ/١٤٨٤م	١٤٧٣هـ/١٤٧٨م	(١٠٥) الأمير قراجا الطويل الأنثالي
١٤٨٠هـ/١٤٨٥م	١٤٧٩هـ/١٤٨٤م	(١٠٦) الأمير أزدمر بن أربك
في ذات العام	١٤٨٥هـ/١٤٨٠م	(١٠٧) الأمير حمزة بن سفلسيس
١٤٨٢هـ/١٤٨٦م	١٤٨٥هـ/١٤٨٠م	(١٠٨) الأمير جانم الأعرج السيفي
توفي ١٤٨٢هـ/١٤٩٠م	١٤٨٦هـ/١٤٨٢م	(١٠٩) الأمير يشبك العلاني
توفي ١٤٨٨هـ/١٤٩٣م	١٤٨٢هـ/١٤٩٠م	(١١٠) الأمير سيباي الطيوري
١٤٩١هـ/١٤٩٦م	١٤٨٨هـ/١٤٩٣م	(١١١) الأمير إنبال الخسيف الأشرفي
توفي ١٤٩٤هـ/١٤٩٩م	١٤٩٦هـ/١٤٩١م	(١١٢) الأمير يشبك من حيدر
في ذات العام	١٤٩٩هـ/١٤٩٤م	(١١٣) الأمير آقباي الطويل
١٤٩٥هـ/١٤٩٥م	١٤٩٥هـ/١٤٩٥م	(١١٤) الأمير قانصوة الشامي
١٤٩٧هـ/١٤٩٧م	١٤٩٥هـ/١٤٩٥م	(١١٥) الأمير أركماس
١٤٩٩هـ/١٤٩٩م	١٤٩٨هـ/١٤٩٤م	(١١٦) الأمير دولتباي
١٥٠٠هـ/١٥٠٠م	١٤٩٩هـ/١٥٠٠م	(١١٧) الأمير يخشباي
في ذات العام	١٥٠٠هـ/١٥٠٠م	(١١٨) الأمير قانصوة (ابن سلطان جركس)
في ذات العام	١٥٠٠هـ/١٥٠٠م	(١١٩) الأمير قانصوة اليحياوي
١٥٠٢هـ/١٥٠٢م	١٥٠٠هـ/١٥٠٠م	(١٢٠) الأمير سيباي
في ذات العام	١٥٠٢هـ/١٥٠٨م	(١٢١) الأمير قانصوة اليحياوي (٢)
١٥٠٣هـ/١٥٠٨م	١٥٠٢هـ/١٥٠٨م	(١٢٢) الأمير جانم بن قجماس
١٥٠٣هـ/١٥٠٩م	١٥٠٣هـ/١٥٠٨م	(١٢٣) الأمير قانصوة اليحياوي (٣)
١٥٠٤هـ/١٥١٠م	١٥٠٣هـ/١٥٠٩م	(١٢٤) الأمير جانم (٢)
١٥١٠هـ/١٥١٠م	١٥٠٤هـ/١٥١٠م	(١٢٥) الأمير سودون الدوداري
في ذات العام	١٥١٠هـ/١٥١٠م	(١٢٦) الأمير يوسف الناصري
١٥١٣هـ/١٥١٨م	١٥١٠هـ/١٥١٦م	(١٢٧) الأمير جانم (٣)
١٥١٦هـ/١٥٢٢م	١٥١٣هـ/١٥١٩م	(١٢٨) الأمير جان بردي الغزالي

الملحق رقم (٧)

النيابة الرابعة

(نيابة حماة، وظائفها التي تكتب بها من الأبواب السلطانية

ما باضرتها خاصة، وهي على ثلاثة أصناف)

الصنف الأول

(أرباب السيوف)

وليس بها منهم إلا نائب السلطنة خاصة. ويكتب له تقليد في قطع الثلثين

"الجناب العالي" مع الدعاء بمضاعفة النعمة

وهذه نسخة تقليد بنيابة حماة:

الحمد لله ذي التدبير اللطيف، والعون المطيف، والحيطة التي تستوعب

كل تصرف وكل تكليف.

بحمده بمحامد جميلة التفويف، حسنة التأليف، مكملة التكليف، بريّة من

الطيف، حرية بكل شكر منيف، وذكر شريف، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا

شريك له شهادة خلص تحريرها عن كل تحريف، وتتره، مقالها عن تسويد تفنيد

أو تسوييف؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله صاحب الدين الحنيف، والمبعوث

بالرحمة والتخفيف؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة متناوبة تناوب

الصبر والصريف، والشتاء والمصيف، وسلم تسليمًا كثيرًا.

وبعد، فإن من شيم الدولة وسجاياها، وأحكامها وقضاياها؛ تقديم الأهم

فالأهم، وتحتيم الأتم من الرأي وتحكيم التدبير الأعم؛ وفعل كل ما يحوط الممالك

ويحفظها، ويذكرى العيون لملاحظتها ويوقظها؛ لما أوجب الله من حقوقها، وحظره

من عقوقها؛ ولا يكون ذلك إلا باختيار الأولياء لضبطها، والتعويل على الأملاء

بالقيام شرطها، والاستناد من الزعماء إلى من يُؤفّي من الخراجة والعُيون وافي قسطنطها.

ولما كانت المملكة الحمويّة جديرةً بالانفاد، حقيقةً بالحيطة من جميع الجهات؛ مُستدعيةً من جميل النظر كلّ ما يخرُس رُبْعها، ويُدِيم نفعها، ويَحَقِّل ضرْعها، ويَلْمُ شَعْنها ويشعّب صدْعها، ويسرّ سمْعها، ويُفْعِم شرْعها، ويُعْظِم شرْعها؛ ويكْتَنِفها اكتِناف السور والسوار، والهالة للبذر والأكمام للثمار؛ وكان فلانٌ هو المتقشّع سحابٌ هذا الوصف عن بذرهِ المنير، المتقلّع ضبابٌ هذا التفويض عن نور شمسهِ المنعشة قُوى كلّ نبت نضير؛ والذي بأهليته لُرتبة هذا التفويض ما خاب المستخير، ولا ندِم المستشير، والذي يُفْرِدُه استحقاقه بهذه الرتبة فلا يقول أحدٌ من كبيرٍ ولا صغيرٍ امتثالاً للمراسيم الشريفة في حقّه: "منا أميرٌ ومنكم أميرٌ" - اقتضى جميلُ الرأي المنيف، أن خرج الأمر الشريف - لا برح يُحسن التّعويل، ويَهْدِي إلى سواء السبيل، ويمضِي مضاء القضاء المنزل والسيف الصّقل - أن تقوضَ إليه نيابة السلطنة المعظمة في مملكة كذا وكذا.

فليقدّم خيرة الله قائلًا وفاعلاً، ومقيماً وراحلاً، وموجّهاً ومواجهاً ومُسَجِّلاً وساجلاً، وعالمًا وعاملاً، ومعتمداً على الله في أمره كلّهِ. وليكن من هذه المعرفة قريباً، وعلى كلّ شيءٍ حتّى على نفسه رقيباً؛ وإذا اتقى الله كفاه الله الناس، وإن اتقى الناس لم يُغنُوا عنه من الله شيئاً فليقس على هذا القياس، ويفتس هذا الاقتباس.

وأما الوصايا فالعساكر المنصورة هم مِخْلَبُ الظفر وظُفْره، وبهم يُكشَف من كلّ عدوّ سرُّه، ويُخْلَى وطنه ووكره، ويضربُ زِيْدُه وعَمْرُه؛ ويبدّدُ جَمْعُه، ويُسَاء صُنْعُه، ويعمى بصره ويصمُّ سمْعُه؛ وهم أسوارٌ تُجَاه الأسوار، وأمواجٌ تُدْفِع وتندَفِقُ أعظم من اندفاق البحار، وما منهم إلا مَنْ هو عندنا لمن المصْطَفَيْنِ الأخيار؛ فأحسن طاعتهم في مواردِهِم ومصادرِهِم؛ وكنْ عليهم شفوفاً، وبهم في غير الطاعة والاستعباد رُفُوفاً، وأوجبْ لهم بالجهد والاجتهاد حقُّوقاً، واصرفْ لهم حملاً لأعباء المهمّات والملمّات مطيقاً؛ واستشِرْ منهم ذوى الرأي المصيب، ومن

أَحْسَنَ التَّجْرِبِ، وَمَنْ تَتَحَقَّقُ مِنْهُ النُّصْحَ مِنَ الْكُھُولِ وَالشَّيْبِ، وَمِمَّنْ كُلُّ بَغِيرَةٍ مِنْهُ مَا شَبَّ فَإِنَّ الْمَرْءَ كَثِيرٌ بِأَخِيهِ، وَإِذَا اجْتَمَعَتْ غُصُونٌ فِي يَدٍ أَيْدٍ عَسَتْ عَلَى قَصْفِهِ وَقَصَفُ كُلِّ وَاحِدَةٍ فَوَاحِدَةٌ لَا يُعْنِيهِ.

وَالْجِهَادُ فَهُوَ مَلَائِكُ كُلِّ اسْتِحْوَاءٍ وَاسْتِحْوَاذٍ، وَبِهِ تَتَمَيَّزُ أَعْمَالُ الْكُفَّارِ بِالنَّفَادِ وَأَعْمَالُ الدِّينِ الْحَنِيفِ بِالنَّفَادِ ؛ وَمَا جَعَلَ اللَّهُ لِلْمُدَافِعِينَ عَنْ دِينِ اللَّهِ سِوَاهُ، وَلَا مُزْجِي صَوْبٍ صَوَابٍ إِلَّا إِيَّاهُ؛ وَعَلَى ذَلِكَ جَعَلَ اللَّهُ أَرْزَاقَهُمْ، وَهَيَّا لَهُمْ بِهِ إِرْفَاقَهُمْ ؛ فَلْيَكْرِمْهُمْ بِأَخْذِ الْأَهْبَةِ، فِي الْإِعْتِلَاءِ وَالْإِنْصَابِ فِي كُلِّ هَضْبَةٍ، وَالِاسْتِعْدَادِ بِرِبَاطِ الْخَيْلِ وَكُلِّ قُوَّةٍ.

وَمِنَ الْوَصَايَا الَّتِي يَنْبَغِي أَنْهَا تَرَسِّمُ فِي جِبْهَاتِ الْفِكْرِ {بِدُونِ تَوَانٍ} أَوْ رُكُونٍ أَنْ لَا يَسْتَحْقِرَ عَدُوًّا، وَلَا يَسْتَهْزِئَ بِقَلَّتِهِ لَا رَوَاحًا وَلَا غُدُوًّا، وَلِيَكُنْ لِلْإِسْتِظْهَارِ مُسْتَوْعِبًا، وَلِإِعْمَالِ مُسْتَوْثِبًا، وَلِلْكَشْفِ بَعْدَ الْكَشْفِ مُسْتَصْنَحًا؛ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأَوْرِ، الَّتِي بِهَا صَلَاحُ الْجُمْهُورِ.

وَالشَّرْعُ الشَّرِيفُ وَتَنْفِيزُ أَحْكَامِهِ، وَتَقْوِيَةُ أَيْدِي حُكَّامِهِ؛ فَهُوَ مِيزَانُ الْإِسْلَامِ وَالسَّلَامَةِ، وَقَوَامُ الصَّلَاحِ وَالِاسْتِقَامَةِ، وَأَخُوهُ الْمُرْتَضِعُ مِنْ نَدَى الْحَقِّ، الْعَدْلُ الَّذِي كَمَّ شَاقٌ وَكَثِيرًا مَا عَلَى أَهْلِ الْبَاطِلِ شَقٌّ ؛ وَعَمَّ الْقَرِيبَ وَالْبَعِيدَ، وَالسَّائِقَ وَالشَّهِيدَ، وَالْمُرِيبَ وَالْمُرِيدَ، وَكُلَّ ذِي ضَعْفٍ مُبِيدٍ، وَكُلَّ ذِي بَأْسٍ شَدِيدٍ، وَكُلَّ مُسْتَسِيرٍ وَمُسْتَزِيدٍ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ إِذَا شَمَلَ حَاطَ، وَتَمَّ بِهِ الْإِتْيَادُ وَالِاتِّبَاطُ، وَهَدَى إِلَى أَقْوَمِ صِرَاطٍ.

وَالْحُدُودُ فَهِيَ حَيَاةُ النُّفُوسِ، وَبِهَا تُزَالُ الْبُؤْسُ ؛ فَأَقِمْنَهَا مَا لَمْ تُنْزَأْ بِالشُّبُهَاتِ الشَّرْعِيَّةِ، وَالْأُمُورِ الْمَرْعِيَّةِ.

وَالْأُمُورُ فَهِيَ مَجْلَبَةُ الرِّجَالِ، وَمَخْلَبَةُ الْأَمَالِ ؛ وَبِهَا يُشَدُّ الْأَزْرُ، وَيَقْوَى الْإِسْتِظْهَارُ {وَالظُّهْرُ}، فَيُشَدُّ مِنَ الَّذِينَ أَمْرُهُا بِهِمْ مَعْنُوقٌ، وَيَقْوَى أَيْدِيهِمْ بِكُلِّ طَرِيقٍ فِي كُلِّ طُرُوقٍ، بِحَيْثُ لَا يُؤْخَذُ إِلَّا الْحَقُّ وَلَا يَتْرَكَ شَيْءٌ مِنَ الْحَقُوقِ.

والرعية فهم عند والي الأمر ودائع : ينبغي أنها تكون محفوظة، وبعين الاعتناء ملحوظه؛ فأحسن جوارهم، وأزل نفارهم، واكفف عنهم مضارهم، ولا تعاملهم إلا بما تسأل عنه غداً بين يدي ربك فإنه يراك حين تقوم، وأعدّ جواباً لذلك فكل راع مسؤول.

وأما غير ذلك فلا بد أن تطلعك المباشرة على خفايا تغنيك عن المؤامره، وستوالى إليك الأجوبة عند المسافرة في المكاتبات الواردة والصادرة؛ والله يوفقك في كل منهج تسلكه وتنفّيه، ويسدّدك فيما من ذلك تتّحيه.

قلت: أمّا سائر أرباب الوظائف بها: كشّد الدواوين ، وشدّ مراكز البريد وغيرهما، فقد جرت العادة أن النائب يستقلّ بتوليتهما. فإن قدر كتابة شيء من ذلك لأحد بها، وكتب لمن يكون طبلخاناه في قطع النصف؛ "السامي" بغير ياء، ولمن يكون عشرة في قطع الثلث بـ "مجلس الأمير" كما في غيرها.

الصف الثاني

(أرباب الوظائف الدينية، وهم على مرتبتين)

المرتبة الاولى - من يكتب له في قطع الثلث بـ "السامي بالياء" . وهم قضاة القضاة الأربعة.

المرتبة الثانية - من يكتب له في قطع العادة: إمّا في المنصوري ، مفتتحاً بـ "أما بعد" وإما في الصغير مفتتحاً بـ "رسم" . وعلى ذلك تكتب تواقع قضاة العسكر بها، ومفتي دار العدل، والمحتسب، ووكيل بيت المال، ووظائف التداريس والتصادير، ونظر إن كتب شيء من ذلك عن الأبواب السلطانية، وإلا فالغالب كتابة ذلك عن النائب بها.

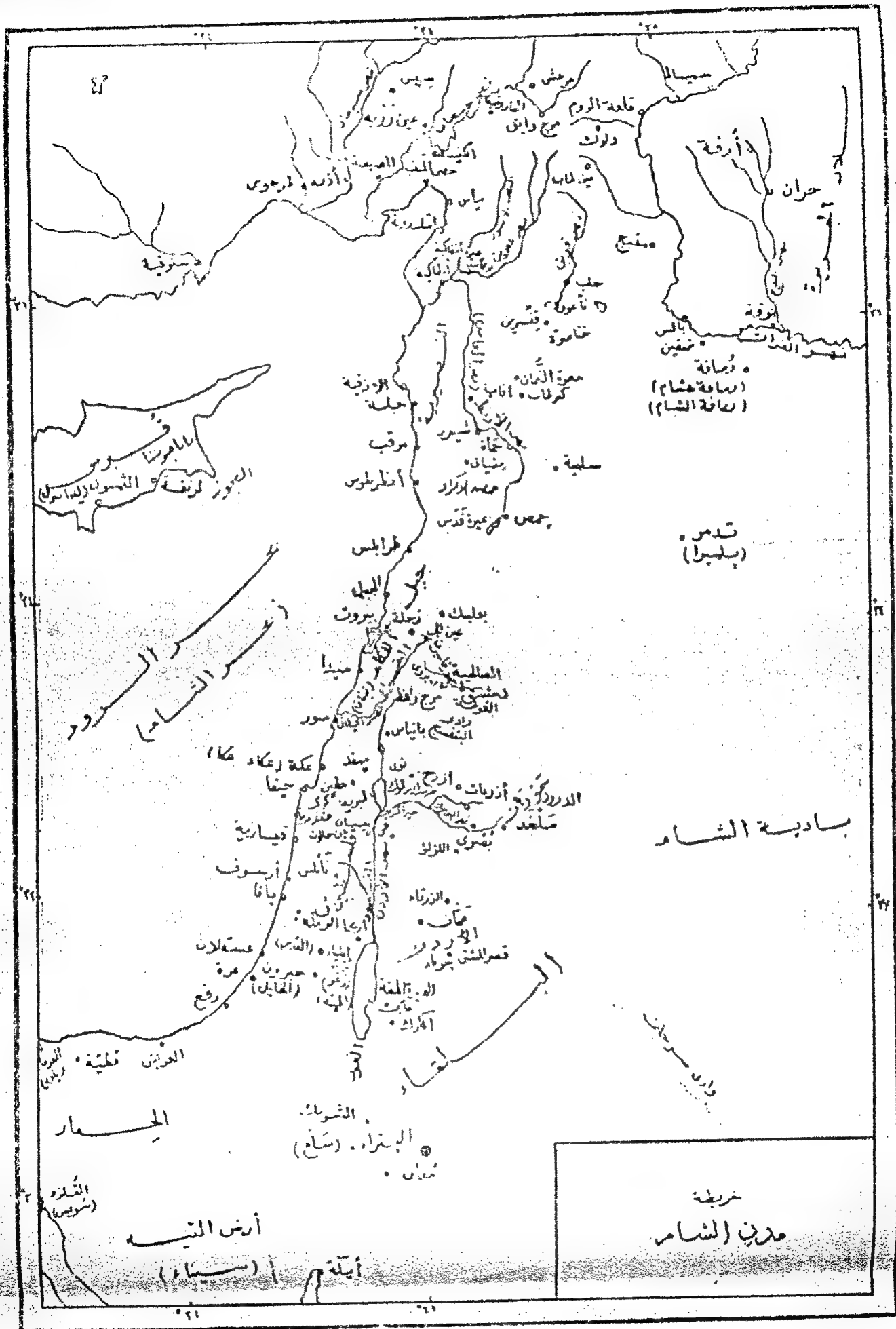
الحق رقم (٣)

خريطة مدن الشام

نقلاً عن الأطلس التاريخي للعالم الإسلامي

في المصور الوسطى

خريطة (٥)



الملحق رقم (٤)

خريطة بلاد الجزيرة و أرمينية

نقلاً من الأطلس التاريخي للعالم الإسلامي

في العصور الوسطى

خريطة (٤)

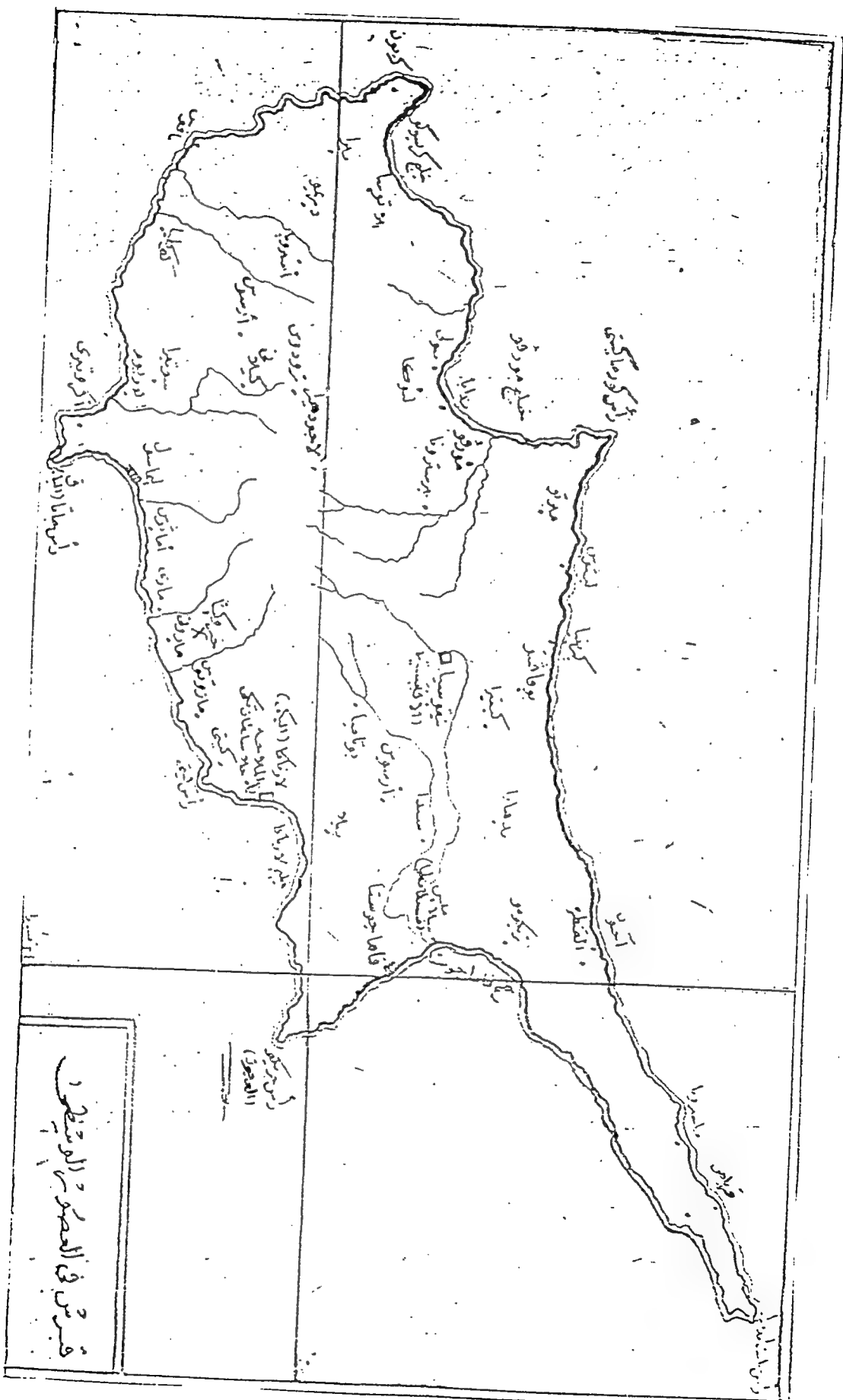
الملحق رقم (٥)

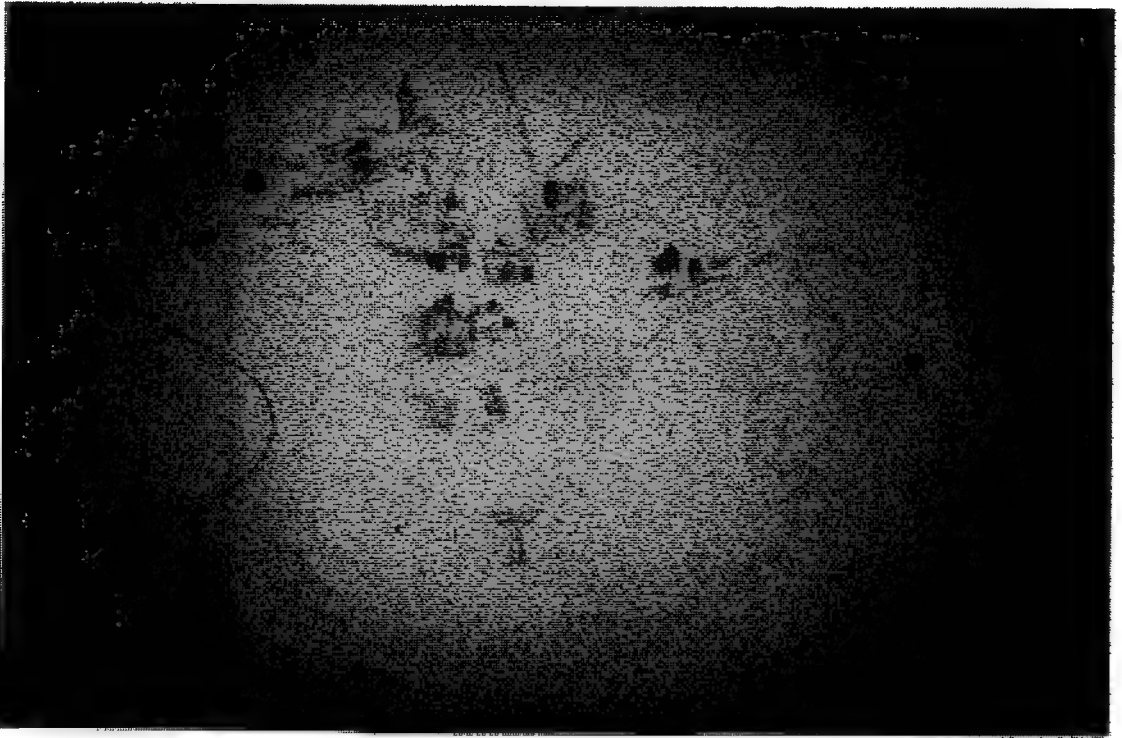
خريطة جزيرة قبرص في العصور الوسطى

نقلاً عن سعيد عبد الفتاح عاشور ،

قبرص والحروب الصليبية

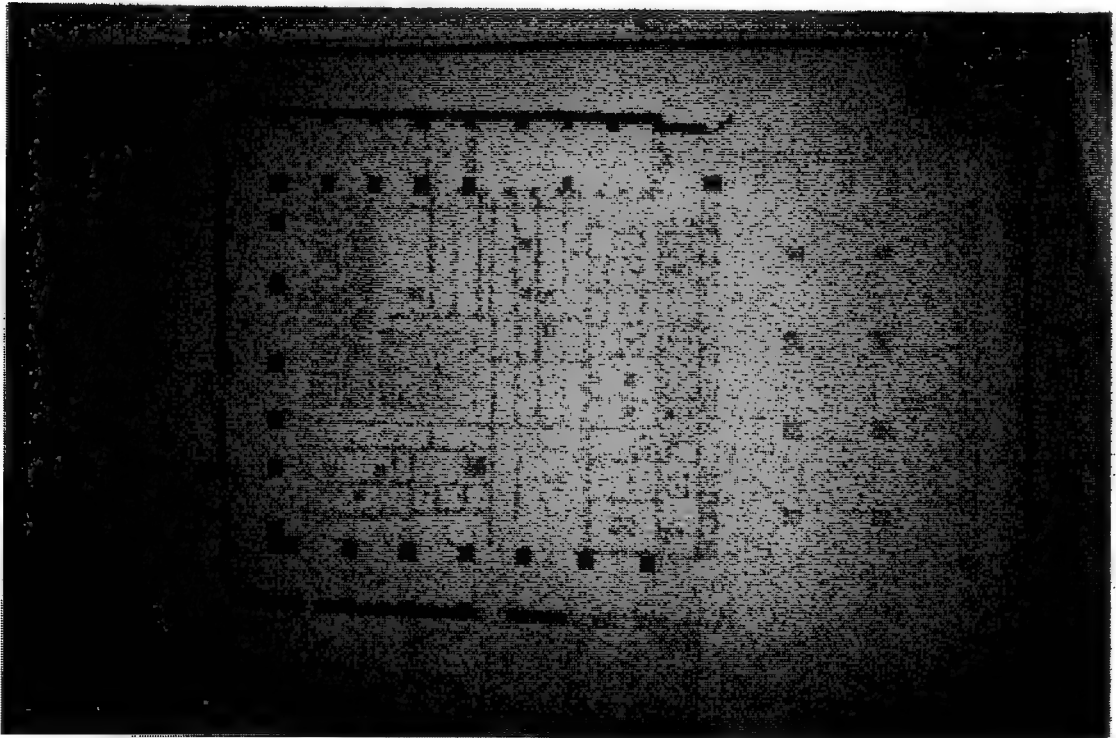
ص (٩٧)





توزيع المعالم الأثرية في مدينة حماة^(١)

اللوحة رقم (١)

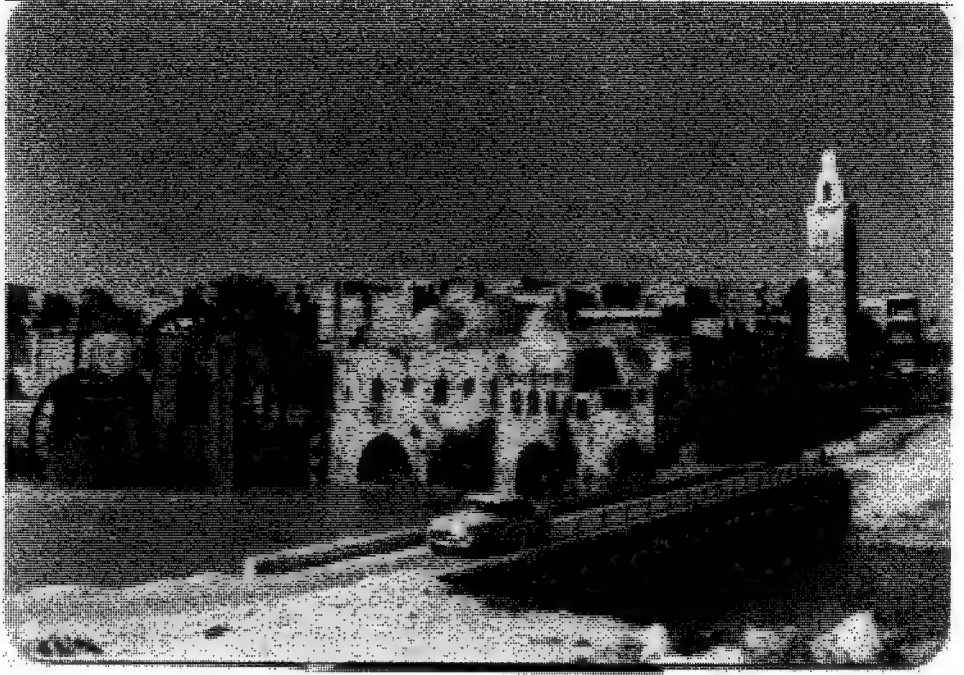


رسم تخطيطي للجامع الكبير في مدينة حماة^(٢)

اللوحة رقم (٢)

(١) المديرية العامة للآثار والمتاحف بمحافظة حماة.

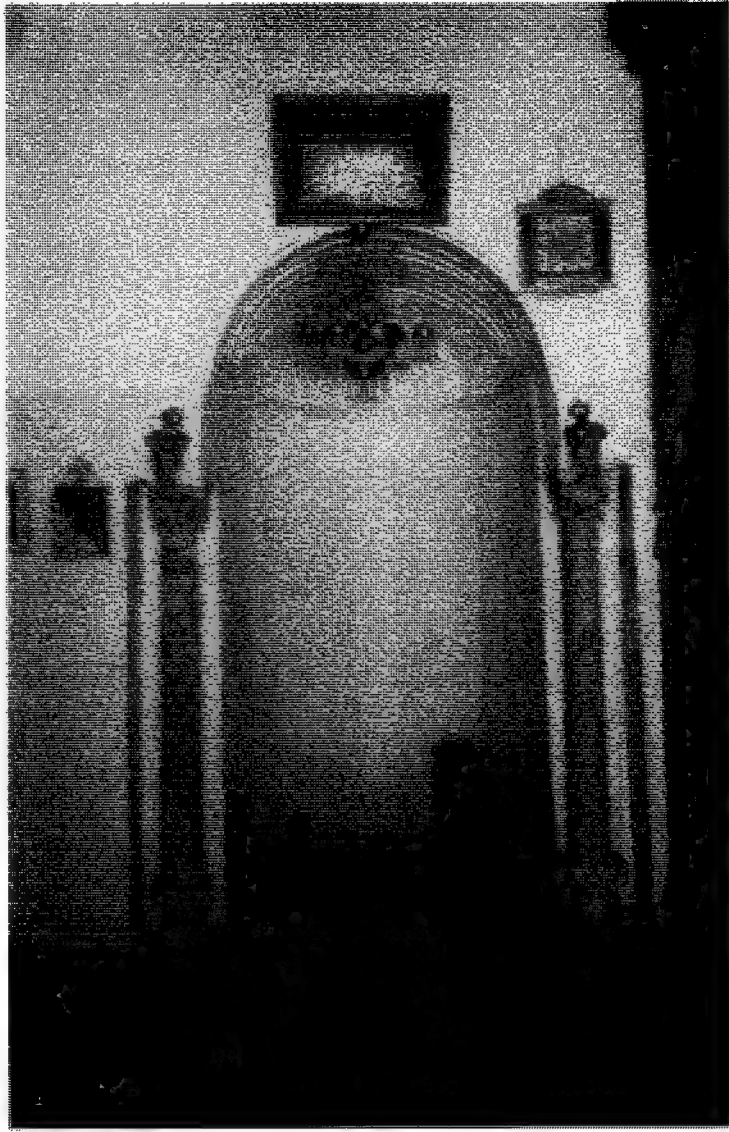
(٢) المديرية العامة للآثار والمتاحف بمحافظة حماة.



اللوحة رقم (٣)

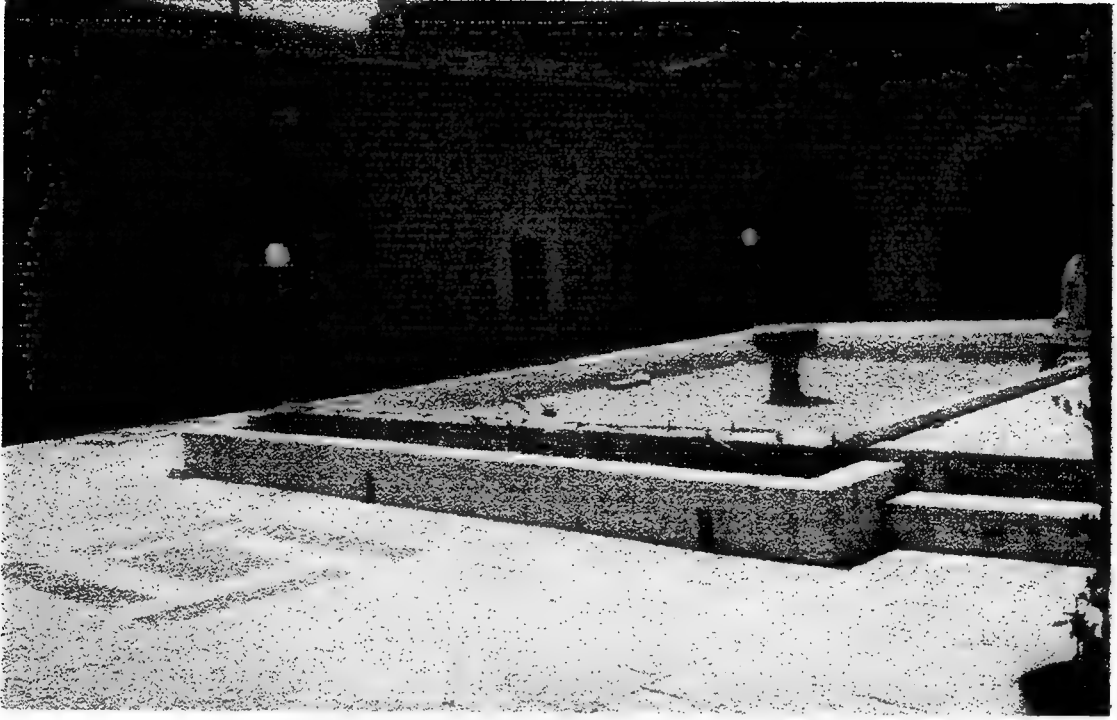
تظهر جامع نور الدين زنكي بحماة والبيمارستان النوري الملتصق بجداره الجنوبي و
المدرسة المؤيدية الملحقة بالجامع في جهته الشرقية^(١)

(١) المديرية العامة للآثار والمتاحف بمحافظة حماة.



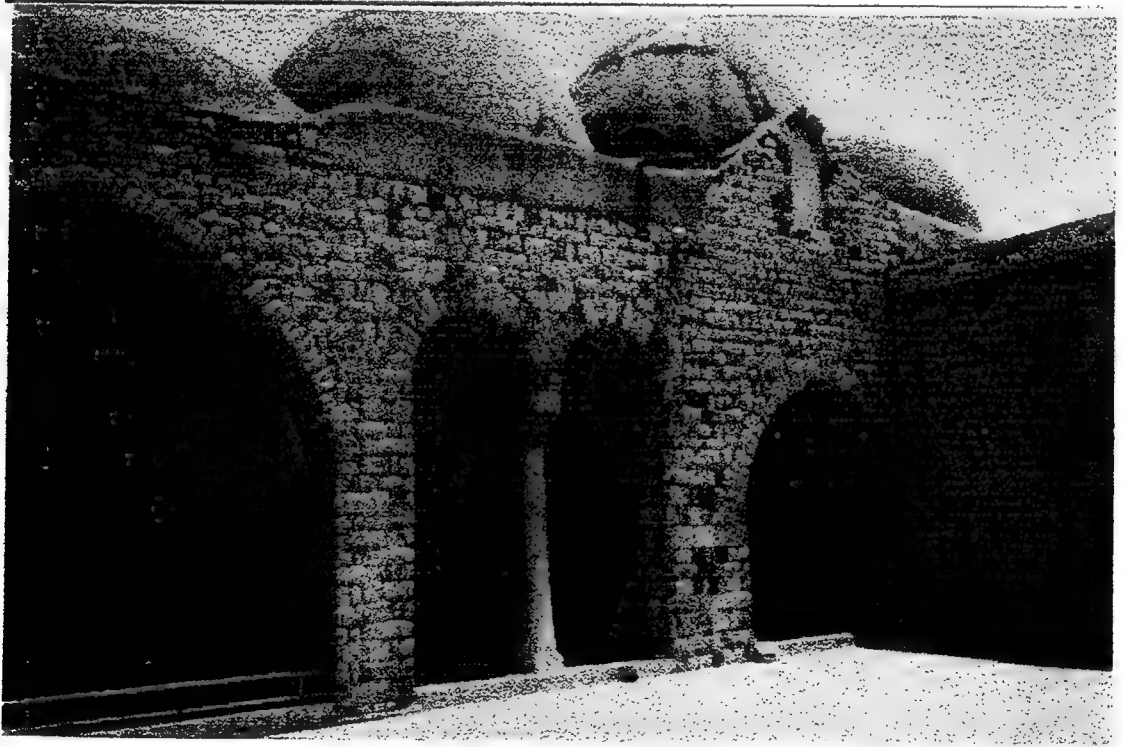
الكتبة رقم (٤)

تظهر محراب جامع نور الدين زنكي بحماة



الكتبة رقم (٥)

تظهر صحن جامع نور الدين زنكي والميضأة ومداخل بيت الصلاة والرواق الغربي للجامع



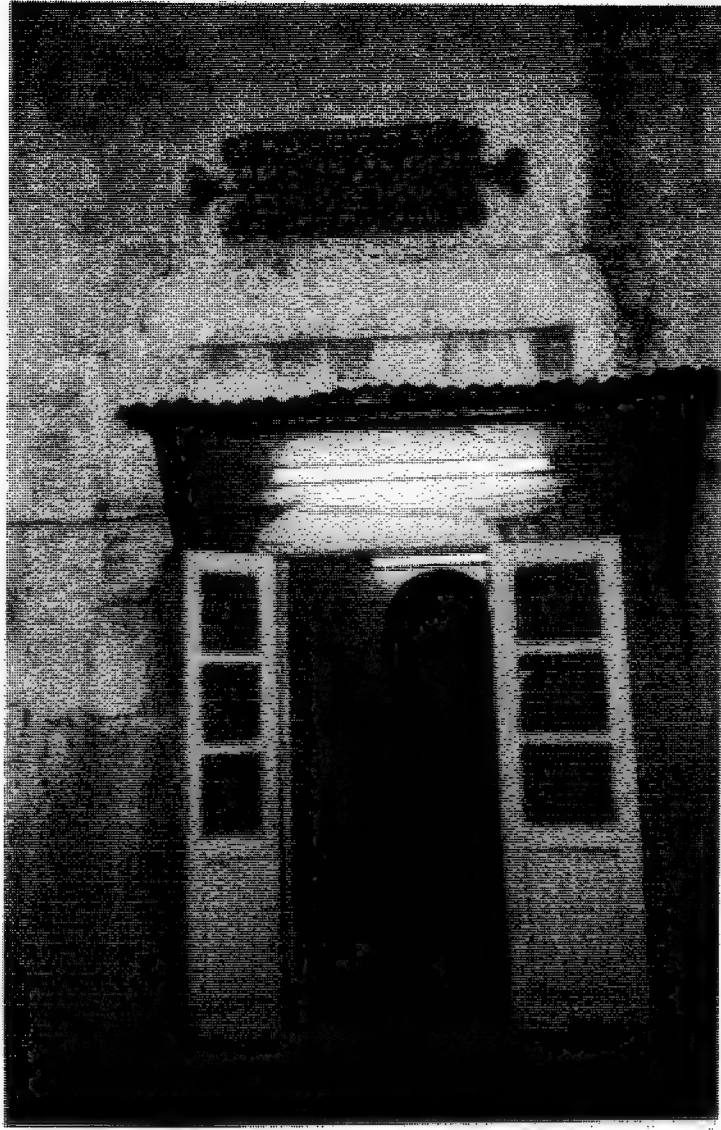
الكتبة رقم (٦)

تظهر سقف الرواق الشرقي لجامع نور الدين زنكي بحماة



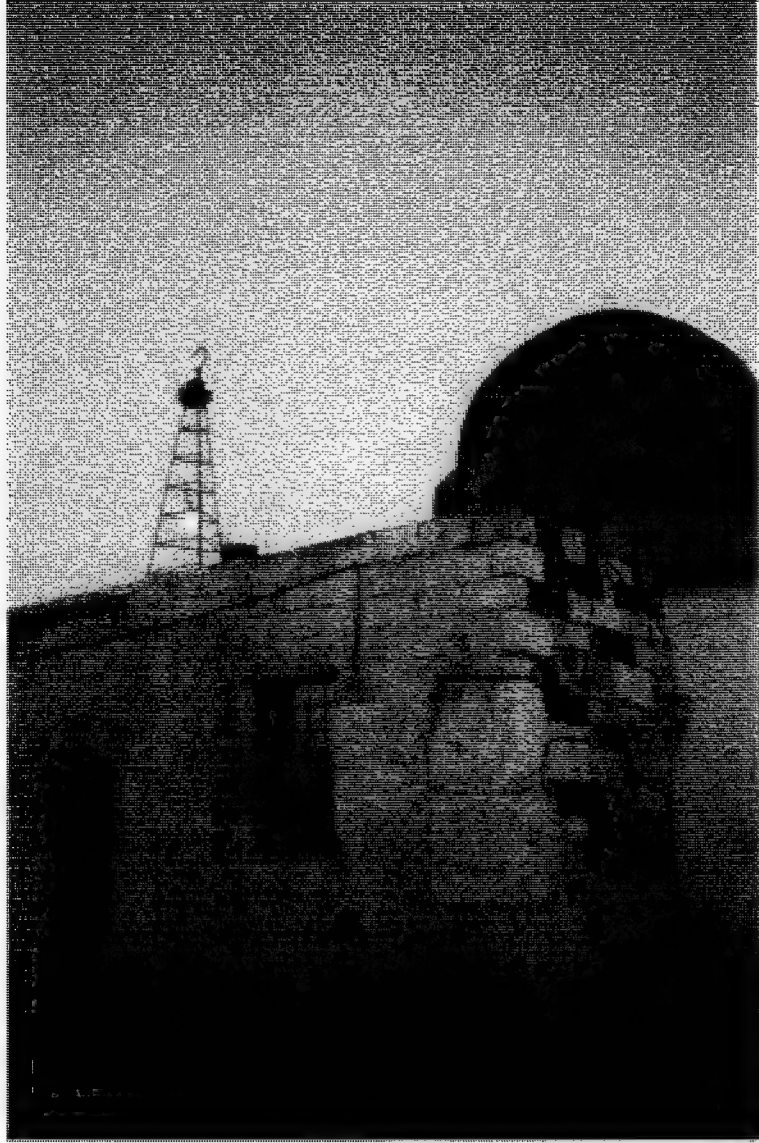
اللوحة رقم (٧)

تظهر الرواق الغربي والشمالي وميضأة ومئذنة جامع نور الدين زنكي بحماة



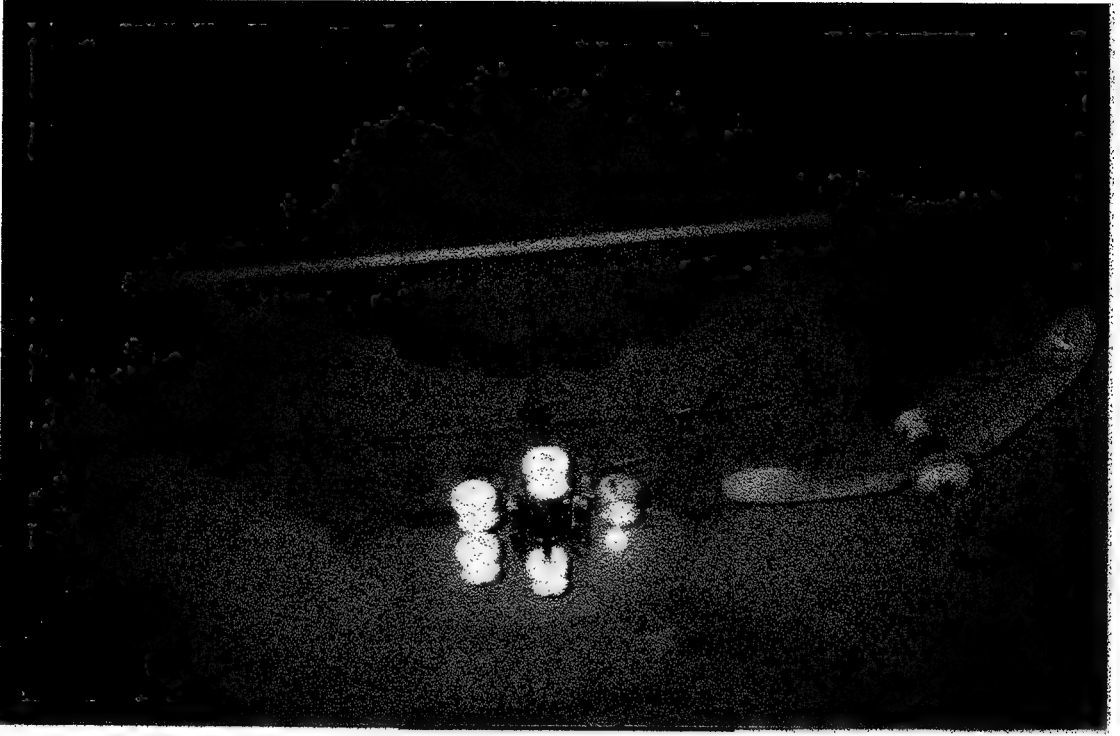
الكنيسة وقف (٨)

تظهر مدخل الجامع العزي بحماة



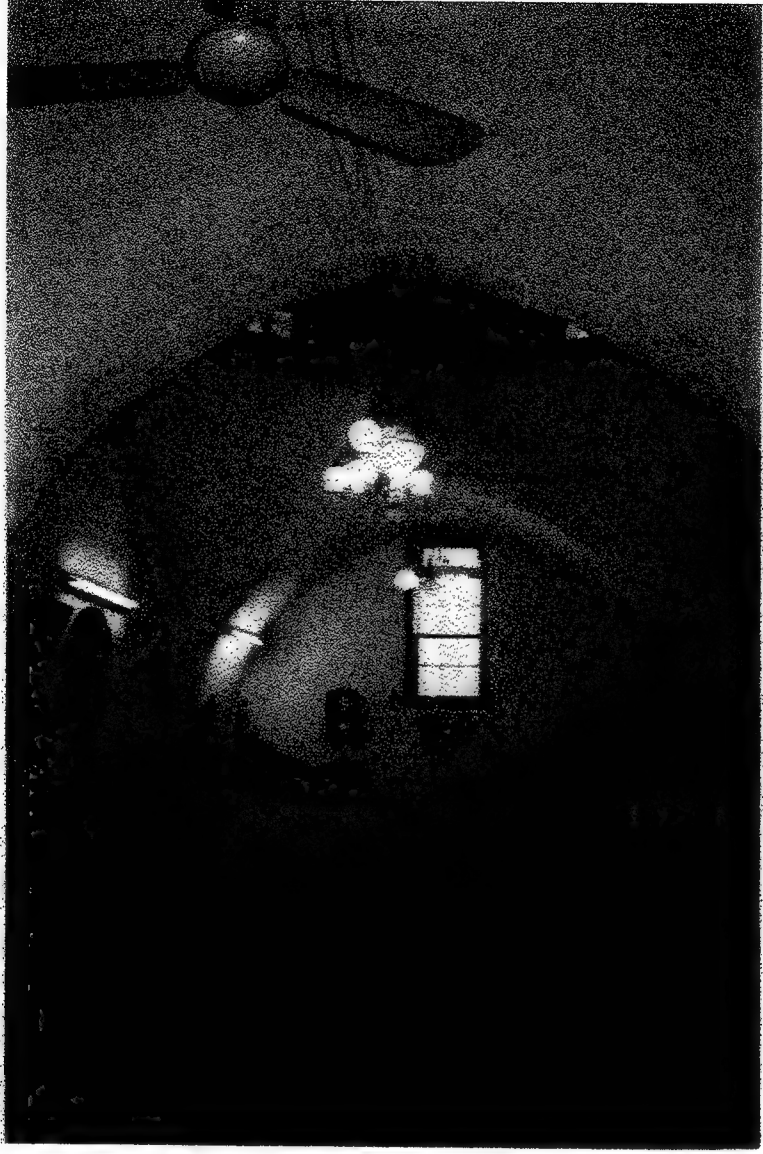
اللوحة رقم (٩)

تظهر طرز العمارة المستخدمة في الجامع العزي بحماة

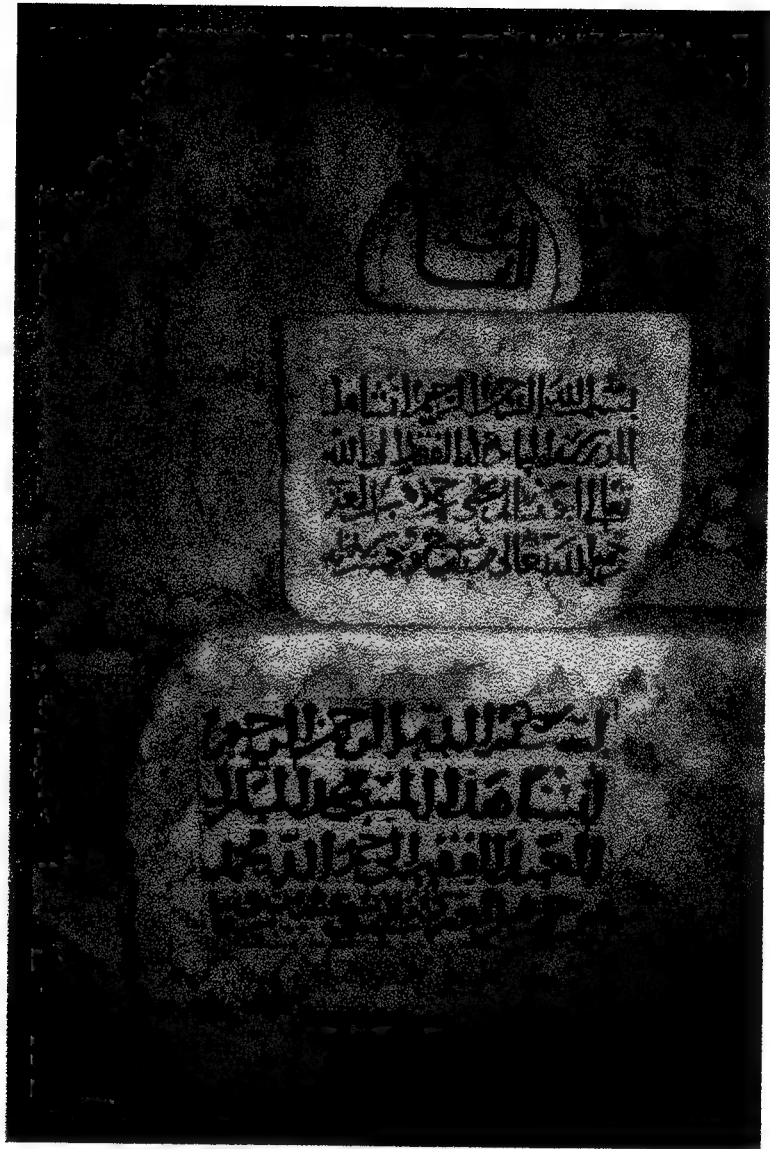


الكنيسة رقم (١٠)

تظهر قبة الجامع العزي بحماة من الداخل

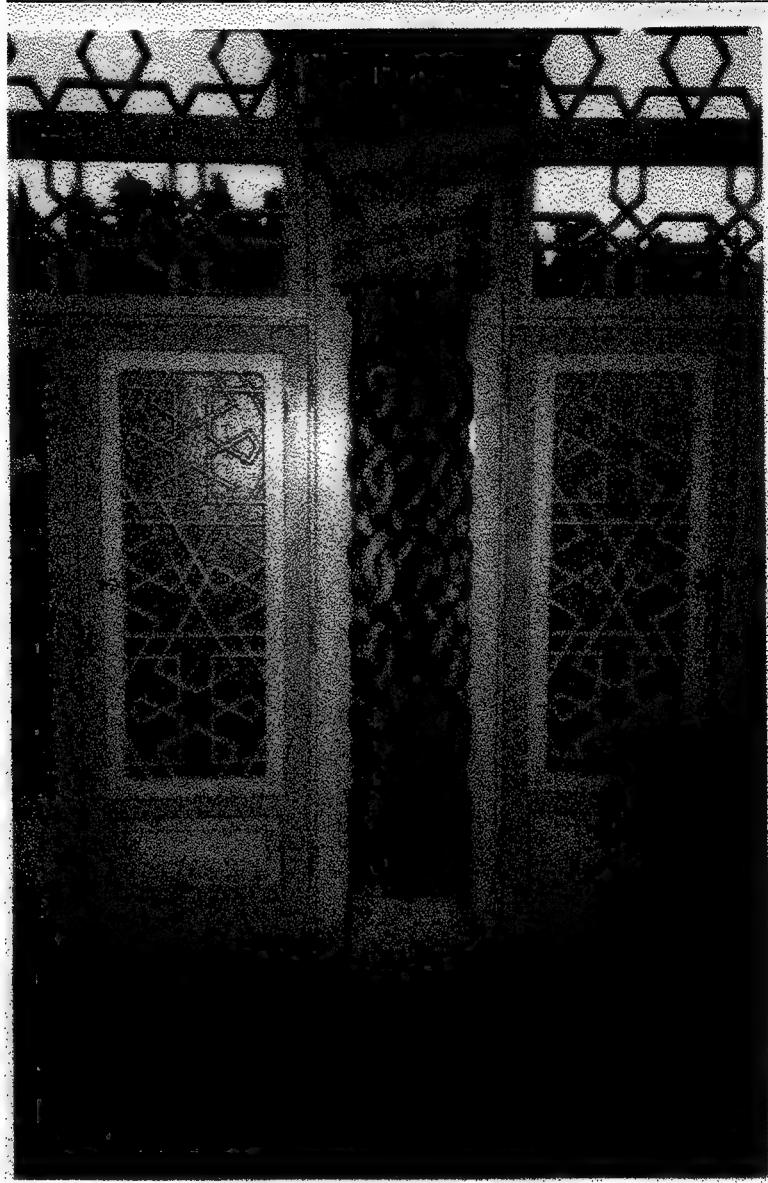


الكنيسة رقم (١١)
تظهر بيت الصلاة للجامع العزي



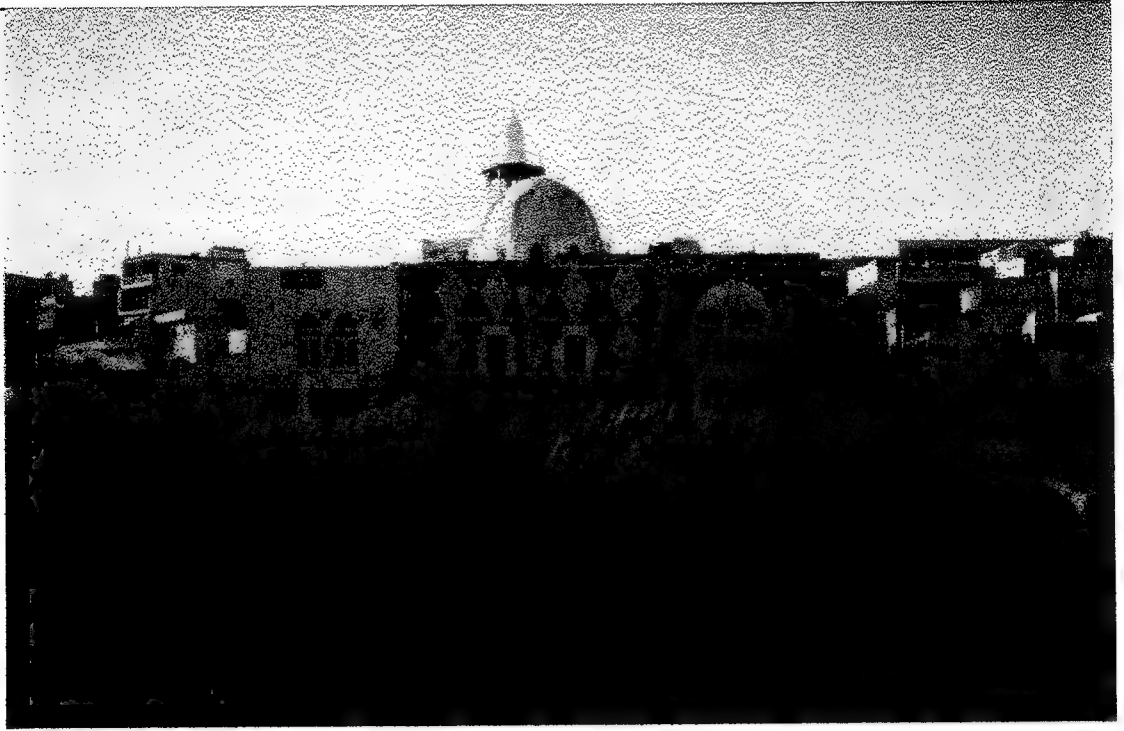
اللوحة رقم (١٢)

تظهر الحجرين الموجودين في الجامع العزي والمنقوش على إحداهما
اسم منشأ المدرسة العزية وسنة البناء، وعلى الأخرى اسم منشأ الجامع وسنة البناء



الكنيسة رقم (١٣)

تظهر إحدى العامودين الرخاميين لجامع أبي الفداء بحماة
والذين نحتا على شكل حيتين



الكنيسة رقم (١٤)

تظهر الجدار الجنوبي لجامع أبي الفداء بحماة والقبة التي علة الجامع



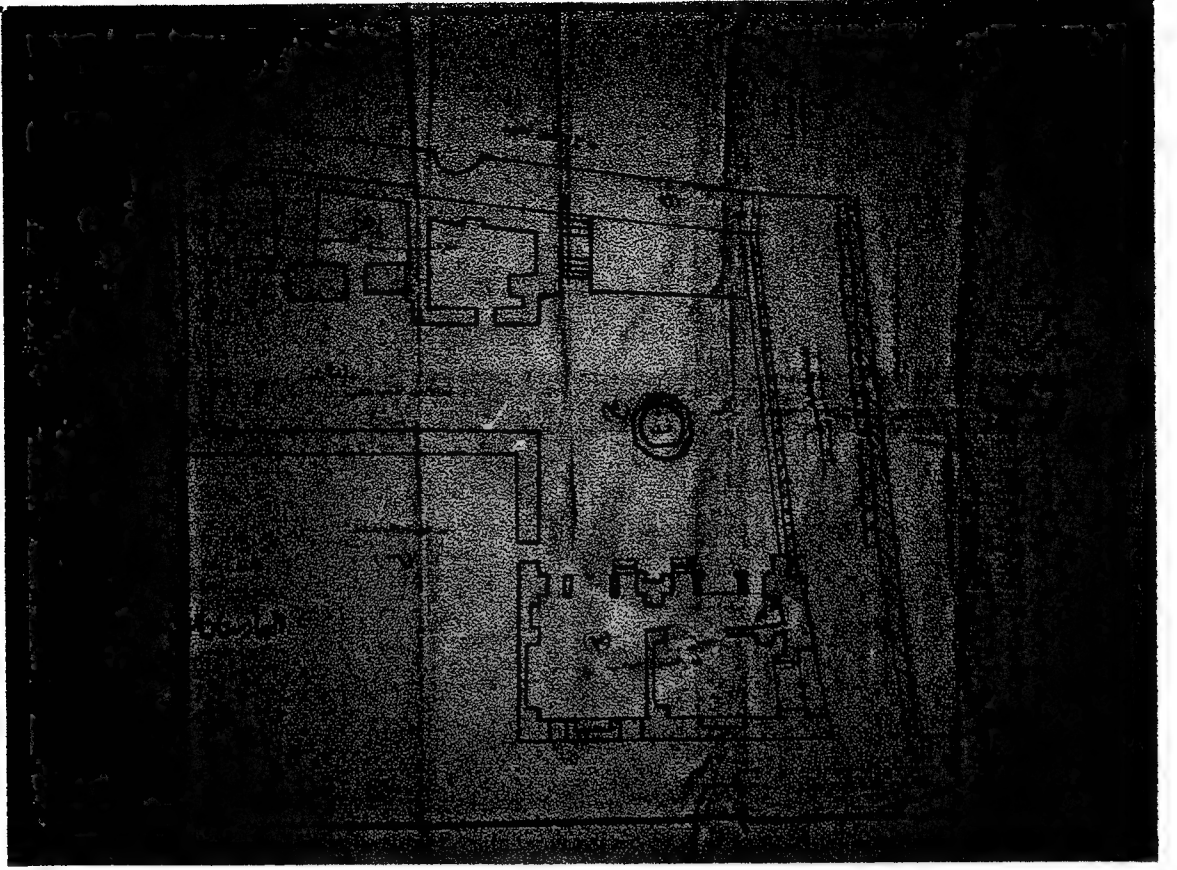
الكنيسة رقم (١٥)

تظهر مدخلي بيت الصلاة لجامع أبي الفداء بحماة



اللوحة رقم (١٦)

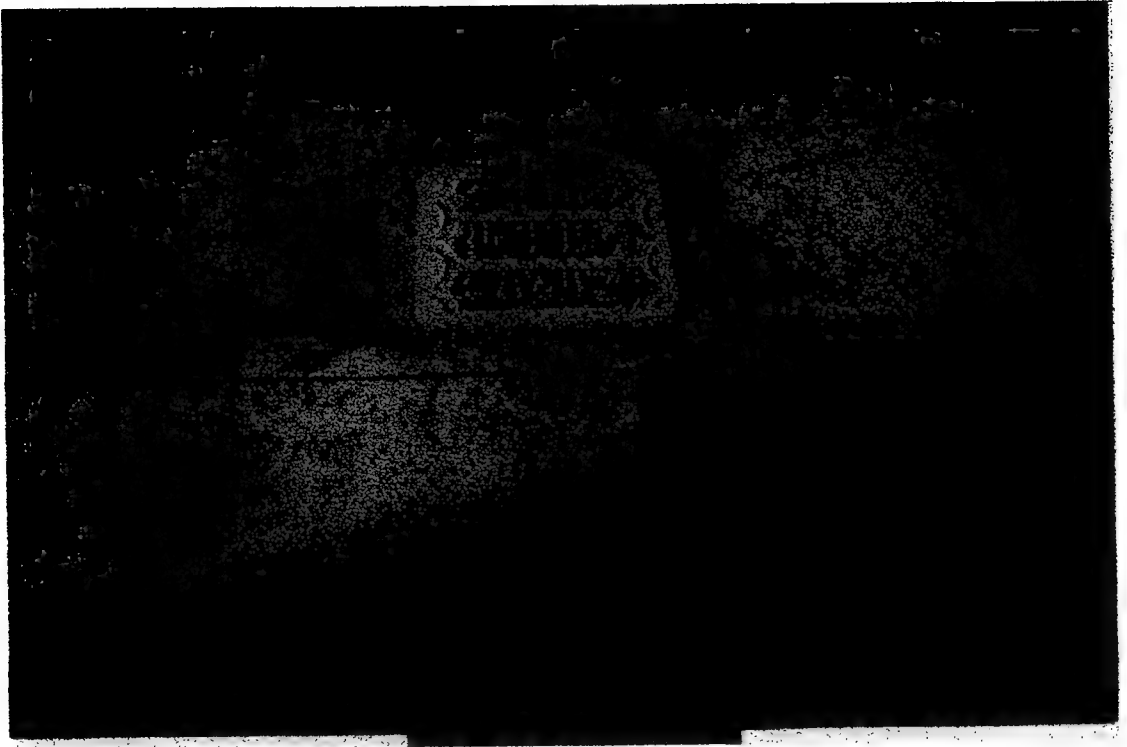
تظهر الفنون الزخرفية التي زينت محراب
وقبة جامع أبي الفداء بحماة



اللوحة رقم (١٧)

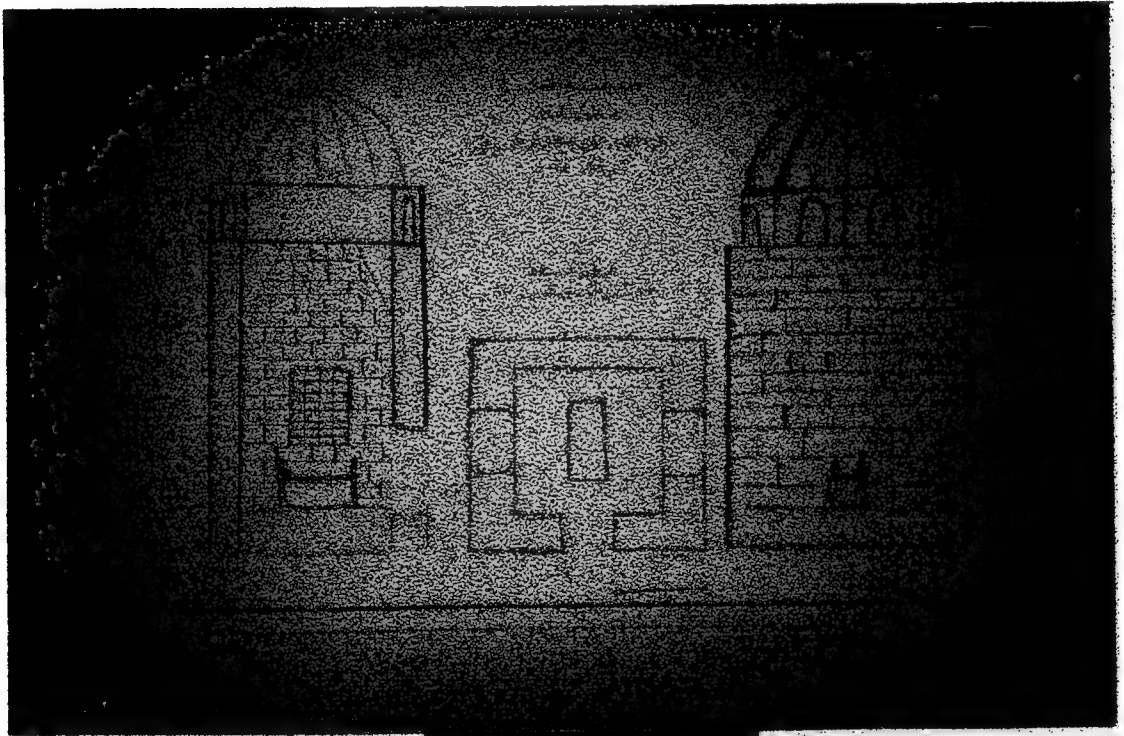
رسم تخطيطي للبيمارستان النوري بحماة

- (١) المدخل.
- (٢) فسقية.
- (٣) غرف القسم الجنوبي.
- (٤) قاعة أمام الغرف الشمالية المتبقية.
- (٥) الغرف المتبقية.
- (٦) الجهة المفقودة من البيمارستان.
- (٧) جامع نور الدين الشهيد.



اللوحة رقم (١٨)

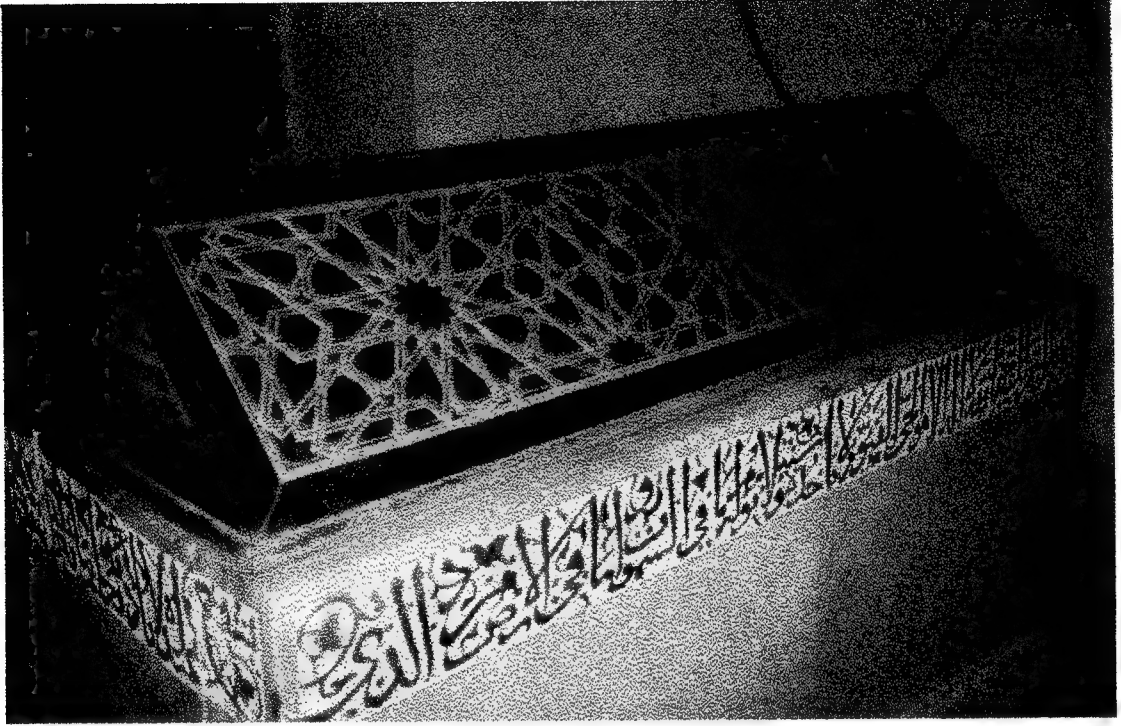
تظهر اللوحة الرخامية لضريح أبي الفداء بحماة



اللوحة رقم (١٩)

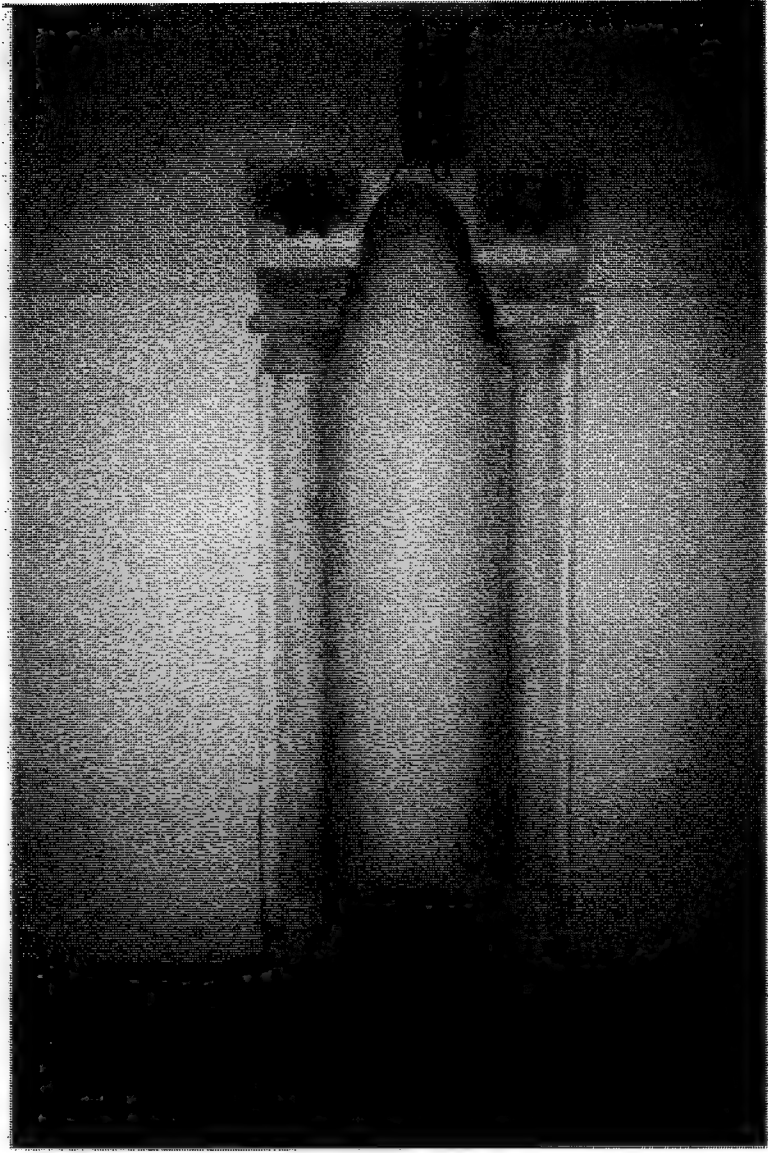
تظهر الرسم التخطيطي لضريح أبي الفداء في حماة (١)

(١) المديرية العامة للآثار والمتاحف بحماة.



الكعبة رقم (٢٠)

تظهر الفنون الزخرفية التي زين بها ضريح أبي الفداء



اللوحة رقم (٢١)

تظهر المحراب الذي توسط الجدار الجنوبي للمدرسة المؤيدية بحماة
والعامودين الذين نقش على تاجيهما اسم باني المدرسة



الكملة رقم (٢٢)

تظهر إحدى النواعير التي وزعت في حماة ونظام الري المرفق بها
من أحواض وسواري وقنوات.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



ثبت الخطوط:

- ابن حبيب: الحسين بن عمر بن الحسن بن حبيب الحلبي
درة الأسلاك في دولة الأتراك ج ١-٢ ، مخطوط بجامعة أم القرى ، رقم ٦
٩٦٢، أ ح د .

- ابن الجزري:
تاريخ الجليل وفيه تاريخ دمشق والشام، مخطوط جامعة أم القرى، رقم
٤٣٣٠.

- ابن يوسف المقدسي: مرعي بن يوسف المقدسي الحنبلي
نزهة الناظر فيمن ولي مصر من الخلفاء والسلطين، ميكروفيلم بجامعة أم
القرى.

- الحنبلي: أبي عبد الله محمد بن إبراهيم
تاريخ أعيان حلب، مخطوط بجامعة أم القرى، رقم ٨٦٧.

- الرشدي:
أحمد الرشدي، حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولي إمارة الحاج،
مخطوط بجامعة أم القرى، رقم ١٥١، ٩٥٣.

ثبت المصادر:

- ابن الأثير: (أبو الحسن على أبي الكرم الشيباني ، ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م)
١- التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل، تحقيق عبد القادر أحمد
طليمات، القاهرة، دار الكتب الحديثة.
٢- الكامل في التاريخ، بيروت، دار الفكر، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

- ابن الأثير: (أبو الحسن على بن محمد الجزري) أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق محمد إبراهيم البناء، دار الشعب، من غير تاريخ طبع.

- ابن الأخوة: (ضياء الدين محمد بن محمد القرشي، ت ٧٢٩هـ / ١٣٢٨م) معالم القربة في أحكام الحسبة، تحقيق محمد محمود شعبان، صديق أحمد عيسى، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٦م.

- ابن اياس: (أبو البركات محمد بن أحمد الحنفي، ت ٩٣٠هـ / ١٥٢٤م) بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، الجزء الأول، القسم الأول، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م. الجزء الأول، القسم الثاني و الثالث، والجزء الثاني، الهيئة العامة لقصور الثقافة، د. ط. الجزء الثالث، القاهرة، الناشر فرانز شتايز، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م. الجزء الرابع، القاهرة، الناشر فرانز شتايز، ١٣٧٩هـ / ١٦٩٠م. الجزء الخامس، القاهرة، الناشر فرانز شتايز، ١٣٨٠هـ / ١٩٦١م.

- ابن أبيك: (أبو بكر عبد الله بن أبيك الدودار، ت ٧٣٢هـ / ١٣٣٢م) كنز الدرر وجامع الغرر، المجلد الثامن، الدرر الزكية في أخبار الدولة التركية، تحقيق أولرخ هارمان، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م. المجلد التاسع، الدرر الفاخر في سيرة الملك الناصر، تحقيق هانس روبرت رويمر، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٠م.

- ابن بطوطة: (محمد بن عبد الله اللواتي، ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م) تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (رحلة ابن بطوطة)، تحقيق على المنتصر الكتاني، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الرابعة، من غير تاريخ طبع.

- ابن البيبي: (ناصر الدين يحيى بن محمد، ت ٦٨٤هـ / ١٢٨٥م) تاريخ سلاجقة الروم، تحقيق محمد علاء الدين منصور، من غير تاريخ طبع.

- ابن تغري بردي: (يوسف الأتابكي، ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م)

- ١- حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين ، القاهرة، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.
- ٢- الدليل الشافي على المنهل الصافي، تحقيق فهم شلتوت، مكة المكرمة ،مركز البحث العلمي و أحياء التراث بجامعة أم القرى، ١٩٨٣م.
- ٣- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، الجزء الأول والثاني، تحقيق محمد محمد أمين، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤م.
- الجزء الثالث، تحقيق نبيل محمد عبد العزيز، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥م.
- الجزء الرابع، تحقيق محمد محمد أمين، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م
- الجزء الخامس، تحقيق نبيل محمد عبد العزيز، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٨م.
- الجزء السادس ، تحقيق محمد محمد أمين، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.
- الجزء السابع، تحقيق محمد محمد أمين، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣م.
- ٤- موارد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة، تحقيق نبيل محمد عبد العزيز، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٩٧م.
- ٥- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الجزء السابع والثامن والتاسع والعاشر والحادي عشر والثاني عشر، القاهرة، الهيئة العامة للتأليف والنشر.
- الجزء الثالث عشر، تحقيق فهم شلتوت، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م.
- الجزء الرابع عشر، تحقيق جمال محرز، فهم شلتوت، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧١م.
- الجزء الخامس عشر، تحقيق إبراهيم طرخان، القاهرة، الهيئة المصري العامة للتأليف والنشر، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م.

الجزء السادس عشر، تحقيق جمال الدين الشيال، فهم شلتوت، القاهرة،
الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

- ابن تيمية:

(أحمد عبد الحليم، ت ٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م)

١- السياسية الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، تحقيق إبراهيم
رمضان، بيروت، دار الفكر اللبناني، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.

٢- الحسبة في الإسلام، تحقيق سيد بن محمد بن أبي سعدة، الكويت، مكتبة
دار الأرقم، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

- ابن جبير: (أبو الحسن بن أحمد بن جبير الكناي، ت ٦١٤هـ/ ١٢١٧م)
تذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار (رحلة ابن جبير)، بيروت، دار
التراث، من غير تاريخ طبع.

- ابن الجزري: (شمس الدين محمد بن إبراهيم القرشي، ت ٧٣٨هـ/ ١٣٣٩م)

١- حوادث الزمان وإنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبناءه (تاريخ ابن
الجزري)، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، بيروت، المكتبة العصرية،
الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٢- المختار من تاريخ ابن الجزري، تحقيق خضير عباس المنشداوي،
بيروت، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

- ابن الجيعان: (بدر الدين محمد بن يحيى بن شاكر بن عبد الغني، ت ٩٠٢
هـ/ ١٤٩٦م).

القول المستظرف في سفر الملك الأشرف (أو رحلة قايتباي إلى الشام)،
تحقيق عمر عبد السلام تدمري، جروس برس، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م.

- ابن حبيب: (الحسن بن عمر، ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م)

تذكرة النبیه في أيام المنصور وبنية، تحقيق محمد أمين،
القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٢م.

- ابن حجر: (شهاب الدين أحمد بن علي، ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)
١- إنباء الغمر في أبناء العمر في التاريخ، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
٢- الإصابة في تمييز الصحابة، بيروت، دار الفكر، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.
٣- ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق أبي عبد الرحمن سعيد معشاشة، دار ابن حزم، من غير تاريخ طبع.
٤- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق محمد سيد جاد، دار الكتب الحديثة، من غير تاريخ طبع.
٥- نيل الدرر الكامنة، تحقيق عدنان درويش، القاهرة، معهد المخطوطات العربية، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
٦- رفع الأصر عن قضاة مصر، تحقيق حامد عبد المجيد، محمد المهدي أبو سنه، محمد الصاوي، من غير تاريخ طبع.
- ابن الحمصي: (شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر، ت ٩٣٤هـ/ ١٥٢٧م)
حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، بيروت، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.
- ابن خردادبة: (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله، ت ٣٠٠هـ/ ٩١٢م)
المسالك والممالك، تحقيق محمد مخزوم، بيروت، دار أحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- ابن خلدون: (عبد الرحمن بن محمد، ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)
١- تاريخ ابن خلدون (العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر)، عناية تركي فرحان، بيروت، دار أحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.
٢- مقدمة ابن خلدون، تحقيق علي عبد الواحد وافي، القاهرة، الطبعة الثالثة.

- ابن خلكان: (أحمد بن محمد بن أبي بكر، ت ٦٨١هـ/ ١٢٨١م) وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار صادر، من غير تاريخ طبع.
- ابن دقماق: (إبراهيم بن محمد بن أيمن العلائي، ت ٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م) ١- الجواهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلطين، تحقيق، سعيد عبد الفتاح عاشور، مكة المكرمة، مركز البحث العلمي وأحياء التراث، من غير تاريخ طبع
- ٢- النفحة المسكية في الدولة التركية من كتاب الجواهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلطين، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، بيروت، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
- ابن رافع: (محمد بن رافع السلامي، ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)، الوفيات، تحقيق صالح عباس، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ/ ١٣٩٢م.
- ابن رسته: (أبو علي أحمد بن عمر، ت ٢٩٠هـ/ ٩٠٣م) الاغلق النفيسة، بيروت، دار أحياء التراث العربي، من غير تاريخ طبع
- ابن زنبيل: (أحمد الرمال، ت ٩٦٠هـ/ ١٥٥٢م) آخرة الممالك (أو واقعة السلطان الغوري مع سليم الثاني)، تحقيق عبد المنعم عامر، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية، ١٩٩٨م.
- ابن شاعر الكتبي: (فخر الدين محمد بن أحمد الكتبي، ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م) ١- عيون التواريخ، الجزء الثاني عشر، تحقيق فيصل السامر، نبيلة عبد المنعم داود، الجمهورية العراقية، منشورات وزارة الثقافة والأعلام، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م. الجزء الحادي والعشرون، تحقيق فيصل السامر، نبيلة عبد المنعم داود، الجمهورية العراقية، منشورات وزارة الثقافة والأعلام، ١٩٨٤م.

٢- فوات الوفيات، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥١م. بيروت، نشر إحسان عباس، من غير تاريخ طبع

- ابن الشحنة: (أبو الفضل محمد بن الشحنة، ت ٨٩٠هـ / ١٤٨٥م)

١- البدر الزاهر في نصرة الملك الناصر محمد قايتباي (٩٠١-٩٠٤هـ / ١٤٩٥-١٤٩٩م)، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

٢- الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، تحقيق عبد الله محمد درويش، سورية، دار الكتاب العربي، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

- ابن شداد: (بهاء الدين ابن رافع بن تميم، ت ٦٣٢هـ / ١٢٣٤م) النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (أو سيرة صلاح الدين)، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٦٤م.

- ابن شداد: (عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم الحلبي، ت ٦٨٤هـ / ١٢٨٥م)

الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق سامي الدهان، دمشق، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م تاريخ الملك الظاهر، تحقيق أحمد حطيط، فرانزشتاير بقيسبان، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

- ابن صصري: (محمد بن محمد ابن صصري)

كتاب الدر المضيئة في الدولة الظاهرية، تحقيق وليم م. برينر، من غير تاريخ طبع.

- ابن طباطبا: (محمد بن علي بن طباطبا، ت ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م)

الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، تحقيق ممدوح حسن محمد، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، من غير تاريخ طبع.

- ابن طولون: (شمس الدين محمد، ت ٩٥٣ هـ/١٥٤٦م)
- ١- أعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الكبرى، تحقيق محمد دهمان، دمشق، دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
- ٢- قضاء دمشق (الثغر البسام في ذكر من ولي قضاء الشام)، تحقيق صلاح الدين المنجد، دمشق، المجمع العلمي، ١٩٥٦م.
- ٣- القلائد الجوهريّة في تاريخ الصالحية، تحقيق محمد دهمان، دمشق، مجمع اللغة العربية، من غير تاريخ طبع.
- ٤- مفاكهة الخلان في حوادث الأزمان تاريخ مصر والشام، تحقيق محمد مصطفى، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، القسم الأول، ١٣٨١هـ/١٩٦٢م. القسم الثاني، تحقيق محمد مصطفى، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.
- ابن طولون، ابن المبرد: (يوسف بن حسن بن عبد الهادي ابن المبرد الحنبلي، ت ٩٠٩ هـ/١٥٠٢م)
- متعة الأذهان من التمتع بالأقران بين تراجم الشيوخ والأقران، تحقيق صلاح الدين خليل الشيباني، بيروت، دار صادر، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.
- ابن الطولوني: (الحسن بن حسين بن أحمد، ت ٩٢٣ هـ/١٥١٧م)،
المنزلة السنية في أخبار الخلفاء والملوك المصرية (أخبار الخلفاء)، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين علي، بيروت، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- ابن عبد الظاهر: (محي الدين عبد الله بن رشيد الدين بن عبد الظاهر السعدي، ت ٦٩٢ هـ/١٢٩٢م)
- ١- الألفاظ الخفية من السيرة الشريفة السلطانية الملكية الأشرفية، الجزء الثالث، من غير تاريخ طبع.
- ٢- تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، تحقيق مراد كامل، القاهرة، الشركة العربية للطباعة، الطبعة الأولى، ١٩٦١م.
- ٣- الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق عبد العزيز الخويطر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.

- ابن العبري: (غريغوريوس أبو الفرج بن أهرون الملقبي، ت ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م)

١- تاريخ الزمان، بيروت، دارالمشرق، ١٩٨٦م.

٢- تاريخ مختصر الدول، تحقيق خليل المنصور، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

- ابن العديم: (كمال الدين عمر بن أحمد ابن أبي جرادة، ت ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م)،

١- بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق سهيل زكار، دمشق، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٢- زبدة الحلب في تاريخ حلب، تحقيق سامي الدهان، دمشق، المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربية، ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م

- ابن العراقي: (ولي الدين أبي زرعة أحمد بن عبد الرحيم بن الحسن، ت ٨٢٦هـ/ ١٤٢٢م)

الذيل على العبر في خبر من غير، تحقيق صالح مهدي عباس، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

- ابن عربشاه: (شهاب الدين أحمد بن محمد الدمشقي، ت ٨٥٤هـ/ ١٤٥٠م) عجائب المقدور في نوائب تيمور، تحقيق أحمد فائز الحمصي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.

- ابن العماد الحنبلي: (أبو الفلاح عبد الحي أحمد بن محمد، ت ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م)

شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

- ابن العميد: (المكين جرجس)

أخبار الأيوبيين، بور سعيد، مكتبة الثقافة الدينية، من غير تاريخ طبع.

- ابن الفرات: (ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم، ت ٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م)،

تاريخ الدول والملوك (تاريخ ابن الفرات)، المجلد الرابع الجزء الأول

والثاني، المجلد الخامس الجزء الأول، تحقيق حسين محمد الشماع، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م، المجلد السابع، تحقيق قسطنطين زريق، من غير تاريخ طبع، المجلد الثامن والتاسع، الجزء الأول والثاني، تحقيق قسطنطين زريق، نجلاء عز الدين، من غير تاريخ طبع.

- ابن الفقيه الهمذاني: (أحمد بن محمد الهمذاني) مختصر كتاب البلدان، دار أحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م.

- ابن فهد: (نجم الدين عمر بن فهد، ت ٨٨٥هـ / ٤٨٠م) إتحاف الوري بأخبار أم القرى، تحقيق فهد شلتوت، جدة، دار المدني، من غير تاريخ طبع.

- ابن فهد المكي: (تقي الدين محمد بن محمد، ت ٨٧١هـ / ٤٦٦م) لحظ الألفاظ بذيّل طبقات الحفاظ، تحقيق زكريا عميرات، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.

- ابن الفوطي: (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م) كتاب الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، تحقيق عماد الدين عبد السلام رؤوف، من غير تاريخ طبع.

- ابن القاضي: (أبي العباس أحمد بن محمد المكناسي، ت ٦٩٠هـ / ١٠٢٥م)، ذيل وفيات الأعيان (درة الحجال في أسماء الرجال)، تحقيق محمد الأحمد أبو النور، القاهرة، دار التراث، من غير تاريخ طبع.

- ابن القلانسي: (أبو يعلى حمزة ابن القلانسي، ت ٥٥٥هـ / ١١٦٠م) ذيل تاريخ دمشق، بيروت، تحقيق الأباء اليسوعيين، ١٩٠٨م.

- ابن الكاتب الموصلي: (موسى بن حسن الموصلي) السبرد الموشى في صناعة الأنشاء، تحقيق عفاف سيد صبرة، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.

- ابن كثير: (عماد الدين بن عمر القرشي ، ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢ م)
البداية والنهاية، تحقيق عبد الرحمن اللاوي، محمد غازي بيضون، بيروت،
دار المعرفة، الطبعة الأولى، الطبعة الثانية، ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٧ م.

- ابن كنان: (محمد بن عيسى بن كنان الصالحى الدمشقي، ت ١١٥٣هـ/
١٧٤٠م)

المواكب الإسلامية في الممالك والمحاسن الشامية، تحقيق حكمت إسماعيل،
دمشق، وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، ١٩٩٣ م.

- ابن منظور: (محمد بن مكرم بن منظور ، ت ٧١١هـ/ ١٣١١ م)
لسان العرب، بيروت ، دار صادر، الطبعة الأولى.

- ابن مماتي: (أسعد بن مماتي ، ت ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩ م)
جمعه وحققه عزيز سوريال عطيه، القاهرة، ١٤١١هـ/ ١٩٩١ م.

- ابن ميسر: (محمد بن على بن يوسف ، ت ٦٦٧هـ/ ١٢٧٨ م)
المنتقى في أخبار مصر، تحقيق، أيمن فؤاد سيد، القاهرة، المعهد العلمي
الفرنسي للآثار الشرقية، من غير تاريخ طبع.

- ابن ناظر الجيش: (تقي الدين عبد الرحمن بن محمد التميمي الحلبي، ت
٧٧٨هـ/ ١٣٧٦ م)
كتاب تنقيف التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق رودلف قسلي، القاهرة،
المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، من غير تاريخ طبع.

- ابن واصل: (جمال الدين محمد بن سالم، ت ٦٩٧هـ/ ١٢٩٧ م)
مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق حسنين محمد ربيع، سعيد عبد
الفتاح عاشور، دار الكتب، ١٩٧٧ م.

- ابن الوردي: (زين الدين محمد ابن الوردي (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٩ م)،
١- تئمة المختصر في أخبار البشر (تاريخ ابن الوردي)، بيروت، دار
الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦ م.

٢- خريدة العصر وفريدة العجائب، بيروت، المكتبة الشعبية، من غير تاريخ طبع.

- ابن الوكيل: (يوسف اللمواني، ت ١١٣١هـ/ ١٧١٩م)
تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب، تحقيق محمد الششتاوي، القاهرة، دار الآفاق العربية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/
١٩٩٩م

- أبو شامة: (شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي، ت ٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م)،

١- تراجم رجال القرنين السادس والسابع (المعروف بالذيل على الروضتين)، بيروت، دار الجيل، الطبعة الأولى، ١٩٤٧م، الطبعة الثانية، ١٩٧٤م.

٢- مختصر كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق محمد بن حسن، جدة، دار الأندلس الخضراء، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

- أبو الفداء: (عماد الدين إسماعيل، ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م)
١- تقويم البلدان، تحقيق رينود البارون مارك كوكين دبسلان، باريس، دار الطباعة السلطانية، ١٨٤٠م.
٢- المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية بمصر، من غير تاريخ طبع
٣- الليواقيت والضرب في تاريخ حلب، تحقيق محمد كمال، فالح البكور، حلب، دار القلم العربي، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

- أبو الفداء: (زين الدين قاسم بن قطلو بغا، ت ٨٧٩هـ/ ١٤٧٤م)
تاج التراجم، تحقيق محمد خير رمضان يوسف، دمشق، دار القلم، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

- الأحذب: (نجم الدين حسن الرماح، ت ٦٩٥هـ/ ١٢٩٥م)
الفروسية والمناصب الحربية، تحقيق عيد ضيف العبادي، من غير تاريخ طبع.

- الأسحاقى: (محمد بن عبد المعطي بن أبي الفتح بن أحمد بن المفتي)
كتاب أخبار الأول، مكتبة القاهرة، من غير تاريخ طبع.
- أسطفان الدويهي: (أسطفان الدويهي)
تاريخ الأزمنة، تحقيق الأب بطرس فهد، بيروت، دار الحد خاطر، من غير تاريخ طبع.
- الأسنوي: (جمال الدين بن عبد الرحيم، ت ٧٧٢هـ/ ١٣٧٠م)
طبقات الشافعية، تحقيق، عبد الله الجبور، دار العلوم، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
- إدريس: (عماد الدين إدريس، ت ٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م)
تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب من كتاب عيون الأخبار، تحقيق محمد اليعلاوي، الطبعة الأولى، ١٩٨٥هـ.
- أرنبغا الزردكاش:
الأنيق في المنجانيق، تحقيق نبيل محمد عبدالعزيز، القاهرة، ١٩٨١م.
- البصروي: (علاء الدين على بن يوسف بن أحمد، ت ٩٠٥هـ/ ١٤٩٩م)
تاريخ البصري، صفحات مجهولة من تاريخ دمشق في عصر المماليك من سنة ٨٧١هـ/ ٩٠٤م، تحقيق أكرم العلي، دار المأمون للتراث، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- البغدادي: (صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق، ت ٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م)
مرصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق على محمد البجاوي، مصر، عيسى البابي الحلبي، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م.
- البقاعي: (إبراهيم بن عمر البقاعي)
إظهار العصر لأسرار أهل العصر (أو تاريخ البقاعي)، تحقيق محمد سالم بن شديد العوفي، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

- البكرجي الحنفي: (علاء الدين مغلطاي بن قليج بن عبد الله) ت ٧٦٢هـ /
(١٣٦٠م)

مختصر تاريخ الخلفاء، تحقيق آسيا لكيان، دار الفخر للنشر، ٢٠٠١م.

- يببرس المنصوري: (ركن الدين يببرس المنصوري الدودار، ت ٧٢٥هـ /
(١٣٢٤م)

١- التحفة المملوكية في الدولة التركية تاريخ دولة المماليك البحرية في
الفترة من ٦٤٨ - ٧١١هـ، تحقيق عبد الحميد صالح حمدان، الدار
المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

٢- زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، تحقيق دونالد س. رينشار، بيروت،
١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.

٣- مختار الأخبار تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحرية سنة ٧٠٢
هـ، تحقيق عبد الحيد صالح حمدان، الدار المصرية اللبنانية، من غير
تاريخ طبع.

- البنداري الأصفهاني: (الفتح بن علي بن محمد البنداري، ت ٦٤٣هـ /
(١٢٤٥م)

١- تاريخ دولة آل سلجوق، دار الآفاق الجديدة، الطبعة الثانية، ١٩٧٨م.
٢- سنا البرق الشامي ٥٦٢هـ / ١١٦٦م - ٥٨٣هـ / ١١٧٨م، أختصار
الفتح بن علي البنداري من كتاب البرق الشامي للعماد الأصفهاني، تحقيق
فتحية النبراوي، مصر، مكتبة الخانجي، ١٩٧٩م.

- تقي الدين الداري: (المولى تقي الدين بن عبد القادر التميمي الداري الغزي
ت ١٠٠٥هـ / ١٠١٠م)
الطبقات السنية في تراجم الحنفية، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، الرياض،
دار الرفاعي، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

- الحسيني: (صدر الدين علي الحسيني، ٥٧٥هـ / ١١٨٠م)
أخبار الدولة السلجوقية، تحقيق محمد أقبال، بيروت، دار الآفاق الجديدة،
الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

- الحميري: (محمد بن عبد المنعم الحميري ، ت ٩٠٠هـ / ١٤٩٤م)
الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان،
١٩٧٥م.

- الحنبلي: (أحمد بن إبراهيم، ت ٨٧٦هـ / ١٤٧١م)
شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، تحقيق ناظم سيد، العراق، وزارة
الثقافة، ١٩٧٨م.

- الحنبلي: (مجير الدين الحنبلي)
الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، مكتبة الجيل، ١٩٧٣م.

- الجيلاني: (عبد القادر الجيلاني، ت ٥٦١هـ / ١١٦٥م)
١- الأوراد القادرية، دار الألباب، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢.
٢- السفينة القادرية (شرح الصلاة الصغرى مع شرح حزب الوسيلة)،
دار الألباب، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.
٣- الغنية (طريق الحق في الأخلاق الإسلامية والتصوف والأداب)،
وكتاب الفتح الرباني والفيض الرحماني، دار الألباب، من غير تاريخ طبع.

- الديار بكري: (حسن بن محمد بن الحسن الديار بكري)
تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، بيروت، مؤسسة شعبان، من غير
تاريخ طبع.

- الذهبي: (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، ت ٧٤٨هـ / ١٣٧٤م)
١- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر عبد السلام
تدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.
٢- ذيل تاريخ الإسلام، تحقيق مازن بن سالم باوزير، دار المغني للنشر
والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.
٣- دول الإسلام، تحقيق، فهم شلتوت، محمد مصطفى، الهيئة المصرية
العامة للكتاب، ١٩٧٤.
٤- العبر في خبر من غبر، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد، بيروت، دار
الكتب العلمية، من غير تاريخ طبع.

٥- سير أعلام النبلاء، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤١٨ هـ/١٩٩٧ م.

٦- ذيل العبر، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد، بيروت، دار الكتب العلمية، من غير تاريخ طبع.

- الزبيدي: (المرتضى الزبيدي، ت ١٢١٣ هـ/١٧٩٨ م) ترويح القلوب في مناقب بني أيوب، تحقيق صلاح الدين المنجد، دمشق، دار الكتب الجديد، الطبعة الأولى، ١٩٦٩ م، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٣.

- سبط ابن الجوزي: (أبو المظفر يوسف بن قزاوغي، ت ٦٥٤ هـ/١٢٥٦ م)، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، حيدر آباد، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الأولى، ١٣٧٠ هـ/١٩٥١ م؛ طبعة أخرى، تحقيق ودراسة مسفر بن سالم الغامدي، مكة المكرمة، جامعة أم القرى معهد البحوث العلمية وإحياء التراث، مركز إحياء التراث الإسلامي، ١٤٠٧ هـ/١٩٨٧ م.

- السبكي: (تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي، ت ٧٧١ هـ/١٣٦٩ م)

١- طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو، الطبعة الأولى، من غير تاريخ طبع.

٢- معيد النعم ومبيد النقم، مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ/١٩٨٦ م.

- السخاوي: (محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان ، ت ٩٠٢ هـ/١٤٩٦ م)

١- كتاب التبر المسبوك في ذيل السلوك، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، من غير تاريخ طبع.

٢- الذيل التام على دول الإسلام للذهبي، تحقيق حسن إسماعيل مروة، دار العروبة، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ/١٩٩٨ م.

٣- الذيل على رفع الأصغر أو بغية العلماء والرواة، تحقيق جواد هلال، محمد صبح، الدار المصرية للتأليف والترجمة، من غير تاريخ طبع.

٤- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، مكتبة الحياة، من غير تاريخ طبع.

٥- وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام، تحقيق بشار عواد ، عصام الحرساني، أحمد الحظيمي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

٦- الذيل على رفع الأصرر أوبغية العلماء والرواة، تحقيق جودة هلال، محمد محود صبح، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، من غير تاريخ طبع.

- السنامي: (عمر بن محمد بن عوض، ت ٦٩٦هـ/ ١٢٩٧م) نصاب الاحتساب، تحقيق مريزن سعيد مريزن، مكتبة الطالب الجامعي، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

- السيوطي: (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م) ١- تاريخ الخلفاء، بيروت، دار الكتب العلمية، من غير تاريخ طبع. ٢- حسن المحاضر في أخبار مصر والقاهرة، تحقيق خليل المنصور، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م. ٣- ذيل طبقات الحفاظ للذهبي، تحقيق زكريا عميرات، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

- شافع العسقلاني: (شافع بن علي الكاتب العسقلاني، ت ٧٣٠هـ/ ١٣٣٠م) الفضل المأثور في سيرة الملك المنصور، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، بيروت، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

- شاهين الظاهري: (زين الدين عبد الباسط بن خليل، ت ٩٢٠هـ/ ١٥١٤م) نيل الأمل في ذيل الدول، بيروت، المكتبة العصرية، من غير تاريخ طبع.

- الشوكاني: (محمد بن علي، ت ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، القاهرة، مطبعة السعادة، الطبعة الأولى، ١٣٤٨هـ.

- الشهرستاني: (محمد عبد الكريم ابن أبي بكر أحمد، ت ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م) الملل والنحل، تحقيق محمد سيد كيلاني، بيروت، دار المعرفة، ١٤٠٠هـ/

١٩٨٠م. نسخة أخرى ، خرجه محمد بن فتح الله بدران، القاهرة، مطبعة الأزهر، ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م.

- شيخ الربوة: (شمس الدين محمد بن أبو طالب الأنصاري، ت ٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م)

نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، بيروت، دار أحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

- الشيزري: (عبد الرحمن بن نصر الله ، ت ٥٨٩هـ/١١٩٣م)
نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق السيد الباز العريني، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

- الصفدي: (صلاح الدين خليل بن أيبك ، ت ٧٦٤هـ/١٣٢٦م)
١- أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق على أبو زيد، نبيل أبوعمه، محمد موعد، محمود سالم، بيروت، دار الفكر المعاصر ، دمشق، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.
٢- تحفة ذوي الألباب فيمن حكم بدمشق من خلفاء والملوك والنواب، تحقيق إحسان سعيد، زهير حميدان الصمام، دمشق، وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، ١٩٩٢م.
٣- نكت الهيمن في نكت العميان، المطبعة الجمالية دار المدينة، ١٣٢٩هـ/١٩١١م.

٤- الوافي بالوفيات، فرانز شتاير بقيسبادن، ١٣٨١هـ/١٩٦٢م، وطبعة بتاريخ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

- الصيرفي: (على بن داود الجوهري، ت ٨٤٢هـ/١٤٣٨م)
١- أنباء الهصر بأبناء العصر، تحقيق حسن الحبشي، القاهرة، دار الفكر العربي ، ١٩٧٠م.
٢- نزهة النفوس والأبدان، تحقيق حسن الحبشي، مطبعة دار الكتب، ١٩٧٠م.

- العبادي:
ذيل طبقات الفقهاء الشافعيين، تحقيق أحمد عمر هاشم، محمد زينهم، مكتبة الثقافة الدينية، من غير تاريخ طبع.
- العصامي: (عبد الملك بن حسين بن عبد الملك، ت ١١١١هـ/ ١٦٩٩م)
سمط النجوم العوالي في إنباء الأوائل والتوالي، المطبعة السلفية ومكتبتها، من غير تاريخ طبع.
- العمري: (شهاب الدين أبو عباس أحمد بن يحيى، ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م)
١- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق دورينا كرافوالسكي، بيروت، المركز الإسلامي للبحوث، الطبعة الأولى، ١٤٠٦-١٤٠٧هـ/ ١٩٨٤-١٩٨٥م.
٢- التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق محمد حسين شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، من غير تاريخ طبع.
- العيني: (بدر الدين محمود، ت ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م)
١- الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ططر، تحقيق هانس أرنست، دار أحياء الكتب العربية، ١٩٦٢م.
٢- السيف المهند في سيرة الملك المؤيد شيخ المحمودي، تحقيق فهم شلتوت، القاهرة، دار الكاتب العربي، ١٩٦٦-١٩٦٧م.
٣- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق محمد أمين، القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، وجزء تحقيق عبد الرزاق القرموط، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.
- غرس الدين الظاهري: (غرس الدين خليل بن شاهين، ت ٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م)
زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، تحقيق بولس رادلي، باريس، مطبعة الجمهورية، ١٨٩٤.
- الغزي: (نجم الدين محمد بن محمد، ت ١٠٦١هـ/ ١٦٥٠م)
الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، تحقيق خليل المنصور، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

- الغياثي: (عبد الله بن فتح الله الغياثي)
تاريخ الغياثي الفصل الخامس من ٦٥٦-٨٩١هـ/١٢٥٨-١٤٨٦م،
تحقيق طارق نافع الحمداني، بغداد، مطبعة أسعد، ١٩٧٥م.
- الفاسي: (تقي الدين محمد بن أحمد الحسني الفاسي المكي، ت ٨٣٢هـ/
١٤٢٨م)
العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، الجزء الثالث، تحقيق فؤاد سيد،
القاهرة، مطبعة السنة المحمدية، ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م.
- القرمانلي: (أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي، ت ١١٠٩هـ/١٦١٠م)
أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤١٢
هـ/١٩٩٢.
- ١ لقزويني: (زكريا بن محمد بن محمود، ت ٦٨٢هـ/١٢٨٣م)
آثار البلاد و أخبار العباد، بيروت، دار صادر، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.
- القلقشندي: (أبو العباس أحمد بن علي، ت ٨٢١هـ/١٤١٨م)
١- أصبح الأعشى في صناعة الأنشأ، وزارة الثقافة والأرشاد القومي
المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، من غير تاريخ طبع.
٢- مآثر الأنافة في معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار أحمد فرج، من غير
تاريخ طبع.
- المسعودي: (أبو الحسن علي بن الحسين، ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م)
مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق سعيد محمد اللحام، بيروت، الطبعة
الأولى، دار الفكر، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
- مجهول:
خزانة السلاح، تحقيق نبيل محمد عبد العزيز، القاهرة، الأنجلو المصرية،
١٩٧٨م.

- المقدسي: (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن البناء البشاري، ت بعد ٣٧٥هـ / ٩٨٥م)

أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، وضع مقدمته وهوامشه، محمد مخزوم، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م.

- المقرئزي: (أحمد بن علي بن عبد القادر، ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م)

١- اتعاط الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق محمد حلمي، القاهرة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م.

٢- تاريخ الأقباط (المعروف بالقول الأبريزي)، تحقيق عبد المجيد دياب، القاهرة، ١٩٩٨م.

٣- درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، تحقيق عدنان درويش، دمشق، وزارة الثقافة الجمهورية السورية، ١٩٩٥م.

٤- الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، تحقيق جمال الدين الشيال، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.

٥- السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.

٦- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (المعروف بالخطط المقرئزية)، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، من غير تاريخ طبع.

٧- المقفى الكبير، تحقيق محمد اليعلاوي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ / ١٩٩١م.

- الملطي: (عبد الباسط بن خليل بن شاهين الملطي، ت ٩٢٠هـ / ١٥١٤م)

نزهة الأساطين فيمن ولي مصر من سلاطين، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين علي، مكتبة الثقافة الدينية، من غير تاريخ طبع.

- النابلسي: (عثمان بن إبراهيم، ت ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م)

لمع القوانين المضيئة في دواوين الديار المصرية، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية.

- النسوي: (محمد بن أحمد المنشي، كان حياً قبل ٦٣٩هـ)
سيرة جلال الدين منكبرتي، تحقيق حافظ حمدي، القاهرة، ١٩٥٣م.
- النعيمي: (عبد القادر بن محمد الدمشقي، ت ٩٢٧هـ/١٥١٢م)
المدارس في تاريخ المدارس، تحقيق جعفر الحسيني، مكتبة الثقافة الدينية،
١٩٨٨م.
- النويري: (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، ت ٧٣٣هـ/١٣٣٢م)
نهاية الأرب في فنون الأدب، الجزء السابع والعشرين، تحقيق سعيد عبد
الفتاح عاشور، محمد زيادة، فؤاد الصياد، الهيئة المصرية العامة للكتاب،
١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
- الجزء الثامن والعشرين، تحقيق محمد أمين، مركز تحقيق التراث
الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- الجزء الثلاثون، تحقيق، مركز تحقيق التراث الهيئة المصرية العامة
للكتاب، الجزء الواحد والثلاثون، تحقيق الباز العريني، مركز تحقيق
التراث الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
- الجزء الثاني والثلاثون، تحقيق فهم محمد علوي، القاهرة، دار الكتب
المصرية، ١٩٩٨م.
- الجزء الثالث والثلاثون، تحقيق مصطفى حجازي، القاهرة، دار الكتب
المصرية، ١٩٩٧م.
- الفويري السكندري: (محمد بن قاسم بن محمد، ت ٧٧٥هـ/١٣٧٢م)
الأعلام بما جرت به الأحكام والأمور المقتضية في وقعة الأسكندرية،
تحقيق عزيز سوريال، حيدر آباد، دار المعارف العثمانية، ١٣٩٣هـ/
١٩٧٣م.
- الهمذاني: (رشيد فضل الله بن عماد الدولة أبو الخير، ت ٧١٨هـ/١٣١٨م)
جامع التواريخ، نقله إلى العربية فؤاد عبد المعطي الصياد، راجعه يحيى
الخشاب، بيروت، دار النهضة العربية، الطبعة الأولى، ١٩٨٣.

- اليافعي: (عبد الله بن سعد، ت ٧٦٨هـ/١٣٦٦م)
مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان،
القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
- ياقوت الحموي: (شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي
البغدادي، ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م)
١- معجم البلدان، بيروت، دار صادر، ١٩٩٣/١٩٩٤م؛ طبعة أخرى،
بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
٢- المشترك وضعاً والمفترض صقلاً، بيروت، عالم الكتب، الطبعة
الثانية، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
- اليونيني: (موسى بن أحمد بن قطب الدين، ت ٧٢٦هـ/١٣٢٦م)
ذيل مرآة الزمان، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤١٣
هـ/١٩٩٢م.

ثبت المراجع

- أبو حجر: آمنة
الموسوعة الجغرافية لبلدان العالم، عمان، دار أسامة للنشر، الطبعة
الأولى، ٢٠٠١م.
- الألفي: أبو صالح
الفن الإسلامي، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٤م.
- أسكندر: فائز نجيب
دراسة لاتفاقية التجارة بين طرابزون والبندقية، الأسكندرية، ١٩٨٣م.
- أطلس: مصطفى
المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري، المؤسسة العامة لمساحة
دمشق، مركز الدراسات العسكرية، ١٩٩٢م.

- أنيس: محمد
الدولة العثمانية والشرق العربي (١٥١٤-١٩١٤)، القاهرة، مكتبة
الأنجلو المصرية، ١٩٩٣م.
- الباشا: حسن
١- الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، القاهرة، دار النهضة
العربية- ١٩٧٨م.
٢- دراسات في الحضارة الإسلامية، القاهرة، دار النهضة العربية،
١٩٨٨م.
- باشا: محمد مختار
كتاب التوقيعات الإلهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنيين
الإفرنكية والقبطية، دراسة وتحقيق وتكملة محمد عمارة، المؤسسة العربية
للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
- البرجاوي: سعيد أحمد
الحروب الصليبية في المشرق، بيروت، دار الأفاق الجديدة، طبعة
الأولى ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
- البقلي: محمد قنديل
التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، الهيئة المصرية العامة للكتاب،
١٩٨٣م.
- تدمري: عمر عبد السلام
تاريخ طرابلس السياسي والحضاري عبر العصور عصر الصراع
العربي- البيزنطي- الحروب الصليبية، بيروت، مؤسسة الرسالة،
الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، طرابلس، دار الإيمان،
الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

- الجورانة: أحمد
تاريخ الأردن في العصر المملوكي، منشورات الجنة تاريخ الأردن ٦٢
، من غير تاريخ طبع.
- جمعة : بديع، أحمد الخولي
تاريخ الصفويين وحضارتهم، دار الرائد العربي، الطبعة الأولى ،
١٩٧٦م.
- جوده: صادق أحمد داود
المدرسة العسرونية في بلاد الشام، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦
هـ/١٩٨٩م.
- الحجى: حياة ناصر
السلطان محمد بن قلاوون ونظام الوقف في عهده مع تحقيق ودراسة
"وثيقة وقف سرياقوس"، الكويت، مكتبة الفلاح، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/
١٩٨٣م.
- حران: تاج السر أحمد حران
المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام، بلاد الشام في علاقات الممالك
والعثمانيين منذ النصف الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي وحتى
الفتح العثماني ١٥١٦، بيروت، الدار المتحدة للنشر، الطبعة الأولى، ١٩٧٤م.
- حريري: محمد محمد عبد الرحمن
المسكن في العمارة الإسلامية صحن الدار والتطلع إلى السماء ،
الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/١٩٩١م.
- حسن: حسن إبراهيم
تاريخ الإسلام السياسي والاجتماعي، ٤ أجزاء، مكتبة النهضة المصرية
، الطبعة السابعة، ١٩٦٤م.

- حسن: على إبراهيم
تاريخ الممالك البحرية، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية، ١٩٦٧
- حليم : إبراهيم بك
التحفة الحليمية (تاريخ الدولة العثمانية العلية)، مؤسسة الكتب الثقافية،
الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- الحمصي: أحمد فائز
روائع العمارة العربية الإسلامية في سورية، من غير تاريخ طبع.
- حميدة: عبد الرحمن
جغرافية الوطن العربي، بيروت، دار الفكر المعاصر، الطبعة الأولى،
١٤١٠هـ.
- الخبروزي: عليه عبد السميع
١- إمارة الرها الصليبية، القاهرة، ١٩٨٦م.
٢- الثغور البرية الإسلامية على حدود الدولة البيزنطية، القاهرة،
١٩٧٩م.
- خليل: عماد الدين
١- الإمارة الأرتقية في الجزيرة والشام، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٠هـ/
١٩٨٠م.
٢- نور الدين محمود الرجل والتجربة، بيروت، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
- الدراج : أحمد
الممالك والفرنج في القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي،
القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٦١م.
- دهيش: عبد اللطيف
قيام الدولة العثمانية، من غير طبعة.

- دهمان: محمد أحمد
١-العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك، دمشق، دار الفكر،
الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
٢-معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دمشق، دار الفكر،
الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.
- دياب: صابر محمد
المسلمون وجهادهم ضد الروم في أرمينية والثغور الجزرية والشامية
خلال القرن الرابع الهجري، مكتبة السلام العالمية، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
- ربيع: حسنين محمد
دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، دار النهضة، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- الرحموني: محمد الشريف
نظم الشرطة في الإسلام إلى أواخر القرن الرابع الهجري، الدار
العربية الكتب، من غير تاريخ طبع.
- رضوان: نبيل عبد الحي
١-جهود العثمانيين لاسترداد الأندلس، مكة المكرمة، مكتبة الطالب
الجامعي، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
٢-القوة العثمانية بين البر والبحر، مكة المكرمة، دار الثقافة، ١٤١٤
هـ / ١٩٩٣م.
- الرفاعي: أنور
النظم الإسلامية، من غير طبعة.
- الرمال: غسان علي محمد
صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الأحمر خلال القرن العاشر
الهجري/ السادس عشر الميلادي، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م.

- رمضان: آمال عبد الحميد
الحياة العلمية في الإسكندرية في العصر المملوكي (٦٤٨-٩٢٣هـ)
- (١٢٥٠-١٥١٧م) ، القاهرة، مطبعة العمرانية للأوفست، ١٤٢٣هـ /
٢٠٠٢م.
- رمضان: رمضان أحمد
١- شبة جزيرة سيناء في العصور الوسطى، مطابع شركة الاعلانات
الشرقية، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م.
٢- المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، من
غير طبعة.
- رمضان: عبد العظيم
تاريخ المدارس في مصر الإسلامية، القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب،
١٩٩٢م.
- زكريا: أحمد وصفي
عشائر الشام، دمشق، دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- زكريا: جمال
تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر (إمارات الخليج العربي في
عصر التوسع الأوربي الأول (١٥٠٧-١٨٤٠)) ، دار الفكر العربي،
١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.
- زكي : عبد الرحمن
١- الجيش المصري في العصور الوسطى، من غير طبعة.
٢- السلاح في الإسلام، القاهرة، ١٩٥١م.
- الزهراني: ضيف الله يحيى
النفقات وإدراتها في الدولة العباسية من سنة ١٣٢-٣٣٤هـ / ٧٤٩-
٩٤٥م، الأردن ، مكتبة المنار، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

- الزهراني، عادل محمد نور غباشي
تاريخ مكة المكرمة التجاري، الغرفة التجارية الصناعية بمكة
المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.
- زيدان: جرجي
مصر العثمانية، تحقيق محمد حرب، دار الآفاق، من غير تاريخ طبع.
- زيدان : عبد الكريم
نظام القضاء في الشريعة الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/
١٩٨٤م.
- سالم: السيد عبد العزيز
١- تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة ،
الإسكندرية ، من غير تاريخ طبع.
٢- تاريخ مدينة صيدا في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة،
الإسكندرية، ١٩٨٦م.
٣- تاريخ الأسكندرية وحضارتها، القاهرة، ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م.
٤- طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة،
الإسكندرية، من غير تاريخ طبع.
- سالم، وسحر عبد العزيز سالم
دراسة في تاريخ الأيوبيين والمماليك، مؤسسة شباب الجامعة،
الأسكندرية، ١٩٩٧م.
- سبانو: أحمد غسان
مملكة حماة الأيوبية، دمشق، دار قتيبة، ٢٠٠٠م/١٩٨٤.
- سرور: جمال الدين
١- دولة بني قلاوون في مصر الحالة السياسية والاقتصادية في
عهدا بوجه خاص، دار الفكر العربي، من غير تاريخ طبع.
٢- دولة الظاهر بيبرس في مصر، دار الفكر العربي، ١٩٦٠م.

- سعداوي: نظير حسان
نظام البريد في الدولة الإسلامية، القاهرة، ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م.
- سعيد: إبراهيم حسن
البحرية في عصر سلاطين المماليك، دار المعارف، ١٩٨٣.
- السيد: أديب
أرمينية في التاريخ العربي، الطبعة الأولى، ١٩٧٢م.
- سليمان : أحمد عبد الكريم
١- تيمورلنك ودولة المماليك الجراكسة مع مقال الكاتب اللاتيني دي مخنانللي عن حياة تيمورلنك، دار النهضة العربية، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.
٢- المغول والمماليك حتى نهاية عصر بيبرس ٦٤٨هـ/٦٧٦هـ، دار النهضة العربية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.
- الشامي: صلاح الدين وزين الدين عبد المقصود
جغرافية العالم الإسلامي، الاسكندرية، منشأة المعارف، ١٩٨٧م.
- شامي: يحي
موسوعة المدن العربية والإسلامية، بيروت، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.
- شباور: عصام محمد
السلطين في المشرق العربي (المماليك معالم دورهم السياسي الحضاري ٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٩٤م.
- شلبي: محمود
حياة الملك الظاهر بيبرس الأسد الضاري قاهر التتار ومدمر الصليبيين ، بيروت، دار الجيل، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

- الشناوي: عبد العزيز محمد
الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، القاهرة، مكتبة انجلو
المصرية، ١٩٨٠م.
- آل الشيخ: عبد الرحمن حسن
فتح المجيد في كتاب التوحيد، الرياض، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- الصباغ: عباس إسماعيل
تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية الحرب والسلام بين العثمانيين
والصفويين، بيروت، دار النفائس، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
- صبرة: عفاف سيد
١- التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧
هـ/١٩٨٧م.
٢- العلاقات بين الشرق والغرب علاقة البندقية بمصر والشام من الفترة
١١٠٠هـ/١٤٠٠م، القاهرة، ١٩٨٣م.
- الصابوني: أحمد إبراهيم
تاريخ حماة، مطبعة حماة ، طبعة الأولى، ١٣٣٢م.
- الصلابي: على محمد
الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، دار التوزيع
والنشر، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.
- الصياد: فؤاد عبدالمعطي
المغول في التاريخ، بيروت، دار النهضة ، ١٩٨٠م.
- الصيرفي: نوال حمزة
النفوذ البرتغالي في الخليج في القرن ١٠هـ/١٦م، الرياض، دار
الملك عبد العزيز، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

- الطروانه: طه ثلجي
مملكة صفد في عهد المماليك، بيروت، دار الآفاق الحديث، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- طقوش: محمد سهيل
١- تاريخ الزنكيين في الموصل وبلاد الشام، بيروت، دار النفائس، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.
٢- تاريخ الأيوبيين في مصر والشام والجزيرة، بيروت، دار النفائس، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
٣- تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، بيروت، دار النفائس، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
- طرخان: إبراهيم
مصر في عصر ممالك الجراكسة، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، من غير تاريخ طبع.
- طعمية: صابر
دراسات في القرن الشيعة، النصرية، الباطنية، الصوفية، الخوارج، الرياض، ١٤٠٣هـ.
- عاشور: سعيد عبد الفتاح
١- بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، سلطنة المماليك ومملكة أرمينية الصغرى، جامعة بيروت العربية ١٩٧٧م.
٢- الأيوبيين والمماليك في مصر والشام، دار النهضة العربية، الطبعة ١٩٧٦م.
٣- الحركة الصليبية، من غير طبعة.
٤- العصر المماليكي، القاهرة، دار النهضة العربية، الطبعة الثانية، ١٩٧٦م.
٥- قبرص والحروب الصليبية، القاهرة، ١٩٥٧
٦- تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، بيروت، دار النهضة، ١٩٧٦م.

٧- تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، بيروت، دار النهضة العربية،
١٩٧٢م.

- عاشور: فايد حماد محمد
جهاد المسلمين في الحروب الصليبية العصر الفاطمي والسلجوقي
والزنكي، مؤسسة الرسالة، من غير تاريخ طبع.

- العبادي: أحمد مختار
قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام، بيروت، دار النهضة
العربية، ١٩٦٩م.

- العبادي، عبد العزيز سالم
تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام، بيروت، دار الأحد، طبعة
١٩٧٢.

- عبد الجواد: توفيق أحمد
تاريخ العمارة العصور المتوسطة الأوربية والإسلامية، من غير
طبعة.

- عبد الحافظ: عادل
نيابة حلب في عصر سلاطين المماليك، الهيئة المصرية العامة
للكتاب، ٢٠٠٠م.

- عبد الحلیم : رجب محمد
انتشار الإسلام بين المغول، القاهرة، من غير تاريخ طبع.

- عبد العزيز: نبيل
الخيول ورياضها في عصر سلاطين المماليك، القاهرة، ١٩٧٦م.

- عبد النبي: ناجلا محمد
مصر والبندقية العلاقات السياسية والاقتصادية في عصر المماليك،
عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

- العبيدي: صلاح الدين حسين
الملابس العربية الإسلامية في العصر العباسي الثاني، بغداد، مكتبة
الوطنية ، ١٩٨٠م.
- عتريس: محمد
معجم البلدان العالم آخر التطورات السياسية ، أحداث، البيانات
الاحصائية، جغرافي، اقتصادي ، تاريخي، سياسي، القاهرة، دار الثقافة
للنشر، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.
- العدوي: إبراهيم أحمد
قوات البحرية في مياه البحر المتوسط ، مصر، مكتبة النهضة بالفجالة،
من غير تاريخ طبع.
- العريني: السيد الباز
١- الدولة البيزنطية ٣٢٣-١٠٨١م، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨٢م
٢- المغول، بيروت، دار النهضة العربية، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
- العش: محمد أبو الفرج
آثارنا في سورية العربية، دمشق، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤١٣
هـ/١٩٨٣م.
- عشري: عثمان
الإسماعليون في بلاد الشام على عصر الحروب الصليبية، الخرطوم،
١٩٨٢-١٩٨٣م.
- عصفور: محمد أبو المحاسن
معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، بيروت، دار النهضة العربية،
١٩٨١م.

- عطا: زبيدة محمد
الترك في العصور الوسطى بيزنطية وسلاجقة الروم والعثمانيون،
دار الفكر العربي، من غير تاريخ طبع.
- علي : محمد كرد
خطط الشام ، الجزء الخامس والسادس، بيروت، دار العلم للملايين ،
١٣٩١هـ/١٩٧١م.
- علي: وفاء محمد
جهود المماليك الحربية ضد الصليبيين ، الاسكندرية، الجامعي
الحديثة، الطبعة الثانية، ١٩٩١م.
- العلبي: أكرم
١- تيمور لنك وحكايته مع دمشق، دمشق، دار المأمون للتراث،
الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
٢- دمشق عصر المماليك والعثمانيين ٩٠٦-٩٢٢هـ/١٥٠٠-١٥٢٠
م، دراسة تاريخية واجتماعية وثقافية واقتصادية، دمشق، الشركة المتحدة،
١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢ م.
- عمران: محمود سعيد
١- معالم تاريخ الأمبرطورية البيزنطية مدخل الدراسة التاريخ
السياسي والحربي، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨١م.
٢- المغول وأوربا، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٦م.
- عوض: محمد مؤنس
١- الزلازل في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، القاهرة،
١٩٩٦م.
٢- الرحالة الأوروبيون في مملكة بيت المقدس الصليبية ١٠٩٩-
١١٨٧م، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.

- أبو عليان: عزمي عبد
مسيرة الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين في عهد المماليك ٦٤٨-٩٢٣ هـ/١٢٥٠-١٥١٧م، الأردن، دار النفائس، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ.
- العيدروس: محمد حسن
دراسات في الخليج العربي، الكويت، دار الكتاب الحديثة، ١٩٩٩م.
- عيسى: أحمد
تاريخ البيمارستان في الإسلام، بيروت، دار رائد العربي، الطبعة الثانية ١٩٨١م.
- الغامدي: سعد بن محمد
سقوط الدولة العباسية، الطبعة الأولى، ١٤٠١ هـ، الطبعة الثانية، ١٤٠٣ هـ.
- الغامدي: عبد الله بن سعيد
١- صلاح الدين والصليبيون "استرداد بيت المقدس" المكتبة الفيصلية، ١٤٠٥ هـ/١٩٨٥م.
٢- جهاد المماليك ضد المغول والصليبيين في النصف الثاني من القرن السابع الهجري، مكة المكرمة، مركز البحوث العلمية بجامعة أم القرى، ١٤٠٦ هـ/١٩٨٦م.
٣- مقومات حركة الجهاد ضد الصليبيين زمن عماد الدين وأبنة نور الدين محمود، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، ١٤١٤ هـ.
- الغامدي: علي محمد
بلاد الشام قبيل الغزو المغولي، مكة المكرمة، ١٤٠٨ هـ/١٩٨٨م.
- غرايبة: عبد الكريم
العرب والأتراك دراسة لتطور العلاقات بين الأمتين خلال ألف سنة ، مطبعة جامعة دمشق، ١٣٨١ هـ/١٩٦١م.

- غنيم: حامد
١- عصر الدول المستقلة، القاهرة، ١٩٧٠م.
٢- الجبهة الإسلامية المتحدة، القاهرة، ١٩٨٣م.
- غوانمة: يوسف درويش
١- أمانة الكرك الأيوبية، عمان، دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ.
٢- تاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي، الأردن، دار الحياة، ١٩٨٢م.
٣- شرقي الأردن في عصر دولة المماليك الأولى "القسم الحضاري"، عمان، وزارة الثقافة والشباب، ١٩٧٩م.
- فرج: سالم عبد العزيز
دراسات في تاريخ وحضارة الدولة البيزنطية، الإسكندرية، مطبعة مصنع الإسكندرية للكراسي، من غير تاريخ طبع.
- فرغلي: أبو الحمد محمود
الدليل الموجز لأهم الآثار الإسلامية والقبطية في القاهرة، القاهرة، ١٤١١هـ/١٩٩١م.
- فهمي: نعيم زكي
طرق التجارة ومحطاتها في الشرق والغرب (أواخر العصور الوسطى)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣م.
- قاسم: قاسم عبده
عصر سلاطين المماليك التاريخ السياسي والاجتماعي، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ١٩٩٩م.
- الكحلوي: محمد محمد
آثار مصر الإسلامية في كتابات الرحالة المغاربة والأندلسيين، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

- الكرمللي: الأب انستاس
النقود العربية والإسلامية وعلم النمايات، القاهرة، مكتبة الثقافة
الدينية، الطبعة الثانية، ١٩٨٧م.
- الكيلاني: مؤيد
محافظة حماة، دمشق، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٦٤م.
- ماجد: عبد المنعم
١- طومان باي آخر سلاطين المماليك في مصر، مكتبة الأنجلو
المصرية، ١٩٧٨م.
٢- نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر، مكتبة الأنجلو
المصرية، الطبعة الثانية، ١٩٧٩م.
٣- الأطلس التاريخي للعالم الإسلامي في العصور الوسطى، رسم
خرائطه وحققه على البناء، دار الفكر العربي، الطبعة الثانية، ١٩٦٧م.
- ماهر: سعاد
١- البحرية في مصر الإسلامية، دار الكتاب العربي، من غير تاريخ
طبع، طبعة أخرى، جدة، دار المجمع العلمي بجدة، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
٢- العمارة الإسلامية على مر العصور، دار البيان العربي، من غير
تاريخ طبع.
- متولي: أحمد
الفتح العثماني لمصر والشام ومقدماته من واقع الوثائق والمصادر
التركية والعربية المعاصر له، دار النهضة، من غير تاريخ طبع.
- محسوب: محمد صبري
العالم العربي دراسة جغرافية، القاهرة، دار الفكر العربي، الطبعة
الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

- محمد: محمود وصفي
دراسات في الفنون العمارة العربية والإسلامية، الدمام، دار الأصلاح،
من غير تاريخ طبع.
- محمود: عبد الرحمن
قايتباي المحمودي، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٨م.
- محمود: علي عبد الحليم
الغزو الصليبي والعالم الإسلامي، المملكة العربية السعودية، عكاظ،
الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- مرسى: فاروق عبد العليم
القضاء في الشريعة الإسلامية دراسة مقارنة حكمة وشروطه
وآدابه، جدة، عالم المعرفة، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
- مزغلي: أبو الحمد محمود
الدليل الموجز لأهم الآثار الإسلامية والقبطية في القاهرة،
من غير طبعة.
- المصري: حسين مجيب
معجم الدولة العثمانية، مكتبة أنجلو المصرية، من غير تاريخ طبع.
- مصطفى: شاكر
المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام، تاريخ بلاد الشام من القرن السادس
إلى القرن السابع عشر (دخول الترك الغز إلى الشام)، بيروت، الدار
المتحدة للنشر، الطبعة الأولى، ١٩٧٤م.
- المعاضدي:
خاشع وسوادي عبد محمد ودريد عبد القادر نوري، تاريخ الوطن
العربي والغزو الصليبي، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م.

- موسى: على، محمد حربة
محافظة حماة دراسة طبيعية تاريخية بشرية اقتصادية، سورية،
منشورات وزارة الثقافة، ١٩٨٥م.
- مؤنس: حسين
رائد نصر المسلمين على الصليبيين نور الدين محمود سيرة مؤمن
صادق، جدة، الدار السعودية، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.
- نخبة من المؤرخين :
المنجد في الأعلام واللغة، بيروت ، دار المشرق ، ١٩٩٧م
- النبراوي: فتحية
تاريخ النظم والحضارة الإسلامية، الدار السعودية للنشر، الطبعة
السادسة، ١٤١٧هـ.
- النخيلي: درويش النخيلي
السفن الإسلامية على حروف المعجم، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٩م.
- النقاش: زكي
العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والافرنج خلال
الحروب الصليبية، دار الكتاب اللبناني، ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م.
- نعيم: سهير محمد
الحروب الصليبية المتأخرة حملة بطرس الأول لوزنجان على
الأسكندرية، القاهرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية
والاجتماعية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.
- نواب: عواطف محمد يوسف
الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في
القرنين السابع والثامن الهجريين دراسة تحليلية مقارنة، الرياض ، مكتبة
الملك فهد الوطنية ، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

- نوار: عبد العزيز سليمان
الشعوب الإسلامية الأتراك العثمانيون - الفرس - مسلمون الهند،
بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٧٣م.
- هاشم: محمود محمد
القضاء ونظام الأثبات في الفقه الإسلامي الوضعية، الرياض، جامعة
الملك سعود للنشر العلمي والمطابع، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م،
الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
- هلال: عادل إسماعيل محمد
العلاقات بين المغول وأوروبا وأثرها على العالم الإسلامي، عين
للدراستات والبحوث الأنسانية والاجتماعية، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.
- واكيم: سليم
إمبراطورية على صهوات الجياد، دار الكاتب العربي، من غير تاريخ
طبع.
- الوالي: طه
المسجد في الإسلام، بيروت، دار العلم للملايين، من غير تاريخ طبع.
- الوديناني: خلف
الفتح العثماني لجزيرة رودس ٩٢٩هـ/١٥٢٣م، مكة المكرمة، معهد
البحوث العلمية واهياء التراث الإسلامي، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
- ياغي: إسماعيل أحمد
الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، الرياض، مكتبة
العبيكان، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

ثبت الموسوعات:

- البستاني: بطرس
دائرة المعارف، مطبعة إسماعليات، تهران، من غير تاريخ طبع.
- شاكر: محمود
التاريخ الإسلامي العهد المملوكي ٦٥٦هـ/٩٢٣هـ، بيروت، المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة، ١٤١١هـ/١٩٩١م.
- شلبي: أحمد
موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة السابعة، ١٩٨٦م.
- زكي: إبراهيم ، أحمد الشناوي، عبد الحميد يونس
دائرة المعارف الإسلامية، القاهرة، دار الشعب، من غير تاريخ طبع.

ثبت الرسائل العلمية:

- أبو العنين: لطيفة أحمد
الحياة الاقتصادية في عكا في عصر الحروب الصليبية ٤٩١-٦٩٠هـ/١٠٩٧-١٢٩١م، رسالة دكتوراة، كلية الآداب للبنات بالدمام، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
- بابكور: عمر سالم
حزام الأمن العثماني حول الحرمين الشريفين في القرن العاشر الهجري، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.
- باعامر: محمد سالم
صلة الدولة التيمورية بالعالم الإسلامي في عهد تيمور لنك، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية الشريعة الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

- خياط: أحمد عبد الله
الاقطاع في الدولة الإسلامية حتى نهاية العصر العباسي الأول،
رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة، جامعة الملك عبد العزيز،
مكة المكرمة، ١٤٠٠-١٤٠١هـ / ١٩٨٠-١٩٨١م.
- شعوط: المعتصم بالله
جهاد العثمانيين ضد البيزنطيين حتى فتح القسطنطينية ٧٧٥-٨٥٧هـ
/ ١٣٥٤-١٤٥٣م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة
والدراسات الإسلامية، جامعة الملك عبد العزيز، ١٣٩٩-١٤٠٠هـ /
١٩٧٩-١٩٨٠م.
- الزاملي: يوسف إبراهيم الشيخ عيد
تحقيق المقتفى لتأريخ أبي شامة تأليف علي الدين القاسم بن محمد بن
يوسف البرازالي (٦٦٥-٧٣٩هـ)، ق ١ من الجزء ٢، رسالة دكتوراة،
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة،
١٤١٤-١٤١٥هـ / ١٩٩٤-١٩٩٥م.
- القثامي: متعب حسين
مملكة حماة في العصر الأيوبي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية
الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤١٣هـ
/ ١٩٩٣م.
- عبد الهادي: عادل محمد
عسقلان منذ منتصف القرن الرابع الهجري حتى النصف الثاني من
القرن السابع الهجري دراسة تاريخية وحضارية ٣٥٨-٦٦٩هـ / ٩٧٠-
١٣٧٠م، رسالة دكتوراة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم
القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.
- بن لادن: مريم محمد
دور ابن تيمية في الجهاد ضد المغول الأيلخانيين ٦٦١ إلى ٧٢٨هـ

، رسالة ما جستير غير منشورة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية،
جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

- المبارك: حصة ناصر

الناصر محمد بن قلاوون الحياة الاقتصادية في مصر، رسالة
ماجستير غير منشورة ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم
القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

ثبت الراجع الترجمة:

- أولسن: روبرت دبليو

حصار الموصل والعلاقات العثمانية الفارسية (١٧١٨-١٧٤٣م)
دراسة عن الثورة في العاصمة والحرب في إقليم الأمبرطورية
العثمانية، ترجمة عبد الرحمن بن الحاج أمين بك الجليلي، دار العلوم للطباعة
والنشر، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

- باركر: أرنست

الحروب الصليبية، تحقيق السيد الباز العريني، بيروت، دار النهضة
العربية، الطبعة الثانية، طبعة أخرى سنة ١٣٧٦هـ /١٩٦٧م.

- بالار: ميشيل

الحملة الصليبية والشرق اللاتيني من القرن الحادي عشر إلى
القرن الرابع عشر، ترجمة بشير السباعي، القاهرة، ٢٠٠٣م.

- براور: يوشع

الاستيطان في فلسطين مملكة بيت المقدس، ترجمة عبد الحافظ البنا،
الطبعة الأولى، ٢٠٠١م. عالم الصليبيين ، ترجمة وتقديم د/قاسم عبده قاسم
ود/ محمد خليفة عيون للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، الطبعة
الأولى، ١٩٩٩م.

- بروكلمان: كارل
تاريخ الشعوب الإسلامية، بيروت، دار العلم للملايين، الطبعة السابعة.
- بريل: أ.جي.
دائرة المعارف الإسلامية، من غير طبعة.
- بوزورث: كيلفود
الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، دراسة في التاريخ والأنساب، ترجمة حسين على اللبودي، مراجعة سليمان إبراهيم العسكري، الكويت، ١٩٩٥م.
- بيروج: أنتوني
تاريخ الحروب الصليبية، تحقيق أحمد غسان سبانو، نبيل الحيرودي، دار قتيبة، ١٩٨٥م.
- توراد: بيتر
الظاهر بيبرس، تحقيق محمد جديد، قدمس للنشر، من غير تاريخ طبع.
- توران: عثمان
الأناضول في عهد السلاجقة والإمارات التركمانية، تحقيق على بن محمد عودة الغامدي، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
- جوانفيل:
مذكرات جوانفيل، القديس لويس حياته وحملته على مصر والشام، ترجمة وتعليق حسن الحبشي، دار المعارف بمصر، الطبعة الأولى، ١٩٦٨م.
- جونز: أ.هـ.
بحوث في تاريخ بلاد الشام مدن بلاد الشام حين كانت ولايات رومانية، ترجمة إحسان عباس، دار الشرق، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.

- الجوهري: يسري عبد الرزاق
شمال أفريقية، الإسكندرية، دار الجامعات المصرية، ١٩٧٠م.
- الجويني: عطا ملك
تاريخ فاتح العالم جهانكشاي في تاريخ الخوارزميين والإسماعيلية
الحشاشين وفتح مدينة بغداد على يد هولاكو، ترجمة محمد التونجي، دار
الملاح، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- ديواريت: ول
قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، القاهرة، ١٩٨٣م. طبعة أخرى
القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والنشر، الطبعة الثانية، ١٩٦٥م.
- رنسيما: ستيفن
تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني، بيروت، دار
الثقافة، من غير تاريخ طبع، طبعة أخرى، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ/
١٩٩٣م.
- زامباور:
معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، أخرجه زكي
محمد حسن بك، وحسن أحمد محمود، بيروت، دار الرائد، من غير تاريخ
طبع.
- سرهنك: الميرالاي إسماعيل
تاريخ الدولة العثمانية، تقديم ومراجعة حسن الزين، بيروت، دار
الفكر، من غير تاريخ طبع.
- سمث: جوثان ريلي
١- الأسبترية فرسان القديس يوحنا في بيت المقدس وقبرص ١٠٥٠-١٣١٠
م، ترجمة العميد الركن صبحي الجابر، طلاس للترجمة والنشر، الطبعة
الأولى، ١٩٨٩م.

٢- ما الحروب الصليبية، ترجمة محمد فتحي الشاعر، القاهرة، دار الأمين، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.

- سوفاجيه: جان

دمشق الشام لمحة تاريخية منذ العصور القديمة حتى عهد الانتداب، ترجمة فؤاد أفرم البستاني، تحقيق أكرم العلبي، دمشق، ١٩٨٩م.

- فامبري: أرمينوس

تاريخ بخارى، ترجمة أحمد محمود الساداتي، القاهرة، مكتبة نهضة الشرق، الطبعة الثانية، ١٩٨٧م.

- فورزيوغ: يوحنا

وصف الأراضي المقدسة في فلسطين، ترجمة سعيد عبد الله البشاوي، عمان، دار الشروق، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

- فينز: فولفغاغ مولر

القلاع أيام الحروب الصليبية، ترجمة محمد وليد الجلال، دمشق، دار الفكر، الطبعة الأولى ١٩٨٢م، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

- كانتو: نورمان.ف.

التاريخ الوسيط قصة حضارة البداية والنهاية، ترجمة قاسم عبده قاسم، عين للدراسات والبحوث الإنسانية، ١٩٩٧م.

- كورزية: موريس

تاريخ الحضارة العام، دار المنشورات عويدات، الطبعة الرابعة، ١٩٩٨م.

- كلنيل: هورست

آثار سورية القديمة آثار من قبل الإسلام في الجمهورية السورية، ترجمة قاسم طوير، دمشق، منشورات وزارة الثقافة، من غير تاريخ طبع.

- كونل: أرنست
الفن الإسلامي، ترجمة أحمد موسى، بيروت، دار صادر، من غير تاريخ طبع.
- لامونت: جون.ل.
الحروب الصليبية والجهاد، الدوافع الدينية في الحروب الصليبية وحروب المسلمين ضد اللاتين في سورية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، بحث منشور ضمن كتاب عنوانه، دراسات إسلامية ضم مجموعة من البحوث لعدد من المستشرقين بإشراف نقولا زيادة، بيروت، ١٩٦٠م.
- لسترنج: كي
بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
- لويس: ارشيبالد ر.
القوى البحرية التجارية في حوض البحر المتوسط، ترجمة أحمد محمد عيسى، مراجعة وتقديم شفيق غريال، القاهرة، ١٩٦٠م.
- مورتيل: ريتشارد
الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي، الرياض، عمادة شؤون المكتبات جامعة الملك سعود، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
- ماير: إتش-إ-
تاريخ الحملات الصليبية، نقله إلى الإنجليزية: ج جلينجهام، وعربه محمد فتحي الشاعر، القاهرة، ١٩٩٩م.

- ماير: ل.أ.
الملابس المملوكية، ترجمة صالح الشيتي ، مراجعة وتقديم عبد الرحمن الفهمي محمد، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، من غير تاريخ طبع.
- موير: السير وليم
تاريخ دولة المماليك في مصر، ترجمة محمود عايد وسليم حسن، القاهرة، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
- هامر: السير.ا.
تاريخ العام، القاهرة، دار النهضة المصرية، من غير تاريخ طبع.
- هايد: ف.
تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ترجمة أحمد رضا محمد رضا، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م.
- ويلسون: لتفانت كولونيل سير ارنولد
تاريخ الخليج العربي، ترجمة محمد عبد الله، سلطنة عمان وزارة التراث، ١٤٠٢هـ/١٩٨١م.

ثبت الدوريات:

- الحجي: حياة ناصر
الوضع الاداري لطرابلس في العصر المملوكي، مجلة العربية للعلوم الإنسانية ، ٧٤ع.
- الراجحي: محمد
الدولة الدربندية في بلاد القوقاز، مجلة التاريخ العربي، ١٢ع، خريف ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

- ربيع: حسنين

بحر الحجاز في العصور الوسطى، مجلة كلية العلوم الاجتماعية،
إصدار جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ع ١، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م

- الربيعي: عبد الله

الدوافع الدينية للحركة الصليبية، ندوة الاطار التاريخي للحروب
الصليبية، عقدها اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة، رجب ١٤١٦
هـ/نوفمبر ١٩٩٥م.

- الزوابي: ممدوح

نواعير حماة أوابد تشهد على أزهارها هذه المدينة، مجلة القافلة،
صفر ١٤١٥هـ/يولية، اغسطس ١٩٩٤م.

- السالمي: حماد

أوراق الأوراق عجائب وغرائب، مجلة المنهل، ع ٥٠١، مج ٥٤،
رجب ١٤١٣-يناير ١٩٩٣م.

- الطرسوسي: مرضي بن على

تبصرة أرباب الألباب في كيفية النجاة في الحروب من الاسواء،
ونشر اعلام العلم في العدد والآلات المعنية على لقاء العدو، تحقيق كلود
كاهن، مجلة معهد الدراسات الشرقية، دمشق، ج ١٢، ١٩٤٧-١٩٤٨م.

- العابدين:

زين الدين العبدین، شمس الدين نجم، الوظائف العسكرية والتشكيلات
القتالية في العهد المملوكي والعثماني، مجلة كلية الملك خالد العسكرية، ع
٣٩، ١٤١٣هـ.

- عطا: زبيدة

مكتبات المدارس في العصرين الأيوبي والمملوكي، ندوة تاريخ
المدارس في مصر الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٢م.

- علي: سيد رضوان

الإمارات التركية المستقلة في آسيا الصغرى في النصف الأول من القرن السابع الهجري، مجلة كلية العلوم الاجتماعية، إصدار جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ع٦، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

- الغامدي: عبد الله سعيد

١- سياسية سلاطين المماليك البحرية إزاء ميناء إياس الأرمني، بحث مقبول للنشر بمجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٢- شقيف أرنون في عصر الحروب الصليبية، مجلة الانسانيات، كلية الآداب فرع دمنهور، جامعة الإسكندرية، ع٧، ٢٠٠١م.

٣- شيزر منذ زوال حكم بني متقذ حتى أواخر القرن التاسع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، مجلة كلية اللغة العربية فرع أسيوط، ع١٩، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

- الغامدي: علي محمد

١- حصن بغراس ودوره الحربي في عصر الحروب الصليبية، ندوة الأطار التاريخي للحركة الصليبية عقدها اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، رجب ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

٢- سياسية نور الدين محمود العسكرية إزاء مملكة الأرمن في قليقة، مجلة بحوث تاريخية تصر عن الجمعية التاريخية السعودية، اللقاء الثاني.

- كامل: رفاة محمد

حماة مدينة الآثار، مجلة الفيصل، ع٢١٨، شعبان ١٤١٥هـ /يناير ١٩٩٥م.

- متولي: أحمد فؤاد

البحرية العثمانية والبرتغالية في القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) على ضوء الوثائق التاريخية، مجلة كلية العلوم الاجتماعية، إصدار جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ع٤٤، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

- محمود:حسن أحمد

التهديد البرتغالي لسواحل جزيرة العرب ومصادر دراسته، مجلة
العرب، ح ٧ و ٨ / ١٢ محرم وصفر ١٣٩٨ هـ / ٢ شباط (يناير / فبراير)
١٩٧٨ م.

- الوديناني: خلف

ولاية جان بردي الغزالي، مجلة المؤرخ العربي، ٦٤، مارس ١٩٩٨ م.